رسائل مغربية
(١)

مجموع رسائل

الإمام المحقق والعلامة المدقق
مولاي العربي الدرقاوي الشريف الحسني
(المتوفى سنة ١٢٣٩ هجرية)

تحقيق
بسام محمد بارود

قدم له
الإمام العلامة المشارك أحمد ابن الخياط الزكاري

٢٦٤,٩٦٤
د ر م ج
الدرقاوي، أبو عبد الله العربي بن أحمد، ١١٥٠-١٢٣٩هـ.
مجموعة رسائل مغربية / تاليف العربي الدرقاوي؛ تحقيق بسام
بارود؛ تقديم احمد بن الخياط الزكاري.- ط ١.- أبوظبي :
المجمع الثقافي؛ ١٩٩٩م.
٤٣٣ ص؛ ٢٤سم.
١- التصوف الإسلامي.
أ- بسام محمد بارود، محقق.
ب- أحمد بن محمد الزكاري، أبو العباس، ١٨٣٦-١٩٢٥،
مقدم.
ج- العنوان.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٢٣٨٠-هاتف: ٢١٥٣٠٠
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مجموع رسائل

الشيخ الكبير والعارف الشهير
عالي القدر، وشريف النسب، الذي شيَّد أركان طريقته على أساس الخمول والأدب
أبي عبد الله سيدي محمد العربي بن سيدي أحمد الحسني الدرقاوي
(المتوفى سنة ١٢٣٩ هجرية) رضي الله عنه ونفعنا به آمين

تحقيق
بسام محمد بارود

ولما كانت عارية عن الخطبة والتمهيد، جعل لها الشيخ الفقيه العلامة، المشارك الفهَّامة، المدرِّس المحقق، المتقن المدقق، الشريف أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الزكاري الحسني المدعو بابن الخياط، خطبة مع بعض ما يتعلق بأحوال هذا الشيخ فناسب ذكر ذلك أمامها تكملة للفائدة، نفع الله الجميع بمنه وكرمه، آمين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى:-

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

«سورة ق ـ الآية ٣٧»

وقال أيضاً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

«سورة التوبة ـ الآية ١١٩»

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الحديث القدسي الذي رواه عن ربه:-

يقول الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رسالة
إلى سيدي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وجميع من تبعه إلى يوم الدين.

من المذنب العاصي..... إلى السيد المشفع في الداني والقاصي.

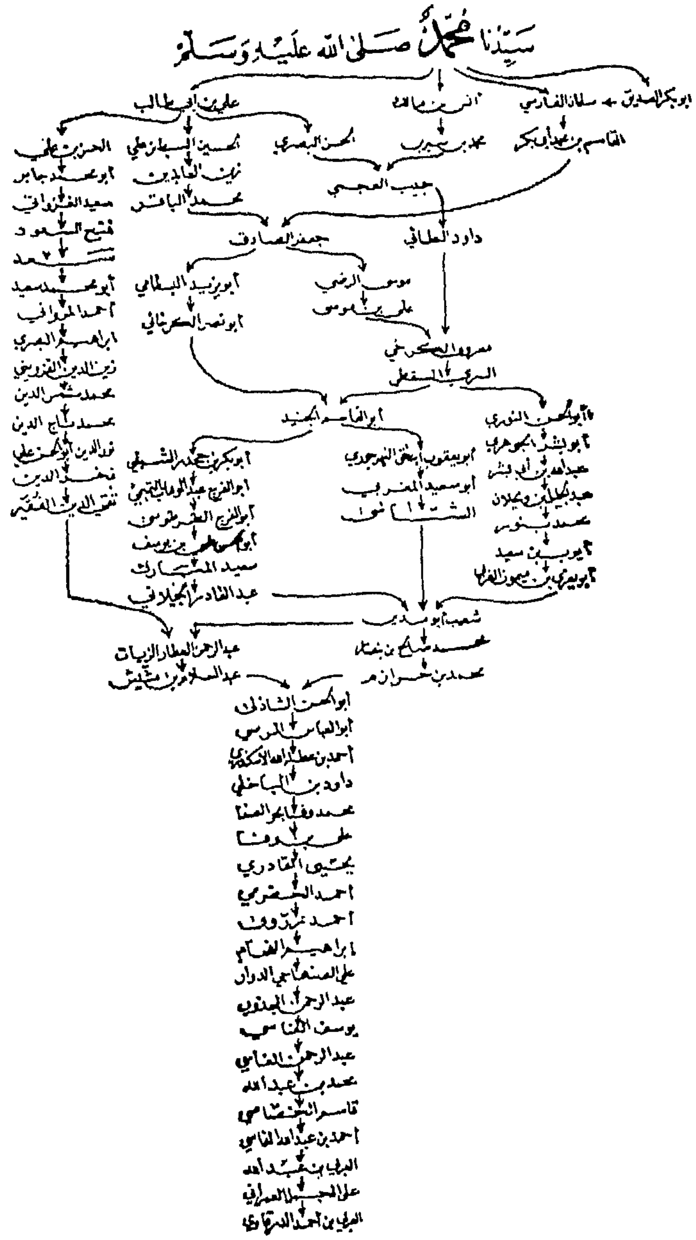
من الخائف الهيمان.............. إلى محل الأمن والأمان.

من المحب المشتاق.......... إلى سيدي حبيب المَلِك الخلاق.

إلى قطب دائرة الوجود وإنسان عين الجود، سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، وحبيب رب العالمين، سيدي وحبيبي وقرة عيني محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، النبي الأمي الزكي الأواه، المصطفى المختار، العظيم الجاه، الذي سلَّمت عليه الأحجار، وأجابت دعوته الأشجار، ومن بالصلاة عليه يرحم الكبار والصغار، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، ومجد وعظم، ووالى عليه وأنعم...

عُبَيدُكَ وخويدمك «بسام بن محمد بارود» يقرئك السلام، ويقبل بأفواه الأقلام تربة بلدك الحرام، لما عجزت عن الإقدام الأقدام،... ومرادي يا حبيبي يا سيد الأنام شفاعتك يوم القيامة لي ولوالدي وأهلي وأولادي ومن أحبني وأحببته في الله، والفتح المبين في العلم والدين، فالله ـ برحمته وفضله ومنِّه ـ على ذلك قدير، وأنت يا سيدي بقبول الشفاعة من ربك ـ لمن ارتجاها منك ـ جدير.

وسلام الله وصلواته ورحمته وبركاته عليك يا كهف الأنام وبدر التمام، وعلى صاحبيك ما جادت سماء بمطر، وما غَنَّت حمام على شجر ورحمة الله وبركاته.



سلسلة شيوخ مولاي العربي الدرقاوي إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال العلامة الإمام المحدث سيدي محمد بن جعفر الكتاني:

«.... ورسائله - نفعنا الله به - من أنفع الرسائل للمريد، وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك، ولا يجحد خيرها وفضلها إلا هالك».

سلوة الأنفاس ١/ ١٧٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم ومجّد وكرّم، وبارك وعظم، ووالى عليه وأنعم، وعلى آله الطيبين المباركين، وصحابته الميامين، وتابعيهم وتابعي تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علّمتنا، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً، وافتح علينا فتوح العارفين والعالمين والعاملين والمحبين والمحبوبين، يا كريم، وبعد. . . .

فبين يدينا اليوم رسائل شريفة مباركة تعتبر من نفحات الله تعالى أفاضها على سيدي مولاي العربي الدرقاوي الشريف الحسني إمام الطريقتين وشيخ المذهبين أعني الشريعة والحقيقة، أو الظاهر والباطن، أو الحس والمعنى، خطها رضي الله عنه وصية لمريديه، بل هي وصايا ورسائل للصوفية في كافة الآفاق إلى قيام الساعة، بين فيها رضي الله عنه الطريقة الواضحة في التصوف، ونبه فيها على الالتزام بالكتاب والسنة وما جاءت به الشريعة دون انحراف عن ذلك قيد أنملة، وكأنه ـ رضي الله عنه ـ يرد في تلك الرسائل المنحرفين

والمغالين إلى جادة الصواب بالالتزام بما جاء في السنة والكتاب، ثم يدافع بها عن منهج الصوفية رضي الله عنهم - وينافح ضد المعاندين والمعترضين على أهل الله بدعاوى طويلة عريضة، باسم العلم تارة، وباسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة أخرى، وباسم السلفية تارة، وباسم محاربة البدع تارة. . . إلى آخر هذه المسميات التي ظاهرها الحق، وباطنها العداء لطريقة أهل الحق سادتنا الصوفية رضي الله عنهم، الذين عاشوا لله وبالله ومع الله وفي الله، أفنوا أعمارهم في خدمة هذا الدين الحنيف والدعوة إليه على هدى وبصيرة من الكتاب والسنة وسير الصحابة والتابعين في الدعوة إلى الله، وجاهدوا في الله حق جهاده، وتركوا لهم في كل قطر أثراً يدل على فضلهم وفنائهم في هذا الدين، وما الزوايا والتكايا والرباطات والخانقاهات والثغور التي كانوا يرابطون فيها يحمون بيضة الدين بسلاح الذِكر والسيف إلا أكبر شاهد على ذلك، ناهيك عن أثرهم - رضي الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بمحبتهم - ناهيك عن أثرهم في نشر الدعوة الإسلامية في كافة الأصقاع شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، كانوا رضي الله عنهم يهبون لنشر الدعوة أينما هبت الريح، يدعون إلى الله تعالى بأفعالهم قبل أقوالهم، وبحالهم قبل مقالهم، واضعين نصب أعينهم رضا الله تعالى وحده، زاهدين عن الدنيا وما فيها ومن فيها، لذلك اجتمعت القلوب السليمة على محبتهم واعتناق طريقتهم ومنهجهم المنهج الحق، فكان منهم التاجر، والعالم، والعامل، والقائد، والإمام. . . . وانظر - إن شئت - في ذلك كتب التراجم والطبقات التي ترجمت لحياتهم وبينت حالهم، وما أكثرها.

من هنا نلمس أثر هذه الرسائل المباركة التي بين ايدينا في تربية النفوس، حيث بين فيها مولانا العربي - رضي الله عنه - أهم معالم

هذا الطريق بعبارات واضحة سهلة، فبين حقيقة النفس، وحقيقة الدنيا، وحقيقة الزهد، وحقيقة التصوف، وحقيقة الذِكر كل ذلك ذوقاً ووجداناً لا دليلاً وبرهاناً. إلى ما هنالك من معالم لا يستغني عنها السالك والمتجرد والمريد، إضافة إلى إرشادات وتوجيهات للمربين والمريدين تنفعهم في الدنيا والآخرة؛ وتحثهم على ما هم عليه من خير وتختصر لهم الطريق الموصل إلى الله، وضرب أقوال المعاندين والمثبطين - رسل الشيطان - عرض الحائط بالحجة والدليل؛ ولا أدل على أهمية هذه الرسائل مما ذكره سيدي العلامة الشيخ أحمد بن الخياط الزكاري علامة وقته وخاتمة محققي زمانه، وستجد تقريظه لهذه الرسائل بعد هذه المقدمة، فأغنانا رضي الله عنه عن الإطالة في التعريف بهذه الرسائل، وكذلك ما ذكره سيدي المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به حين قال في كتابه معلمة أعلام الصالحين في فاس والذي أسماه «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبِر من العلماء والصلحاء في فاس» حيث قال رضي الله عنه عند ترجمته لمولاي العربي الدرقاوي في الجزء الأول صفحة ١٧٧ منه: **(ورسائله - أي مولاي العربي - نفعنا الله - من أنفع الرسائل للمريد، وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك، ولا يجحد خيرها وفضلها إلا هالك).**

كيف لا ومؤلفها - أعني مولاي العربي - كان لطول باعه وعلو همته وتحققه بحقائق القوم قد بلغ ارشاده وفضله سائر الناس في قبيلة بني زروال والبلاد العربية والاسلامية المجاورة، حتى بلغ تلاميذه ذوي التأهيل والارشاد أربعين الفاً مما يدلك على أهمية هذه الشخصية العظيمة في زمانه ومكانه.

فجزى الله الشيخ الإمام عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء،

ونفعنا به وبالصالحين في الدنيا والآخرة.

وكان أول عهدي بهذه الرسائل منذ سنوات لمَّا التقيت بالعلامة الفقيه الشيخ محمد الرطل بناني المغربي الفاسي، علامة المغرب، والقاضي بها وفي أبو ظبي عاصمة دولة الإمارات العربية دفع الله عنها كل أذى وبلية وبلاد المسلمين، . . . . اجتمعت به في مجلس العارف بالله تعالى سيدي الشيخ علي بن شيخ بلفقيه باعلوي رضي الله عنه، وانعقدت القلوب على محبة الله ورسوله ومحبة الصالحين، واستمرت صحبتي له بعد وفاة شيخنا العارف بالله سيدي الشيخ علي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا به ـ وكان عادة شيخنا البناني حفظه الله تعالى أن يبتدىء جلسته المباركة بقراءة رسالة من هذه الرسائل مبيناً ما فيها من معارف وعوارف وإشارات وبشارات ومعانٍ بما يفتح الله تعالى عليه من علم وحال شريف، فتعلق بهذه الرسائل كل من حضر وسمع ما فيها من خير، وتمنى أن يحظى بنسخة منها لينتفع بها هو ومن يحبه في الله ـ وأغلب ظني أن سادتي أتباع الطريقة الدرقاوية الشاذلية في المغرب ومصر والشام والأصقاع وكافة وكذلك جميع محبي مولاي العربي الدرقاوي تمنوا أيضاً التبرك والانتفاع بهذه الرسائل الشريفة، لكن الأمر بدا في غاية الصعوبة حيث إن هذه الرسائل المباركة كانت مكتوبة بالخط المغربي القديم الدقيق الذي يصعب قراءته ولا يفك رموزه إلا من أعانه الله تعالى ووفقه وفتح عليه ـ وأرجو أن أكون منهم ـ فعقدت العزم والنية على خدمة هذه الرسائل وتقديمها لنفسي أولاً ثم إلى أحبابي وإخواني في الله تعالى نصيحة خالصة للعمل بما فيها، والانتفاع بما ورد بها من توجيهات وإرشادات، وعسى أن أنال بسببها وعند مطالعتها دعوة من دعواتهم المباركة في ظهر الغيب تنفعني في العفو عما مضى مني في أمسي، وتكون لي نوراً تؤنسني

عند لقاء الله تعالى وحلول رمسي.

وكان من توفيق الله تعالى أن أكرمني بقراءتها جميعها على فضيلة الشيخ البناني حفظه الله تعالى ـ وأهل مكة كما يقولون أدرى بشعابها ـ ففك من غوامض الخط والمعاني ما قد يعسر على أمثالي فهمه، ثم يسر الله تعالى لي الحصول على نسخة أخرى كتبت بالخط المشرقي ـ وإن قارب في دقته وجودته ـ بل رداءته في هذه النسخة ـ الخط المغربي لكنه كان أيسر بلا شك علي أثناء المقابلة فاستكملت منها ما نقص من النسخة المغربية ـ والتيسير من علامة الإذن ـ والحمد لله وحده أن أعان ووفق ونسأله القبول بجاه سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فكان عملي في خدمة هذه الرسائل المباركة على الشكل التالي: ـ

١ ـ مقابلة النصوص بين النسختين المغربية والمشرقية واستكمال ما سقط من الناسخ سهواً.

٢ ـ عزو الآيات والشواهد القرآنية إلى سورها الكريمة.

٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها ومظانها في كتب الحديث.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة في هذه الرسائل وهذا من الأهمية بمكان حيث إن الكثير من أعلام المغرب ربما تكون غير معروفة لدى المشارقة نتيجة للبعد الجغرافي والمكاني، فكان من الضرورة ترجمة هؤلاء الأعلام من العارفين بالله تعالى خاصة لبيان مقامهم وحالهم بين أهل وقتهم.

وذلك بالرجوع إلى مصادر تراجم أعلام المغرب اعتماداً على «موسوعة أعلام المغرب» التي تضمنت كتاب «تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين» لعبد الكبير الفاسي، وكتاب «إتحاف المطالع

بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع» لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة، وكتاب «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» لمحمد بن الطيب القادري، وكتاب «الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر» لعبد الله الفاسي.

ثم كتاب «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» ـ وفقني الله تعالى للعمل على تحقيقه وخدمته ـ وهو من تأليف العلامة الفقيه المحدث سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى، وهو من خير الكتب ضم ـ إلى جانب التراجم ـ العلم الغزير والمسائل النفيسة التي ربما لا توجد في غيره من الكتب على ما سيتبين للقارىء عند مطالعته إن شاء الله تعالى.

٥ ـ بيان معاني الكلمات المغربية الغريبة وذلك بالرجوع إلى «معجم شمال المغرب تطوان وما حولها»، وفيه تفسير لأغلب الكلمات المغربية الغريبة التي وردت في هذه الرسائل المباركة، أما الأمثال المغربية الشعبية فقد أفادني بمعانيها فضيلة الشيخ البناني حفظه الله تعالى.

٦ ـ وضعت لكل رسالة عنواناً مستخرجاً من مضمونها يبين ما فيها تسهيلاً على المطالع وبياناً لمحتوى الرسائل بشكل مجمل.

٧ ـ قمت بإعداد فهرس عام لجميع الرسائل وضعته في آخر الكتاب مسلسلاً من الرسالة الأولى إلى الرسالة الثانية والسبعين بعد المائة الثانية وهو مجموع هذه الرسائل المباركة.

ولا بد من تنويه بين يدي الكتاب وهو أن مولاي العربي رضي الله عنه كثيراً ما يستعمل الدارجة المغربية في رسائله دون التزام بقواعد العربية لأن قصده المعاني لا المباني فجاءت رسائله عفو الوارد والخاطر فأثبتناها كما هي بنصها دون تغيير عساي أن أكون بهذا قد عبّدت

الطريق لمطالعة هذه الرسائل المباركة قدر جهدي البشري المتواضع، كما جاءتني البشارة من بلاد المغرب بأمر جلالة الملك الحسن الثاني ـ رحمه الله تعالى ـ بأن يُعَبَّد الطريق المؤدي إلى زاوية مولاي العربي في هذه الأيام تسهيلاً على الزوار لذاك المكان المبارك الذي تنزل فيه الرحمات لما فيه من أهل الصلاح والمبرات، فجزى الله المليك الحسن ورحمه رحمة واسعة على فعله الحسن خير الجزاء وأثابه الجزاء الأوفى على اعتنائه بالآثار الإسلامية، ووفق ولده وخليفته من بعده (سيدي محمد) على السير على نهج والده في الخيرات والمبرات ووفق حكام المسلمين لما فيه خدمة الدين، آمين.

وفي الختام اسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا للعمل بما فيه رضاه سبحانه، ويحسن لنا الختام بجاه سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

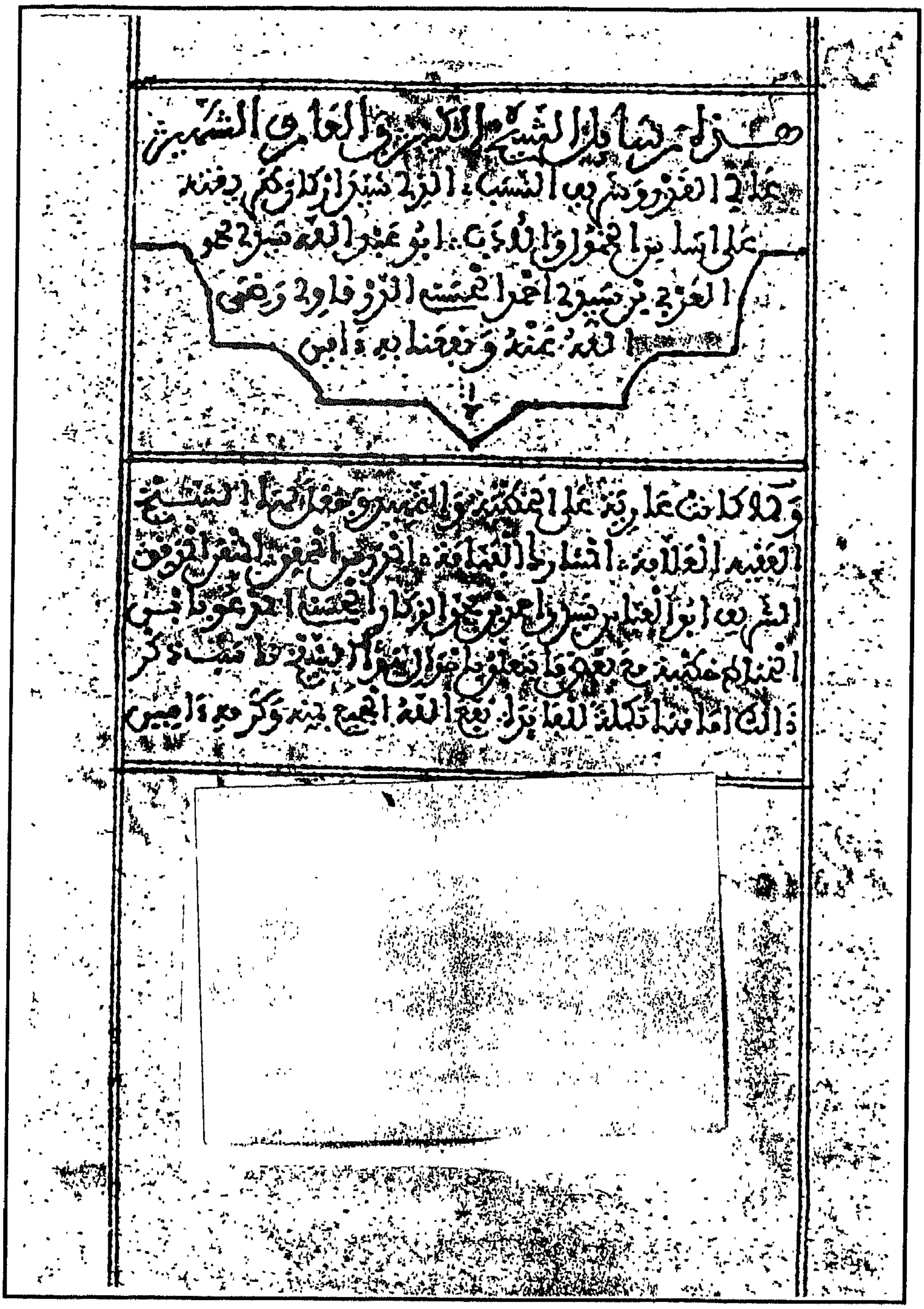
اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً ونستغفرك مما لا نعلمه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وكتبه/ بسام محمد بارود

عفا الله عنه

أبو ظبي ١٦ محرم ١٤٢٠ من هجرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام

موافق ٢/ ٥/ ١٩٩٩م.



هذه رسائل الشيخ الكبير والعارف الشهير
علم الهدى وشيخ المشايخ الذي شهر ذكره [illegible]
على لسان الخاص والعام [illegible] أبو عبد الله سيدي محمد
العربي بن سيدي أحمد الشهير الدرقاوي رضي
الله عنه ونفعنا به آمين

وقد كانت عارية على [illegible] الشيخ
الفقيه العلامة [illegible]
[illegible] أبو العباس [illegible] الزكاري [illegible]
[illegible]
[illegible] الله الجميع بمنه وكرمه آمين

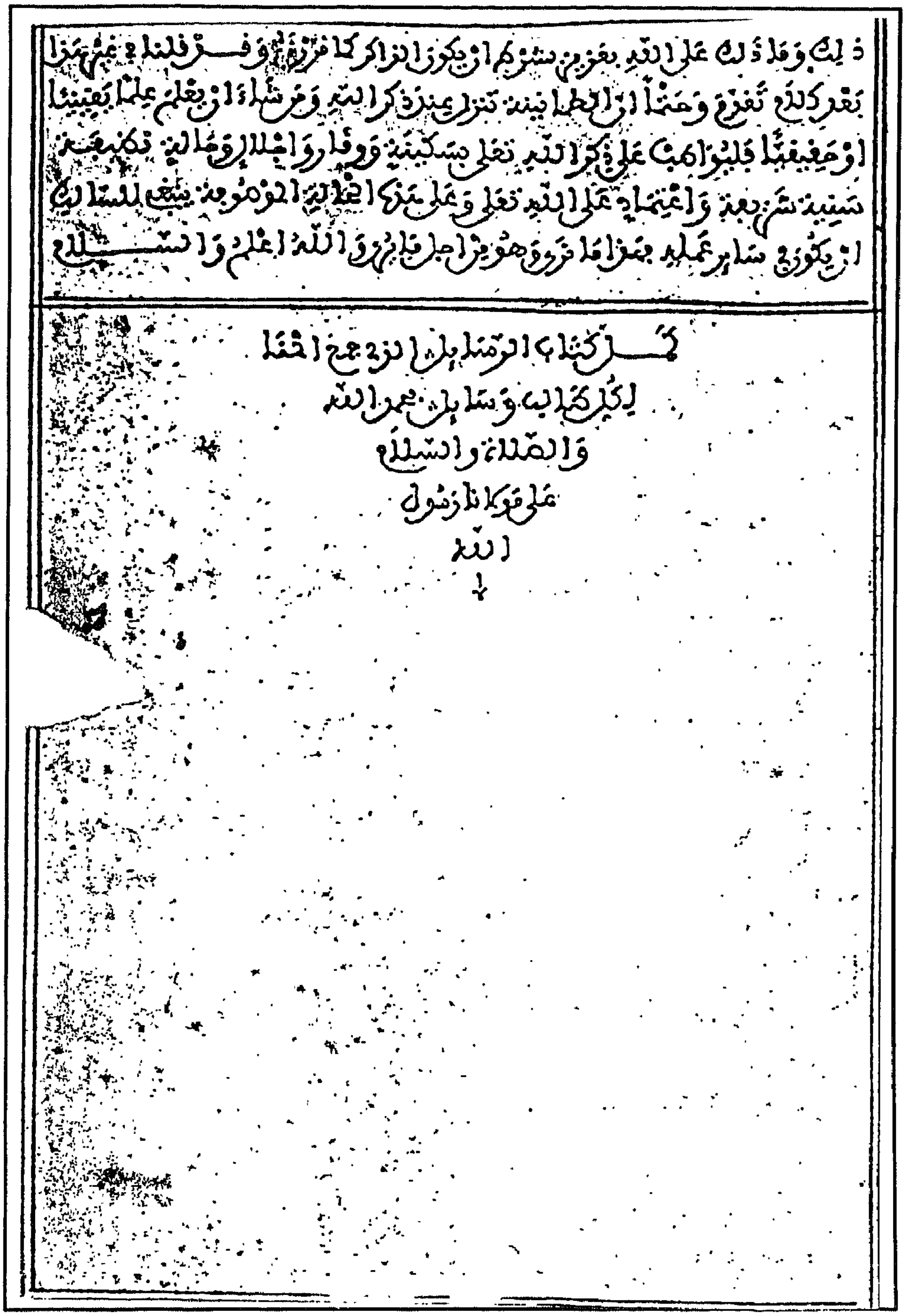
النسخة (أ) صفحة العنوان


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

النسخة (أ) الصفحة الأولى

ربكم كما امركم وشكرا لذكره لكم على ذكره بكم عناية منه بكم والله تعالى يقول فاذكروا الله كذكركم
وتفوزوا بشرا بركم وابائكم ثم ابائكم او اشد ذكرا ذلك اذ هو من افعال الجاهلية واعلموا
رحمكم الله ورضي عنا وعنكم اني تمنيت ان يقول لي بعض من له همة من اهل هذا القول
الذي هو كل واحد من الناس قطعة من اجل شيء وهم في الحقيقة كلهم فاقتهم
الى حاجة واحدة وهي ذكر الله حقيقة فاذا ذكروه لم يفقدوا شيئا قط ولو فقدوه
فاذا لم يقل لي بعض من له همة ولا من غيرهم من اهل هذا القول ان قال لي قلت
له اني قد وقفت الى حضرة ربي في حال صغري بعد البلوغ بنحو عشر سنين وجهي بالغيبة فاذا
انا فيها انا انما انا غير انا بعد ان كنت انا اذ هو الله عجزي بقدرته وفقري
بغناه وعلمي بعلمه وجهلي بعلمه وذلك بفضله اي عطفه ومحض جوده وتفضله
بنعمته فكنت به انا وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الله عز وجل انه قال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنته
لنه فكان من امري تعرف في العلم تعرفا عظيما حتى اني لو سئلت عن الف
الاجبت عنها جوابا بالغا اذ هو كالمصباح فلو شعل منه جميع
مصابيح لم ينقص من نوره شيئا والله على ما نقول وكيل والله على ما نقول
وكيل والله على ما نقول وكيل والسلام ومنها فلأمر الذكر واسع وانظر
ان شئتم معنى قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يعني
اهل التعبير رضي الله عنهم فلا تكن تحدون امر الذكر واسع كما قلنا لكن واهل
ذكر الله من اهل بنوع والله اعلم ان الصواب ان يذكر الذاكر كما اقول لك بسكينة
ووقار واعتدال واجلال وحالة لطيفة سنية شهية واعتماد على الله وان
يذكر الله الله الله بلا فرق ولا يذكر الله الله الله الله
بلا عجل ولا يزيد ولا يزول ليتحقق من وجه الحضرة ويستغرق فيها تستغرقا بغير قلبه
ومما اذكر لك والله الاموران ان اول الحضرة والنظر بين غيرها ان يكتبها في
من تستغرقها رجع الى الله من حيث ولو عنه الف مرة رجع
من هو عابد ان الذاكر يقع عليه الفتح الكبير في اقرب مدة ونور والله
الفتح الله اسبع وقيل اسبعا واحدا وقيل ليلة وقيل اقل من

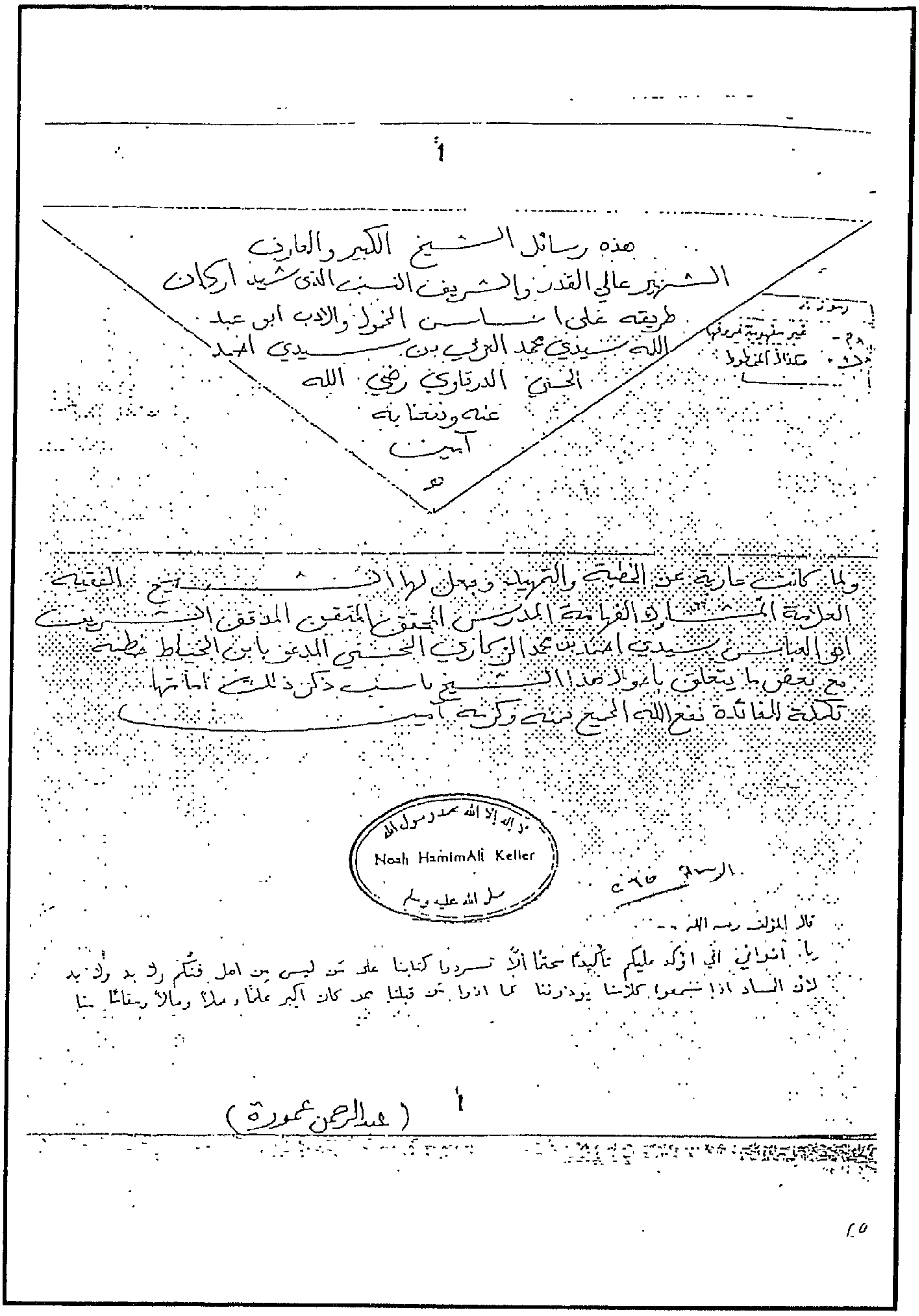
النسخة (أ) الصفحة الثانية



ذلك وما ذلك على الله بعزيز بشرط أن يكون الذاكر كما قررناه وفي قلبنا في غير هذا
بغير كلام تفرع وحسبنا أن الطمأنينة تنزل عند ذكر الله ومن شاء أن يعلم علما يقينيا
أو حقيقيا فليراجع علو ذكر الله تعالى بسكينة ووقار وإجلال وهذا الذي تكلمنا به
سنية شرعية واعتماده على الله تعالى وعلى هذه الفضائل الموهوبة ينبغي للسالك
أن يكون في سائر عمله بمنزلة ما قررناه وهو من أجل فوائده والله أعلم والسلام

كمل كتاب الرسائل الذي جمع أحمد
لكل كتابه ورسائل بحمد الله
والصلاة والسلام
على مولانا رسول
الله

النسخة (أ) الصفحة الأخيرة



أ

هذه رسائل الشيخ الكبير والعارف
الشهير عالي القدر والشريف النسب الذي شيد أركان
طريقه على أساس الخمول والأدب أبي عبد
الله سيدي محمد العربي بن سيدي أحمد
الحسني الدرقاوي رضي الله
عنه ونفعنا به
آمين

رموز:
م - غير مفهومة حروفها
... - هكذا المخطوط

ولما كانت عارية عن الخطبة والتمهيد وجعل لها الشيخ الفقيه
العلامة المشارك الفهامة المدرس المحقق المتقن المدقق الشريف
أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الزكاري الحسني المدعو بابن الخياط خطبة
مع بعض ما يتعلق بأعواد هذا الشيخ بأنسب ذكر ذلك أمامها
تكملة للفائدة نفع الله الجميع بمنه وكرمه آمين

لا إله إلا الله محمد رسول الله
Noah HamimAli Keller
صلى الله عليه وسلم

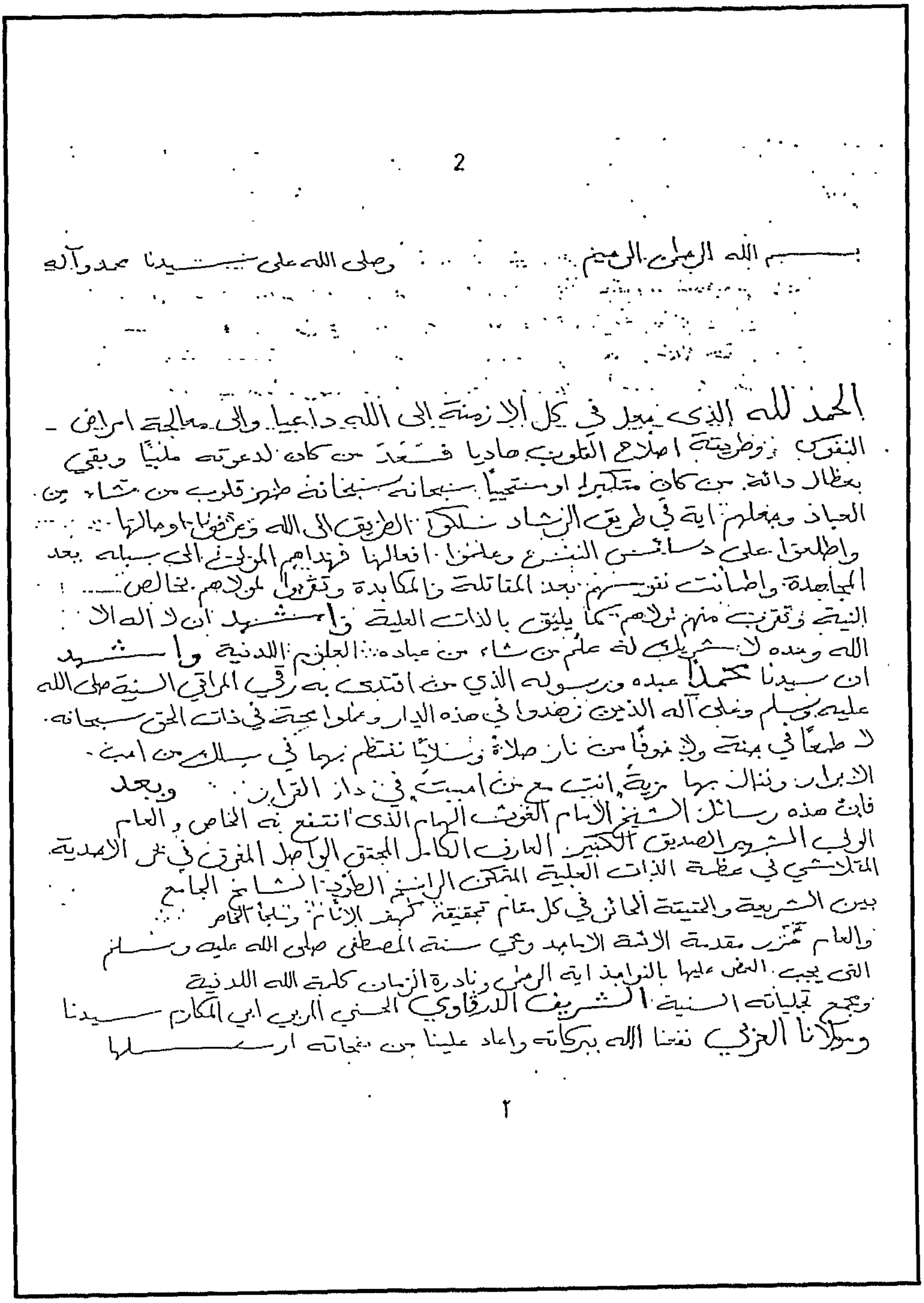
الرسالة ...

قال المؤلف رحمه الله ...
يا إخواني إني أؤكد عليكم تأكيدا حتما ألا تسردوا كتابنا على من ليس من أهل فنكم رد بد ولا بد
لأن الحساد إذا سمعوا كلامنا يؤذوننا كما آذوا من قبلنا ممن كان أكبر علما وعملا وحالا ومقاما منا

أ

(عبد الرحمن عمورة)

النسخة (ب) صفحة العنوان

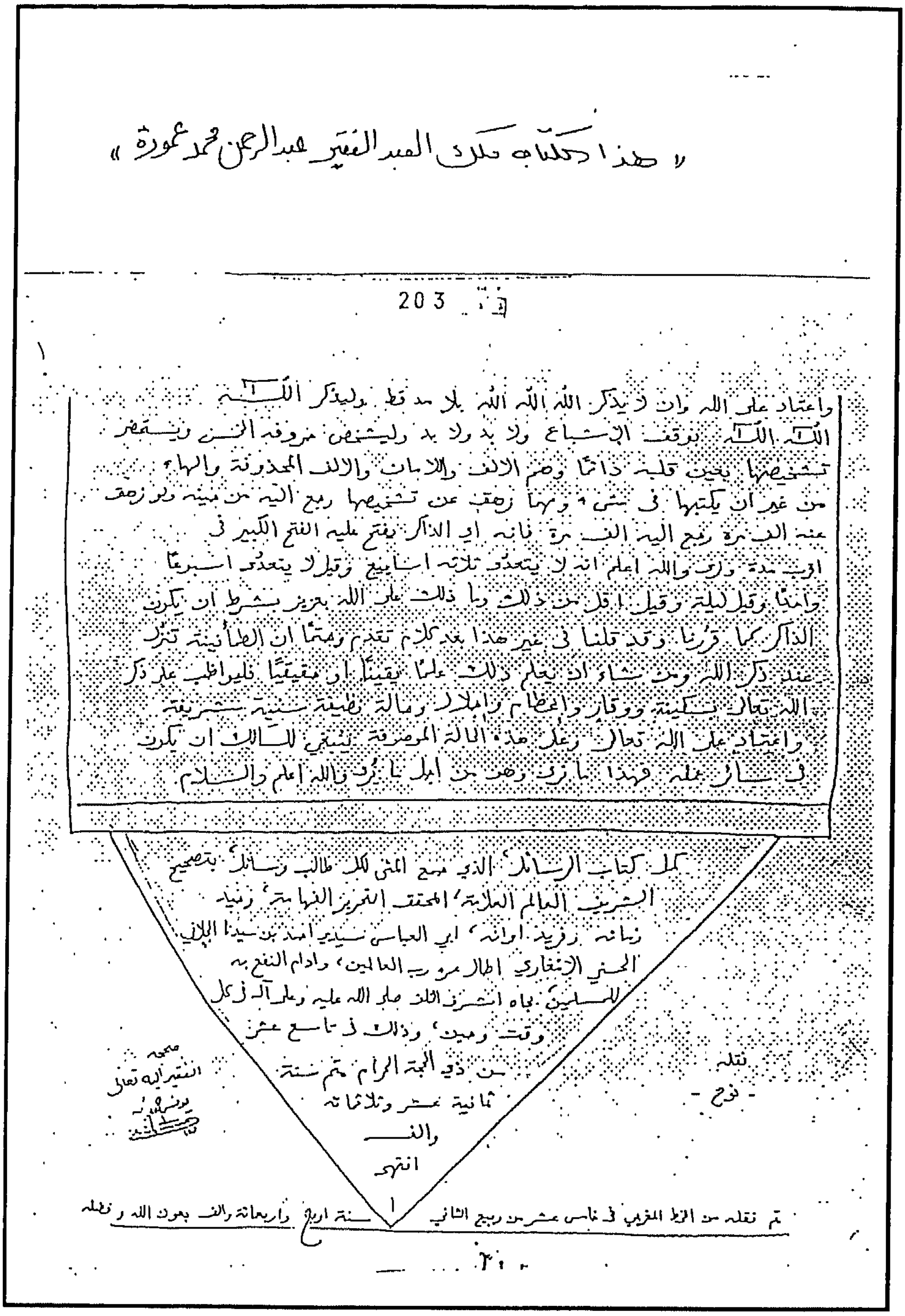

2

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي يجعل في كل الازمنة الى الله داعيا والى معالجة امراض النفوس وطريقة اصلاح القلوب هاديا فسعد من كان لدعوته ملبيا وبقي بعطال دائه من كان متكبرا او مستحييا سبحانه سبحانه طهر قلوب من شاء من العباد وبعلمه اية في طريق الرشاد سلكوا الطريق الى الله وعرفوها ومالها واطلعوا على دسائس النفس وعلموا افعالها فهداهم المولى الى سبيله بعد المجاهدة واطمانت نفوسهم بعد المقاتلة والمكابدة وتقربوا لمولاهم بخالص النية وتقرب منهم مولاهم بما يليق بالذات العلية واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له علم من شاء من عباده العلوم اللدنية واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي من اقتدى به رقي المراقي السنية صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين زهدوا في هذه الدار وهاموا محبة في ذات الحق سبحانه لا طمعا في جنة ولا خوفا من نار صلاة وسلاما ننتظم بهما في سلك من احب الابرار وننال بهما مزية انت مع من احببت في دار القرار وبعد فان هذه رسائل الشيخ الامام الغوث الهمام الذي انتفع به الخاص والعام الولي الشهير الصديق الكبير العارف الكامل المحقق الواصل المغرق في بحر الاحدية المتلاشي في عظمة الذات العلية المتمكن الراسخ الطود الشامخ الجامع بين الشريعة والحقيقة الحائز في كل مقام تحقيقه كهف الانام وملجأ الخاص والعام محرز مقدمة الائمة الاماجد ومحيي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم التي يجب العض عليها بالنواجذ اية الرحمن ونادرة الزمان كلمة الله اللدنية ومجمع تجلياته السنية الشريف الدرقاوي الحسني العربي ابي المكارم سيدنا ومولانا العربي نفعنا الله ببركاته واعاد علينا من نفحاته ارسلها

٢

النسخة (ب) الصفحة الأولى



« هذا الكتاب ملك العبد الفقير عبد الرحمن محمد عودة »

203

واعتماد على الله وان لا يذكر الله الله الله بلا مد قط وليذكر اللـــه
اللـــه اللـــه بوقف الإشباع ولا بد ولا بد وليشخص حروفه الحسنى ويستحضر
تشخيصها بحيث قلبه دائما وضم الالف والابانات والالف المحذوفة والهاء
من غير ان يكتبها في شيء ومهما ذهب عن تشخيصها رجع اليه من حينه ولو ذهب
عنه الف مرة رجع اليه الف مرة فانه اي الذاكر يفتح عليه الفتح الكبير في
اقرب مدة ورب والله اعلم انه لا يتعدى ثلاثة اسابيع وقيل لا يتعدى اسبوعا
واحدا وقيل ليلة وقيل اقل من ذلك وما ذلك على الله بعزيز بشرط ان يكون
الذاكر كما قررنا وقد قلنا في غير هذا بعد كلام تقدم ومعنا ان الطمانينة تنزل
عند ذكر الله ومن شاء ان يعلم ذلك علما يقينا او حقيقيا فليواظب على ذكر
الله تعالى بسكينة ووقار واعظام واجلال وحالة لطيفة سنية شريفة
واعتماد على الله تعالى وعلى هذه الحالة الموصوفة ينبغي للسالك ان يكون
في سائر عمله فهذا ما نرى وهو من اجل ما نرى والله اعلم والسلام

كمل كتاب الرسائل الذي صح المتن لكل طالب وسائل بتصحيح
الشريف العالم العلامة المحقق التحرير الفهامة زمنه
زمانه وفريد اوانه ابي العباس سيدي احمد بن سيدنا الهلالي
الحسني السجلماسي اطال مولانا رب العالمين وادام النفع به
للمسلمين بجاه اشرف الخلق صلى الله عليه وعلى آله في كل
وقت وحين وذلك في تاسع عشر
من ذي الحجة الحرام تم سنة
ثمانية عشر وثلاثمائة
والف
انتهى

نقله
- نوح -

مصححه
الفقير اليه تعالى

تم نقله من الخط المغربي في خامس عشر من ربيع الثاني سنة اربع واربعمائة والف بعون الله وفضله

النسخة (ب) الصفحة الأخيرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة
الفقيه العلامة الإمام أحمد بن الخياط الزكاري

قال العلامة عبد السلام بن عبد القادر بن سودة في كتابه: «إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع» ـ القسم الثاني:ـ

«وفي يوم الاثنين ثاني عشر رمضان، توفي أحمد بن محمد بن عمر بن الخياط الزكاري الحسني، خاتمة المحققين، وإمام المدققين، شيخ الجماعة، وآخر الناس علماً وعملاً، الصوفي العامل بعلمه».

ولد في سادس عشر شعبان عام اثنين وخمسين ومائتين وألف، **له تآليف** عديدة كلها نافعة، منها حاشية على شرح الخرشي لفرائض المختصر، وحاشية على مصطلح الحديث، وفهرستان كبرى وصغرى، إلى غير ذلك من التآليف التي تقرب من مائة، كانت عندي أسماء البعض منها، وقد ضاع ذلك مني. دفن بزاوية بالرميلة قرب ضريح الشيخ علي الجمل.

وقال رحمه الله أيضاً في كتابه: «سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال فهرس الشيوخ» القسم الأول:ـ

«هو أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الهادي بن العربي بن محمد ـ

فتحاً ـ ابن الخياط الزكاري الحسني»، هو وقبيله من الشرفاء الذين تواتر شرفهم عند أهل فاس، ينظرون إليهم نظرة التعظيم والإجلال. الشيخ الإمام، علم الأعلام، العلامة الهمام، الحجة النظار، المحدث المشارك، المحرر النحرير، المدقق الأصولي الفقيه الدراك، الولي الصالح المعمَّر، من آخر الناس علماً وديناً ومروءة، قوي الحجة متحرياً في النقل.

قال في وصفه بعض علماء شنقيط أيام السلطان المولى عبد الحفيظ حين سئل عن صاحب الترجمة، قال: رجل خدم القواعد فأتقنها، انتهى.

كانت ولادته عام اثنين وخمسين ومائتين وألف حسبما كان يذكر عنه، قرأ العلم على الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الشدادي الحسني المتوفى عام واحد وستين ومائتين وألف، وعلى الشيخ محمد الصادق بن الهاشمي الحسني العلوي المتوفى عام أحد وسبعين ومائتين وألف دفين مراكش، وعلى الشيخ الحاج الداودي بن العربي التلمساني الحسني المتوفى عام أحد وسبعين ومائتين وألف، وعلى الشيخ عبد الحفيظ العلوي الأمراني الحسني عام أربعة وسبعين ومائتين وألف، وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفيلالي السلجلاسي الحجرتي شيخ الجماعة في وقته وهو عمدته، المتوفى عام خمسة وسبعين ومائتين وألف، وعلى الشيخ أحمد بن محمد المرنيسي المريني المتوفى عام سبعة وسبعين ومائتين وألف، وعلى الشيخ قاسم بن محمد القادري المتوفى عام أحد وثمانين ومائتين وألف، وعلى الشيخ محمد بن حماد المكناسي المتوفى عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف، وعلى الشيخ عمر بن الطالب ابن سودة المتوفى عام خمسى وثمانين ومائتين وألف، وعلى الشيخ المهدي بن محمد بن الحاج السلمي، وعلى الشيخ القاضي محمد ـ فتحاً ـ ابن عبد الرحمن العلوي الحسني، وعلى الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب

الحسني، وعلى الشيخ محمد بن المدني كنون، والشيخ علي بن محمد المتبوي المتوفى عام أربعة وثلاثمائة وألف، والشيخ صالح بن المعطي المدعو التادلي، والشيخ أحمد بن محمد بن الحاج السلمي، والشيخ محمد بن أحمد بن الطيب بناني المراكشي، والشيخ عبد المالك بن محمد العلوي الضرير، وغيرهم من الأشياخ، وله الإجازة العامة من بعضهم، كما بين ذلك في فهارسه الثلاث الكبرى والوسطى والصغرى، وقد وقفت على الوسطى في نحو ثلاثة كراريس، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ عبد الواحد بن البدوي بناني المتوفى عام خمسة وثمانين ومائتين وألف، الآخذ هو عن الشيخ محمد بن الغالي أيوب الحسني المتوفى عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف، الآخذ عن الشيخ أحمد بن عبد المومن الغماري الحسني المتوفى عام اثنتين وستين ومائتين وألف، **الذي أخذ على الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي الحسني المتوفى عام تسعة وعشرين ومائتين وألف.**

والشيخ البناني المذكور هو عمدته في الطريق، وبسببه تزهد صاحب الترجمة، وتعاطى العلم، وتجرد، ولبس المرقعة، وطاف في الأسواق يسأل، ويأكل، فأنكر عليه ذلك أشياخه وأقرانه من العلماء، وأعظم أشياخه الذين أنكروا عليه الشيخ محمد كنون لما يعلم من نجابته، وشدد الانكار عليه حتى قاطعه، ولما رأى منه ذلك قاضي فاس الشيخ عمر بن عبد القادر الرندة نهاه فلم ينته فسجنه، وبقي في السجن مدة، ولما خرج من السجن بقي على حاله إلى أن أفاق من سكرته، ورجع إلى العلم وبثه في صدور الرجال، وبقي على ذلك إلى أن لقي ربه مع التقشف وعدم الرفاهية، وأخيراً عين رئيساً للمجلس الذي أسس أولاً بكلية القرويين بعدما بسطت الحماية يدها على المغرب، وبقي على الرئاسة المذكورة إلى أن توفي.

ألف تآليف عديدة أكثر من مائة، كلها في غاية التحرير والتدقيق والإتقان، فمنها: حاشية على شرح الخرشي على فرائض خليل، وهي مطبوعة مراراً، ومنها حاشية على شيخ محمد بن عبد القادر الفاسي لنظم العربي الفاسي في مصطلح الحديث وهي مطبوعة، ومنها تأليف في العقائد على مذهب المتكلمين، ومنها رفع اللجاج والشقاق على حكم البينونة في الطلاق عند الإطلاق، إلى غير ذلك من التآليف والتقاييد، التي ذكرها وفصَّلها في فهرسته الوسطى فلا نطيل بها.

ذهبت عنده إلى داره بالسبطريين صحبة الجد العابد ـ رحم الله الجميع ـ وطلبت منه الإجازة، فقال رحمه الله: قد أجزتك بجميع مروياتي ومسموعاتي على الشرط المقرر عندهم، وأوصيك بتقوى الله، ـ كررها عليَّ ثلاثاً ـ.

وقد حضرت دروسه في المختصر من باب المسح على الجبائر في العنزة من جامع القرويين، والأخذ عنه يعده الإنسان مفخرة وأي مفخرة، لأنه من آخر من مثل العلم على نهج السلف الصالح مع الاستقامة واتباع السنة.

توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء ثاني عشر رمضان عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن بزاوية بالرميلة المعروفة بقبيلة الزكاريين، قريبة من زاوية الشيخ سيدي علي الجمل.

ترجمة مولاي العربي الدرقاوي
ـ رضي الله عنه ـ
من كتاب «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»

قال العلامة الإمام المحدث محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني رحمه الله تعالى في ترجمة مولانا العربي الدرقاوي ـ رضي الله عنه ـ مانصه :ـ

. . . . من أفراد الكمَّل العارفين بالله، الدالين بأقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم على الله، جامعاً لمحاسن الشيم والأخلاق، طائراً بصيته المعجب في جميع البلاد من المشرق والمغرب، حتى انتشرت أتباعه في عامة الأقطار، وعمرت زواياه بالإخوان الفقراء في سائر البوادي والأمصار، وصار شيخ العصر في مقام الجبر والكسر، كعبة للطائفين، وقدوة للسالكين، وملاذاً للخائفين، وسراجاً للسائرين، وظهرت له كرامات أجلى من الشمس في الوضوح، يغدو بمشاهدتها جميع من أهَّله الله لرؤيتها ويروح، وتواترت بها النقول، فتلقاها العظماء بالقبول.

أخذ رحمه الله عن جماعة من الأولياء، وجمهور من الكبراء الأصفياء، وعمدته منهم الشيخ العارف بالله مولانا أبو الحسن علي الجمل رضي الله عنه، فبه أشرقت في صدره أنوار العرفان، وتجلت له من ربه شموس الإحسان، ووقع له الفتح الكبير، والمدد الفياض الغزير، وتَخَرَّجَ على يده هو من لايحصى من الشيوخ وأرباب التمكين والرسوخ.

وطريقته ـ رضي الله عنه ـ مبنية على اتباع السنة في الأقوال والأفعال والعبادات والعادات، ومجانبة البدع كلها في جميع الحالات، مع كسر النفس وإسقاط التدبير والاختيار، والتبري من الدعوى والاقتدار، والإكثار من الذكر آناء الليل وأطراف النهار، والاشتغال بالمذاكرة وما يعني، وترك كل ما يُعني.

وبالجملة؛ فطريقته ـ رضي الله عنه ـ جلالية الظاهر جمالية الباطن، وإن شئت قلت: سفلية الظاهر علوية الباطن، كطريقة شيخه.

ورسائله ـ نفعنا الله به ـ من أنفع الرسائل للمريد، وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لايستغني عن مطالعتها سالك، ولايجحد خيرها وفضلها إلا هالك.

ولد رحمه الله تعالى بعد الخمسين والمائة والألف ببني زروال، وبها توفي ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف، وضريحه هناك مشهور معروف(١)، وبإنالة الخيرات والبركات لقاصديه وزائريه موصوف، ومناقبه وأحواله وأوصافه ومعارفه لايفي بها قلم، وهي من الشهرة كنار على علم، رضي الله عنه، ونفعنا به وبأمثاله، آمين.

---

(١) ولعل مما يثلج الصدر، ويفرح قلب كل محب، ما أخبرني به الشيخ الفقيه العلامة محمد الرطل بناني الفاسي حفظه الله تعالى وقد أتى من بلاد المغرب وقت انتهائي من خدمة هذه الرسائل، بما أمر به الملك الحسن الثاني ملك المغرب رحمه الله تعالى ـ من تعبيد الطريق المؤدي إلى ضريح مولانا العربي الدرقاوي ليكون ممهداً للزائرين وميسراً عليهم عناء الزيارة، فله من الله تعالى الجزاء الأوفى على ما قدم ويقدم من اهتمام واعتناء بمزارات الصالحين وأماكن العبادة، وما مسجده الكبير ببعيد خبره عنا، وكذا دروسه الحسنية الرمضانية، ومجالس القرآن ودلائل الخيرات وغيرها وغيرها. . . . من المآثر التي تشهد له بالخير فجزاه الله كل خير ووفق خليفته من بعده سيدي محمد بن الحسن على المضي على نهج سلفه الصالح ليكون خير خلف لخير سلف، ولكل مريد للخير بآل بيت رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي جعل في كل الأزمنة داعياً، وإلى معالجة أمراض النفوس وطريقة إصلاح القلوب هادياً، فسعد من كان لدعوته ملبيا، وبقي بعُضال دائه من كان متكبراً أو مستحيا.

سبحانه، سبحانه، طهَّر قلوب من شاء من العباد، وجعلهم أئمة في طريق الرشاد، سلكوا الطريق إلى الله وعرفوا أوحالها، واطلعوا على دسائس النفس وعلموا أفعالها، فهداهم المولى إلى سبيله بعد المجاهدة، واطمأنت نفوسهم بعد المقاتلة والمكابدة، وتقربوا لمولاهم بخالص النية، وتقرَّب منهم مولاهم كما يليق بالذات العليَّة.

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، علَّم من شاء من عباده العلوم اللدنيَّه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي من اقتدى به رقى المراقي السنية، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الذين زهدوا في هذه الدار، وعملوا محبة في ذات الحق سبحانه لاطمعاً في جنة ولاخوفاً من نار، صلاةً وسلاماً ننتظم بهما في سلك من أحب الأبرار، وننال بهما مزية: (أنت مع من أحببت)(١) في دار القرار، وبعد. . . .

---

(١) إشارة إلى حديث: «المرء مع من أحب» رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد ـ الجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٥٧٤.

فإن هذه رسائل الشيخ الإمام، الغوث الهمام، الذي انتفع به الخاص والعام، الولي الشهير، والصديق الكبير، العارف الكامل، المحقق الواصل، المغرق في بحر الأحدية، المتلاشي في عظمة الذات العلية، المتمكن الراسخ، الطود الشامخ، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الحائز في كل مقام تحقيقه، كهف الأنام، وملجأ الخاص والعام، حذو مقدمة الأئمة الأفاضل، ومحيي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، التي يجب العض عليها بالنواجذ، آية الرحمن، ونادرة الزمان، كلمة الله اللدنية، ومجمع تجلياته السنية، الشريف الدرقاوي الحسني المربي، أبي المكارم سيدنا ومولانا العربي، نفعنا الله ببركاته، وأعاد علينا من نفحاته. أرسلها إلى من انتفع بصحبته، ودخل تحت لوائه وفي حضرته، أَحِبَّته الذين رفع عنهم الأستار، وتباعدت عنهم الأغيار، وصار الليل عندهم ضحوة النهار، وتلاشى الكون في أعينهم لمشاهدة الواحد القهار، فيا لها من مشاهدة ما أحلاها، ويالها من مقامات ما أعلاها.

هي رسائل تنبي عن مقام مرسلها، وتعلن بمعارفه في قولها، صفت مشاربه للظمآن، وظهرت مخدراتها ظهور الشمس للعيان، جمعت من الأحاديث والآثار، ومن المواعظ وآيات الاعتبار، ما تشهد بسنيته العقول، وتجتمع الأنظار أن علم صاحبها بحر زخّار، فيها أمور الشريعة وأقوالها، وسنن الطريقة وأعمالها، وأسرار الحقيقة وأحوالها، كل ذلك بأوجز لفظ، وتحرير عبارة وأوضح إشارة، وكانت عنده على حسب الوقائع، إذ الجواب على قدر السؤال، وكل رسالة منها تغني صاحبها الغنى الأكبر، وتبلغه غاية الأمل والوطر، وبالجملة. . . . فمحصّل هذه الرسائل لايلتفت لما سواها من الكتب والرسائل، فشُدَّ أيها الأخ اليد عليها، واعمل بمقتضاها، وتخلّق بأخلاقها، فما فيها إلا شريعة سيد المرسلين، وطريق السالكين، وإشارات المحققين الواصلين العارفين،

ومواجيد المحبين المحبوبين، هي ـ كصاحبها ـ معروفة، مشهورة في كل الأقطار، منتشرة بانتشار هذه الطائفة الدرقاوية طائفة الأبرار، غير أن بعض الشرفاء الكرام والسادات العظام، طلب أن يجعل لها خطبة كسائر المؤلفات، ونذكر معها جملة من أحوال هذا العارف الكبير، وإن كان النهار لاتقام عليه الدلائل والبينات، فلم تسع إلا مساعدته، وأن تجاب طلبته ورغبته، فأقول:

صاحب هذه الرسائل هو الشيخ الإمام، الغوث الهمام، العارف الرباني، المحقق الصمداني، شيخ المشايخ العارفين، وقدوة الصدور المربين الواصلين الكاملين، من بالنظرة والعطفة يداوي، ولغير سيده ومولاه لا ياوي، الشريف الحسني أبو المعالي **مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي. فهو رضي الله عنه من ساداتنا الشرفاء أهل بيت الرسول المصطفى، الذين عنهم الرجس انتفى، وشمس مجدهم ما لها خِفَا من الفرقة التي لقبها: (الدرقاويون)، وهم في بقاع من الأرض منتشرون، وفي أماكنهم معظَّمون، وبحيازة النسب الشريف معروفون، ذكرهم غير واحد من أهل التآليف، ورفع نسبهم الشريف في الكتب والتصانيف، عند ملوك الإسلام بأيديهم ظهائر[1] الآمرة بتعظيمهم بين الأنام سيما ظهائر الشريف الجليل، أمير المؤمنين مولانا اسماعيل[2]، فقد بحث عن الأشراف، وميز اليواقيت من الأصداف، واستعمل النظر، وتوج بطابعه الشريف من له الدليل المعتبر.**

قال أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين سيدي محمد ابن مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل، في ظهير له ما نصه: ولايحل لنا أن نهمل ما أظهره الله بالمواجب الشرعية

---

(١) الظهائر بالدارجة المغربية أي المراسيم.

(٢) ثالث الملوك العلويين الكرام في المغرب.

والظهائر السلطانية لأن الملوك الأقدمين كانوا لايحددون جديداً إلا بعد شهادة أهل بلادهم لهم بتحقيق نسبهم.

وقال في هذا الظهير أيضاً قبل هذا ما نصه: ويعلم ويتحقق أن العلماء العاملين أجمعوا على أن النسب المقطوع به في غربنا من شك ولاريب هو ما أدخل في دفتر مولانا الجد رحمه الله بعد تحقق أمره، لأن ملكه اتبع القرى والمداشر والحواضر، وشهدت لهم الكافة والجمهور وحقق من دفتر أبي العباس المنصور، وبحث فيه أولاً وثانياً فإذا هو مشهور، وبوجوده ـ رحمه الله ـ انقطعت شوكة أهل الظلم والجور والجرأة والعناد بالكذب على سيد العباد، انتهى المراد منه.

ونحوه لمولانا سليمان في ظهير له، وذكر فيه مولانا العربي رضي الله عنه ووصفه بالزهد والمعرفة بالله، في قضية ذكرها في شأنه.

ولاشك أن هذه الطائفة من الأشراف منتشرة، وفي مواضعها مشتهرة؛ ففرقة منها بفاس ـ دفع الله عنها كل باس ـ ببعيون تعرف بأولاد ابن عبد النبي، وكانت في هذه الفرقة المباركة النقابة، ومن مولانا اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله، ومولانا سليمان، كما وقفت على ذلك في غير موضع.

ومنها: فرقة بسوس الأقصى.

ومنها: فرقة بساحل دكالة، بثغر مدينة أسفي، التي بها ضريح الولي الصالح الشهير الواضح أبي محمد صالح، شيخ الشيخ الكبير أبي مدين الغوث، نفعنا الله به. والكثير منها بقبيلة بني زروال، وكلهم أهل حياء وسخاء، ومسكنة وعفَّة، وجدُّهم الذي ينتسبون إليه هو الإمام أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة[١]؛ كان رضي الله

(١) الدرقة أي الدرع وما يتقى به السيف.

عنه عظيم القدر شهير الذكر، كان رضي الله عنه عالماً عاملاً، زاهداً، كثير القيام والصيام والصدقة، يختم القرآن كل يوم، مجاهداً في سبيل الله، وكانت له درقة كبيرة يتوقى بها في الحروب، فصار يقال له: أبو درقة، وضريحه مشهور للزيارة، عليه قبة متقنة بتامسنة بقبيلة الشاوية، قريباً من ناحية أم الربيع، وهو من ذرية مولانا أحمد بن مولانا إدريس بن مولانا إدريس رضي الله عنهم.

وقد كان الشيخ مولانا العربي رضي الله عنه في حال شبابه تحير في أمر نفسه، فأراه الله تعالى ذلك عياناً، وكشف له عن نور كالنور الذي تسميه العامة عروسة المطر[1]، ضارباً قوساً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مولانا إدريس، ومن مولانا إدريس إلى سيدي أبي درقة، ومن سيدي أبي درقة إلى والد مولانا العربي رضي الله عنه، وهذا التحير كثيراً ما يعتري الأفراد من آل البيت رضي الله عنهم، وسببه شدة التعظيم لهذا النسب الشريف، وخوف الدعوى، وهذا الخوف من الورع، وإلا فكل من وجد قومه وآباءه يدعون نسباً حرُمَ عليه أن يدعي خلاف ذلك، وكذّب أباءه.

ثم إن بني زروال هي مولد الشيخ مولانا العربي رضي الله عنه، ومنشؤه، وموضع استقراره وبها توفي وبها ضريحه.

وهذه القبيلة مباركة لها منافع كثيرة، وخواص شهيرة.

منها: أن بها أولاد الخلفاء الأربعة ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

ومنها: أن الولي الكبير الأستاذ الشهير سيدي الحاج بن فقيرة

---

(١) وهو ما يسمى بقوس قزح.

الزروالي، قرأ سلكة[1] برواية السبع في الروضة الشريفة روضة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما ختمها أجابه صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: هكذا أنزل عليَّ أيها الإمام الزروالي، بارك الله فيك وفي قبيلتك الزروالية.

ومنها: ما جمع الله فيها من الزروع والدروع والعنب والزيتون والفواكه وشجاعة أهلها.

وكان هذا الشيخ مولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول: من مسَّ ثوبه ثوب الزروالي يربح ولايخسر. وكأنه رضي الله عنه أشار بهذا الكلام لنفسه ـ تحدُّثاً بنعم الله تعالى، ونصيحة لعباد الله ـ فإن أولياء الله تعالى إكسير القلوب، من رآهم سعد بهم سعادة لايشقى بعدها أبداً.

وقال الشيخ الأكبر، والعارف الأشهر أبو الحسن الشاذلي وثاني تلاميذه أبي العباس المرسي رضي الله عنه: نعم الرجل أبو العباس يدخل عليه الأعرابي يبول على ساقه، فيوصله إلى الله من حينه، أو كما قال.

وقال الشيخ أبو العباس المرسي ـ رضي الله عنه ـ: والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه، فإذا نظرت إليه أغنيته، أو كما قال.

وفي كلام مولانا التهامي بن سيدي محمد الوزاني العلمي اليملحي[2] ـ رضي الله عنه:ـ

---

(١) أي ختمة من القرآن الكريم.

(٢) هو الشيخ الإمام الولي الصالح الزاهد الكبير العارف بالله تعالى الرباني المنور الشهير الشريف أبو عبد الله سيدي محمد المدعو مولاي التهامي بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي ابراهيم اليملحي الحسني العلمي دفين وازان، كان لايرى إلا لاهجاً بذكر الله تعالى والاستغفار والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير والدعاء للمسلمين والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان متبرياً من =

مـن جـا لـحـضـرتـنـا يـبـرا   يـمـشـي بـقـلـب مـتـسـامـن
من جـا نـحـاس يـمـشـي نقـرا[1]   رسـول الـلـه هـو الـضـامـن

قلت: وقد كان مولانا العربي الدرقاوي صاحب الرسائل رضي الله عنه أعجوبة الدنيا في قلب الأعيان، فكم فتح الله على يده وعلى يد أصحابه وورثته من بعده أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، وآذاناً صماً عن الشعور بالحضرة الإلهية، فلم يشعروا إلا وهي معشش قلوبهم، ومقر أرواحهم، نفعنا الله ببركاتهم.

فإن قلت: إن هذا السيد العارف من آل بيت الرسول ومن أشهرهم فليس بزروالي؟.

قلت: قد قال علماء الحديث: من أقام بموضع أربع سنين، ذهب إليه، أي: صحت نسبته إليه.

ولد مولانا العربي رضي الله عنه بعد الخمسين والمائة والألف، بقبيلة بني زروال، ونشأ عند أهله في عفاف وصيانة، وحياء ومروءة، وكان وقت صباه مشتغلاً بالقراءة والزيارة لايعرف إلا الأخيار، مؤيداً محفوظاً.

قال رضي الله عنه: هممت مرة بمعصية في حال الصبا مع بعض

= الادعاء والإعجاب بنفسه والفرار من الكرامات على أكمل حال مع تراكم الناس عليه وانحياشهم إليه من كل الأقطار وانعقاد اجماعهم على أنه واحد زمانه وتشد إليه الرحال من أقاصي البلاد وأطراف الأرض. توفي رضي الله عنه عام سبعة وعشرين ومائة وألف ودفن بوازان من بلاد مصمودة المغرب، وبنى عليه أخوه الطيب قبة انفجرت بعد بنائها كرر ذلك أربع مرات فتركوا قبره بدون قبة لأنه كان رضي الله عنه زاهداً لم يرد من المباهاة شيئاً في الدنيا فضلاً عن البناء عليه بعد وفاته ـ رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين.

(١) أي من جاء إلى حضرتنا وحاله عدم كالنحاس، يروح من عندنا كمعدن الفضة الغالي.

من تتعلق الشهوة به، فخرجت بجسمي قروح كثيرة عند ورود خاطر السوء على قلبي؛ فاستغفرت الله، فذهب ما بي في الحين فضلاً من الله ونعمة.

حفظ القرآن في السلكة الأولى حفظاً متقناً، وكان محبوباً عند جميع من رآه. قال رضي الله عنه: كنت أسلك للطلبة ألواحهم، وكثيراً ما أقبض اللوح بيدي وأقول لصاحبه قبل أن أنظر فيه: هذا اللوح ثقيل فيه كذا وكذا خسارة[١]، أو خفيف ما فيه إلا كذا وكذا، أو لا شيء فيه، فلا أجد إلا ما أخبرتهم به ـ إلهاماً من الله سبحانه ـ.

وكانت حاله في القراءة عدم التكلف، بل يكتب اللوح ويتأمله قليلاً ويتركه، ويشتغل بالكتابة بألواح الطلبة والسرد معهم، وكذلك قراءته للسبع حتى حفظها، ثم اشتغل بقراءة العلم بفاس بالمدرسة المصباحية[٢] مدة صالحة، ثم لقي الشيخ الكبير العارف الشهير، الشريف المنيف أبا الحسن سيدي علي المعروف بالجمل[٣]ـ نفعنا الله به ـ بعدما تكررت منه الزيارة لمولانا إدريس رضي الله عنهما ـ قيل: قرأ بضريحه ستين سلكة[٤] في طلب الشيخ المرشد، ولَمَّا ختم الختمة المكملة للستين بكى

---

(١) أي فيه كذا خطأ من الأخطاء أو خفيف أي: قليل الأخطاء.

(٢) وكان رضي الله عنه يسكن فيها.

(٣) هو العارف بالله تعالى القطب الرباني سيدي علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن ابراهيم عمران بن عبد الغفار بن السخن بن سليمان الحسني العمراني المعروف بالجمل الشيخ الشهير والمربي الكبير دفن بحومة الرميلة من فاس وهو شيخ سيدي ومولاي العربي بن أحمد الدرقاوي وعليه تخرج وإليه ينتسب، توفي رضي الله عنه سنة ١١٩٤ هجرية، عن سن عالية يقرب من مائة وعشرين سنة، ودفن بحومة الرميلة أمام زاوية الشيخ أبي مدين، وبنيت عليه قبة، وقد ألف في مناقبه مولاي العربي الدرقاوي تأليفاً وترجمة واسعة.

(٤) أي ستين ختمة من القرآن الكريم.

بكاء شديداً إلى أن احمرّت عيناه، وخرج من ضريح مولانا إدريس، فمرّ بالشريف سيدي حميد من حفدة القطب الشهير العارف الكبير مولانا عبد العزيز الدباغ من ابنته، فقال لي ـ وكان منظوراً عنده وعند غيره بالتعظيم ـ: «مالي أراك على هذه الحالة؟» وألحّ علي، فأخبره بأنه اضطر إلى من يأخذ بيده، فقال له: أنا أدلك عليه إذا لم تشاور أهل الرأي القاصر، والعقل الفاتر، وقد قال الشريشي في رائيته:ـ

ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة　　خليٌّ من الأهواء ليس بمغترٍّ

قال: فقلت له: ومن هو؟ فقال: هو الشيخ الجليل، الشريف الأصيل، الغوث الجامع، والبحر الواسع أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الملقب بالجمل عند أهل فاس، وعند ملائكة الرحمن بالجمال ـ كما أخبره به بعض الأولياء، ممن تكلمه الملائكة وتسلم عليه، قال: «أخبرتني الملائكة عن سيدي علي الجمال أنه ولي الغوثية ثلاثين سنة».

قال سيدي علي المذكور ـ رضي الله عنه ـ: «ومما منّ الله به عليّ أن جعلني سبحانه مهما ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو جلت فيه إلا وجدته حاضراً بين يدي، هو وأصحابه العشرة الكرام المبشرين رضي الله عنهم، وذلك حساً لا معنى، ونتكلم معهم، ونأخذ العلم من عين العلم، والعمل من عين العمل».

فقد كان لهذا الشيخ ـ مولانا علي الجمل ـ وصلة عظيمة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان رضي الله عنه يتبدل حاله، ويقشعر جلده، وتحمر عيناه وقت ذكره للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو تفكره فيه عليه الصلاة والسلام.

وقد كان ـ أعني مولانا علي ـ في ابتداء أمره وزيراً، ثم تأخر عن الوزارة، وذهب إلى الشيخ العارف بالله سيدي العربي بن القطب الأكبر

سيدي أحمد بن عبد الله معن[1] ـ نفعنا الله بهم فقال له: أتحيي طريقاً اندرست من زمن الجنيد إلى وقتنا؟ فقال: نعم، فلبس المرقعة وصار يسأل، وأخذ عنه وانتفع به، انظر بسط ذلك داخل الكتاب.

قال مولانا العربي ـ رضي الله عنه ـ: «كما أخبرني بذلك الشبيه به ـ يعني بشيخه المذكور، وكان عادتي أن لا أقوم على أمر من الأمور جليلاً أو حقيراً إلا بعد الاستخارة النبوية، فاستخرت الله في تلك الليلة، فبت أخوض في صفاته كيف هو؟ وكيف تكون ملاقاتي معه؟ حتى لم يأخذني النوم تلك الليلة. ولما قصدته لزاويته بالرميلة التي بين المدن عدة الوادي من جهة القبلة ـ شرفها الله ـ وهي التي ضريحه بها الآن مشهور مقصود للزيارة، فدققت الباب فإذا به قائم يشطب الزاوية[2]، إذ كان لايترك تشطيبها بيده المباركة كل يوم مع كبر سنه وعلو شانه، فقال: أيش تريد؟ قلت: أريد ياسيدي أن تأخذ بيدي لله. فقام معي قومة عظيمة[3]، ولبّس الأمر عليّ وأخفى عني حاله، وصار يقول: من قال لك هذا؟ ومن أخذ بيدي أنا حتى آخذ بيدك؟، وزجرني ونهرني، وكل ذلك اختبار لصدقي فوليت من عنده، قال: فاستخرت الله تلك الليلة أيضاً، فصليت الصبح، وقصدته لزاويته أيضاً، فوجدته على حاله يشطب الزاوية ـ رضي الله عنه

(١) هو الشيخ المهاب اللائح عليه آثار التخصيص والاقتراب سيدي أبو محمد سيدي العربي بن عبد الله نجل الولي الشهير سيدي أحمد بن عبد الله معن صاحب المخفية، وصفه كثير من الأعيان بأنه القطب، وكان مولانا العربي الدرقاوي يبالغ في الثناء عليه غاية، وكان ـ رضي الله عنه ـ له أتباع قليلون، منهم الولي الصالح سيدي محمد بن يونس، كان معتمراً بالعطارين الكبرى من فاس، ومنهم الولي الكبير والقطب الشهير مولانا علي الجمل رضي الله عنه، ومنهم الولي الصالح الملامتي سيدي بلقاسم الوزير، توفي رضي الله عنه سنة ١١٦٥ هجرية.

(٢) أي: يكنسها.

(٣) أي: نهرني وغضب أشد الغضب.

ـ، فدققت الباب؛ ففتح لي، وقلت: تأخذ بيدي لله؟ فقبض على يدي وقال لي: مرحباً بك، وأدخلني لموضعه بالزاوية، وفرح بي غاية الفرح، وسُرَّ بي غاية السرور، فقلت له: ياسيدي كم لي أفتش على شيخ؟! فقال لي: وأنا أفتش على مريد صديق!!! فلقنني الورد، وقال لي: امش وجيء(١)، فكنت أمشي وأجيء كل يوم؛ فيذكرني(٢) مع بعض الإخوان من أهل فاس ـ حرسها الله من كل باس ـ ولزم شيخه سنتين، ولما فجأه الفتح المبين، وتمكن من حاله غاية التمكين، وأراد الله نفع العباد به، خرق عنان عنايته إلى الانتقال من فاس إلى بلده قبيلة بني زروال، حيث هو الآن بها، فاستأذن شيخه ـ رحمه الله ـ في الرحيل بأولاده فأذن له في ذلك ـ في قضية يطول ذكرها.

ولمولانا العربي عدة مشايخ عدّ منهم:ـ

* الشيخ الأعظم الشريف الأكرم، ولي الله تعالى **مولاي الطيب ابن مولاي محمد**(٣)، بوزّان، قال رضي الله عنه: زرته سبع مرات(٤) وأنا شاب صغير، فوجدته مرة عليه ازدحام كثير، ففتح لي رضي الله عنه طريقاً في الناس، وأدناني إليه حتى قبّلت يده وركبته، وأنزلت بحجره لوحتين في إحداهما سورة الجمعة، فقبض بيده الكريمة في

(١) أي أذن له بالتردد عليه وملازمته رضي الله عنهما.

(٢) من التذكير وهو الوعظ والتعليم.

(٣) هو شيخ الطريقة العلية بوزان، من ذرية سيدي عبد السلام بن مشيش ـ أو بن بشيش ـ وهو معروف، وقد أخذ عنه مولاي العربي للتبرك، أما الطريق الذي أخذ عنه وكان يربيه التربية الصحيحة فهو سيدي علي الجمل.

(٤) لأنه بعيد من بلده في ذلك الوقت بنحو أربعة أو خمسة أيام مشياً سفراً، فلاحظ يا أخي كيف كان حال القوم في زيارة الصالحين واهتمامهم بها وحضهم عليها، وما وصل إليه حالنا من التنفير من زيارة أهل الله أحياء وأمواتاً ـ وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جبهتي، وقرأ ما شاء الله عليَّ، وفرح بي، ودعا لي بخير، فظهر مني من الخير والحفظ والبركة والسر بعد ذلك خرق العوائد بعد ما كنت قليل الحفظ[1]؛ فهو عندي من جملة أشياخي. قال: وكذا زرت ابن عمه الولي الشهير، المحقق الكبير، **الشريف المنيف أبا عبد الله سيدي محمد ابن علي بن ريسون الحسني العلمي**[2]، بجبل العلم بتازورت، قرب ضريح القطب الأكبر ابن عمهما مولاي عبد السلام ابن مشيش سبع مرات أيضاً، من قبيلة بني زروال، ومرتين أو مرة من مدينة فاس، فمرة أعطاني خبزتين سخونتين مملوءتين سمناً من الغيب، لم نر أحداً ناولهما إياه، خصّني بهما من دون جماعة الطلبة، ومرة أخرى ضربني بيده اليمنى على كتفي اليسرى وقال لي: الله يقويك، ثم كرر فعله ثلاث مرات، ولما ودّعنا دفعني بيديه المباركتين ثم قال لي: سر، أعطيناك الكبيرة ـ ويعني بها القطبانية ـ والله أعلم.

قال رضي الله عنه: فهو عندي من أشياخي كأستاذي وعمدتي القطب الكبير مولاي علي الجمل رضي الله عنه.

* ومن أشياخه أيضاً رضي الله عنه: المجذوب الكبير **الولي الشهير سيدي العربي البقال**[3]ـ رضي الله عنه ونفعنا به آمين ـ.

---

(١) ويجب أن لانستغرب هذا ولانستبعده، فالصالحون لاينظرون فقط بهاتين العينين اللتين في الرأس إذا حضر بين يديهم شخص فإنهم لايزِنُونه ويقيسونه بمظهره فقط، بل ينظرون إليه بعين بصيرتهم المدركة ويضعونه بالمكان اللائق به، حتى إذا كان ضعيفاً بعض الشيء ونظروا إليه بمحبة وبعطف وبحنان وقلوبهم مع الله، فإن الله يكسو ذلك الذي أكرمه بهذه النظره الطيبة، يكسوه حلة الصفاء والنقاء ويلحقه بهم.

(٢) هو العارف بالله تعالى الولي الكبير والقطب الشهير محمد بن علي بن ريسون، ولد رضي الله عنه سنة خمس وعشرين ومائة وألف، وعاش بزاويتهم تازروت منقطعاً للعبادة، وكانت تعتريه أحوال، توفي رضي الله عنه سنة ١١٨٢ هجرية.

(٣) قال في سلوة الأنفاس: هو الولي الصالح المجذوب الهائم المتيم المحبوب أبو حامد سيدي العربي البقال، من أولاد الحاج البقال المذكورين كان رحمه الله من المجاذيب =

وأما زيارة غيرهما من الأحياء والأموات، فلانحصي عدد ذلك، لاسيما زيارة القطب الشريف مورد الظمآن مولانا عبد السلام بن مشيش، ومولاي أبي سلهام[1]، ومولاي أبي الشتاء الخمار[2]، وسيدي علي بن داود[3]، والقطب الجليل سيدي عبد الوارث اليصلوتي

= الكبار قلما يصحب جذبه سلوك، وكان إذا أفاق من سكره ـ أي جذبه ـ لايضيع شيئاً من أعماله، وقوي سكره وطاب وقته في أواخر عمره، فكان لايراه أحد من الناس إلا امتلأ بمحبته، وضريحه رضي الله عنه بفاس معروف إلى الآن يزار ويتبرك به خارج قبة جده أو عمه سيدي الحاج محمد البقال بقرب سويقة ابن صافي رضي الله عنهما «سلوة الأنفاس للكتاني ١/ ٢٦٧».

(١) هو العارف بالله تعالى القطب الشريف أبو سلهام بن قدار المتوفى سنة ١٠٧١ هجرية «موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٤٩٧».

(٢) سيدي العارف بالله تعالى أبو الشتاء الخمار يقال إن اسمه محمد بن موسى، كان أسمر اللون وهو دفين بلاد قشتالة التي بقرب نهر ورغة، كان رضي الله عنه ونفعنا بمحبته من كبار المشايخ وأهل الأحوال الربانية والجذب، ودوام الغيبة عن الخلق وإن كان بينهم جليلاً فياضاً ساقط التكليف وله البركات الشهيرة التي لاتحصر والخوارق العظيمة، وكان كثير التلاميذ وقد تخرج به كثير من البهاليل وأهل الأحوال وكان وقته كثير البهاليل فكان يقال أكثرهم مستمدون منه لقوة حاله التي شهد بها مشايخ عصره فمن بعدهم وكان في بداية أمره يفهم العلوم كلها من ظاهر وباطن، وسبب تكنيته بأبي الشتاء أنه كان في العلم عند الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن ريسون فاحتيج إلى الشتاء ـ أي المطر ـ في تلك البلاد فجاء الناس إلى الشيخ أبي زيد يطلبون منه الاستسقاء فأخذ بتلابيب سيدي أبي الشتاء ودفعه إليهم وقال لهم: هذا أبو الشتاء خذوا بتلابيبه ولاتطلقوه حتى تمطروا به، فأمطروا في الحال، وجرى عليه ذلك الاسم. توفي رضي الله عنه ونفعنا بمحبته يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة سبع وتسعين وتسعمائة. «سلوة الأنفاس للكتاني ١/ ١٤٥، وموسوعة أعلام المغرب ـ وفيات سنة ٩٩٧ هجرية».

(٣) الولي الشهير المجذوب سيدي علي بن داود السوسي المرنيسي نزيلها على نهر ورغة، يقال إنه سوسي، وهو من أصحاب سيدي أبي الشتاء الخمار ـ المار ترجمته ـ كان كثير المكاشفة، وكان جالساً في داره لايخرج ولايدخل إليه، إلا إنه كان له إنسان يكلمه من وراء الباب فيبلغ الناس ما يقول لهم، ومدة مكثه كذلك خمس وعشرون =

العثماني[1]، وغيرهم من المشاهير رضي الله عنهم؛ فقد كان رضي الله عنه لايترك ذلك حتى أخذ الله بيده الأخذ الكبير الذي لامثيل له ولانظير؛ **لأن زيارة الأولياء لها فضل كبير، وسر واضح شهير، وشأن عظيم، وخطر جسيم، يعرف ذلك من مارسه وجربه، إذ هي باب من أبواب الله تعالى**[2].

توفي مولانا العربي رضي الله عنه ليلة الثلاثاء الثانية والعشرين من صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف؛ فقد توفي عن سن عالية نحو الثمانين سنة بعدما عاش عيشة راضية في جنة عالية، لاتسمع فيها لاغية، بزاويته حيطة ليلاً، ودفن بزاويته الأخرى القديمة المسماة ببوبريح ليلة الأربعاء، وغسلته السيدة الجليلة الحرة النفيسة الأصيلة، الصائمة القائمة، المتصدقة الذاكرة، القانتة الصادقة، زوجه مريم بنت الشيخ ابن

= سنة، وتوفي في حدود سنة اثنتين وعشرين وألف من الهجرة.
«انظر: موسوعة أعلام المغرب ـ نشر المثاني ٣/ ١٢٠٠».

(١) هو العارف بالله تعالى وبأحكامه سيدي أبو البقاء عبد الوارث بن عبد الله اليلصوتي، أصله من بني يلصوت من قبائل غمارة على مقربة من قرية شفشاون، كان رضي الله عنه كبير الشان كبير المعرفة، ألف في طريق القوم تآليف عديدة، وشرح المباحث الأصلية شرحاً مفيداً، وكان له كرامات كثيرة ويغلب عليه الخمول، استدعاه السلطان للقائه في جملة من المشايخ الفقهاء فلم يحضر معهم واستمر على حاله في ترك ملاقاة الأمراء ولم يرفع إليهم حاجة من حوائجه أو حوائج غيره إلى أن توفي لأنه كان يرى الفساد في لقائهم أكثر من الصلاح ولذلك لم يتعرض لهم في شيء، توفي رضي الله عنه ونفعنا بمحبته في حدود ٩٧٠ هجرية. «موسوعة أعلام المغرب ـ تذكرة المحسنين ـ وفيات سنة ٩٧٠ هجرية».

(٢) ومن العجب أن بعض الناس في هذه الأيام يجعلون زيارة هؤلاء الأحباب شركاً، ولو تحقق هؤلاء لعلموا أن أدنى رجل عامي من المسلمين لايخطر بباله عبادة أحد من دون الله، وإنما يزورونه ليتحققوا أن لاإله إلا الله ولاموجود حقاً ولاعلى الحقيقة إلا الله، فحينما نزور هؤلاء يذكروننا أننا عبيد لله وحده، ويجب أن نكون عبيداً لله، فكيف يستدل البعض علينا بهذا ويجعلون زوار الصالحين مشركين.

خدة الحسناوي. وصلى عليه الأستاذ الأجلّ، العلامة المحترم المبجل، ولي الله عز وجل، محبُّه وأعز الناس عنده، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن من حفدة الشيخ الكبير القطب الواضح الشهير أبي البقاء سيدي عبد الوارث اليصلوتي العثماني، وكل ذلك بإيصائه المرة بعد المرة. والزاويتان المذكورتان هما معاً بقبيلة بني زروال بجبل الزبيب - حرسها الله - على مسيرة يومين من مدينة فاس المحروسة بالله، وهما مشهورتان، مقصودتان للزيارة والإكرام لدى الخاص والعام.

ولنذكر جملة من سيرة مولانا العربي رضي الله عنه في بدايته، وسلوكه، وبيان روايته، ونسكه، وجملة من أحواله، التي أدركه أصحابه عليها.

أما أحواله - رضي الله عنه - في بدياته وسلوكه؛ فمعظمها زهده في الدنيا، وتجرده عنها حساً ومعنىً، وتحققه بوصفه[1]، ومخالفته لنفسه، وتركه للأخف عليها، ومتابعته لما يثقل عليها، إذ لايثقل عليها إلا ماكان حقاً، وأسرع إجابة وفتحاً - كما قال رضي الله عنه - وإقباله على الحق، وإعراضه عن جملة الخلق، لايبالي بهم مدحوه أو ذموه، وتمسكه بالفاقة والافتقار، وإيثاره للذلة والاحتقار، وحذره مما ألفه الناس من الجمع والادّخار، لايترك من عشائه لغدائه، ولامن غدائه لعشائه، بل يأخذ قدر ما يقيم به بنيته وبنية عياله، ويخرج الباقي لعباد الله، وهذا مسلك عظيم لايقدر عليه إلا من أقدره الله عليه.

قال الشيخ الإمام العلامة النحرير العارف الكبير ولي الله تعالى أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة الأنجري الحسني[2]: مكث مولانا العربي

---

(١) أي بوصف العبودية لله تعالى وحده حتى ينال الحرية الحقيقية.

(٢) هو الشيخ الكبير والعارف الشهير سيدي أحمد بن عجيبة الأنجري، كان رضي الله عنه أعجوبة لا تُكَيَّف، أخذ عن العارف بالله تعالى سيدي محمد بوزيدي الغماري، ثم =

على هذه الحالة الموصوفة خمساً وعشرين سنة، لايترك من عشائه لغدائه، ولامن غدائه لعشائه، بل حتى ما يكون في الصباح من دهن الفتيلة[1] ثقةً بالله تعالى، واعتصاماً بالله، وكان تأتيه الفتوح من عند الله، ولايأخذ منها إلا قدر ضرورته، وزوجه وأولاده منها، وهم جماعة كالطير في وكرها غدواً وأصيلاً، حتى أتاه الإذن من الله، فكان يأخذ بالله كما كان يترك لله، وصار يزيد بكل شيء ولاينقص منه شيء.

وكان رضي الله عنه في ابتداء أمره يلبس الخشن كالتليس[2]، وكالدربال[3]، والغرارة، والكساء الغليظ جداً المخطط بالسواد، أو القشابة المقلوبة وحدها، والشاشية البالية النقية المرشوقة[4]، بل كان يردف الشواشي على بعضها فوق رأسه، ثلاثاً أو أربعاً، ويحمل على ظهره قِرابَين[5] أو ثلاثاً.

وأما تعرية الرأس، والمشي بالحفا، والسؤال في الأسواق وغيرها، والجلوس على المزابل مع الحذر من النجاسة، والرقاد بالطريق، وحمل القربة على الظهر، وإعطاء الماء لله، إلى غير ذلك من أحوال الملامتية

= انتقل به إلى سيدي ومولاي العربي الدرقاوي، له مآثر لاتعد ولاتحصى، وله تآليف عديدة في علم التصوف، وله تفسير القرآن جمع فيه بين ما قاله علماء الظاهر والباطن، وعلى كل آية إشارة حقيقية، فاق به تفسير الورتجبي وغيره، توفي رضي الله عنه سنة ١٢٢٤ هجرية، ودفن بقبيلة أنجرة قرب مدينة تطوان، وكانت ولادته سنة ستين ومائة وألف من الهجرة. «موسوعة أعلام المغرب صفحة ٢٤٨٢ وفيات سنة ١٢٢٤».

(١) أي: فتيلة المصباح الزيتي الذي كان يستعمل ولايزال للإضاءة ليلاً.

(٢) وهو نوع من الصوف الغليظ الرديء.

(٣) وهو الثوب المرقع.

(٤) وهذه كلها أنواع من الألبسة والأردية المغربية مصنوعة من الصوف أو القطن أو الكتان مشهورة لديهم.

(٥) القِراب: وعاء منسوج من مادة كسعف النخل.

وأفعالهم التي تبعد من الخلق، وتقرب من الملك الحق، ولايفعلها إلا المخلص الذي لايبالي بنفسه، ولايرائي أبناء جنسه، فكان على كثير منها، بل كان على أحوال غريبة، ونوافل شاقة على النفوس صعبة. وكلامه في رسائله مشحون بما يدل على ذلك، وقد نال ـ رضي الله عنه ـ من الله تعالى بهذه الرواتب الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر، ولايزال يتقرب إلى الله تعالى بها وبغيرها حتى اجتباه، ولحضرته بمنه حباه، فكان آية في المعرفة بالله، والعمل، والكرم، والحلم، والصبر، والتأني، والعفة، والخشية، والهيبة، والسكينة، والتؤدة، والتواضع، والحياء، والجود، والسخاء، والزهد، والورع، والرحمة والتوكل، والشفقة، والقناعة، والاكتفاء بعلم الله، والأنس، والاطمئنان بالله، والسكون إليه في جميع الأحوال، والعشق والشوق، والعزم، والقريحة، والنية الصالحة، والمحبة، والظن الحسن، والصدق، والهمة العلية، وسعة الصدر، والأخلاق الكريمة، والمحاسن العظيمة، والأحوال السُّنِّيَة السَّنيَّة، والمقامات السمية، والمواهب اللدنية، والمواجيد الربانية، صاحب محو وفناء(١)، وصحو وبقاء(٢)، وغيبة في مولاه، وشهود لما به

---

(١) المحو: ذهاب الشيء إذا لم يبق له أثر، وإذا بقي له أثر فيكون طمساً، وقال العلامة التهانوي: المحو هو محو أوصاف العادة، كما أن الإثبات إقامة أحكام العبادة، وينبغي أن يكون على ثلاثة طرق: محو الذلة عن الظواهر، ومحو الغفلة عن الضمائر، ومحو العلة عن السرائر «معجم المصطلحات الفنون للعلامة التهانوي صفحة ١٣٥».

وأما الفناء: فهو فناء صفة النفس أو أن يفنى عن الحظوظ فلايكون له في شيء من ذلك حظ، ويسقط عنه التمييز فناء عن الأشياء كلها شغلاً بما فني به، فالفناء فضل من الله تعالى وموهبة للعبد وإكرام منه، ومنزلة له، واختصاص له به، وليس هو من الأفعال المكتسبة وإنما هو شيء يفعله الله عز وجل بمن اختصه لنفسه واصطنعه له «انظر التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي صفحة ١٢٣».

(٢) وأما الصحو فهو كما قال ابن عربي رضي الله عنه: هو رجوع إلى الإحساس بعد =

تولاه، قد أغرق في بحر الحقيقة، وأوتي الجذب حقيقة[1]، وأعطي القوة والتمكين، والرسوخ في المعرفة واليقين، وسلك من السنة منهاجاً قويماً، وطريقاً مستقيماً، وشرب من الخمرة الأزلية صفواً، وورد من منهلها الأروى، فقويت أنواره، وفاضت في الآفاق بيناته وأسراره، وسقى الجمّ الغفير من شرابه كؤوساً، وملأ قلوبهم وأرواحهم أقماراً وشموساً، فتوالت بذلك إرادته، ودامت لديهم مناولته، ومُدُّوا منها على الأبد بمدد جسيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وهذا مما ليس شأنه أن تقام عليه البراهين والبينات، لاسيما عند أهل الاعتقادات الكاملة، والنيات الصالحات، على أن مآثر هذا الجليل قد بلغت مبلغ التواتر القطعي، خصوصاً عند هذه الطائفة الشريفة المنيفة، المنتشرة انتشار الشمس في الآفاق.

وبالجملة فظاهر هذا السيد كغيره من العارفين رضي الله عنهم كالناس في أحوال بشريتهم من الأكل والشرب، والنوم والنكاح، والبيع والشراء، والتسلف، والتعجب، والضحك مما يضحك الناس منه، والسهو والنسيان، والسؤال عما لايدرونه، والضعف والمرض، والاحتياج والافتقار، والعجز وغير ذلك من أوصاف البشرية التي لاتناقض العبودية،

= الغيبة بِوَارِد قوي، أو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه. «تعريفات الجرجاني ١٣٧».

وأما البقاء فهو: بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء. وقيل: الباقي أن تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً، فيكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته، فكان فانياً عن المخالفات باقياً في الموافقات. وقال الخراز: الفناء هو التلاشي بالحق، والبقاء هو الحضور مع الحق «العوارف للسهروردي ٥٢٠».

(١) الجذب هو تقريب العبد بمقتضى العناية المهيئة له كل مما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه «اصطلاحات الصوفية للكاشي السمرقندي ١٧».

بل بها وفيها كمالها، وباطنهم وحقيقتهم - واللهِ - ليس كالناس، وإن وافقوهم في الصورة، فمشاهدتهم لم تكن لهم في نفوسهم وفي الكائنات محصورة، فهم كالإكسير الذي يقلب الأعيان حقيقة لامحالة، وهم كلمة الله التي لاحصر لها ولانفاد، فلاتحصى شمائلهم، ولاتنتهي فضائلهم، حتى قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: لو كشف عن حقيقة الولي لعُبد.

وحسب من لم يصل إلى مقامهم، ولاخرج من سجن نفسه، ولاسلكَ سبيل هذه الطريق أن يسلمها لأهلها، ويحسم مادة الإنكار من أصلها، ويدخل في حيز (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[1] إذ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[2]، فينتفع بالتسليم كما ينتفع بالإيمان بالغيب، وأما من أراد نفيها فقد دخل حتماً في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[3].

ومبنى طريق القوم رضي الله عنهم كله على التسليم والانقياد، وتصحيح الإيمان والاعتقاد، لا على الإنكار والانتقاد، فقد قال الشيخ زروق رضي الله عنه: مبنى الفقه على البحث والتحقيق، ومبنى التصوف على التسليم والتصديق، وبالله تعالى التوفيق.

وأما عبادته رضي الله عنه: فقد كانت على منهاج الشرع من غير تعمق ولا فتور، متوسطة ليست بالإفراط ولا بالتفريط، لا رخصة عنده في مؤكد السنن والرغائب، ولا في النظافة والطهارة، والتلاوة والاستخارة، والزيارة، وصلاة الضحى، وتحية المسجد، وقيام سويعة

---

(١) قطعة من حديث رواه الشيخان والإمام أحمد والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه «الجامع الصغير ٢/ ٥٥١».

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة وأبو يعلى عن أبي هريرة.

(٣) سورة يونس - الآية ٣٩.

قبل الفجر، ويوقظ أهل داره كلهم في ذلك الوقت، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وإطعام الطعام للصادر والوارد، حتى كان نادرة الزمان، شائع خبره، ذائع في جميع الأوطان، والصدقة كل يوم وكل ليلة، حتى كاد تبلغ عنده حد الفرائض أمر مخصوص فوق ما هو عليه من إطعام الطعام للخاص والعام، والمسارعة للفضائل في كل وقت، والتواضع لله مع كل خلق، حتى مع من لا خلاق له، يعظمه ويكرمه، ويواسيه ويجالسه، ويباششه فوق ما نرفع ونصنع نحن مع العلماء والصالحين(١)، ولكن من ذاق عرف ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ فليس من اطلع على حقيقة الوجود، وعرفها بالعيان والشهود، كمن لم ير إلا سماء وأرضاً، ومخلوقات مختلفات الألوان، والأسماء والصفات، واللغات والذوات، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢) ﴿هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾(٣)؟ لا والله. ومع ذلك كان ـ رضي الله عنه ـ يحب التخشن في اللباس، والمأكل والفراش، والجلوس، ويختار الصلاة والجلوس على التراب، ويقول: الجلوس على الأرض من غير فراش يورث الغنى.

وكان ـ رحمه الله ـ كثير التحفُّظ على الاستبراء، قولاً وفعلاً، ويحض عليه غاية أكثر من كل شيء، ولا يتوضأ إلا أن تنقطع عنه بواقي البول بالكلية، ويطمئن قلبه بذلك، ويقول: من توضأ قبل أن يتحقق بانقطاع بواقي البول لا وضوء له، ولا صلاة له، ولا دين له. وكان

---

(١) وقد رأينا وعرفنا من أمثال هذا العارف الجليل الكثير الكثير، ولكن الحسرة على من يتمشدق بظاهر الشريعة ويعترضون على هؤلاء السادات وهم لايساوون تراب نعالهم لأنهم قائمون بأمر الشريعة كاملاً لايستطيع أحد أن يجد عليهم ملاحظة أو مستمسكاً يأخذه عليهم لأنهم قائمون بأمر الله بالله وفي الله رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم آمين.

(٢) سورة الزمر ـ الآية ٩.

(٣) سورة الرعد ـ الآية ١٦.

يؤكد أصحابه على المواظبة والدؤوب على الوضوء دائماً، ومهما أحدث، والصلاة عقبه، والدعاء عقب الصلاة، وكان يؤخر قلنسوته وعمامته في السجود، ويباشر الأرض بجبهته وأنفه، ويرتل القراءة، ويفصل بين الفاتحة والسورة قدر ما يبلع الإنسان ريقه، وكذا بين السورة والشروع في تكبير الركوع، وكان يبسمل قبل الفاتحة في الفريضة والنافلة، ويسِرّ بها في الفريضة، في محل الجهر للوفاق بين الأئمة، كما اختاره الإمام المازري وغيره، وكان يذكر الذكر الوارد عقب صلاة الفريضة: «أستغفر الله ـ ثلاثاً ـ. اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام، تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام. لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا رادّ لما قضيت، ولاينفع ذا الجد منك الجد».

ويقرأ آية الكرسي إلى آخرها، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة مجموعة، ويرفع يديه ويسأل الله من فضله الهداية والعافية لجميع العباد.

وكان أحب الأعمال والأذكار والعبادات إليه رضي الله عنه ـ الصلاة، ويقول: كررنا أعمالاً كثيرة سنين عديدة، وقد وجدنا لسائرها بركة كبيرة، وبركة تكرار الصلاة قد وجدناها ـ والله ـ تفوق بركة كل عمل، ولولا ما تعرض لنا من قول المشايخ رضي الله عنهم الذي هو: «من لا شيخ له فالشيطان شيخه، ومن لا شيخ له لا قبلة له، ومن لا قبلة له فهو بطّال» إلى غير ذلك، لقلنا إنها ـ أي الصلاة ـ تقوم مقام الشيخ، وكذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك الهيللة، وكذلك تلاوة القرآن، وغير ذلك من أعمال البر، لأنه رضي الله عنه كان يرى الدؤوب على العمل مع حضور القلب وترك ما

لا يعني بالكلية، والمحافظة على الفرائض والسنن يقوم مقام الشيخ لمن لا يجده، أما من وجده، فقد قال في شأنه: «ما نفع القلب شيء مثل الزهد في الدنيا، والجلوس بين يدي الأولياء».

وكان يحض على الصلاة غاية، لما رأى فيها من المصافاة والمناجاة، ولكونها محل تنزُّل البركات والرحمات، وجامعة لجميع العبادات.

قال رضي الله عنه: ونرى ـ والله أعلم ـ أن من صلى الصلاة كاملة الشروط والأدب بشرط أن لايتوضأ إلا بعد استبرائه من بوله، حتى لا يبقى أدنى بواقيه، فإنه يفتح عليه الفتح الكبير الذي لا مثل له ولا نظير، إن شاء الله تعالى.

وكان يقول: اغتنموا الصلاة قبل الفوت بالضعف والكبر أو الموت، ومن عليه فوائت فليقضها وإلا فسيندم عليها.

والحاصل: أنها كانت قرة عينه، ومطمح نظره، ومفزعه في الرخاء والشدة، والملأ والوحدة، وأعظم الكنوز والذخائر عنده، فلا يعجز عنها ولا يكسل، ولا يقنط من تكرارها ولا يمل، حضراً وسفراً، قياماً وقعوداً، صحة وسقماً مع كبر سنه، لأنها كيمياء الأدباء التي تقلب الأعيان. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «جعلت قرة عيني في الصلاة»[1].

وكان رضي الله عنه يسرد كتب الصوفية رضي الله عنهم على طبقاتهم، أهل المجاهدة والرياضة والسلوك، وأهل الجذب والحقائق، بداية ووسطاً ونهاية، ويقتطف من بساتينها الأزهار والأنوار، ويجني منها الفواكه والأثمار، ويطالع كتب الفقه كالعبادة، وشراح الرسالة، وشرحي

(١) رواه الطبراني بسنده عن المغيرة بن شعبة، ورمز السيوطي لضعفه، وله شواهد كثيرة تقويه «الجامع الصغير ١/ ٤٩٠».

الشيخ ميارة الكبير والصغير على المرشد المعين لابن عاشر، وشرح الوغليسية للشيخ زروق، وطبقات الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ للشيخ الشعراني، وطبقات العلماء ـ رضي الله عنهم ـ للشيخ سيدي أحمد بابا السوداني، والمعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، وغيرهم، وكتب التفسير كالإمام ابن عطية، والإمام الخازن، والجلالين، ولم يكن يستوعب كتاباً بالمطالعة من أوله إلى آخره سوى صحيح الإمام البخاري ـ رضي الله عنه ـ، .والشفاء للقاضي عياض رضي الله عنه.

وكان يحب التجريد[1] ويأمر به، ويلبس المرقعة ويقول: التجريد من الدنيا ظاهراً وباطناً يصلح لجميع الناس، وعندي ما من رسول ولانبي إلا كان متجرداً من الدنيا ومحذراً متبعيه منها. قال: والتجريد عند أهله كالإكسير عند أهله فلا ينكره إلا من جهله ولم يعرف قدره.

وأما حلقة الذكر التي شاع أمرها وذاع عند كافة أصحابه بأرض المشرق وبأرض المغرب، والصحراء، وسوس الأقصى والأدنى، في المدن والقرى، والمداشر، والخيام في المساجد والزوايا، والديار ليلاً ونهاراً، بالجهر والقيام والقعود، والإجلال والتعظيم، جماعة بلسان واحد ميلة واحدة، بالإشباع والتوسط، والقصر في الهيللة، واسم الجلالة باللسان والصدر على حسب المراتب، وتشبيك الأيدي في القيام وفي

---

(١) التجريد أن يتجرد بظاهره عن الأعراض وبباطنه عن الأعواض وهو أن لايأخذ من عرض الدنيا شيئاً، ولايطلب على ما ترك منها عوضاً من عاجل ولا آجل، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلة غيره، ولا لسبب سواه، ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يحلها، والأحوال التي ينازلها، بمعنى السكون إليها والاعتناق لها «الكلاباذي صفحة ١١». وقال ابن عربي: التجريد: إماطة السوى والكون من القلب والسر. وقال التهانوي: التجريد عن الخلائق والعلائق والعوائق والتفرد عن النفس، والتجريد قطع التعلقات الظاهرية: التهانوي ١/ ٢٧٤».

الجلوس كحالة التشهد، إلى غير ذلك من آدابها، وإنشاد الأبيات بالمعاني الرقيقة، وتغزلات الحقيقة، التي اصطلح الصوفية رضي الله عنهم عليها، فهي دأبه وديدنه، ومنها كان فتحه واستمداده، وعليها دار مذهبه ومشربه، والمبتدا والمتوسط والمنتهى، وطلب التبرك وذوو المحبة كلهم فيها سواء كالصلاة، وكل واحد يجني ثمرة ذكره، بحسب مكانته من ربه وقدره، إلا النساء فلا يحب حضورهن، ولا قربهن للرجال، نعم إن كنّ وحدهنّ بموضع خلوي بحيث لم تسمع لهن أصوات، فيجئن يذكرن بجماعة على لسان واحد جهراً كحال حلقة الذكر عنده، وبالله التوفيق.

تخرّج على يده ـ رضي الله عنه ـ خلق كثير، وانتفع به من عباد الله جمٌّ غفير. حدثنا شيخنا الفقيه العلامة أبو حفص سيدي الحاج عمر بن سودة المري ـ رحمه الله تعالى ـ أنه ما توفي الشيخ مولاي العربي حتى خلّف نحو الأربعين ألف تلميذ، كلهم متأهلون للدلالة على الله سبحانه.

فمنهم: وهو أفضلهم بشهادة شيخه وإخوانه رضي الله عنهم، صفوة خلاصة أرباب الشهود والعيان، وإنسان عين أعيان عيون التمكين في الرسوخ والعرفان، بحر الجواهر واللآلي العرفانية، والياقوت والمرجان، من شرب كأس الحقيقة حتى خرج الري من أظفاره، ورأى ببصيرته ما فاض نوره على حدقة أشفاره، فأدرك بنور الحق ما لا يرى قط، وسمع ما لو سمعه شامخ الجبال لدك وسقط، فرد الأوليا، وسيد أهل وقته بلا امترا، صاحب المقام الأسمى، والمرتبة العظمى، من طلعت شمسه في أفق السما، الحصن المانع الأحمى، الواضح الآيات، البيِّن العلامات، السكران الصاحي، الشيخ الجليل القدر، العظيم الشان والخطر، **أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بوزيد الغماري السلماني الحسني رضي الله عنه**

وأرضاه، وجعل جنة النظر والمعارف مثواه: كان رحمه الله قبل ملاقاته بشيخه المذكور شاباً صغيراً، قد حبب الله إليه الانقطاع إلى الله، والاعتماد عليه، ودوام الصيام والقيام، سائحاً في الخلوات، زاهداً ورعاً مجتهداً، لا يأوي إلى العمارة، بلغ في مقامه هذا مبلغاً عظيماً، ونشأ على ذلك من حال صباه لأن والدته كانت من الصالحات المتعبدات، فأخذه حالها، ورحّله غاية الارتحال، فساح وجال بشاطيء بحر طنجة ـ حرسها الله ـ، فلما أراد الله به الكمال الحقيقي، وسلوك طريق الشهود والعيان، ترقياً على الدليل والبرهان، ونفع العباد به، وخدمة شيخه وأولاده، وعن طريق التصوف وأهله هيَّأ الله ـ سبحانه ـ له ولياً من أولياء الغيب، فقال: اذهب إلى فاس، فشيخك هو بها، وهو فلان الفلاني، إذ الطريق لا تسلك بدون شيخ، فقدم إليها وهو لايعرفها ولاأهلها، ولاالشيخ الذي قصد، فدُلَّ عليه في الحين، فلما قرع الباب، خرج ونظر إليه، فأخذ بيده وأدخله على أولاده، وقال له: ما مثلك من يقف بالباب، فأنا أنتظرك منذ كذا وكذا، فلقّن له الورد «اسم الجلالة، اسم الله الأعظم» وسلطان الأسماء، فأخذه بشرطه، فنجح وأفلح.

قام رضي الله عنه بأولاد الشيخ والإخوان والأضياف أحسن قيام، وكفاهم أمرهم ومؤنتهم على الدوام.

كان ـ رضي الله عنه ـ عليّ المقام، مسموع الكلام، ظهر لكل أحد فتوحاته، وانتشرت خلله وبيناته، أشرقت عليه شموس عظمة الذات، فغيبته عنه وعن جميع الكائنات، مصحوباً بالتأييد، مسلوكاً به طريق الكمال على التجريد والتفريد، لايخرجه جمعه عن حد الاعتدال إلى الانحراف، كأهل الجمع الصرف وأرباب الاستشراف.

كان شيخه مولانا العربي ـ رضي الله عنه ـ يقول في غيبته في حياته وبعد مماته: سيدي محمد بوزيد هو الفرد، والفرد أكبر من القطب

في العلم بالله تعالى، بل قال له.ذلك مشافهاً به، عن إذن من الحق تعالى كما هو شأنهم.وقد قال مولانا العربي رضي الله عنه يوماً بمحضر جم غفير، وجمع كثير من أصحابه، علماء وصلحاء، وقراء وأساتيذ وفقراء ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: «والله ما نفعني أحد مانفعني سيدي محمد بوزيد، ولا أخذ مني أحد مثله، ولاوافقني أحد مثله، ولا كذا ولا كذا، وصار يذكر فضله وخصوصيته، ويظهر مرتبته ومزيته».

وقال فيه شيخه بعد وفاته: «هو والله فرد الأولياء، وسيد أهل وقته بلاامتراء، وهو ممن بكت عليه الأرض والسماء».

كان رضي الله عنه محباً للشيخ، مرافقاً له، ومجاوراً له، وملازماً لداره أكثر من داره، ويحمل له من كل ما عنده، ويقول له في كل مرة: «يا سيدي كل ما ملّكني الله فهو لك، حتى روحي فهي لك ملك، حتى كان هذا القول هو آخر قول قاله له».

والحاصل: أنه كان نادرة الزمان، وآية كبرى من آيات الرحمن، سكن من أرض المعارف ربوة ذات قرار معين، وفض ختام عرائس أبكار المعاني المخدرات الحور العين، وأقام على ذلك زمناً طويلاً، وصدره أربابها، واعتمدوه أخذاً وتعويلا، قد ترك من الأذواق ما لا يعد ولايحصى، فلو جمعت رسائله ومنظوماته، ووارداته، لأربت عن مجلدات عدة. وجد شيخه مولانا العربي من ذلك قدر نصف القامة، وأوراقاً مفرقة مختلفة المعاني بحسب واردات الغيب لم يخرجها ولم يؤلفها، وقد بقي بيد الإخوان في كل بلد من مذكراته وحكمه، ورسائله ومنظوماته ما فيه كفاية، سيما كتابه المسمى بـ: «الآداب المرضية»، فقد أجاد فيها ما شاء، وقد أثنى على هذا التأليف تلميذه الشيخ سيدي أحمد ابن عجيبة غاية الثناء، وهو أحق بذلك، وهو موجود اليوم بأيدي الفقراء، فيه نحو العشرين كراريس.

وله منظومات، منها: التائية في الخمرة الأزلية. ومنها: الرائية، شرح كلاً منهما تلميذه الشيخ سيدي أحمد بن عجيبة، وقد وقفت على كل من القصيدتين وشرحهما:-

مطلع الأولى: أيا من تجلى في بقاء جماله.

والثانيـة: عليك بتقوى الله حيث توجهت.

توفي - رضي الله عنه - ليلة عاشر المحرم سنة ١٢٢٩هجرية، ودفن بداره في البيت الذي توفي فيه، بزاويته التي بتجساست على شاطيء البحر، بقبيلة غماره - حرسها الله - وزادها شرفاً(١).

قلت: وقد أكرمني الله بزيارته، والوقوف على ضريحه، وعليه قبة مشيدة، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) وقال عنه في تذكرة المحسنين: «العارف بالله تعالى ذو الأحوال السنية والطريقة المرضية سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الغماري من قبائل غمارة كان له مقام عظيم في التصوف، وقد ألف فيه وفي آداب الطريقة ما يغني عن غيره من التآليف، وفي بداية أمره كان تائهاً في قرون الجبال معتكفاً على العبادات إلى أن دخل بعض الكهوف فوجد جماعة يعبدون الله لايدري من هم، فجلس يعبد الله كعبادتهم واشترك معهم في المذاكرة فسمع منهم ما لم يقع له بمسمع أبداً، فكان مما قاله لهم: سألتكم بالله من أنتم ومن شيخكم ؟ فقالوا: نحن طائفة من مؤمني الجن وشيخنا بفاس يقال له: مولاي العربي، وإنا نحضر معه في مجالسه لكن بآخر القوم ولايرانا غير شيخنا، وإذا تكلم على الناس يرفع إلينا رأسه حتى نسمع حديثه، ولنا معه عادة إذا دخل المسجد ترك نعله متوجهاً لناحية الدخول، فإذا أراد الخروج نهيئها له فنستقبله بها، فنهض من حينه وقدم على فاس وسأل عن مولاي العربي فدل على رجل محترف يعمل السلل من القصب، فجاءه ولازمه فلم يجد شيئاً من ذلك، فرجع إليهم، فأخبرهم فبينوا له أن شيخهم مولانا العربي الدرقاوي، فجاءه فكاشفه - رضي الله عنه - بذلك، وأخذ عنه ولازمه، فرأى ما أخبره به الجان، وظهر له الفتح الكبير، رضي الله عنهما ونفعنا بهما آمين.

قال المؤلف رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

قد منَّ الله على عبده «العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي» نزيل القبيلة الزروالية - دفع الله عنها كل بلية - بمعرفة الشيخ الجليل، الشريف الأصيل، ولي الله تعالى، أبي الحسن سيدي علي بن سيدي عبد الرحمن الحسني العمراني، عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وذلك بمدينة فاس - دفع الله عنها كل باس - وبها توفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، وضريحه رضي الله عنه بحومة الرميلة شهير - نفعنا الله ببركاته - وأصله من بني عمران الشرفاء، أهل قبيلة بني حسان، ثم انتقل والده إلى مدينة فاس، وبها توفي رحمه الله، وقيل: جده هو الذي انتقل إليها.

وقد لُقِّب رضي الله عنه بالجمل، والأصل في لقبه بالجمل، أنه كان في حال صغره قوياً شديداً، وكان ذات يوم سائراً ببعض طرق فاس، إذ وجد بها ناقةً أو بعيراً صغيراً راقداً، فرفعه ووضعه خارج الطريق، فرآه بعض الناس حين فعل ما فعل، فقال: هذا هو الجمل، فاشتهر رحمه الله بالجمل عند أهل فاس، فهذا هو السبب في لقبه بسيدي علي الجمل وأما هو فشريف حسني عمراني كما قلنا، والله أعلم.

وكان رضي الله عنه من أجلّ شيوخ الطريقة رضي الله عنهم دائم السكر(١)، دائم الصحو(٢)، جامعاً بينهما، وقوياً فيهما القوة الكبيرة، والله على ما نقول وكيل.

وكان أيضاً من أهل تجريد الباطن، وتجريد الظاهر، ومن أهل التوحيد الخاص، كولي الله تعالى أبي الحسن الششتري(٣)، ونظرائه من الأكابر رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم.

---

(١) السكر في مصطلحهم: غيبة بوارد قوي، والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفياً في سكره.... والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجد، فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطاب الروح وهام القلب، وفي معناه أنشدوا:ـ

فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا

فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا

والعبد في سكره يشاهد الحال، وفي حال صحوه يشاهد العلم. «القشيري ٣٨».
فالسكر استيلاء سلطان الحال، قال محمد بن خفيف: «السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب» وقال الواسطي: «مقامات الوجد أربعة: الذهول ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو. كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج. فعلى هذا من بقي عليه أثر من سريان الحال فيه فعليه أثر من السكر، فالسكر لأرباب القلوب» «السهروردي ٥٢٧». وقال التهانوي: «السكر دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة. والسكر حال شريف». «التهانوي ٣/ ١٦٢».

(٢) الصحو: «رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة، والعبد في حال صحوه يشاهد العلم». وقال العارف الجرجاني: «الصحو هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه. والصحو والسكر معناهما قريب من معنى الغيبة والحضور، غير أن الصحو والسكر أقوى وأتم وأقهر من الغيبة والحضور». «القشيري ٣٨، والسهروردي ٥٢٧».

(٣) هو العارف بالله تعالى سيدي علي بن عبد الله النميري الششتري أبو الحسن من أهل الأندلس، نعته ابن الخطيب في نفح الطيب بعروس الفقهاء، تنقل رضي الله عنه في البلاد وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير يخدمونه، وشعره في غاية الانطباع والملاحة وقد نسب إليه كثير مما ليس له «نفح الطيب ١/ ٤١٦ «الأعلام للزركلي ٤/ ٣٠٥».

وقد أكرمني ربي سبحانه بمحبته وصحبته سنتين كاملتين، ثم انتقلت بعد ذلك إلى قبيلة بني زروال التي نحن بها، وكنت أزوره كل سنة مرة أو مرتين أو ثلاثة، وربما أكثر، وفي كل زيارة نلازمه للمذاكرة مدة من الزمان.

ولما أخذت عنه الورد وهو: «أستغفر الله ـ مائة ـ. اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ـ مائة ـ. لاإله إلا الله ـ ألف مرة ـ. وعند انتهاء كل مائة: سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ـ بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة المغرب». ثم قال لي رضي الله عنه: هذا عندنا من طريق أهل الظاهر السادات الناصريين رضي الله عنهم أجمعين.

ثم لقنني الاسم الأعظم وهو: ﴿الله﴾ من غير عدد، وقال لي أيضاً: هو عندنا من طريق أهل الباطن السادات أولاد ابن عبد الله أهل المخفية بالمدينة الفاسية ـ دفع الله عنها كل بلية ـ وحين فرغ من هذا قال لي: امشِ وجيء، فكنت على ذلك كل يوم نجتمع به فيذكرني مع بعض الإخوان من أهل فاس ـ نجاهم الله من كل باس ـ، فبقيت معه على حال التذكير إلى أن توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه. فنفعني ـ والله ـ تذكيره، وعرفت من هو في الناس على الذكر، ومن هو فيهم على حال الغفلة، ولم يغشمني[1] أحد بعلمه ولابعمله، لأن الناس منهم من هو على عبادة كثيرة، وهم مع وجود عبادتهم غافلون، ومنهم من قلّت عبادتهم وهم مع قلة عبادتهم وقلة علمهم ذاكرون، إذ هم قد عملوا بما علموا، فأورثهم الله علم ما لم يعلموا ـ كما ورد ـ[2]، وهم

(١) أي: لم يضحك عليَّ أحد.

(٢) في الحديث الذي رواه أبو نعيم في الحلية بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

أفضل من غيرهم، لأن المطلوب هو ما هم عليه، لامن يعلم كثيراً ولايعمل بعلمه.

فلما رأيت فضل المذاكرة وسرها، وخيرها، تولّعت ـ والله ـ بها، ومن ذلك الوقت وأنا عليها مع أهل محبتي ـ قوّاهم الله وأفناهم فيه عنهم ـ إذ لم يقوه من لم يفن فيه ـ كما قال إمام العشاق ولي الله تعالى سيدي أبو حفص عمر بن الفارض في تائيته رضي الله عنه:ـ

فلم تهوني ما لم تكن فيَّ فانياً ولم تفنَ ما لم تجتلى فيك صورتي

ولم يقل قوله بنفسه إنما قاله بربه، وأما هو فقد ذهب والله مع الذاهبين، وفاز مع الفائزين، ولعنة الله على الكاذبين.

وقد تكلم القوم ـ رضي الله عنهم ـ في الفناء وقالوا فيه أقوالاً كثيرة[1]، وأبلغها عندنا ـ والله أعلم ـ قول ولي الله تعالى أبي سعيد بن الأعرابي رضي الله عنه، لما سئل عنه ـ أي: عن الفناء ـ فقال: «الفناء أن تبدو العظمة والإجلال على العبد؛ فتنسيه الدنيا والآخرة، والأحوال والدرجات، والمقامات والأذكار، تفنيه عن كل شيء، وعن عقله وعن نفسه، وتفنيه عن الأشياء، وعن فنائه عن الفناء، لأنه يغرق في بحار التعظيم، انتهى».

---

(١) قيل: الفناء أن يفنى عن الحظوظ فلايكون له في شيء حظ، بل يفنى عن الأشياء كلها شغلاً بمن فني فيه، «وقيل: الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل»، وقال الجيلي: الفناء في اصطلاح القوم: هو عبارة عن عدم شعور الشخص بنفسه ولابشيء من لوازمها. وقال المولى عبد الحكيم في حاشية عبد الغفور: «معنى الفناء في اصطلاح الصوفية تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية، دون الذات، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها، فيكون الحق سمعه وبصره كما نطق به الحديث الشريف فالفناء أن لاترى شيئاً إلا الله ولاتعلم إلا الله، وتكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله، فعند ذلك يتراءى لك أنه الرب إذ لاترى ولاتعلم شيئاً إلا هو فتعتقد أنه لاشيء إلا هو «التهانوي معجم مصطلحات الفنون ١١٥٧ ـ ١١٥٨».

وقول ولي الله تعالى سيدي أبي المواهب التونسي رضي الله عنه: الفناء محو واضمحلال، وذهاب عنك وزوال، إلى غير هذا.

ولايُدخَلُ على الله إلا من بابين: من باب الفناء الأكبر وهو الموت الطبيعي، وإلا من باب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة ـ يعني الشاذلية رضي الله عنها ـ كما قال ولي الله تعالى سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه.

قلت: اللهم افتح بصائرنا، ونوِّر سرائرنا، وأفننا عنا، وأبقنا بك لابنا.

إذا كـنـا بـه تـهـنـا دلالا ... عـلـى سـائـر الـحـرائـر والـعـبـيـد
وإن نـحـن عـدنـا إلـى أنـفـسـنـا ... يـعـطـل ذلـنـا ذلَّ الـيـهـود

وفي الحكم العطائية: لانهاية لمذامك إن أرجعك إليك، ولاتفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك.

وقد أمرني أستاذي المذكور في ذلك الوقت أن أقيد ما يرد عليَّ من المعاني، وقال لي ـ رضي الله عنه ـ: مهما وردت عليك معنى من المعاني بادر إلى تقييدها لئلا تفلت لك، إذ هي ترد عليك أولاً كبيرة مثل الجبل، فإن بادرت إلى تقييدها قبضتها كما وردت عليك، وإن تأنيت عادت لك كالجمل، وإن تأنيت عادت كالبرطال[1]، فإن تأنيت ذهبت عنك وتركتك، ولابد من ارتباطها بالحس لتبقى لك، إذ هي كالشاة إن ربطتها بحبل بقيت لك، وإلا فلا، وإن بقيت لك جاءتك أخرى، وجاءتك أخرى، وهكذا. . .، وبهذا يحصل لك ولغيرك السير وإلا فلا، ومثل ذلك كالعوَّام الذي يجر الماء تارة بيمينه وتارة بيساره،

(١) برطال: نوع من الطيور يشبه العصفور، يسكن فوق المظلات التي تعلو أبواب المنازل، اشتقوة من البُرْكَلَة: أي المظلة الضيقة.

فإنه يسير ولايقف، بخلاف إن كان لايجر الماء ولايتحرك فإنه لايسير، وهذا ما قال رضي الله عنه.

وكنت أقيد المذاكرة التي ترد عليَّ لكن لاعلى الدوام، بل في بعض الأوقات فقط، ولو كنت أقيدها على الدوام لكان لي منها كثير، ولانحب الإكثار من الكلام، إذ هو من قلة الفائدة عند الأنام، وأقل مذاكرة تكفي إن حضرت النية والاعتناء، وإلا فلا.

وها أنا أريد أن أجمع ما شاء الله مما قيّدت منها، لينتفع به أهل محبتي في حياتي وبعد موتي، إن شاء الله. وحملني على جمعها أيضاً أن يكون لجمعها ببعضها بركة وفضل، إذ الجمع له بركة وفضل، وتكون طريقنا ظاهرة شهيرة لأحبتنا، ولمن أراد أن يقتدي بنا، ولعل في الناس من تسره حين يقف عليها، وفي إدخال السرور على المؤمنين أجر عظيم.

ولعل أهل العلم المنكرين لهذا الطريق الذي نحن عليه يجدون ياقوتة نفيسة من العلم بها - إن حصلت بيدهم - فيرجعون من حال الإنكار إلى حال الإقرار، ومن حال الغفلة إلى حال الذكر، فيكون سبباً في رحمتهم، و: (الراحمون يرحمهم الله)[1] ولاتخلو - إن شاء الله - من جواهر العلم ببركة أهل الطريقة - رضي الله عنهم -.

وقد رأيت مناماً وأنا إذ ذاك بفاس البالي - عمره الله - في المائة الثانية عشرة، أن بعض الملوك رضي الله عنهم أعطاني قرطاساً ففتحته؛ فإذا به جواهر عديدة، والملك الذي رأيت سيد أهل غربنا وسيد غيرهم،

---

(١) حديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم عن ابن عمرو. الجامع الصغير ١/ ٦٠٤.

مولانا إدريس بن مولانا إدريس بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن الإمام الأكبر والسر الواضح الأشهر مولانا علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، إذ كنت أزوره في العلم، فظهر لي حين أوَّلتها أن الملك الذي رأيت هو الله عز وجلَّ، والجواهر: جواهر العلم، والله أعلم.

ورأيت ليلة اليوم الذي رأيت الشيخ، وأخذت الوِرد، ولقَّنني اسم الجلالة: ﴿الله﴾ الإمام الذكور مولانا علي كرّم الله وجهه، بضريح مولانا إدريس الأصغر رضي الله عنه؛ فأخذته من يده المباركة، ومشيت به إلى المدرسة المصباحية بقصد أن نكرمه بها، ولما وصلت إلى الشماعين[1] استيقظت من نومي؛ فأخبرت الشيخ بما رأيت، فقال لي ـ رضي الله عنه ـ أبشر بخير كبير، فإنك من أهل التصوف رضي الله عنهم.

قلت: لأن الإمام علياً كرم الله وجهه هو إمامهم ـ رضي الله عنه وعنهم ـ وهو أكبرهم، وهو قطبهم كرّم الله وجهه.

وقد جار عليَّ حال القبض بعض الأيام غاية الجور، حتى كاد أن يسلبني من الإسلام، وأما الخصوصية فقد سلبني منها وبعَّدني منها، والله على مانقول وكيل؛ فاضطررت إلى ربي، ثم قصدت ضريح ولي الله الأشهر سيدي أبي الشتاء الخمار[2] ـ نفع الله به ـ فبت به أتلو كتاب الله عز وجلَّ، بلا قلب بل باللسان فقط، وأما القلب فما كان لي منه إلا اسمه، إذ ختمت القرآن من أوله إلى آخره، وسألت الله تعالى إثر ذلك باضطرار كبير وافتقار كبير أن يعافيني مما أصابني، ثم أخذني النوم

(١) هو سوق للمكسرات والبزور مقابل للباب الكبير الرئيسي لجامع القرويين.

(٢) وقد مرت ترجمته وضريحه يقع خارج مدينة فاس بحوالي ٧٠ كيلومتراً.

بعد الفراغ من ذلك فرأيت أني أتلو سورة القصص مع رجل أمي لايعرف اسمه في اللوح بترتيل كبير وبصوت عال، فلما استيقظت وأنا بالضريح نظرت ابن منظور[1] فوجدت به ما أسرّني غاية السرور، إذ قال ـ رضي الله عنه ـ ناقلاً عن الكرماني رضي الله عنه: قراءة سورة القصص في النوم إصابة علم وفهم، وصواب في الناس، ثم تحقق لي ذلك بفضل الله، والشكر لله.

ومذاكرتي هذه مذاكرة كثيرة وليست هي عندي لواحد من أهل محبتي، بل هي عندي تارة لواحد منهم، وتارة لأكثر من واحد، وتارة لجميعهم، رضي الله عنهم، وما ألّفتها ـ أي: جمعتها ـ حتى ظهر لي فضلها، وسرها وخيرها، ومزيتها، والله على ما نقول وكيل.

ولاينبغي لعاقل أن يؤلف إلا ما تقبله عقول الناس وما لا فلا، إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (حدِّث الناس بما يفهمون)[2]، ولاينبغي له أيضاً أن يؤلف إلا ما لم يخاصمه فيه خصيم نفسه لئلا يخاصمه فيه خصيم جنسه، لأن ما يسلِّمه خصيم النفس حتماً يسلمه خصيم الجنس، وما لا فلا، إذ لاشك أن الأكابر كالجنيد، والغزالي، والشاذلي، والحاتمي، ونظرائهم رضي الله عنهم قد ردّ عليهم قولهم من لم يبلغ مقامهم لايدري كلامهم إلا من حصل كلامهم ولم يسلم لهم إلا من كان حقاً منهم، وأما غيره فلايمكنه أن يتفقه عليهم، ويشنع عليهم الأمور البشيعة كالجهل والفسق، والسفه، والزندقة، والكفر ـ والعياذ بالله من الوقوع في هذا ـ إذ لايقع فيه إلا مطموس البصيرة، ومظلم السريرة، والعياذ بالله.

---

(١) أي كتاب ابن منظور في تفسير الرؤى والأحلام.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس بلفظ: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله» و«رمز السيوطي لحسنه «الجامع الصغير ١/٥٠٢».

الرسالة الأولى:

في الحض على القيام بالمفروض وبما تأكد من المسنون.

١ ـ **ومن المذاكرة:** أني أحب من يتعلق بي في أن يقوم بالمفروض، وبما تأكد من المسنون، وأن يكون دائماً على نظافة بدنه من وسخه، فأحرى نجسه، ومن شعر وسطه، وإبطيه، وظفر يديه ورجليه، وثوبه، ومكانه، وعلى ترك ما لا يعنيه، واستبرائه من بوله، وتأنيه على ذلك حتى يتحقق أو نقول: يطمئن قلبه بانقطاع بوله، وأن يرجع عن اتباع المحسوسات، وعن سائر العادات والشهوات، ولايستبعد ذلك إنما يستغربه :ـ

والنفس كالطفل إن تهمله شب على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

كما قال ولي الله تعالى سيدي البوصيري رضي الله عنه ـ في بردته، وكما قال أيضاً الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ في حكمه: «من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية، وكان الله على كل شيء مقتدراً»(١).

ونرى ـ والله ـ أن الواجبات تكفيه مع ما ذكرنا، وتغنيه الغنى الكبير، ولاتكفيه الأعمال الكثيرة مع عدم ما ذكرنا، ومع هذا فلا نحب إلا من يقوم بالواجبات، وبما تأكد من نوافل الخيرات، والله الموفق، والسلام.

---

(١) الحكمة ١٩٧.

الرسالة الثانية:

في الحث على تعلم العلم الظاهر والعمل بالواجبات وبما تأكد من نوافل الخيرات، وحقيقة التصوف

٢ ـ **ومنها:** فإن شئت أن تطوى لك الطريق، وتحصل في ساعة على التحقيق[(١)]، فعليك بالواجبات، وبما تأكد من نوافل الخيرات، وتعلم من علم الظاهر ما لا بد منه، إذ لايعبد ربنا إلا به، ولا تبتعه إذ لايطلب فيه التجر، إنما يطلب التجر في الباطن، وخالف هواك، إذ ذاك ترى عجباً.

والخلق الكريم هو التصوف عند الصوفيين، وهو الدين عند أهل الدين، ولعنة الله على الكاذبين. وكن دائماً أيضاً فارًّا من الحس إذ هو ضد المعاني، والضدان لايجتمعان، فمهما تقويت في جهة الحس، ضعفت في جهة المعاني، ومهما تقويت في جهة المعاني، ضعفت في جهة الحس.

واسمع ما وقع لأستاذنا ـ أي: سيدي علي الجمل رضي الله عنه ـ في ابتداء أمره، إذ كان قد نقش ثلاثة أمداد من القمح[(٢)]، فأخبر أستاذه سيدي العربي بن عبد الله بذلك، فقال له: إن زدت في الحس نقصت في المعاني، وإن نقصت منه زدت في المعاني.

والأمر واضح، لأن الناس بعدما تشمهم مدة طويلة لاتشم فيهم

---

(١) التحقيق هو شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان والأعيان، فلايحتجب المحقق بالحق عن الخلق ولابالخلق عن الحق «اصطلاحات الصوفية للعلامة الكاشي ١٥٥». وقال العلامة التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون: التحقيق هو ظهور الحق في صور الأسماء الإلهية «التهانوي ٢/ ٨٩».

(٢) يقال: نقش الغرس أي عزقها استعداداً لزراعتها «معجم شمال المغرب مادة نقش».

رائحة المعاني، إنما تشم فيهم رائحة العرق، وذلك لأجل أن الحس قد استولى عليهم، فأخذ قلوبهم وجوارحهم، ومنافعهم من حيث هي حتى أنهم لايخوضون إلا فيه، ولايشتغلون إلا به، ولايباشرون إلا إياه، ولايستطيعون مفارقته قط، مع أنه قد فارقه العدد الكبير من الناس، فاستغرقوا في المعاني، بسبب مفارقتهم إياه مدة عمرهم ـ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين آمين آمين ـ والمعاني كأنها لم يجعلها الله تعالى لهم، مع أن لكل واحد منهم منها ما للبحر من الأمواج، فلو علموها ما اشتغلوا بالمحسوسات عنها، ولو علموها أيضاً لوجدوا أنفسهم أنهم فيها بحور لاساحل لها، والله على ما نقول وكيل.

الرسالة الثالثة:

في حقيقة الذكر والترغيب فيه والحض على الدعوة إلى الله.

٣ ـ **ومنها:** فالذكر هو الركن الأعظم في طريق الله، والعمدة فيها كما علمت، فكنْ عليه كما أمرت، والله يقويك. ونحبك ـ أحبك الله ـ أن تكون على تذكير عباد الله ﴿الله﴾، ثم سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم، وحذِّرهم من الكفر دائماً، وذكِّرهم التواضع دائماً، وزهِّدهم في الدنيا، وأمُرهُمْ أن يقنعوا منها بما تيسر كما أمر الله.

واعلم ـ رحمك الله ـ أني أول ما استفدت من أستاذي رضي الله عنه، أن مكنني من سلتين مملوءتين بالصيفية[١] فجعلتهما بيدي، ولم نجعْلهما على قفاي كأقراني، ومع ذلك قد ثقل على نفسي وصعب حتى ضاقت منه غاية الضيق، وتزعزعت، وتروعت، وتكدّرت غاية الكدر، حتى كدت أن أبكي منه ـ والله ـ لقد بكيت من أجل ما أصابني من

---

(١) أي: مملوءتين توتاً.

الإهانة والذلة والاحتقار بسببه، إذ كانت لاترضى به ولابمثله، ولاتحط رأسها إليه أبداً، وكنت غائباً عن كبرها وتجبرها وتخبثها وتعنتها، ولا أعلم هل هي متكبرة أم لا؟ ولافهمني فقيه[1] فيها من جميع من قرأت عليه، وقد قرأت على كثير من الناس، فبينما نحن معها في تلك الحيرة والمحنة، إذا بالشيخ من أهل الكشف الكبير، والسر الواضح الشهير، قد كوشف بكبري، وكوشف بحيرتي ومحنتي، فأتى إلي وقبض السلتين من يدي، ثم جعلهما لي على قفاي كأقراني الذين هم أحسن وجهاً، وأحسن حالاً مني، ولايبالون بأنفسهم، ولايتكبرون ولايتجبرون، ولايتخبثون، وقال لي حين جعلهما على قفاي: هكذا قياس الخير لتنفر شيئاً من الكبر[2] فانفتح لي إذ ذاك الباب، وهديت منه إلى الصواب، أي: عرفت أهل الكبر من أهل التواضع، وأهل الجد من أهل الهزل، وأهل العلم من أهل الجهل، وأهل السنة من أهل البدعة، وأهل العلم والعمل من أهل العلم بلا عمل، ولم يغشمني[3] بعد ذلك سُنِّي بسُنَّته، ولا بِدعي ببدعته، ولاعالم بعلمه، ولاعابد بعبادته، ولازاهد بزهده، لأنَّ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ قد عَرَّفَني الحق من الباطل، والجد من الهزل، فجزاه الله عني خيراً، ووقاه شراً.

ونحب سيدي أحمد بن عجيبة أيضاً: أن يحض عباد الله على الصدق في أقوالهم، وأفعالهم، وأن يحضهم أيضاً على الورع، إذ بهما تقرب عليهم الطريق، وبهما[4] يحصلون على التحقيق، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

---

(١) أي شيخ أو عالم من العلماء الذين درس عليهم رضي الله عنه.

(٢) ومعناه بالدارجة المغربية: أي لاأقيس عليك الشر إنما أقيس عليك الخير.

(٣) أي: لم يضحك عليَّ أحد.

(٤) أي: بالصدق والورع.

الرسالة الرابعة:

في الطريق إلى التخلص من عبودية غير الله.

٤ ـ **ومنها:** فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الفقير إذا بدل ذكر كل شيء بذكر الله تخلَّصت له عبوديته لله، ومن تخلَّصت عبوديته لله فهو ولي الله، ومن كذب فعليه لعنة الله.

فلاتذكروا إلا الله، ولاتكونوا إلا لله، إذ من كان لله كان الله له، ويا سعد من كان لله وكان الله له. ويكفي في ذكر الله قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[١]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيما رواه عن ربه عزَّ وجلَّ ـ: (أنا جليس من ذكرني)[٢].

وقد كان أستاذي رضي الله عنه يقول لي: نحب ما نسمع عليك. فكذلك العربي الدرقاوي يحب ما يسمع عليكم مما يميت نفوسكم، ويحيي قلوبكم لا العكس، إذ لايشتغل بما يحيي النفوس ويميت القلوب إلا الغافل الجاهل المطموس البصيرة، المظلم السريرة، إذ المرء ما له إلا قلب واحد، فمهما أقبل على جهة أعرض عن الأخرى، إذ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ كما قال الله تعالى[٣].

وقد قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ:

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٥٢.

(٢) رواه الديلمي بلاسند عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها مرفوعاً، وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب قال قال موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: يارب أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك ؟ فقيل له: يا موسى أنا جليس من ذكرني. ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب عن كعب والبيهقي أيضاً في موضع آخر «كشف الخفاء ١/ ٢٠١».

(٣) سورة الأحزاب ـ الآية ٤.

إقبالك على الحق إدبارك عن الخلق، إقبالك على الخلق إدبارك عن الحق. وقال لي بعض الإخوان رضي الله عنهم: ما أنا شيء، فقلت له: لاتقل: ما أنا شيء، ولاتقل: أنا شيء، ولاتقل: خصّني شيء، ولا تقل ما خصّني شيء، قل: ﴿الله﴾ تر عجباً.

وقال لي آخر: مادواء النفس؟ فقلت: انسها ولاتذكرها قط، إذ لايذكر ربه إلا من نسي نفسه.

ولايتصور في عقولكم أن الكون هو الذي نسّانا ربنا كون أنفسنا، ولاحجبنا عن ربنا إلا وقوفنا وفقدنا الكون مع شهواتنا، وأما لو نسينا كون أنفسنا لوجدنا المكون وفقدنا كون أنفسنا بأسره، كما لايتصور في عقولكم أن يفقد الإنسان الكون وهو لم يفقد كون نفسه، بل والله لايكون ذلك أبداً، والسلام.

الرسالة الخامسة:

في أدب السؤال والمرقعة وحقيقتهما وطريق القوم رضي الله عنهم.

٥ ـ **ومنها:** فالسؤال والمرقعة[١] كلاهما من طريق القوم رضي الله عنهم، لكن نرى كثيراً ممن يصحبنا في هذه الساعة لايذكر الله تعالى كما يذكرهما، لأن بعضهم قد أخذ عني الورد ثم بادر من حينه إلى لبس المرقعة، إذ كانت بنية المبادرة إلى السؤال، وكان هو المقصود عنده، فلذلك توسط له بالورد الذي أخذ عنا، وبلبس المرقعة، فقلت له حين

(١) وقد كانت المرقعة ـ وهي اللباس المرقع ـ شعار الصالحين من الفقراء والزاهدين من أرباب الأحوال إلا أنها اعتراها ما اعترى غيرها من الرسوم فاتخذها من ليس من أهلها للشهرة وليغش عباد الله ويوهم أنه من أهل الله فجرى عليها حكم الحرمة كما قال بعض العارفين في حقها: أمرناهم بها لهدم النفوس فاتخذوها لجلب الفلوس فصارت في مذهبنا حرام ـ أو بما معناه ـ.

رأيته فعل ما فعل: دع عنك المرقعة إذ هي لك شهرة، واذكر ربك وأنت على حالك حتى يشتعل قنديلك[1]، وتقوى نورانيتك، فحينئذ إن لبست المرقعة والدائرة لايضرّك ذلك، ولاشك أن السؤال والمرقعة كلاهما ثقيل على النفس، وخفيف عليها[2]، فمن وجد الخفية فليتركهما، ومن وجد الثقل فليأخذهما، ولايأخذ الجهة التي تخف، إذ الإخلاص في التي تثقل، والإخلاص هو الحاجة أو يأخذ الجهة التي هي الإخلاص فيها أقل من الأخرى بل يأخذ الجهة التي هي الإخلاص أكثر، وهكذا حتى يستوي عنده الخفيف والثقيل، والممدوح والمذموم، ويصير الإخلاص في الجهات كلها، فحينئذ يكون حراً، ومن كان حراً كان والله ولياً.

وقد تفرّست فيمن ترك العلائق كلها إلا السؤال الذي هو أضعف الأسباب لكن لم يذق ما ذاق من ترك العلائق ولم يشم رائحة ذلك، فظهر لي أن ذلك من سكونه إلى شهوة نفسه وهو ما يعطاه، ولو تخلّص منها لقويت نورانيته، وضعفت بشريته، وذاق ما ذاقت الرجال رضي الله عنهم.

وقد كتب الجنيد إلى بعض إخوانه: من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله، وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه، فإن انتبه وانقطع عما سكن إليه ورجع إلى ما أشار إليه كشف ما به من المحن والبلوى، . . . . إلى آخر كلامه ـ رضي الله عنه ـ.

ولايتصور في عقولكم أن يكون الفقير ليس مع شيء من الأشياء قط، ثم لم يكن في حضرة الله، محال أن يكون ذلك، لأن من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكوّنها، والوصول إليه وصول إلى العلم

---

(١) أي حتى يتنور قلبك وتصفو نفسك بذكر الله.

(٢) أي ثقيل على بعض النفوس وخفيف على البعض ومدار الأمر على الإخلاص ومخالفة النفس في الحالين.

به، فارحلوا عزماً عما سكنتم إليه - أيّ شيء كان - ولاتسكنوا إليه قط، لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً:-

لكل شيء إن فارقته عوض وليس لله إن فارقت من عوض
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلاصورة تجلى ولاطرفة تجتنى

شتان بين من همته الحور والقصور، وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور - كما قال ولي الله تعالى سيدي أبو مدين[1] رضي الله عنه -.

---

(١) هو الولي الكبير والقطب الشهير مولانا أبو مدين شعيب الشهير بالغوث نفعنا الله به، أحد أعيان مشايخ المغرب وصدور العارفين، وشهرته تغني عن تعريفه، وهو مدفون بجبانة العباد بتلمسان، وأما الذي بمصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي ببركة القرع خارج السور مما يلي شرقي مصر وعليه قبة عظيمة وقبره يزار فهو ولده مدين، وأما الأب صاحب الترجمة فهو سيدي شعيب بن الحسين بن أسعد الأندلسي الزاهد، من حصن شوجب من أعمال أشبيلية، ساح منها وسكن بجاية مدة، ثم رحل منها إلى تلمسان، وله رضي الله عنه كرامات منها: أنه كان يتكلم في الحقيقة بمسجد الأندلس، فسمع به سبعون راهباً بديور للملك، فجاء منهم عشرة يمتحنون الشيخ، فتنكروا ولبسوا زي المسلمين، ودخلوا المسجد، وجلسوا مع الناس ولم يشعر بهم أحد، فسكت الشيخ حتى دخل رجل خياط، فقال له الشيخ: ما أبطأك؟ فقال: ياسيدي حتى فرغت من العشر طواقي التي أوصيتني بها البارحة. فأخذ الشيخ منه الطواقي وقام فألبس كل واحد من الرهبان طاقية، فعجب الناس من ذلك، ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى -: يا فقراء إذا هبت نسمات التوفيق من جناب الحق على القلوب أطفأت كل نور، ثم تنفس الشيخ، فانطفأت القناديل التي في المسجد، ثم سكت الشيخ، وأطرق فلم يتجاسر أحد أن يتكلم لعظم هيبته، ثم رفع رأسه وقال: لاإله إلا الله، يا فقراء إذا أشرقت أنوار العناية على القلوب عاشت وأنارت منها كل ظلمة، ثم تنفس فاشتعلت القناديل واضطربت حتى كاد يلحق بعضها بعضاً، ثم تكلم الشيخ في أية سجدة فسجد وسجد الناس، وسجد الرهبان خوفاً من الفضيحة والاشتهار، فقال الشيخ في سجوده: اللهم إنك أعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك، وإن هؤلاء الرهبان قد وافقوا المسلمين في لباسهم وسجودهم، وأنا قد غيرت ظواهرهم ولايقدر على تغيير بواطنهم غيرك، وقد أجلستهم على موائد كرمك، =

واحذروا غاية جهدكم من الاشتهار، إذ في إهمال الظاهر والباطن من الفوائد خرق العوائد، ولانرى إلا من يبر بهما دائماً سرمداً، والسلام.

الرسالة السادسة:

في الحض على إماتة النفس والاشتغال بالخالق عن المخلوق ليتحقق الوصول إلى الله ومعرفته.

٦ ـ **ومنها:** فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أني كنت مع أخي في الله، الولي الصالح، الشريف الحسني، أبي العباس سيدي أحمد الطاهر ـ رحمه الله ـ بمسجد القرويين ـ عمرها الله ـ وكلانا قوي الشهود حينئذ، فإذا به قد تفتّر[١]، أو نقول: ضعف حتى صار يقع في الخوض كعامة الناس، فقلت له ـ بعنف وغضب ـ: إن شئت أن تربح فاضرب واطرح[٢].

وقلت أيضاً لبعض الإخوان: ألا أخبرني أنه قد ضرب يهودياً ـ لعنه الله ـ بلا سبب بل بعجبه وظلمه: لاتضرب يهودياً ولانصرانياً ولامسلماً واضرب نفسك، وواظب على ضربها حتى تموت، ولابد ولابد. وأنتم يا إخواني كذلك، دعوا عنكم الخوض بالكلية، إذ هو من أعظم البلية، ولايناسب مقامكم، ولايوافق حالكم، ولاتذكروا الناس إلا

= فأنقذهم من الشرك والطغيان، وأخرجهم من ظلمة الكفر إلى الإيمان، فأجيبت دعوته ـ رضي الله عنه ـ فما رفعوا رؤوسهم من السجود إلا وقد دخلوا في دين الملك المعبود، فأقبلوا على الشيخ وأسلموا على يديه، وشهدوا شهادة الحق، فكثر الصياح في المسجد واشتد البكاء، ومات ثلاثة أنفس في ذلك اليوم، وفرح الشيخ بإسلامهم وسر سروراً كثيراً.

مات رضي الله عنه ونفعنا بمحبته ـ سنة ٥٩٤من الهجرة.

«موسوعة أعلام المغرب ـ عن تذكرة المحسنين ـ وفيات سنة ٥٩٤ ـ ١/ ٣٨٥».

(١) أي: أصابته الفترة وهي الضعف.

(٢) أي: اضرب نفسك واقتلها واطرحها جانباً حتى تسلم لك الأمور.

بخير، إذ لايشكر الله من لم يشكر الناس ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ[1].

ونرى ـ والله أعلم ـ أن من لم يشاهد الناس، أي غاب عن شهودهم، لم يشاهد الله شهوداً كاملاً، إذ الكامل هو الذي لايحجب بالمخلوق عن الخالق، ولابالخالق عن المخلوق، أو بالفرق عن الجمع، ولابالجمع عن الفرق[2]، أو بالأثر عن المؤثِّر، ولابالمؤثِّر عن الأثر، أو بالشريعة عن الحقيقة، ولابالحقيقة عن الشريعة، أو بالسلوك عن الجذب[3]، ولابالجذب عن السلوك، وهكذا. . . فهذا هو الواصل، وهذا هو الكامل، وهذا هو العارف، وهذا هو التالف، سوى المجذوب الغائب عن إحساسه فليس بتالف، والسلام.

---

(١) في الحديث: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» رواه الإمام أحمد والترمذي والضياء عن أبي سعيد الخدري، ورمز السيوطي لصحته «الجامع الصغير ٥٥٨/٢ ـ الحديث رقم ٩٠٢٨».

(٢) الجمع على ألسنة القوم رضي الله عنهم هو اتصال لايشاهد صاحبه إلا الحق جل شأنه، فمتى شاهد غيره فما جمع، والتفرقة: شهود لمن شاهد بالمباينة. وأول الجمع جمع الهمة وهو أن تكون الهموم كلها هماً واحداً، وفي الحديث: «من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أوديتها هلك». وهذه حال المجاهدة والرياضة، والجمع الذي يعنيه أهله هو أن يصير ذلك حالاً له، وهو أن لاتتفرق همومه في حظوظه، وبين طلب مرافقه وملاذه، فيكون مفرقاً بينه وبين نفسه، فلاتكون حركاته لها، سئل بعض الكبار عن الجمع ما هو؟ فقال: «جمع الأسرار بما ليس منه بد وقهرها فيه، إذ لاشبه له ولاضد «وقال أبو سعيد الخراز رضي الله عنه ونفعنا بمحبته: «معنى الجمع أنه أوجدهم نفسه في أنفسهم بل أعدمهم وجودهم لأنفسهم عند وجودهم له». معناه: «كنت له سمعاً وبصراً ويداً فبي يسمع وبي يبصر». «الكلاباذي ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ١١٩».

(٣) الجذب هو تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه «الكاشي ـ اصطلاحات الصوفية ١٧».

الرسالة السابعة:

في الحض على الاشتغال بالله وحده عن كل من سواه.

٧ ـ **ومنها:** فاشتغلوا بما أمركم به ربكم، ولاعليكم فيمن يتسلّط بإذايته إليكم، سواء كان منكم أو من غيركم، فإنكم إذا لم تنتصروا لأنفسكم، فالله تعالى ينصركم، ويتولى أمركم، وإذا انتصرتم إليها، وتوليتم أمرها، وكلكم الله سبحانه إليها، ولاتقدرون على شيء ـ والله على كل شيء قدير ـ.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي قاسم الخصاصي(١) ـ رضي الله عنه ـ: لاتشتغل قط بمن يؤذيك، واشتغل بالله يرده عنك، فإنه هو الذي حرّكه عليك ليختبر دعواك في الصدق، وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير، فاشتغلوا بإذاية من آذاهم، فدام الأذى مع الإثم، ولو أنهم رجعوا إلى الله لردَّهم عنه، وكفاهم أمرهم، والسلام.

---

(١) هو العارف بالله تعالى الإمام بحر التوحيد ومعدن التجريد والتفريد، الواصل المحقق المقرب المستغرق أبو الفضل قاسم بن الحاج قاسم الخصاصي الأندلسي، والخُصاصي نسبة لخصاصة مدينة على شاطيء البحر بجبل القليعة لا عمارة بها الآن، كان بها سلفه ثم انتقلوا إلى فاس، كان ـ رضي الله عنه ـ من شأنه الغالب عليه الغيبة في التوحيد، والاستغراق في بحر التحقيق، وفي نحو خمسة أيام في كل شهر تصحبه غيبة زائدة لايعرف بها السماء من الأرض، ولا الليل من النهار، ومن أجل قوته وغيبته كانت له ملامات وشطحات ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقتها ولم يشاركه في حاله، وما يعقلها إلا العالمون، وكان له الإشارة العالية والهمة السامية.

ولد ـ رضي الله عنه ـ في حدود سنة اثنين وألف من الهجرة وتوفي نصف ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمانين وألف وكان بجوار شيخه سيدي محمد بن عبد الله خارج باب الفتوح من فاس الأندلس وبنيت عليه قبة. «نشر المثاني من موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٥٧٣».

الرسالة الثامنة:

لا حياة للقلب إلا بفراغه من حب الدنيا وموت النفس.

٨ ـ **ومنها:** فكونوا ـ رحمكم الله ـ على ما يميت نفوسكم ويحيي قلوبكم، وأصل المحاسن من حيث هي هي من فراغ القلب من حب الدنيا، كما أن أصل القبائح من حيث هي هي عمارته لحبها. وقد كتبت لبعض الإخوان ـ بعد كلام تقدّم ـ: سبب الفسق من حيث هو حب الدنيا، إذ المقبل عليها بقلبه وجوارحه هو الفاسق الكبير، والظالم الكبير، فلولا أن الإيمان قد تمكن من قلبه لحكمنا بكفره، فكونوا ـ رحمكم الله ـ على ما يميت نفوسكم ويحيي قلوبكم، كما قلنا لكم، إذ لاوصول لنا إلى حضرة ربنا إلا بعد موت نفوسنا، ولو علمنا ما علمنا، كما قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبو مدين رضي الله عنه: من لم يمت لم ير الحق.

وقد اشتكى إلينا بعض الإخوان بظالم قد تقوَّى عليه، فقلنا له: إن شئت أن تقتل من ظلمك فاقتل نفسك، فإنك تقتل بقتلها جميع الظالمين، ولعنة الله على الكاذبين.

ثم قلنا لبعضهم ـ رضي الله عنهم ـ: الخذلان كل الخذلان أن تظهر لك صورة نفسك ثم لم تخل دارها[1]، ولم تمح آثارها، وذلك بأن تحملها دائماً ما يثقل عليها حتى يقتلها، إذ في قتلها حياة القلب، كما قال بعض السادات: ما حياة القلب إلا في إماتة النفس.

وقال بعضهم: المحبة عروس ومهرها النفوس، ما تحيا القلوب إلا بموت النفوس، إلى غير هذا.

---

(١) أي: أن تمحقها وتخذلها بمخالفة شهواتها، وهذا من المغربية الدارجة.

وقلنا لبعضهم ـ إذ كان قد ضرب يهودياً لعنه الله عُجْباً منه وظلماً وجوراً، فأخبرني بذلك ـ: لاتضرب يهودياً ولانصرانياً ولاغيرهما، وإن كان ولابد لك من الضرب فاضرب نفسك، وواظب على ضربها حتى تقتلها، ولاتتركها حية. وهكذا نحب إخواني أن يكونوا، إذ العيوب كلها في الفقير الحي النفس، أما الفقير الميت النفس فهو سالم العيوب، وهو دائماً شاهد الغيوب، وهو سيد الناس بأسرها، رغماً على أنفهم، والله تعالى أعطاه.

ونؤكد عليكم تأكيداً محتماً أن تكونوا على النظافة والمسكنة، والقناعة دائماً سرمداً، ولايتمسكن حقاً إلا من قتل نفسه وعرف ربه، ومن لا فلا، والجمع على الله يجمع على الله، والجمع على غير الله يجمع على غير الله ـ والعياذ بالله ـ أن يكون مع الله غير الله: كان الله ولاشيء معه وهو الآن على ما عليه كان، والسلام.

الرسالة التاسعة:

في حض المريدين على الثبات على التجريد والاعتصام بالله.

٩ ـ ومنها: فاحمدوا الله تعالى على ما أنتم عليه من التوجه إليه في الوقت الذي أخذت الدنيا قلوب الناس وجوارحهم، إلا النادر منهم، واعرفوا قدر الحالة التي أنتم عليها ـ وهي حالة التجرد ـ إذ لها فضل كبير، وسرٌ واضحٌ شهير، لايجهل ذلك إلا من طمس الله بصيرته، وظلَّم سريرته، والله ـ لولا بركتها لغرق سائرنا في الفسق الذي كنا عليه قبل وجودها، وكنا لابأس علينا من أجلها كأنها طاعة أمرنا الله بها، وقد أنقذنا الله ـ والحمد لله ـ بسبب معرفة أهل الله، إذ لايخيب من تخلى عن الأسباب، وعن لبس الحسن من الثياب، وعن الاستئناس بالأصحاب والأحباب، بل لابد أن يتحلى بما يتحلى به أهل الطريقة رضي الله عنهم.

وقد قلنا: فمن أراد أن يتحلى فعن الهوى يتخلى. وبسبب تجردنا وتجرد إخواننا، تذكر كثير من إخواننا المغاربة وكثير من إخواننا المشارقة رضي الله عنهم كلهم، فكثيرهم قد ترك الدنيا وتوجه إلى ربه، وذلك بسبب رؤية حالتنا التي هي حالة الأجواد - رزقنا الله محبتهم ورضاهم آمين -؛ فاثبتوا عليها وقوموا بحقها، واعتصموا بالله، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، ولاشك أن المعتصم بالله لايفارقه عون الله، أو نقول: نيابة الله، والسلام.

الرسالة العاشرة:

في الحض على عدم إظهار الكرامات والاهتمام بما يحيي القلوب.

١٠ - ومنها: فلايدخل على الله إلا من باب موت النفس - كما عند القوم رضي الله عنهم -، ونرى - والله أعلم -: أن الفقير لايقتل نفسه إلا إن شاهد صورتها، ولايشاهد صورتها إلا بعد أن يفارق الدنيا، ويفارق الأصحاب والأحباب والعوائد، وقد قال لي بعض الفقراء: امرأتي غلبتني، فقلت له: ليس هي التي غلبتك، إنما غلبتك نفسك، فإن غلبتها غلبتَ الكون بأسره - رغماً على أنفه -، فأحرى امرأتك، إذ لاتغلبنا إلا نفوسنا، ولايتعدى علينا متعدّ إلا هي، فلو قتلناها لقتلنا بقتلها جميع الظالمين، ولعنة الله على الكاذبين.

ونؤكد على أخي أن يؤكد على كافة من بتلك الناحية من الإخوان - رضي الله عنهم - أن لايسرفوا في خرق عوائدهم[2] كما بلغنا عنهم، وأن

---

(١) سورة آل عمران - الآية ١٠١.

(٢) بمعنى أنهم أخذوا يظهرون الكرامات، فأحبَّ - رضي الله عنه - أن يوجههم إلى أن إماتة النفوس هي الكرامة الكبرى، ولذلك قالوا: إن أعظم كرامة تكون عند المؤمن الصالح هي أن يتغلب على نفسه.

يكونوا على ما يميت نفوسهم ويحيي قلوبهم، فقد روَّعنا ما هم عليه من الخوارق ومن إفشاء الحقائق، وخفنا عليهم وعلى أنفسنا غاية الخوف، إذ قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وخفنا عليهم أيضاً أن تنقلب حقيقتهم النورانية إلى حقيقة ظلمانية، والله ينقذنا وإياهم من كل خطأ، والسلام.

الرسالة الحادية عشرة:

في الحض على عدم الاغترار بالدنيا وأهلها والعلم والعمل.

١١ ـ ومنها: فمن أراد قرب المسافة عليه ويكون له من الخصوصية ما كان لغيره، فلايأخذ من الدنيا إلا ما يتيسر له منها بلا مشقة ولاتعب[2]، ولايغتر بعلم من يحبها، ولابعمله كائناً من كان، إذ ليس له إلا الجهل، وأما العلم فليس له منه شيء، إنما هو للعالم السُّنِّي المبغض لها، الآخذ ما تيسر منها، اقتداءً بنبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وأما من قلبه مشحون بحبها وجوارحه بجمعها، فلاعلم له ولاعمل، إنما له الجهل: (إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)[3]، وكما ورد في كتاب الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[4] والسلام.

---

(١) سورة النور ـ الآية ٦٣.

(٢) وذلك باستفراغ كافة الأسباب الشرعية المطلوبة مع وجود كامل الرضا والراحة بما يقدره مسبب الأسباب من نتائج.

(٣) حديث: «إن الله تعالى لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه. «الجامع الصغير ١/ ٢٤٦ الحديث رقم ١٨٣٢».

(٤) سورة الحج ـ الآية ٤٦.

الرسالة الثانية عشرة:

في حقيقة النفس

١٢ ـ ومنها: فالنفس أمر عظيم، فهي الكون بأسره إذ هي نسخة منه كل ما فيه فيها، وكل ما فيها فيه، فمن ملكها ملكه لامحالة، كما أن من ملكته ملكه لامحاله، واسمعوا بعض ما لمالكها من الفضل والخير والسر والبركة: فقد كان الثمار عند أهل تافلالت[١] لاينجح، فإذا بهم لما كانوا بالحجاز ـ وأظنهم بقصد الحج ـ قد تنبهوا لأمر عظيم، وذلك بأن قالوا: أثمارنا لاتنجح لنا فلايفيدنا إلا أن نأخذ من هنا شريفاً فيكون ذُكّاراً[٢] لنا ولثمارنا ولبلادنا، فاجتمع رأيهم على أن قصدوا بعض الأشراف ـ رضي الله عنهم ورزقنا محبتهم ـ فسألوه أن يتفضل عليهم بأحد من أولاده، فأعطاهم إياه، بعد أن نادى على أحدهم حتى حضر بين يديه، ثم قال له: فمن يحسن إليك من الناس فأي شيء تصنع معه؟ فقال: نحسن إليه، كما أحسن إلي. قال: ومن يسيء إليك؟ قال: نسيء إليه كما أساء إلي. فتركه، ونادى على أخيه، فوقع له مثل ما وقع لأخيه، ثم نادى على آخر، فأجابه بمثل ما أجابه به أخواه، وهكذا... حتى جاء صغيرهم ـ رضي الله عنهم كلهم ـ فخاطبه وقال له: فما الذي تصنع من يفعل معك خيراً؟ قال: نفعل معه خيراً. قال: ومن يفعل معك شراً؟ قال: نفعل معه خيراً! قال: كيف هو يفعل معك شراً وأنت تفعل معه خيراً؟ قال: نعم، فهو على شره وأنا على خيري، حتى يغلب خيري شره[٣]. فحينئذ أعطاهم

---

(١) في جنوب المغرب، وهي البلاد التي خرجت منها الدولة العلية العلوية الكريمة.

(٢) الذُكار: الفحل، يعني: ذكاراً لنا ينتجنا وينتج ثمارنا.

(٣) وفي المثل المغربي يقول: اللي أساء إليك أحسن أنت إليه حتى يغلب خيرك شره وتنتصر عليه.

إياه، ودعا له ولهم بخير، فكان في ذلك الرأي خرق العوائد من الفوائد لأنه قد أصلح الله بالشريف البلاد والعباد.

والأصل في القضية محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبها أصلح الله الشريف الذي كان من شأنه الناس يسيؤون إليه، وهو - رضي الله عنه - يحسن إليهم حتى غلب خيره شرَّهم، فهكذا تكون ملكية النفس، وهكذا يكون الشرف وهكذا يكون الخلق الكريم. وقد أخرج الله من صلبه شرفاء كثيرين، أولياء وعلماء، وأمراء وشجعاء، يشبهون الصحابة رضي الله عنهم.

وأما الكرم والحياء وعلو الهمة، وحسن الخلق والتواضع، فذلك شأنهم، وذلك دأبهم - رضي الله عنهم ورزقنا محبتهم - آمين، والسلام.

الرسالة الثالثة عشرة:

ضرورة وجود شيخ التربية، وكيفية الذكر.

١٣ - **ومنها:** فقد كان الفقراء أهل الزمان الأول - رضي الله عنهم - لايحرصون أو نقول: لايجتهدون إلا فيما يميت نفوسهم ويحيي قلوبهم، ونحن الآن على عكسهم، فلا نحرص إلا فيما يميت قلوبنا ويحيي نفوسنا، إذ لايحرصون إلا في ترك شهواتهم، وفي إسقاط منزلة أنفسهم، ونحن لانحرص إلا في شهواتنا، ورفعة منزلة أنفسنا، وقد جعلنا الباب وراءنا والحائط قدامنا، وما حملني على ما أقول لكم إلا ما رأيت من المواهب التي أعطى الله لمن ماتت نفوسهم، وحييت قلوبهم، وقد قنعنا نحن بما دون ذلك، ولايقنع بالوصول إلا جهول. وقد تفرَّست: هل معنا من المواهب غير ما ذكرنا من وقوفنا مع شهواتنا ورفعة منزلة أنفسنا؟ فظهر لي - والله - مانع آخر وهو قريحتنا، إذ المعاني لا ترد

غالباً إلا على من له قريحة كبيرة بقلبه، وتعلق كبير برؤية ذات ربه، فهذا هو الذي ترد عليه معاني ذات ربه حتى تفنيه فيها عن توهم وجود غير ذلك، إذ هذا شأنها مع من له تعلق بها دائماً، بخلاف من ليس له قريحة إلا في تحصيل العلم فقط، أو في تحصيل العمل فقط، فهذا لاترد عليه المعاني، ولايفرح بها، لأن همته منصرفة في غير ذات ربه، والله تعالى يرزق العبد على قدر همته، ولاشك أن لكل أحد من الناس من المعاني مثل ما للبحر من الأمواج لكن الحس قد استولى عليهم، فأخذ قلوبهم وجوارحهم، ولم يتركهم لها، إذ هو ضدها، والضدان لا يجتمعان.

ونرى أن الوصول لاينال بكثرة الأعمال ولابقلّتها، إنما ينال بمحض الكرم، كما قال ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله - رضي الله عنه - في حكمه: «لوأنك لاتصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحي دعاويك لم تصل إليه أبداً، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه، ونعْتك بنعْته، فوصلك إليه بما منه إليك لابما منك إليه»[1].

ومن فضل الله وكرمه وجُودِه وجود الشيخ المربي، ولولا ذلك لم يجده ولم يظفر به أحد، لأن معرفة الولي أصعب من معرفة الله، كما قال ولي الله تعالى سيدي أبو العباس المرسي - رضي الله عنه -.

وفي الحكم العطائية: «سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه»[2]. إذ لاشك أن سيد أهل السماء، وسيد أهل الأرض مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان موجوداً ظاهراً، واضحاً كشمس على

(١) الحكمة رقم ١٣٠.

(٢) الحكمة رقم ١٥٦.

علم، ومع ذلك لم يره كل أحد، إنما رآه البعض، وأما البعض فقد حجبهم الله عنه، كما حجب غيرهم عن الأنبياء عليهم السلام، وعن الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ من أهل وقتهم حتى كذبوهم ولم يؤمنوا به. وشاهد ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ الآية[1]، إلى غير هذا مما في كتاب الله، وقد كاد أن يكون ثلثاه أو أكثر كله في تكذيب الأنبياء عليهم السلام، ومن البعض الذي لم يره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أبو جهل لعنه الله، إنما رآه يتيم أبي طالب، وكذلك الشيخ المربي ـ إن وجد ـ تارة يرى تحرير نفس المريد في الجوع فيجوعه، وتارة في الشبع فيشبعه، وتارة في تكثير الأسباب، وتارة في تقليلها، وتارة في النوم، وتارة في السهر، وتارة في الفرار من الناس، وتارة في الاجتماع بهم والاستئناس بهم، وهكذا، لأن نورانيته ربما تتقوى عليه فيخاف المربي عليه أن تمحقه كما محقت كثيراً من المريدين قديماً وحادثاً، فلذلك يرده عن العزلة إلى الاستئناس بالناس لعله يضعف ويسلم من المحق، كما أنه إذا ضعفت نورانيته يرده إلى حال العزلة فإنه يتقوى وهكذا، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[2].

وقد كادت التربية أن تتعذّر لقلة من بقلبه قريحة الاقتداء، وحكمة الله لاتنقطع.

ونرى أن الطريقة لابد أن يقوم أمرها ـ بحول الله وقوته ـ إذ هي مأخوذة عن شيوخنا رضي الله عنهم، عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن سيدنا جبريل عليه السلام، عن الله عز وجلّ،

---

(١) سورة الفرقان ـ الآية ٧.

(٢) سورة النجم ـ الآية ٤٢.

فكل من تصدّر لها فإن ذلك بإذن من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والأشياخ ـ رضي الله عنهم ـ كما قال ولي الله تعالى سيدي المرسي ـ رضي الله عنه ـ: ماتصدّر أستاذ للمريدين إلا بعد أن فاضت عليه الواردات، وكان له الإذن من الله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

وبركة الإذن وسره به يقوم أمرها، ويستقيم حال أهلها، والله أعلم.

ولأجل ما ذكرنا من تعلق القلب برؤية ذات ربنا، وليس ذلك قط لأحدنا إلا بعد فناء أنفسنا ومحوها، واضمحلالها، وذهابها، وزوالها، . قال ولي الله تعالى سيدي أبو المواهب التونسي ـ رضي الله عنه ـ: «الفناء محو واضمحلال، وذهاب عنك وزوال».

وكما قال ولي الله تعالى سيدي أبو مدين ـ رضي الله عنه ـ: «من لم يمت لم ير الحق». وكما عند كافة شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ.

وإياكم أن تعتقدوا أن الأشياء اللطيفة أو الكثيفة هي التي حجبتنا عن ربنا، والله إنما حجبنا عنه الوهم، والوهم باطل، كما قال ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه ـ في حكمه: «ما حجبك عن الله وجود موجود معه إذ لاموجود معه، وإنما حجبك عنه توهّم وجود موجود معه»[١].

ونرى ـ والله أعلم ـ أن الفناء يحصل إن شاء الله في أقرب مدة بكيفية في ذكر اسم الجلالة ﴿الله﴾، وقفت عليها عند الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، في بعض الكتب عند أحد من فقهاء إخواننا بني زروال ـ أنقذهم الله من كل ضلال ـ.

---

(١) الحكمة رقم ١٣٧.

وعلّمنيها أيضاً أستاذي الشريف المربي أبو الحسن سيدي علي رضي الله عنه ـ أي سيدي علي الجمل ـ إلا أنها على وجه آخر أقرب وأصوب، وهي أن نشخّص حروف الاسم الخمس عند قولنا: الله، الله، الله، ومهما زهقت عن تشخيصها رجعت إلى تشخيصها، ولو زهقت عنها ألف مرة بالليل وألف مرة بالنهار، رجعت إليها ألف مرة بالليل وألف مرة بالنهار، فأنتجت لي هذه الكيفية فكرة عظيمة، إذ كنت عليها في ابتداء أمري ما يزيد على الشهر من الأيام، فكانت تأتيني بعلوم وهبية كثيرة، ولاأشتغل بها قط، إنما أشتغل بذكر الاسم، وبتشخيص حروفه، حتى أتتني بعد شهر بقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(1) فأعرضت عن قولها، كما كان شأني معها، واشتغلت بشغلي، فلم تتركني هي، بل تسلطت علي، ولم تقبل إعراضي عن قولها قط، كما كنت لا أقبل عملها ولا أسمعه، لكن لما لم تتركني قلت لها: أما قوله ـ سبحانه ـ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ فقد فهمته، وأما قوله: ﴿وَٱلظَّاهِرُ﴾، فلم أفهمه، إذ لا نرى ظاهراً إلا المكونات، فقالت لي حينئذ: لو كان المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلظَّاهِرُ﴾ غير الظاهر الذي تراه لكان ذلك باطناً ولم يكن ظاهراً، وأنا أقول لك: ﴿وَٱلظَّاهِرُ﴾ فتحققت حينئذ بأن لا موجود إلا الله، وليس في الأكوان إلا إياه، والحمد لله، والشكر لله.

والفناء في ذات ربنا يحصل ـ إن شاء الله ـ بالكيفية التي وصفنا في ساعة قريبة، لأن بها ينتج الفكر من الصباح إلى المساء، إن كان الفراغ قديماً، وقد نتج بها فكري بعد شهر من الأيام، والله أعلم.

ولاشك أن الفكر إن حصل لأحد بعد سنة أو سنتين أو ثلاثة، فقد

---

(1) سورة الحديد ـ الآية ٣.

حصل على خير كبير وسر واضح شهير، إذ جاء في الخبر: (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة)[1]، إذ لاشك أنه قد يرحِّل صاحبه من عالم الكون إلى عالم الصفاء، أو نقول: من حضرة المخلوق إلى حضرة الخالق، والله على مانقول وكيل.

ونؤكد على كل من رجع من حال الغفلة إلى حال الذكر أن يعلق قلبه برؤية ذات ربه دائماً لتمده بمعانيها، كما هو شأنها مع من له تعلق بها، وأن لايستغني بالواردات عن الأوراد لئلا يمنعه ذلك من الحصول على المراد، والسلام.

الرسالة الرابعة عشرة:

في الحكمة من تكرار المذاكرة والتذكير في هذه الرسائل.

١٤ ـ ومنها: فاسمع أيها الفقير أني أكرر بعض المذاكرة عنده لعل من لم يستفد في الأولى يستفيد في الثانية، أو الثالثة، وهكذا، ولعل أيضاً الفقير المقروح، مهما فتح عينيه فيها وجد حاجته بها من غير تفتيش عليها.

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن بعض الفقهاء من إخواننا بني زروال ـ أنقذهم الله من كل ضلال ـ قد كان معه الوجد في الكلام، فحين يتكلم يضحك الناس ولو كانوا في همٍّ وغم، فبينما ذات يوم وجنازة بداره وهي مشحونة بالناس ـ خاصة وعامة ـ فإذا بالدار كثيرة الزراويط[2]،

---

(١) حديث «فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة» رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة، ورمز السيوطي لضعفه «الجامع الصغير ٢/١٧٩ الحديث رقم ٥٨٩٧».

(٢) الزراويط: جمع زرواطة وهي العصا الغليظة «بالدارجة المغربية». وفي معجم شمال المغرب تطوان وماحولها: الزُّرواط: العصا التي يعلقها رجل البوليس في جنبه وتطلق أيضاً على كل عصا معوجة الرأس.

فبعضها مركوزة وبعضها بالزرب[1]، وبعضها مطروحة بالأرض وهكذا، فقالوا له: لم هذه الزراويط كلها؟ فقال: ما في ما يرى السارق ونقوم حينئذ نفتش على الزرواطة بل كثرت من الزراويط، وعملت كل واحدة في جهة لتكون مهما رأيت السارق قمت معه بزرواطتي[2]، وهو رأي حسن ـ والله أعلم.

فلأجل هذا النظر السديد أكرر بعض المذاكرة، والسلام.

الرسالة الخامسة عشرة:

في أن الخير كله في ذكر الله والاشتغال به وحده عن كل شيء والزهد في الدنيا.

١٥ ـ **ومنها:** فالمرض الذي أصاب قلبك أيها الفقير إنما أصابه من أجل شهواتك الجائزة عليك، فلو تركتها واشتغلت بأمر ربك لما أصاب قلبك ما أصابه.

واسمع ما أقول لك ـ والله يأخذ بيدك ـ: فإذا كنت مهما تسلطت عليك نفسك بادرت إلى أمر ربك وسلبت له الإرادة في نفسك، ذهبت عنك الخواطر النفسانية والشيطانية، وكل بلية لامحالة، وإذا كنت مهما تسلطت عليك نفسك اشتغلت بالتدبير والاختيار، واستغرقت في الخوض، وترادفت عليك الخواطر الشيطانية والنفسانية بجيوشها، واستولت عليها وأحاطت بك، وحينئذ فلايكون لك خير، إنما يكون لك

(١) الزُّرب: السور من القصب، «بالدارجة المغربية».

(٢) أي: لا أريد أن يفاجئني سارق وأقوم لأبحث عن عصا لأقاتله بها، لذلك وضعت العصي في كل مكان. وقد قال مولاي العربي هذا الكلام يقصد به أنه كما أن صاحب البيت كرر العصي وكذلك هو يكرر الكلام ويكرره حتى إذا اعترت الفقير حال وجد المذاكرة قريبة منه فيستفيد منها بما هو يصلح لما هو فيه من حال.

شر، والله يسلك بنا وبك مسلك أوليائه، آمين.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله في حِكَمِه: «إذا علمت أن الشيطان لايغفل عنك، فلاتغفل أنت عمَّن ناصيتك بيده»[١].

وقال أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ: عداوة العدو حقاً هي اشتغالك بمحبة الحبيب، وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو، نال مراده منك، وفاتتك محبة الحبيب.

وقلنا: الخير كله في ذكر الله، ولاطريق إليه إلا من باب القناعة من الدنيا، والاستيحاش من الناس، وإهمال الظهر[٢] والبطن[٣]. و«ما نفع القلبَ شيءٌ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة»[٤]ـ كما قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه في حكمه ـ.

وقلنا ـ رضي الله عنا ـ: ما نفع القلب شيء مثل الزهد في الدنيا، والجلوس بين يدي الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ.

وأما وردنا الذي أخذنا عن أستاذنا رضي الله عنه، فقد تقدم ذكره، وإسقاط منزلة النفس عندنا وعند شيوخنا وشيوخ الطريقة كلهم ـ رضي الله عنهم ـ شرط لازم، إذ قال بعضهم ـ رضي الله عنهم ـ: إن الذي تكرهون مني ذاك يشتهيه قلبي.

لكن لاينبغي لك ـ أيها الفقير ـ أن تقول هذا الأمر إلا بعد أن تقوله لنفسك، ثم تسيرها عليه لا على غيره، والسلام.

---

(١) الحكمة رقم ٢٣٦.
(٢) أي: التأنق في المظهر واللباس والتكلف به.
(٣) لأن من كان همه بطنه فقيمته ما يخرج منه.
(٤) الحكمة رقم ١٢.

الرسالة السادسة عشرة:

في الحض على الثقة بالله في كل الأمور لاسيما أمر الرزق.

١٦ ـ ومنها: فالخصيم النفساني والشيطاني ـ لعنه الله ـ كلاهما لايتسلط علينا من جهة من الجهات، كما يتسلط علينا من جهة أمر الرزق، وقد أقسم لنا ربنا سبحانه بنفسه في كتابه أنه الحق: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[١]ـ وفيه أيضاً: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٢]. وفيه آيات كثيرة في هذا المعنى.

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة.

وقد قال ولي الله تعالى الكبير سيدي أبو يزيد البسطامي ـ رضي الله عنه ـ: عليَّ أن نعبده كما أمرني، وعليه أن يرزقني كما وعدني. إلى غير ذلك.

وما ذكرت لك هذا إلا خوفاً عليك أن يصيبك مثل ما أصاب جل الناس، لأني نرى كثيرهم لهم أسباب كثيرة دينية ودنياوية، وهم يخافون الفقر أشد الخوف، فلو علموا ما في الاشتغال بالله من الخيرات لتركوا الأسباب الدنياوية بالكلية، واشتغلوا به، أي: بأمره، وحيث جهلوا ولم يعلموا فبعدما جمعوا بين السببين الديني والدنياوي لم تسكن روعتهم من خوف الفقر، ولا من خوف الخلق، وهذه غفلة عظيمة، وحالة ذميمة، وعليها أكثر الناس، بل كاد أن يكون عليها جميعهم ـ والعياذ بالله ـ، فاحذر يا أخي منها، واجعل كُلِيَتَك عند ربك ترى عجباً، ولا تجعلها

---

(١) سورة الذاريات ـ الآية ٢٣.

(٢) سورة طه ـ الآية ١٣٢.

عند الدنيا كالناس لئلا يصيبك ما أصابهم. والله لو كانت قلوبنا عند ربنا حتى تأتينا الدنيا إلى داخل دارنا، فأحرى خارجها، إذ قال لها مولانا سبحانه: (يادنياي اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك).

والله لو كنا لربنا حتى يكون الكون وما فيه لنا كما كان لغيرنا، إذ جعله سبحانه خادماً لنا كما جعلنا خادماً له سبحانه، فإذا بنا قد بدلنا سيدنا ومولانا سبحانه بمن نحن أسياده ومواليه ولم نستح، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

والأسباب الدينية هي التي ينبغي الاعتناء بها في كل زمان، وفي هذا الزمان أحرى وأحرى، لأن الدينية بلادنياوية كأنها لم تكن، وقد كانت والله، وما هي الآن كائنة، والله على ما نقول وكيل.

ونرى ـ والله أعلم ـ أنه لا يقدر واحد أن يقول لجل صلحاء الزمان: قللوا من الأسباب الدنياوية، وأكثروا من الأسباب الأخراوية، والله ينوب عليكم كما ناب على غيركم، فلا يقبل منك اليوم قط، والله أعلم ـ إلا إن قلت: احرث، واكسب، واتّجر، وهكذا. وأما إن قلت: اترك وازهد واتبع، فقد قلّ من يسمع ذلك من خاصة أهل الوقت، فأحرى عامتهم.

واسمع ما قال ولي الله تعالى سيدي أبو العباس المرسي ـ رضي الله عنه ـ: للناس أسباب، وسببنا نحن الإيمان والتقوى، قال الله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾[1].

وقال مرة أخرى: للناس أسباب، وسببنا ﴿الله﴾، والسلام.

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٩٦.

الرسالة السابعة عشرة:

في بيان حقيقة الدنيا والحض على الزهد فيها.

١٧ ـ **ومنها:** فالدنيا هي التي بعّدتنا من ربنا مع قربنا منه، إلا النادر منا.

سمعت أستاذي ـ رضي الله عنه ـ يقول: قد دخلت مع العلماء في علمهم، ومع الفقراء في فقرهم، فسألتهم حقيقة ما بأيديهم، والأمر كما قال ـ رضي الله عنه ـ قد سلبت ـ والله ـ الرجال، فما بالك بالعيال؟.

واسمع ما كنا عليه حين أعرضنا عنها وأقبلنا على ربنا، فقد كنا ـ والله ـ لاننظر في أحد بقصد أن يرجع من حالة الغفلة إلى حالة الذكر إلا وينقلب حاله من حينه إلى ما أردنا، وليس ذلك باختيارنا ولاباختياره، بل باختيار الله وبأمره، فلما رجعنا إليها واشتغلنا بها، سُلِبنا ـ والله ـ من مقامنا، وقد كان كمقام ولي الله تعالى سيدي أبي مدين الغوث ـ رضي الله عنه ـ، وعدنا كما كنا أيام الغفلة أو أقبح، فاعتبروا يا أولي الأبصار، لكن لم يتيسر لنا أمرها، ولم ينجح شيء منها ببركة من تعلقنا به من أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ. ورأيت رجلين كبيرين بعدما استشرفا على الوصول تعرضتْ لهما فردتْهما إليها لكن نجاهما الله تعالى منها، فبعد ما أخذتهما فرّ كلاهما منها وتركاها، وذلك ببركة من تعلقا به من أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ.

ورأيت رجلاً كبيراً نعرفه حقاً، قد أخذته ولم ترده، بل مات بيدها، لكن كان شيخه ميتاً ولم يكن حياً. ولا أعلم هل يصح تشييخ الأموات أم لا؟ ولاشك أني رأيت كثيراً من الناس ينتسبون إلى الولي

الكبير العارف الشهير مولاي عبد القادر الجيلاني ـ نفع الله به ـ ويزعمون أنه شيخهم، مع أنهم أحياء وهو ميت ـ رضي الله عنه ـ لكن نرى: إن كان قصدهم بذلك أن يرحمهم الله تعالى لأجل محبته والاستناد إليه، فهذه نية صالحة يرجى لصاحبها الخير، لأن: (نية المرء خير من عمله)[1]، وكما ورد في الصحيح: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء مانوى)[2]. وإن قصد بذلك غير ما ذكرنا كأن يكون قصدهم كمن يتعلق بالأحياء الواصلين لكي يوصلونه إلى ربه كما هو شأن الأحياء الواصلين، فلايغتر بذلك إلا من لا علم له، لو كان يصح ذلك لكفى سائرنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كل أحد، إذ لا أولى للناس منه في أمورهم من حيث هي. ولا غناء لأحد عن الشيخ في كل فن من الفنون، وفي فن التصوف أحرى وأحرى، إذ قالوا ـ أي القوم رضي الله عنهم ـ: «من لاشيخ له فالشيطان شيخه».

وقد قال ابن شيبان ـ رضي الله عنه ـ: «من ليس له أستاذ فهو بطّال، وحذف الوسائط اختلال، وإسناد الفعل لها ضلال، إلى غير ذلك. ومن زعم أنه يستغني عن الشيخ فقد أعرض عن الباب وأقبل على الحائط، إذ لو بقينا على ما أتانا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تخالفه قلوبنا ولا جوارحنا قط، لاستغنينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشيخ، وحيث بدّلنا وغيّرنا حتى قست قلوبنا وجوارحنا، ووقع بنا ما وقع من الكدر، فكيف لانفتقر إلى الشيخ؟ فهذا لايقوله إلا متكبر أو جاهل أو راض عن نفسه، والسلام».

---

(١) حديث: «نية المؤمن خير من عمله «رواه البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن أنس ورمز السيوطي لضعفه.

(٢) رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب وكذا غيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة.

الرسالة الثامنة عشرة:

في الحض على الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل حين مع غاية الأدب.

١٨ ـ **ومنها**: فلاينبغي للمحب الصادق أن يهمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الفريضة ولا في صلاة النافلة، لأنها محل بركة وخير وفضل، ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم أهل لأن يذكر هنالك وفي كل محل شريف، وينبغي له أن يستحضر السلام عليه كما يستحضر الصلاة عليه، ويكون هكذا دائماً في المحل الذي ذكرنا، وفي غيره من الأوقات المعظمة، لأني نرى كثيراً من الناس يسلمون عليه كما يصلون، ولايعلمون أنهم يسلمون عليه وقت سلامهم عليه، إنما يعلمون الصلاة، وليس من علم ما يعمل كمن لايعلم ما يعمل، فرق كبير بينهما، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾[1].

وينبغي له أن لايصلي على نبيه وخير خلق ربه إلا على طهارة بدنه وثوبه، ومكانه، وبطنه من الحرام، ولسانه من الكذب، ويستحضر ذاته الشريفة بقلبه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، والسلام.

الرسالة التاسعة عشرة:

في النهي عن الاعتراض على أهل الله.

١٩ ـ **ومنها**: فالاعتراض على الفقراء أهل الانتساب إلى الله،

---

(١) سورة الزمر ـ الآية ٩.

وعلى جميع عباد الله من الجهل الكبير والطمس الشهير، إذ لابد من الغلط لأهل البدايات، وليست العصمة لأهل النهايات، فأحرى أهل البدايات، إنما العصمة للأنبياء ـ عليهم السلام ـ لكن من رأيناه منهم قد أخطأ فنذكره بملاطفة وإحسان، فإن تذكر فتبارك الله، وإلا فربنا أدرى بجميعنا، إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ الآية[1]، والسلام.

الرسالة العشرون:

في الحض على تدبر القرآن، وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٠ ـ ومنها: فالصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ التي كنت عليها وقت حلق الرأس، لاشك أن فضلها ـ كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ، إن أحببت أن تكون عليها فتبارك الله، وإلا فنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول لنا: الذنوب تسقط عنا بالصلاة عليه، وبغيرها من الأعمال، وتسقط عنا بترك ما لا يعني، وتسقط عنا بمحض كرم الله، فهذا مما يجب اعتقاده.

وأما قولك: هل قراءة ورش أقرب للتدبر أم الروايات كلها؟

فنرى ـ والله أعلم ـ أن التدبر يحصل مع الروايات كلها، إن ترك القاريء الدنيا والناس، وما لا يعنيه، ولايحصل مع رواية واحدة إن لم يترك الدنيا والناس وما لا يعنيه، فاترك يا أخي الدنيا والناس وما لا يعنيك، واقرأ الروايات كلها، فإن التدبر والمعاني التي ترد على القلوب من حضرة المحبوب لا تفارقك ولا تسخى بفراقك، إذ هي تحبك غاية

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ١٠٥.

المحبة، وتعشقك غاية العشق، وتشتاق إليك غاية الاشتياق، ولك منها مثل ما للبحر من الأمواج، لكن الحس قد استولى عليك وعلينا وعلى سائر الناس كلهم، فأخذ قلوبنا وجوارحنا، إذ هو ضد المعاني، والضدان لا يجتمعان إلا لرجل قدمه على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عز وجوده غاية في كل زمان، وفي هذا الزمان الذي نحن فيه أكثر وأكثر، إذ هو كالكبريت الأحمر، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الحادية والعشرون:

دواء لمن تحير فيمن يأخذ بيده من أهل الوقت.

٢١ ـ ومنها: فالرجل الذي ذكرت لنا أنه قد تحير فيمن يأخذ بيده من أهل الوقت ـ رضي الله عنهم ـ ولم يدرِ ما يفعل؟ قل له: يعتكف بمسجد خالٍ، أو بضريح ولي كبير سبعاً، أو سبعَين، أو ثلاثة[١]، وليكن طاهر البدن والثوب والمكان، واللسان من الكذب، والبطن من الحرام، وليكن أيضاً في المدة المذكورة إما مصلياً، أو تالياً، أو مصلياً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو ما شاء الله من الصلاة، أو ماشاء الله من التلاوة، أو ما شاء الله من الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وهكذا من غير كلفة ولاتعب، فإن الله تعالى يُحِقُّ له الحق، ويُبطل له الباطل، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الثانية والعشرون:

في الحض على مخالفة النفس ودفع الخواطر النفسانية.

٢٢ ـ ومنها: فلو تأملت في مذاكرتنا التي وجهناها لك، لوجدت فيها

---

(١) أي: أسبوعاً أو أسبوعين أو ثلاثة أسابيع.

ما تريد من الدواء والخير، إذ الداء هو هو، والدواء قد وجهناه لك، فإذا لم تعمله فبعدما نعطيك غيره يقع لك فيه كما وقع لك في غيره. واسمع ما أقول لك، واترك نفسك ولاتفتتن بها، لا من أجل أمر الدنيا ولا من أجل أمر الآخرة، لئلا يزيد قلبك في قسوته، إذ ما أصابه ما أصابه إلا بسبب شهوات نفسك الجائرة عليك، فلو تركتها واشتغلت بأمر ربك لبريء قلبك من مرضه، وبعد ما ينزل به من البلايا والمحن فلا يتكدر ولايتغير، إنما يصفو ويتجوهر، ويتطهر من الكدر، ولولا وقوفك مع حظوظك لوصلت إلى ربك، ووصولك إليه وصولك إلى العلم به. ولابد ولابد إن تسلطت عليك نفسك أعرضْ عنها وأقبلْ على ربك، واسلب له الإرادة فيها، فإن الخواطر النفسانية من حيث هي تذهب عنك، ولا تأتيك قط إلا إن أعرضت عن أمر ربك، ولم تسلب له الإرادة في نفسك، والسلام.

الرسالة الثالثة والعشرون:

في الحض على ترك ما يفتن عن الدين.

٢٣ ـ **ومنها:** فالسبب الذي يفتننا عن ديننا فلايليق بنا إلا أن نتركه، والذي لايفتننا عنه: إن كان ما هو أقرب منه لصيانته فتركه هو الأولى، وإلا فلا، والذي أنت عليه هو الذي نعنيه، ولاحاجة لإذننا، فالزم مسجدك ولا تفارقه، وادع الله تعالى لي أن يجعل حياتي ومماتي كلاهما في مسجد الله، وادع لأحبتك كلهم، والسلام.

الرسالة الرابعة والعشرون:

في الحض على الاستسلام تحت مجاري الأقدار.

٢٤ ـ **ومنها:** فالمرأة الحاملة نرجو الله تعالى أن يكون المحمول

ذكراً، واسمه على اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان أنثى فاسم الهاشمية يعجبني، وكل ما أعطى المليح فهو مليح، ورزق الكل على الله، ولاتتكلف لنا شيء، إذ كفانا تحبنا ونحبك لله، واسمع ما قلت لبعض الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ: فلا تتكلفوا لنا بشيء إذ لم تجدوا شيئاً، نعم إن تيسر لكم ما تصلون به فتبارك الله، وإلا فالقدوم منكم إلينا لله، والقبول منا إليكم لله، ليكون خالص العمل لله من الجهتين، وذلك هو الغنيمة الكبيرة، والهداية الشهيرة، والله أعلم.

وأما تراخي الزوجة في وردها، فربها أدرى بها، لكن ذكِّرها بملاطفة وإحسان، لعلّ الله تعالى يقويها، إذ هو كريم، وذو فضل عظيم.

والحضور الذي لايجده الأستاذ الذي قلت لي. قل له: يترك النظر إلى الماضي والمستقبل، ويكون ابن وقته، والموت نصب عينيه، فإنه يجده إن شاء الله.

وقد قلنا لبعض الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ: من أراد الحضور على الدوام فليكف لسانه عن الكلام. ونؤكد عليك الابتدار إلى التعلق بأحد وقت حيزتك لا بالكتابة ولا بغيرها لئلا تغلق باب الاضطرار بيدك لأنه يقوم لك مقام الاسم الأعظم، والله أعلم.

وفي الحكم العطائية: «ورود الفاقات أعياد المريدين»[1]، وفيها: «الفاقات بسط المواهب»[2]، وفيها: «ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة»[3]، فإذا تسلطت عليك فدع عنك

---

(١) الحكمة رقم ١٧٤.

(٢) الحكمة رقم ١٧٦.

(٣) الحكمة رقم ١٧٥.

الانتصار لنفسك، ولاتحمها بسبب من الأسباب لئلا تدفع عنك الخير بعد أن جاءك، واسلب لربك الإرادة تر عجباً.

وقد كان أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ يقول لصاحب الحيرة: أرخ روحك تعلم العوم،[1] والسلام.

الرسالة الخامسة والعشرون:

العبرة في الحال والعمل بالعلم لا بالعلم وحده والقال.

٢٥ ـ ومنها: فقد كان أستاذنا[2]ـ رضي الله عنه ـ لايعتبر في الفقراء المقال، إنما كان يعتبر فيهم الحال، وكان يقول: أصبعين من العمل خير من مائة ذراع من العلم. والأمر كما قال، لأني نرى الألسن كثيرة غاية الكثرة، والقلوب كادت أن لاتوجد، والبركة لاتنقطع إن شاء الله.

وكان العارف بالله شيخ شيوخنا ولي الله أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الفاسي ـ رضي الله عنه ـ يوصي كثيراً بتصفية اللقمة، وترك الخلطة، واجتناب مفتقرة الوقت لغلبة الهوى عليهم، وقلة وجود الصادقين فيهم، وكثيراً ما يقتصر على ذلك في وصية من قصد زيارته واستنصحه. وكان رضي الله عنه كبير الخوض في سد الذريعة في كل شيء، والسلام.

---

(١) أي كما أن الذي يريد أن يتعلم السباحة عليه أن يستسلم فوق سطح الماء فكذلك الذي يريد السلامة عليه أن يسلم أمره لربه ويسلب له الإرادة.

(٢) أي سيدي علي الجمل رضي الله عنه، وحيثما ورد «أستاذنا» في هذه الرسائل فالمقصود هو.

الرسالة السادسة والعشرون:

في الحض على بعض الأذكار وفضيلة ترك الشهوات.

٢٦ ـ **ومنها:** فالأخ الذي تحيرت في أمره قل له: يقوم بالمفروض، وبما تأكد من المسنون، ثم يقول بعد ذلك: «حسبنا الله ونعم الوكيل ـ ثلاثاً ـ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ـ ثلاثاً ـ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ـ ثلاثاً ـ، ربنا آتنا من لدنك رحمة ـ الآية ثلاثاً ـ، اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ـ ثلاثاً ـ، صباحاً ومساءً»، ير عجباً، سواء سافر أو أقام، وإذا فعل ما ذكرنا فإنه يتقوى عزمه على الجهة التي له الخير فيها ـ إن شاء الله ـ قوة لايستطيع أن يردها.

وقد أمرت بهذا بعض الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ ففعل، فكان له الخير الكبير والسر الواضح الشهير، والله على ما نقول وكيل.

ونحب من يسافر أو يقيم أن يكون عليه مادام حياً، ولا تكره يا أخي قيام نفسك عليك، إذ لولاه ماتحقق سير السائر. وقد قال بعض الفقهاء من إخواننا بني زروال ـ أنقذهم الله من كل ضلال ـ: الشهوة ضرَّتني، فقلت له: أنا هي التي نفعتني، وهي التي ربحتني، وهي التي كبّرتني، وهي التي عزّتني، ولا علي إلا فضل الله وفضلها، وفضل ساداتنا شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ.

فإن قلت ـ أيها الفقير ـ: كيف ذاك؟.

قلت: بسبب تركها ربح من ربح، وبسبب أخذها خسر من خسر. قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى تاج الدين بن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ في حكمه: «إنما أجرى الأذى عليهم كي لاتكون ساكناً إليهم،

أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لايشغلك عنه شيء»[1].

وقال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن البنا ـ رضي الله عنه ـ في مباحثه :ـ

ومن أباح النفس ما تهواه فإنما معبوده هواه

إلى غير هذا، والسلام.

الرسالة السابعة والعشرون:

في الصدق مع الله.

٢٧ ـ **ومنها:** فلاشيء أنفع لك ـ أيها الفقير ـ من الصدق مع ربك فيما به أمرك، وفيما عنه نهاك. والله إن كنت معه كذلك حتى ترى عجباً، إذ قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[2]، والله إن صدقنا معه حتى يصدق معنا عدونا، ومن لايتصور لنا أن يصدق معنا. والله إن كففنا إذايتنا عن عباد ربنا حتى يكف عنا ربنا إذاية كل مؤذ، فلانرى من الجميع إلا خيراً، ولانرى من الجميع شراً ولايؤذينا، ولايفرّ منا من كان يفرّ منا، ولايكون لنا هذا إلا بعد موت أنفسنا، وبعد محوها واضمحلالها، وذهابها وزوالها، وبعد فنائنا، والسلام.

الرسالة الثامنة والعشرون:

في الفرار من الناس

٢٨ ـ **ومنها:** فالسلامة ـ أيها الفقير ـ في الفرار من الناس، إلا من ينهض حاله منهم، ويدلُّ على الله مقاله، لأنهم قد جهلوا سنة نبيهم ـ

(١) الحكمة رقم ٢٣٥.

(٢) سورة محمد ـ الآية ٢١.

صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وجهلوا جهلهم ـ والعياذ بالله ـ وقد كبر جهلهم وعظم حتى أنهم مهما رأوا من ذلَّ نفسه، واستصغرها، واستحقرها، وأهانها ولم يعبأ بها، وأعرض أيضاً عن الدنيا وأهلها، استصغروه واستحقروه، واستخفوه، واستثقلوه، واستبعدوه، وكرهوه، لأنهم لايرونه على السنة إنما يرونه على البدعة[1]. ولم يعلموا أن السنة المحمدية لُبابُها هو ما هو عليه ـ رضي الله عنه ـ والبدعة ما هم عليه. وسببهم في حاله المذكور أن الحسَّ قد استولى عليهم، فأخذ قلوبهم وجوارحهم، وتركهم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2]. وياعجباً كيف انقلبت الحقائق حتى رجعت السنة بدعة والبدعة سنة، ورجع الأعمى ينعت الطريق لمن بعينيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام.

الرسالة التاسعة والعشرون:

في عدم الالتفات إلى شيء سوى الله تعالى.

٢٩ ـ ومنها: فلاتزكِ نفسك ـ أيها الفقير ـ حتى تتزكى حقيقة، ولاتربي كل ما يخلق بقلبك، بل دعه عنك ولاتشتغل بتربيته عن ربك، كما عليه جلُّ الناس، فتاهوا وضلوا، وغابوا في السراب، ولو فهموا لقالوا: إن القلوب أمرها عظيم فتلد في ساعة بنين كثيرين، فمنهم الحلالي، ومنهم الحرامي، ومنهم من لاتعرف له كيف هو، فكيف يتفرغ

(١) حيث انقلبت المفاهيم واختلت الموازين وصار الفرع أصلاً، والأصل لاشيء كما نراه في أيامنا هذه، ورحم الله أيام الشيخ تلك، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: «بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء».

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٧١.

لربه من يشتغل بتربيته؟ فيا أسفا على ابن آدم، كان يفني الكون حتى لم يبق له أثر، فأفناه الكون حتى لم يُبق له أثراً إلا رائحة قليلة في أزمنة قليلة، والسلام.

الرسالة الثلاثون:

من علامة حب الله ترك النفس والزهد في الدنيا.

٣٠ ـ ومنها: فإذا أحببت مولاك ـ أيها الفقير ـ فاترك نفسك ودنياك، والناس ـ إلا من ينهضك حاله منهم، ويدلك على الله مقاله ـ وإياك أن تغتر بأحد إذ كم من واحد منهم تراه يدعو إلى الله وهو يدعو إلى هواه، وقد قال ولي الله تعالى الأشهر سيدي أبو الشتاء الخمار[١] ـ نفع الله به ـ: والله ما نقول: سيدي وابن سيدي إلا للذي يفك قيودي. ولايخفاك ـ أيها الفقير ـ أن الإنسان ما حبسه في هذا العالم الذي هو عالم الأكدار، وتركه فيه أسيراً إلا الوهم، ولو انتفى عنه لارتحل إلى عالم الصفاء الذي جاء منه، والله يرد كل غريب إلى وطنه، والسلام.

الرسالة الحادية والثلاثون:

من أراد الحرية فليرض بالعبودية إذ الأشياء كامنة في أضدادها.

٣١ ـ ومنها: فالأشياء كامنة في أضدادها لامحالة، الوجد في الفقد، والعطاء في المنع، والعز في الذل، والغنى في الفقر، والقوة في الضعف، والتاسيع[٢] في الضيق، والعلو في الدنو، والحياة في الموت،

(١) مرت ترجمته.

(٢) أي التوسعة.

والانتصار في الانكسار، والقدرة في العجز، وهكذا. . . .، فمن أراد الوجد فليرض بالفقد، ومن أراد العطاء فليرضَ بالمنع، ومن أراد العز فليرضَ بالذل، ومن أراد الغنى فليرضَ بالفقر، ومن أراد القوة فليرضَ بالضعف، ومن أراد التاسيع فليرضَ بالضيق، ومن أراد العلو فليرضَ بالدنو، ومن أراد الحياة فليرضَ بالموت، ومن أراد الانتصار فليرضَ بالانكسار، ومن أراد بالقدرة فليرضَ بالعجز.

وحاصل الأمر: من أراد الحرية فليرضَ بالعبودية كما رضيها نبيه وحبيبه وسيده صلى الله عليه وآله وسلم، وليخترها كما اختارها صلى الله عليه وآله وسلم، ولايتكبر، ولايتجبر، ولايتعدى وصفه، لأن العبد عبد والرب رب.

قال الشيخ الجليل تاج الدين ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ في حكمه النفيسة: «منعك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين»[1].

وقد قالوا ـ أي: القوم رضي الله عنهم ـ: طريقنا هذا لايصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل، والسلام.

الرسالة الثانية والثلاثون:

في الحث على الزهد في الدنيا.

٣٢ ـ ومنها: فوالله لو تركنا الدنيا حتى تأتينا[2]، وتفتش علينا، وتجدنا كما فتشنا عليها ولم نجدها، وتجري علينا وتلحقنا كما جرينا

---

(١) الحكمة رقم ١٢٦.

(٢) بمعنى: لو زهدنا في الدنيا لأتتنا وهي راغمة حتى تقع في أيدينا بل تحت أقدامنا كما هي حالها مع العارفين حقيقتها.

عليها ولم نلحقها، وتبكي علينا ونسكتها كما بكينا عليها ولم تسكتنا، وتعشقنا وتقضي حاجتها منا كما عشقناها ولم نقض حاجتنا منها، وهكذا. . . .، والله على ما نقول وكيل.

ويقال: من صدق في زهده أتته الدنيا وهي راغمة، ولو نزلت قلنسوة من السماء لنزلت على رأس من لايريدها، والسلام.

الرسالة الثالثة والثلاثون:

في حقيقة العارف.

٣٣ ـ ومنها: فالخصوصية ـ أيها الفقير ـ ذات حسن وجمال، وقدٍّ واعتدال، فهي كالعروسة الجميلة الصورة التي لانظير لها في الحسن، إلا أنها لا يأخذها ولا يُمَتع بحسنها وجمالها وما لها من المحاسن إلا من ترك هواه، فجعل عوض الشبع جوعاً، وعوض الكلام صمتاً، وعوض النوم سهراً، وعوض العزِّ ذلاً، وعوض العلو دنواً، وعوض الغنى فقراً، وعوض القوة ضعفاً، وعوض القدرة عجزاً.

أو نقول: وعوض الأوصاف المذمومة الأوصاف المحمودة، فهذا هو الذي يُمتع بحسنها وجمالها، وبما لها من المحاسن. وهذا من يرى ربه ـ سبحانه ـ ونبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. وهذا من عاش في الدنيا وحصّل الفائدة فيها، وهذا هو الناس، وهذا هو الآدمي، وهذا هو العالم، وهذا هو السُّنّي، وهذا هو العارف، وهذا هو الصوفي، وهذا هو الرجل، وهذا من شمت الزمان ولم يشمته الزمان[1]، وأما من قلبه مشحون بالخبائث فلايتمتع بالخصوصية، ولايطمع في رؤية ربه سبحانه،

(١) في الدارجة المغربية: شمت: غدر به أو غبنه أو سخره بلامقابل «معجم شمال المغرب مادة: شمت».

ولافي رؤية نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فعليه بتطهير قلبه من كل وصف ذميم ـ كما قلنا ـ وله ما أراد ـ إن شاء الله ـ، والسلام.

الرسالة الرابعة والثلاثون:

من علامات الرجل القوي.

٣٤ ـ **ومنها:** فالرجل القوي هو الذي يفرح بخروج الدنيا من يده، وبذهابها عنه، وفرارها منه، وبذم الناس له، وإذايتهم إياه، قناعة منه بعلم الله.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى، سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ في حكمه: «متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك، فارجع إلى علم الله فيك، فإن كان لايقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى»[1]، إنما أجرى الأذى عليهم كي لاتكون ساكناً إليهم، أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لايشغلك عنه شيء[2]، والسلام.

الرسالة الخامسة والثلاثون:

في الطريقة الشاذلية.

٣٥ ـ **ومنها:** فالطريقة الشاذلية المحضة التي كان عليها أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ إن ترككم عليها فأنتم اليوم على غيرها، وهي قد أخطأتموها، وإن لم يترككم عليها فأنتم ـ والله ـ ما أنتم عليها إنما أنتم على غيرها.

---

(١) الحكمة رقم ٢٣٤.

(٢) الحكمة رقم ٢٣٥.

فإن قلتم: كيف ذلك؟ قلت: طريقه ـ رضي الله عنه ـ تهبط إلى تحت، ولاتطلع إلى فوق، والتي أنتم عليها تطلع إلى فوق ولاتهبط إلى تحت، لأن طريقه سفلية الظاهر علوية الباطن، وطريقكم علوية الظاهر سفلية الباطن، أو نقول: طريقه ـ رضي الله عنه ـ جلالية الظاهر جمالية الباطن، وطريقكم جمالية الظاهر جلالية الباطن كطريق عامة الناس، ومعاذ الله أن تكون طريق الخاصة كطريق العامة، وليس أيضاً من شأن أهل الأذواق الوقوف مع الأوراق، ولاشغل لكم إلا هي، والشيخ أيضاً واحد، ولكم أشياخ عديدة، فهذا ما رأيت من حالكم، وأظن أن سفينتكم لاتسافر، وقيل: لا تتحرك من مكانها[1]، إلا إن هبطتم إلى أسفل، ولم تطلعوا إلى فوق، وتركتم عنكم أيضاً الاشتغال بالأوراق، واقتديتم بشيخ واحد فقط، وأما إن لم تكونوا هكذا فإن سفينتكم لاتنجو ولاتسلم، وهي مغروقة ومأخوذة لامحالة، والسلام.

الرسالة السادسة والثلاثون:

في الحث على الذكر والمذاكرة ومتابعة السنة المحمدية.

٣٦ ـ ومنها: فأوصيكم كل الوصية أن تكونوا دائماً على السنة المحمدية وأن تذكروا ربكم حين يضيق حالكم، وحين يتسع حالكم، وتصلوا على نبيكم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كذلك، لأنكم إن كنتم كما قلنا لكم كنتم عبيداً لله حقاً، ومن كان عبداً لله حقاً لاعبد هواه، كان ولي الله، ومن كذب فعليه لعنة الله.

وإياكم ثم إياكم، ثم إياكم، أن يشغلكم عن ربكم شيء، إذ

(١) أي أن حالكم سيبقى على حاله ولن يتغير إلا إن غيرتم ما بأنفسكم وفق ماسيذكره الشيخ.

لاشيء في الحقيقة إلا الله، كان الله ولاشيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.

واعلموا أن المرء إذا احتاج إلى شيء إنما ذلك لجهله وعدم علمه، ولولا ذلك لم يفتقر إلى شيء دون الله. والقرآن العظيم، والحديث النبوي يشهدان بهذا.

واسمعوا ما أجاب به ولي الله تعالى سيدي سهل التستري ـ رضي الله عنه ـ بعض المريدين إذ قال له: يا أستاذي القوت؟ فقال له: الله. فسكت المريد ساعة ثم قال له: لابد من القوت. فقال له: لابد من الله.

قلت: والله ما لنا ولغيرنا حاجة في الحقيقة دون الله، فإذا كنا له كان لنا، كما كان لغيرنا ممن كان له.

وأوصيكم أيضاً أن تواصلوا بعضكم بعضاً دائماً سرمداً، وتتذاكروا في طريقكم مدة عمركم، كما كان من كان قبلكم.

وإياكم ثم إياكم، ثم إياكم أن تستعجلوا الفتح كما استعجله من استعجله منكم ومن غيركم، ففاته بذلك فضل الطريقة، وخيرها، وسرها، وبركاتها، ونعيمها، لأن من أراد اقتطاف الشيء قبل إبانه(١) عوقب بحرمانه.

ولابد ولابد ولابد، واصلوا بعضكم بعضاً، وعظموا بعضكم بعضاً، ووقروا بعضكم بعضاً، واختموا أمركم بالحياء من بعضكم بعضاً، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، وتوادوا، وتحابوا ـ كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وإياكم أن تسفهوا أو تغشوا، أو تمزجوا الطريق، وهكذا، والله الموفق.

---

(١) أي: أوانه.

واعلموا أن الاعتناء شيء كبير، ولا اعتناء لنا ولكم إلا فضل الله علينا، والرجل الذي هو لايعجز، ولايكسل، ولايمل، بل يجاهد نفسه فيسيرها على مكروهاتها، ومستثقلاتها حتى يفنيها، والفناء محو واضمحلال، وذهاب عنك وزوال، كما قال ولي الله تعالى الشيخ أبو المواهب التونسي - رضي الله عنه - في قوانينه، والسلام.

الرسالة السابعة والثلاثون:

في حقيقة الذكر.

٣٧ - ومنها: فالمؤمن تحصل له الطمأنينة بذكر ربه، حتى لايحزنه الفزع الأكبر يوم القيامة، فما بالك بما يصيبه في الدنيا من البلايا والمحن؟، فاشدد يا أخي يدك على ذكر ربك دائماً - كما قلنا لك - ترى عجباً، والله يوفقنا وإياك.

وليس الذكر عندنا أن يقول الذاكر: الله الله دائماً، ويصلي ويصوم كذلك، وحين تصيبه مصيبة يفتش على ما بيده من الأعمال فلا يجد منها شيئاً. بل الذكر عند أهل التحقيق - رضي الله عنهم - أن يقوم الذاكر بما لابد منه من المأمورات، وأوكدها ترك ما لا يعني دائماً إن تعرف له ربه. أو نقول: تجلّى له ربه بأسمائه الجلالية، وبأسمائه الجمالية، فيعرفه ولايجهله، وهذا هو الذكر عند الذاكرين، لا من يعبد الله على الدوام وحين يتجلى له مولاه بما يخالف هواه يجهله ولايعرفه، فافهم، فهّمنا الله وإياك، آمين.

واصبر على ربك، واشدد يدك على الصبر عليه، فإنه سبحانه يغطي ضعفك بقوته، وذُلّك بعزته، وفقرك بغناه، وعجزك بقدرته، وجهلك بعلمه، وغضبك بحلمه، وهكذا. . . .، وحينئذ تحيا الحياة

الأبدية في الدنيا قبل الآخرة، ولا تخفاك الحياة الأبدية، إذ قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[1]، والسلام.

الرسالة الثامنة والثلاثون:

في الحث على المداومة والإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتمسك بسنته وهديه.

٣٨ ـ **ومنها:** فإن شئت أن تنال ما تريد فصلِّ على النبي المجيد ولو مائة مرة في اليوم والليلة، لأن القليل الدائم من الأعمال خير من الكثير المنصرم منها، والعمل لايكون قليلاً إلا إذا كان صاحبه على غير السنة المحمدية، وأما إذا كان عليها فلايكون عمله إلا كثيراً.

ولاشك أن المتمسك بالسنة لاتفوته الصلاة على صاحبها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإن لم يصلِّ عليه بلسانه، وإذا كان على سنته وصلى عليه بلسانه فذلك نور على نور، ولاشك أن المتمسك بسنته حقاً يصلي عليه بكُلِّيَته، والمتمسك الذي لايبالي بالسنة إنما يصلي عليه بلسانه فقط دون جوارحه، وعملٌ قليل في سُنَّة خير من كثير في بدعة، فافهم فهَّمنا الله وإياك. واشدد يدك على هذه المذاكرة المباركة، والله يغنيك بها، آمين.

الرسالة التاسعة والثلاثون:

في التحذير من الناس.

٣٩ ـ **ومنها:** فالناس ـ أيها الفقير ـ لا ينجو منهم إلا العاقل اللبيب

---

(١) سورة الحجر ـ الآيتان ٤٧ ـ ٤٨.

ولاسيما أهل وقتنا هذا، فاحذرهم دائماً، واخش شرهم حتى في سلامهم عليك، فإذا سلَّم عليك أحدهم وعرفت أنه حقاً سلَّم عليك ليتوصّل للكلام معك فيك، فهذا إن حصلت بيده رد سلامه عليه لأن رد سلامه واجب، واذهب إلى شغلك، فإن ذهب هو وترك سبيلك فتبارك الله، وإلا فقل له: عاملني بدرهم أو درهمين لله تعالى، فإنه بنفس ماتحك له الدبرة هكذا يزعرط[١]، فهذا ما تدفعه به، ولاشك أن التخلص منه صعب، كما لاشك أن تسلطهم على أولياء الله في بدايتهم سُنة الله في خلقه ولن تجد لسُنة الله تبديلا، كما قال تعالى.

وقال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ في لطائف المنن: «اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم فيطهروا من البقايا، وتكمل فيهم المزايا، وكي لايساكنوا هذا الخلق باعتماد، أو يميلوا إليهم باستناد»، ومن آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه، ومن أحسن إليك فقد استرقك بجود امتنانه.

ولذلك قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له»[٢]. كل ذلك ليتخلص القلب من رق إحسان الخلق ويتعلق بالملك الحق.

وقال الشيخ أبو الحسن ـ رضي الله عنه ـ: اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم، لأن خيرهم يصيبك في قلبك، وشرهم يصيبك في بدنك، ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك، ولعدوٌ تصل به إلى الله خير من صديق يقطعك عن الله. وعدّ إقبالهم

---

(١) أي إنه في هذا الاختبار يكون كالبهيمة التي تحك دبرها بشيء يزعجها أو يؤذيها فتجمح في كل مكان وكل اتجاه.

(٢) رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح بلفظ «من صنع» كشف الخفاء ٢/ ٢٢٥.

عليك ليلاً إعراضهم عنك نهاراً، ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا؟، قال: وتسليط الخلق على أولياء الله تعالى في مبدأ طرقهم سُنة الله في أحبائه وأصفيائه.

قلت: ولاتراهم ينكرون على أحد من أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ كما نراهم ينكرون على أهل التجريد منهم وعلى أهل السؤال، ولاشك أن التجريد مقابل الأسباب، وكلاهما جائز شرعاً، فمن طعن في التجريد فقد طعن في التوكل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[1]. وقال ولي الله تعالى سيدي ابن البنا ـ رضي الله عنه ـ في مباحثه:ـ

والشغل دون الكسب في العبادة محض التوكل ورأي السادة

إلى غير هذا. كما أن من طعن في الأسباب فقد طعن في السُنة، والسؤال أيضاً جائز شرعاً، إذ قال تعالى لنبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2].

وعنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (أعطوا السائل ولو جاء على فرس)[3].

قلت: ومن كذب فعليه كذبه ـ كما قال تعالى[4]ـ، ومن بدّل أو غيّر أيضاً فالله حسيبه، والسلام.

---

(١) سورة الطلاق ـ الآية ٣.

(٢) آخر سورة الضحى.

(٣) «رواه ابن عدي عن أبي هريرة، ورمز السيوطي لضعفه» الجامع الصغير ١/ ١٥٠ ـ الحديث رقم ١١٦٢.

(٤) في قوله تعالى: ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه﴾ في سورة غافر ـ الآية ٢٨.

الرسالة الأربعون:

فضيلة عمل السر على الجهر، وفضل حلقة الذكر.

٤٠ ـ **ومنها:** فعمل السر ـ أيها الفقير ـ يفضل عمل الجهر بسبعين درجة، كما ورد ـ.

ونرى ـ والله أعلم ـ أن حلقة الذكر التي عليها إخواننا الفقراء جهراً قياماً وقعوداً وفي الزاويات، وفي الديار، وفي الخلاء، وفي العمارة، تقوم مقام السر لأن الوقت وقت غفلة، وقد استولت على الناس فأخذت قلوبهم وجوارحهم، وتركتهم (صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لايعقلون).

فالحمية في الدين هكذا والإجهار به، والاشتهار له أولى من إخفائه، ولاسيما حلقة الذكر لها فضل كبير، وسر واضح شهير. قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قيل: يارسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: حِلَقُ الذكر)[(١)].

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى يريدون بذلك وجه الله، إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات)[(٢)]، إلى غير هذا.

وقد قلت هذا لأخي في الله العالم الصوفي، المحقق الشريف أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة المنجري فاستحسنه ولم يستقبحه ـ رضي الله عنه ـ والسلام.

---

(١) رواه أحمد في المسند والترمذي في السنن والبيهقي بسندهم عن أنس «الجامع الصغير ١١٢/١ الحديث رقم ٨٥٩».

(٢) رواه البيهقي في سننه بسنده عن عبد الله بن معقل «الكنز ٤٣٨/١ الحديث رقم ١٨٨٩».

الرسالة الحادية والأربعون:

في الثبات على الطريقة مع التمسك بالسنة النبوية الشريفة.

٤١ ـ **ومنها:** فمن شاء أن يعرف ما يذهب من أيام عمره سبهللا[١] فليجعل وقتاً دائماً لربه لا لِحَظ من حظوظه، بشرط أن يكون طاهر البدن والثياب والمكان، واللسان من الكذب، والبطن من الحرام، والله... إن كان عمله لربه لا لحظّه ـ كما قلنا ـ حتى يعرف ما قلنا ويرحل بقلبه إلى ربه عن سائر شهوات نفسه.

وإياكم ثم إياكم أن تغتروا بقول من يقول: لي أوقات لربي كثيرة وأنا أنا فما رأيت شيئاً، ولارحلت عن شهوة، ولا عن شيء من الأشياء التي أنا معها، وقائل هذا كثير، وقد قاله ـ والله على ما نقول وكيل ـ من نظن به خيراً، ونعتقد أن له بركة وسراً، وهو عند الناس من خاصتهم لامن عامتهم. إذا كان رجلاً كبيراً، وفقيهاً كبيراً، وناسكاً كبيراً، وسنه يزيد على الثمانين سنة، ومع ذلك لما رأى بعض إخواننا ـ رضي الله عنهم ـ قد انقلب حالهم بنفس ما عرفونا، ووقع بهم ما وقع من الجذب ـ والله على ما نقول وكيل ـ قال رحمه الله: كيف يعلمون هؤلاء في أمرهم حتى يحصل لهم الجذب في ساعة، ونحن قد زرنا الشيخ الأعظم مولاي عبد السلام بن مشيش ـ نفع الله به ـ ما يزيد على العشرين زيارة في نفع [جدول] في أمر الرزق ولاصحَّ لنا شيء، ومنذ خلقت وأنا أبرش[٢] في الماء ولاظهر لي الأمر كما يظنون، إذ لو كانوا

---

(١) يقال: جاء سبهللاً أي مختالاً غير مكترث أو لا في عمل دنيا ولا آخرة «القاموس مادة سبهلل».

(٢) أي أخيط.

لربهم لا لحظٌ من حظوظهم، وكانوا أيضاً على سُنَّةِ نبيهم حقيقة، لارتحلت قلوبهم عن الدنيا والآخرة ولاتنتهي، وتطيب[1] إلا إذا وصلت حضرة ربها، لأن صاحب السنة لايخيب ولايعيب، ولايبعده خيرٌ أبداً، فهذا اعتقادنا ونحن عليه إلى لقاء ربنا.

وإياكم ثم إياكم، ثم إياكم أن يقطع الوهم الطريق بكم كما قطعها بكثير من إخوانكم، وممن هو أكبر منكم سِنّاً وعلماً، ولابد كونوا على حذر من الوهم، إذ هو باطل، ومع ذلك من أنبته وهمه أحرمه من الخير ولو كان مع الخير الكبير وهو الشيخ، فأحرى من هو مع نفسه وهي تفتي له، وهو يكتب ما تفتي له ولايتعدى نظرها، ولايخالفه ـ والعياذ بالله ـ، والسلام.

الرسالة الثانية والأربعون:

في بطلان الوهم القاطع عن السير إلى الله.

٤٢ ـ ومنها: فالوهم باطل كما علمت ـ أيها الفقير ـ لكن إن اعتبرته منعك من سفرك إلى ربك، وخلاّك معك تخوض منك تائهاً عن ربك ـ والعياذ بالله ـ، وإذا لم تعتبره ذهب شره، وأتاك خيره، إذ بعكس رأيه ورأي النفس ورأي الشيطان ـ لعنه الله ـ يحصل السير للسائرين، ويطيب وقتهم كل وقت وحين، ولعنة الله على الكاذبين، والسلام.

الرسالة الثالثة والأربعون:

علامة المنقطع إلى الله، الفاني في شهود عظمته.

٤٣ ـ ومنها: فالمنقطع إلى الله له علامة كبيرة يعرف بها وهي أن

---

(١) أي: ولاتطيب إلا إذا وصلت إلى حضرة ربها.

تكون الأمور بأسرها جليلها وحقيرها طوع يده، وعند أمره ونهيه، إذ هو في الوجود كالقلب في الجسد ـ والله أعلم ـ والقلب إن تحرّك تحركت الجوارح، وإن سكن سكنت، وإن قام قامت، وإن جلس جلست، وإن انقبض انقبضت، وإن انبسط انبسطت، وإن ضعف ضعفت، وإن تقوّى تقوّت، وإن تواضع تواضعت، وإن تكبر تكبرت، وهكذا. . .، فكذلك المنقطع إلى ربه، الفاني في شهود عظمته عن توهم وجود غيره، يكون الوجود بأسره على مذهبه وعند أمره ونهيه، فأين ماصار يصير، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الرابعة والأربعون:

من نوره صلى الله عليه وسلم تَكَوَّن كل شيء.

٤٤ ـ ومنها: فالروح نورانية من غير النور إذ لاشك أن الله تعالى قد قبض قبضة من نوره فقال لها: كوني محمداً، فكانت. ومن نوره صلى الله عليه وآله وسلم تكوّن كل شيء فافهم.

فالروح هي النفس وما تكدرت إلا بركونها إلى عالم الكدر، ولو ارتحلت منه واستوحشت منه لرجعت لوطنها الذي جاءت منه، وهو الحضرة الربانية.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو يزيد سيدي عبد الرحمن المجذوب ـ رضي الله عنه ـ:

مـن أيـن جـيـت يـا ذا الـروح   الـهـايـمـا روحـانـيـا
الـسـاكـنـه فـي اسـبـاط الـعـز   أحـوالـهـا ربـانـيـا

إلى غير هذا، والسلام.

الرسالة الخامسة والأربعون:

في حال سيدي علي الجمل رضي الله عنه.

٤٥ ـ **ومنها:** فإن قلت: أستاذنا سيدي علي ـ رضي الله عنه ـ كان واسعاً وأنت ضيقاً.

قلت: كان واسعاً، وكان ضيقاً، وكان رطباً، وكان حرشاً[١]، وكان قوياً وكان ضعيفاً، وكان غنياً وكان فقيراً، وكان بحراً لا ساحل له، لأن علمه كان أحلى من السكر، وعلمه كان أمرَّ من الحنظل، إذ كان دائماً يقول كلام ولي الله تعالى سيدي أبي المواهب التونسي ـ رضي الله عنه ـ: من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال ارفضه فإنه دجال.

الرسالة السادسة والأربعون:

في الحث على الإخلاص وترك المحرمات والمكروهات.

٤٦ ـ **ومنها:** فالمخلص يلبس ما أحب من اللباس، علوياً كان أو سفلياً، لأنه قد صار عنده حال العلو وحال الدنو سواء لا فرق بينهما، وغير المخلص فلا يليق به إلا أن يكون كعامة الناس.

واترك المحرمات والمكروهات ـ أيها الفقير ـ وانكح ما شئت، واركب ما شئت، واكسب ما شئت، واسكن ما شئت، وكن كما شئت، وإن قامت عليك حجة فأنا المؤاخذ بها أيها المخلص:ـ

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تجرّد عرياناً ولو كان كاسيا

---

(١) الحرشي: الخشن «معجم شمال المغرب».

فخير لباس المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيا
فلو كانت الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حياً وباقيا
ولكنها تفنى ويفنى نعيمها ... وتبقى الذنوب والمعاصي كما هيا

والسلام.

الرسالة السابعة والأربعون:

في أن الراحة تكمن في تفويض الأمور لله والتسليم له.

٤٧ ـ **ومنها:** فاسمع أيها الفقير: . . . إني تحيرت في أمر من أموري أياماً كثيرة حتى صرت من أجله في غاية التعب، فتولّد لي من تلك الحالة أن اضطررت إلى ربي اضطراراً كثيراً، إذ وجدت في كتابه: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[(١)]، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[(٢)] فسلّمت له أمره، وطرحت نفسي بين يديه، ولم أحملها إذ هي محمولة، كما قال شيخ شيوخنا ولي الله تعالى أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد الفهري الطرابلسي ـ رضي الله عنه ـ: دعِ الدار لبانيها، إن شاء أقامها وإن شاء هدمها. وكما قال ولي الله تعالى سيدي الخضري رضي الله عنه:ـ

سلِّم لسلمى وسِرْ حيث سارت ... واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

فاسترحت من نفسي وتهنيت، وطاب وقتي والحمد لله. والسر كله في ترك النفس، وأما قتلها فالجنة [. . . . . . . ؟]، ولعن الله من كذب، والسلام.

---

(١) سورة الروم ـ الآية رقم ٤.
(٢) سورة هود ـ الآية ١٢٣.

الرسالة الثامنة والأربعون:

إذا أردت أن تربح فاثبت في شهود ربك وقت تعرفه إليك.

٤٨ ـ **ومنها:** فالعبد كلما عرف ربه عرفته المخلوقات بأسرها، وأطاعته الأشياء بأجمعها، والله أعلم.

قال الشيخ الجليل أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ: مهما تخلص باطنك من المكونات مليء بالمكون، ونشأت المحبة بينك وبين سائر المكونات، ومهما صفت معاملتك مع الخالق، قطعت عليك جميع الخلائق، والسلام.

وقلنا ـ رضي الله عنا ـ: مهما صدقت في شهود ربك تسلطت تعرفاته وتأتيك على كل صفة، فإن عرفت ولم تجهل قام إذ ذاك الوجود وما فيه يعرفك، ويحبك ويعظمك، ويكرمك، ويبايعك، ويطيعك، ويشتاق إليك، ويتلذذ بذكرك، ويتعنا بك، ويفتخر ويصول ويتيه، وأنت تشاهده عياناً، وإن أنت جهلته حين تَعَرَّف لك جَهَلَك إذ ذاك كل شيء، واستصغرك كل شيء، واستحقرك كل شيء، واستقبحك كل شيء، واستثقلك كل شيء، واستبعدك كل شيء، وجهلك كل شيء، وفرّ منك كل شيء، وبارزك كل شيء، وغلبك كل شيء. فإن أردت ـ أيها الفقير ـ أن يكون ربحك فوق الأرباح كلها، وفوق الأقران كلهم فاثبت في شهود ربك وقت تعرفه لك، فإنه ـ سبحانه ـ يبدل جهلك علماً، وضعفك قوة، وعجزك قدرة، وفقرك غنى، وذُلّك عزاً، وفقدك وجداً، ووحشتك أنساً، وبعدك قرباً.

أو نقول: فإنه ـ سبحانه ـ يغطي وصفك بوصفه، ونعتك بنعته، إذ هو كريم وذو فضل عظيم ـ سبحانه وتعالى ـ والسلام.

الرسالة التاسعة والأربعون:

في التحذير من الانتصار للنفس والحث على تفويض الأمر لله.

٤٩ ـ ومنها: فإن فوّضت أمرك لربك ـ أيها الفقير ـ وسلبت له الإرادة في نفسك، حين يؤذيك من الناس من يؤذيك، فاحذر من الانتصار لها، ومن أن يرق قلبك عليها حتى يشفي غرضه فيك من يؤذيك، فإن السر الذي لم يخطر لك ببال يخطر لك وأنت تنظره بعينك، وتسمعه بأذنك، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الخمسون:

في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة.

٥٠ ـ ومنها: فوالله يا إخواني ما كنت أظن أن أحداً من أهل العلم ـ رضي الله عنهم ـ ينكر رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة حتى اجتمعت ببعضهم ذات يوم بمسجد القرويين، ثم تكلمت معهم في ذلك فقالوا لي: كيف تصح رؤيته يقظة وقد مات ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ منذ ألف سنة ومائتين وزيادة؟[(١)]، إنما تصح رؤيته مناماً، إذ قال

(١) وهو ما يردده البعض في أيامنا النحسات هذه، الكلام هو الكلام، والحجج هي الحجج، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وماذا نفعل لأناس لم يروا هذا في أنفسهم، ولم يروه في شيوخهم وأساتذتهم، خبرونا بربكم. . . . !!! بل لقد تطاول أحدهم وأنكر حتى رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فما بالك باليقظة ربما يغمى عليه ويقع أرضاً إذا ما سمع بهذا مع أن كثيراً من الأئمة الثقات كما سيمر معنا هنا ومن هم أوثق منه ومن أمثاله وأقرانه ثبت عنهم أنهم رأوا النبي يقظة في حالة غير الحالة التي يتصورها هذا الأحمق، نسأل الله العافية ولمن قال آمين، وأن يجعلنا ممن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومناماً رغم أنف المنكرين، وما ذلك على الله بعزيز.

ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (من رآني ـ يعني: مناماً ـ فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل بي)[1]. فقلت لهم: حتماً لا يراه يقظة إلا من رحّلته المعاني ـ أو نقول: الأفكار ـ من عالم الأشباح هذا إلى عالم الأرواح، وهناك يراه لا محالة، ويرى الأحبة كلهم، فسكتوا حينئذ ولم يتكلموا حيث قلنا لهم: إنما يرى في عالم الأرواح، لكنهم قالوا لي بعد ساعة: أخبرنا كيف ذلك؟ فقلت لهم: أخبروني أنتم أين هو عالم الأرواح من عالم الأشباح؟ فما عرفوا مايقولون لي؛ فقلت لهم: فأين هو عالم الأشباح وعالم الأرواح؟ وأين هو عالم الكدر وعالم الصفاء؟ وأين هو عالم الملك وعالم الملكوت؟، وأين هي العوالم السفلية ثم هي العوالم العلوية؟ وثم هي العوالم كلها؟ وقد قيل: إنها ثمانية عشر ألف عالم، كل عالم كعالمنا هذا ـ كما في حلية الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ. والكل قد انطوى في الإنسان وهو لم يشعر إلا من تولاه الله، فغطى وصفه بوصفه، ونعته بنعته، وقد تولى ـ سبحانه ـ كثيراً من عباده ولازال يتولاهم إلى خاتمتهم ـ رضي الله عنهم ـ.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن البنا ـ رضي الله عنه ـ في مباحثه :ـ

اعقل فأنت نسخة الوجود ... لله ما أعلاك من موجود

أليس فيك العرش والكرسي ... والعالم العلوي والسفلي

ما الكون إلا رجل كبير ... وأنت كون مثله صغير

وقال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي المرسي ـ رضي الله عنه ـ:

---

(١) حديث: (من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي) رواه البخاري في صحيحه والترمذي في سننه، والإمام أحمد في المسند. «الجامع الصغير ٢/ ٥٢٠ الحديث رقم ٨٦٨٨». وروى الشيخان والإمام أحمد عن أبي قتادة: (من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لايتزيا بي) «الجامع الصغير ٢/ ٥٢٠ الحديث رقم ٨٦٨٩».

يـاتـائـهـاً فـي مـهـمـه عـن سـره   انـظـر تـجـد فـيـك الـوجـود بـأسـره
أنـت الـكـمـال طـريـقـة وحـقـيـقـة   يـاجـامـعـاً سـر الإلـه بـأسـره

قلت: فلا تبعد رؤية النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على المتمسك بسنته، المتخلق بخلقه، ولا يخيب، ولا يعيب، ولا يبعده خير، فهذا اعتقادنا، ونحن عليه إلى لقاء ربنا، إنما بعد الخير على من أعرض عن السُنة وأقبل على البدعة، فجعل عوض الأوصاف المحمودة الأوصاف المذمومة، واستغرق في الشهوات، حتى صار لا يفرق بين الحسنات والسيئات، وأما من ترك ذلك وسلك أحسن المسالك فلايبعده خير، وكيف يبعده خير وهو على ما أمره به ربه، لا والله لا والله، لا والله، ولا شك أن أهل المعاني ـ رضي الله عنهم ـ هم الذين يطمعون في رؤيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ هم قد خرقوا عوائد أنفسهم، وتركوا سائر علائقهم، فلذلك وردت المعاني عليهم، وأما أهل الحس فلا يطمعون فيها، ولا يرجون حصولها، لأن الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية، وكيف يطمعون فيها والحس ضدها، والضدان لايجتمعان، فمهما تقوّى الحس ضعف المعنى، ومهما تقوى المعنى ضعف الحس، وهو والله ـ أي: الحس قد استولى على الناس حتى أنهم لايشتغلون إلا به، ولايخوضون إلا فيه، ولايباشرون إلا إياه ـ والعياذ بالله ـ ولم يتركه إلا القليل، والله على ما نقول وكيل.

ومن كان شأنه هذا فمن أين ترد عليه المعاني؟ إذ هي لاترد إلا على من تركه وأيأس منه نفسه. نعم إن تركه وأيأس منه نفسه فالمعاني لا محالة ترد عليه، كما وردت على كثير من غيره، ثم ترحّله من عالم إلى عالم، إن لم يقف معها، إلى أن توصله إلى الحضرتين الكريمتين؛ الربانية والنبوية، ولاشك أن الرؤية المذكورة لا تحصل لأحد إلا بعد تخلصه من سائر عيوبه، وتصفيه من سائر كدراته. ويا عجباً كيف تنكر

وتستبعد وتستغرب رؤية النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد رآه يقظة كثير من الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ ورؤيتهم إياه كشمس على علم، وقد صدق ـ والله ـ غاية ولي الله تعالى سيدي البوصيري ـ رضي الله عنه ـ في قوله:ـ

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

قلت: من أراد أن يعرف: هل يُرى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقظة أو إنما يُرى مناماً؟ فلينظر كتب القوم ـ رضي الله عنهم ـ[1]،

(١) وقد ألف كثير من الأئمة الثقات كتباً في هذا الباب نذكر منها على سبيل المثال والتبرك ـ لا الحصر ـ:
١ ـ الاستعلام على رؤية النبي عليه الصلاة والسلام في المنام ـ للإمام القلقشندي.
٢ ـ الإعلام في رؤية النبي عليه الصلاة والسلام في المنام لعبد الله البسطامي.
٣ ـ تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك للإمام السيوطي.
٤ ـ بغية ذوي الأحلام بأخبار من فرج كربه برؤية المصطفى عليه الصلاة والسلام في المنام ـ للإمام الحلبي.
٥ ـ تحفة الطالب المستهام في رؤية النبي عليه الصلاة والسلام ـ للأطغاني.
٦ ـ تحفة الناظر ونزهة المناظر ـ كتاب المرائي ـ لمحمد بن علي الزواوي.
٧ ـ تنبيه الغبي في رؤية النبي ـ ليوسف الخلوتي.
٨ ـ حقائق بركات المنام في مرائي المصطفى خير الأنام ـ للجذامي.
٩ ـ حور الخيام في رؤية خير الأنام في اليقظة والمنام ـ لحنبلي زاده.
١٠ ـ درر التنوير فيما يتعلق برؤية البشير النذير ـ لمحمد بن سالم الحفناوي.
١١ ـ السر البديع في رؤية قرة العيون ـ للبسطامي.
١٢ ـ درة النقاد في رؤية النبي عليه السلام في خيال الرقاد ـ للبسطامي.
١٣ ـ مناهل الشفا في رؤية المصطفى ـ لأحمد الحلبي.
١٤ ـ هداية المستهام المشتاق إلى رؤية النبي عليه الصلاة والسلام ـ لعلي المرصفي.
١٥ ـ إتحاف أولي الصفا بالخصال الموجبة لرؤية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ـ لسليمان الأهدل.
١٦ ـ تبليغ المرام في بيان حقيقة رؤيته عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام ـ لشمس الدين الحنفي. =

كالإمام الرصاع، وكالإمام أبي نعيم الأصبهاني، والإمام السيوطي، وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ، فإنه يجد بها رؤية الأولياء النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقظة ومناماً كشمس على علم، وكذلك رؤيتهم لغيره من الأولياء والملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى جلال الدين السيوطي ـ رضي الله عنه ـ في (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك): «وقال الشيخ عبد الغفار بن نوح القوسي في كتابه الوحيد من أصحاب الشيخ أبي يحي بن عبد الله الأسواني المقيم بإخميم: كان يخبر أنه يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجاوبه إذا تحدث معه».

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن قال: رجل لسيدي أبي العباس المرسي: صافحني، بكفك هذه فإنك لقيت رجالاً وأبدالاً. قال: والله ما صافحت بكفي هذه إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، قال: فقال الشيخ: لو حجب عني رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته، والشيخ عبد الغفار في التوحيد: حكي عن الشيخ أبي الحسن الزرقاني قال: أخبرنا

= ١٧ ـ كشف الغيوب عن رؤية حبيب القلوب ـ للعلامة الفاسي.
١٨ ـ الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة ـ لابن مغيزل.
١٩ ـ وجيز المعاني في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من رآني في المنام فقد رآني، للمحب الطبري.
٢٠ ـ غاية الإعلام في رؤية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ـ للبسطامي.
٢١ ـ تحقيق الأحلام في رؤية النبي عليه الصلاة والسلام في المنام ـ لابن طولون.
٢٢ ـ ترجمان الأشواق في رؤية سيد الخلق على الإطلاق ـ لمحمد الموسوي.
٢٣ ـ مصلحة اللبيب في مرائي الحبيب ـ للمرصفي...... وغيرها كثير كثير مما هو مقيد في المصادر الخاصة بهذا الباب وأكثر منه مما لم نعثر عليه.

الشيخ أبو العباس الطنجي قال: وردت على سيدي أحمد الرفاعي فقال لي: ما أنا شيخك، شيخك عبد الرحيم بإنَا ـ قنا. رُح إليه. فسافرت إلى «إنا» ـ قنا ـ فدخلت على الشيخ عبد الرحيم فقال لي: أعرفت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقلت: لا. فقال: رح إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فرحت إلى بيت المقدس، فحين وضعت رجلي بالبيت وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فرجعت إلى الشيخ، فقال لي: أعرفت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قلت: نعم. قال: الآن كملت طريقتك، لم تكن الأقطاب أقطاباً، والأوتاد أوتاداً، والأولياء أولياء إلا بمعرفته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، انتهى.

وكل هذا في: «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»، وفيه من مثله ما يكفي كل أحد، وفي غيره من كتب القوم ـ رضي الله عنهم ـ من مثله العجائب والغرائب.

وقد أكرمني ربي ـ سبحانه ـ في ابتداء أمري، وفي حال شبابي، ونحن إذ ذاك بمدينة فاس ـ دفع الله عنها كل باس ـ عام اثنين وثمانين ومائة وألف، إذ كنت لانرى في نفسي، ولا في كل أحد أحد ولا في كل شيء شيء إلا الله تعالى، لكن بنفس ما نرى الله تعالى نرى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، أو بنفس ما نراه ـ صلى الله عليه وآله وسلم نرى الله تعالى، وكنت برؤيتي سكراناً دائماً، صاحياً دائماً، وكنت أقوى بعض الأوقات في سكر وصحو، حتى يكاد جلدي أن يتمزق، وذاتي أن تمتحي، فقواني ربي قوة لم نعرفها ولم نسمع بها، ولم يحدِّثني محدِّث بها، وذلك: بأن جعل لي ـ سبحانه ـ قوتي في ضعفي، وسخانتي في برودتي، وعزتي في ذلتي، وغنائي في فقري، وقدرتي في

عجزي، وتاسيعي في ضيقي، وبسطي في قبضي، ونصرتي في انكساري، ووجدي في فقدي، وعلوي في دنوي، ووصلي في قطعي، وقربي في بعدي، وصلاحي في فسادي، وربحي في خسرتي، ورفعتي في إهانتي، وهكذا. . . .، فلذلك رسخت قدمي في الطريق حتى عشت في هذا الوقت الصعيب بلا رفيق أي: بلا شيخ، إذ لاشك أن الوقت قد قلّت محاسنه، وكثرت قبائحه.

واعلموا ياإخواني علّمكم الله خيراً، ووقاكم شراً: أن أهل الجد من غير هزل مهما تحركوا، أو نقول: تخبطوا في أمر من الأمور جاءت بذلك ـ والله ـ الأخبار من سائر الأقطار، وشاعت لدى العبيد والأحرار، والكبار منهم والصغار، والأمر غائب عن كل أحد ومع ذلك ينطق به كل أحد تصديقاً لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (من أسرَّ سريرة ألبسه الله رداءها)[1] فافهموا، وتنبهوا لما يحدث في الوقت فإني أرى أن يحدث فيه الخير الكبير، والسر الواضح الشهير، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الحادية والخمسون:

في التأكيد على القيام بالمفروض وما تأكد من المسنون والمواظبة على طهارة الباطن والظاهر.

٥١ ـ ومنها: فغاية نصحي لك ـ أيها الفقير ـ أن تقوم بالمفروض،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص عن عثمان بلفظ: «ما من عبد يسر سريرة إلا رداه الله رداءها علانية إن خيراً فخير وإن شراً فشر» ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني وأبو نعيم عن أبي سعيد بلفظ: «لو أن أحدكم عمل في صخرة صماء لاباب لها ولاكوة لأخرج الله عمله كائناً ما كان» قال النجم: وسنده حسن «كشف الخفاء ٢/ ٢٢٦».

وبما تأكد من المسنون، ثم تواظب على استبرائك من بولك كما ينبغي - على النظافة - والمسكنة، والقناعة، والاستخارة النبوية والتلاوة، والزيارة، والصمت، والوضوء، وصلاة الضحى، وتحية المسجد، والصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والحذر من الكذب، والغيبة، والنميمة، والمحرمات، والمكروهات.

والله، والله إن واظبت على هذا واعتنيت به - ما استطعت - حتى تشرق أنوارك، وتظهر ولم تخف أسرارك، ولم تكن حقيقتك أيضاً إلا نورانية، ولم تكن قط ظلمانية، والسلام.

الرسالة الثانية والخمسون:

في النفس والروح.

٥٢ ـ ومنها: فالروح والنفس شيء واحد، نوراني من عين النور، والله أعلم - أيها الفقير - وماتثنى أي: عاد اثنين إلا لاتصافه بوصفين وهما الصفاء والكدر، والأصل هو الصفاء، والفرع هو الكدر. فإن قلت: كيف ذاك - أيها الفقير -؟

قلت: ما دامت الروح على صفائها وحسنها، وبهائها، وجمالها، وشرفها، وعلوها، وارتفاعها، وهي لايصدق عليها إلا اسم الروح، وإذا تركت ما هي عليه من الصفاء والحسن، والبهاء، والشرف، والعلو، والارتفاع، وتكدرت بمفارقتها لوطنها، وبسكونها لغير أحبتها، صدق عليها إذ ذاك اسم النفس، وتسمى بحسب مراتبها الدنية أمّارة، ولوّامة، وغير ذلك، كما تسمى أيضاً بحسب مراتبها العلية، وهي كثيرة غاية، وقد قيل: إن لها من النقائص ما لله من الكمالات.

فإن شئت - يا أخي - أن ترجع إلى وطنك الذي جئت منه، وهو عالم الصفاء، وتترك عنك وطن غيرك وهو عالم الكدر فافعل.

فإن قلت: كيف أفعل؟

قلت: انسلخ من عالم الكدر كما تنسلخ الشاة من جلدها، وانسه ولاتذكره قط، فإن نورانيتك ـ إن شاء الله ـ تتقوى، أي: ترد عليك المعاني بجيوشها العظيمة القوية الشديدة، ثم تحملك سريعاً إلى وطنك، ولعن الله من كذب عليك، لكن جرب إذ في التجريب علم الحقائق، ولاشك أن الروح لايعلم حقيقتها إلا الله، إذ لها من الأسرار ما لا يعد ولا يحصى، كما قال الله لنبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين سأله اليهود ـ لعنهم الله ـ عن حقيقتها، فلم يعرفها، بل عجز عنها، أي: عن حقيقتها، وقد قالوا حين أرادوا أن يسألوه: إن أجابنا فليس بنبي وإلا فهو نبي، فإذا به لم يجاوبهم حتى علَّمه الله ما يقول لهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

ولاشك أن العجز وصف العبد، والعبودية هي الشرف، فلذلك مدح الله نبيه بها إذ قال في كتابه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[1]، ولم يقل: بنبيه، ولابرسوله، ولابغيرهما، إنما اختار له اسم العبد، لأن الشرف هو العبودية، وقد قيل: إن للنفس سراً ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ والسلام.

الرسالة الثالثة والخمسون:

في انشغال الناس بالحس عن المعاني.

٥٣ ـ ومنها: فالحس قد استولى على الناس فأخذ قلوبهم وجوارحهم، وتركهم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾، مع وجود علمائهم وصلحائهم وأمرائهم، وقد قلَّ من سلم منهم غاية، وكثيرهم لا يخوضون إلا فيه،

(١) أول سورة الإسراء.

ولا يشتغلون إلا به، ولا يعرفون إلا هو، والمعاني كأن الله ـ تعالى ـ لم يجعلها لهم، مع أنه ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل لكل واحد منهم منها مثل ماجعل للبحر من الأمواج، والله لو علموها ما اشتغلوا بالمحسوسات عنها، ولو علموها لوجدوا أنفسهم أنهم فيها بحور لاساحل لها، والله على ما نقول وكيل.

فإن قلت: كيف جرى للناس حتى أخذت قلوبهم وجوارحهم مع وجود علمائهم وصلحائهم وأمرائهم؟

قلت: وقع بالجميع ما وقع إلا النادر منهم والنادر لاحكم له.

سمعت أستاذي ـ رضي الله عنه ـ يقول: الدنيا قد دخلت مع العلماء في علمهم، ومع الفقراء في فقرهم، فلبستهم حقيقة ما بأيديهم. والأمر كما قال ـ رضي الله عنه ـ، والسلام.

الرسالة الرابعة والخمسون:

في قوله: «من شغله ذكري عن مسالتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين.

٥٤ ـ ومنها: فإن شئت أن تقضى حوائجك بغير سبب فيها فأعرض عنها وأقبل على ربك، فإنها تقضى ـ إن شاء الله ـ، ولو تركتها بأسرها وأقبلت على ربك فيها لأتاك ما تريد من خير الدنيا ومن خير الآخرة، ولكانت لك الطريق في السماء كما هي لك في الأرض وأكثر، إذ قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيما رواه عن ربه ـ عزّ وجلّ: (من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)(١).

واسمع ـ أيها الفقير ـ ما قلت لبعض الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ: ما من حاجة افتقرتُ إليها فأعرضت عنها وأقبلت على ربي إلا وهي

---

(١) رواه الترمذي في سننه ـ الحديث رقم ٢٩٢٦.

حاضرة بين يدي كبيرة كانت أو صغيرة، بقدرة السميع العليم.

ونرى أن حوائج العامة تقضى بالتسبب فيها، وحوائج الخاصة تقضى بالإعراض عنها، والإقبال على الله، والسلام.

الرسالة الخامسة والخمسون:

في أن تعظيم أمر الله يكون على قدر المعرفة به.

٥٥ ـ ومنها: فمن فني ـ أو نقول: غرق ـ في شهود عظمة ذات الله، فلايمكن إلا أن يكون معظَّماً عند كافة عباد الله، ومن كذب فعليه لعنة الله، والذي لم يفرق في شهود عظمة الله فلايعظمونه، إنما يعظمون من عظَّم الله، أو نقول: أمر الله، إذ لاشك أن التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالأمر، ولو عظَّم أمر الله لعظَّمه الله، ولو عظَّمه الله لعظَّمته مخلوقات الله، والسلام.

الرسالة السادسة والخمسون:

في الحث على الفرار من الحس إلى المعنى.

٥٦ ـ ومنها: فاسمع ـ أيها الفقير ـ أن البعض من الناس قد صحبنا نحو الثمانية أعوام، وكان شأنه معنا تارة تتقوى محبته في جانبنا، وتارة تضعف، وهكذا في المدة كلها، فبينما نحن ذات يوم معه إذ ذكَّرناه مذاكرة قلبية قد دخلت إلى صميم قلبه، والله أعلم بغيبه، فزهد بسبب ذلك في شيء من الدنيا، ومال إلينا ميلاً كبيراً، فإذا به قد وردت عليه المعاني بجيوشها، ولم تكن له خبرة بها قط، فترادفت عليه حتى ظنَّ أن ليس على وجه الأرض من هو أعلم منه في الوقت، فبادر بالمجيء إلينا ليعلمنا مما علم، إذ كان في جهة ونحن في أخرى، فلما كلَّمنا وأجبناه،

وردَّ علينا كلامنا، وضرب به وجهنا بعنف وغضب، وذلك بمحضر جماعة من الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ ولم تكن عادته معنا قبل ذلك، فعذرناه فلم يعذرنا هو، بل جار علينا بعلمه جوراً عظيماً، ونحن بين يديه كالسارق بين يدي أهل السريقة، وكنا لانقبل قوله إلا أن بعضه وجدناه حقاً لايرد، فلما امتنعنا من موافقته تَرَكَنَا إذ ذاك ومشى إلى بعض الإخوان، كانت لهم نية صالحة فينا ومحبة صادقة في جانبنا، إلا أنهم قد كانوا ضعفاء الحال، لا قوة لهم إلا قوة العلم فزحزحهم عن نيتهم ومحبتهم وصدقهم، وكاد أن يسلبهم إلى طرق بعض النية الصالحة والمحبة الصادقة، وكاد ـ لطف الله به ـ يردنا من حالة التجريد إلى حالة الأسباب، وكنا نقول له: نحن إن رجعنا إلى ما تريد منا فنحس في رجوعنا، لأن كلاً منا قد عرف تلك الجهة وهذه، وأما أنت فلايليق بك إلا الفرار من الحس لئلا يأخذك كما أخذ كثيراً من أقرانك، وممن كان حاله أقوى من حالك، ولابد ولابد إن شئت سلامة نفسك، فاسمع ما أقول لك وكن عليه، ولاتكن على غيره، والله يأخذ بيدك، فالحس ـ يا أخي ـ أنت قريب العهد به، إذ لاتعرف إلا هو ـ كعامة الناس أو أكثر منهم معرفة له ـ، ولاتعرف المعاني، ولا الطريق التي توصل إليها، والآن إن أردتها ففرّ من الحس كما فررنا، وتنشط منه كما تنشطنا، وعاديه كما معه تعادينا، وسر كما سرنا، وإن أردته ـ يا أخي ـ فالمعاني لا تطمع فيها، ولاتعلق قلبك بها، إذ كل ما تكبر فيه تصغر فيها، وكل ما تصغر فيه تكبر فيها، أو كل ما تضعف فيه تتقوى، وكل ما تتقوى فيها تضعف فيه. فكان لايقبل قولنا، حتى سلبه الحس الذي كنا نحذره منه من المعاني التي وردت عليه بجيوشها، ولم يترك له منها حتى رائحتها، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة السابعة والخمسون:

في الحث على المداومة على العمل وإن قل.

٥٧ ـ ومنها: فالذكر الذي قلت لي إن زدت زادك الله قرباً إليه، لكن احذر أن تعمل حتى تعيا وتمل إذ قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا)[١].

واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم

كما قال ولي الله تعالى سيدي البوصيري في بردته ـ رضي الله عنه ـ.

والباطن ـ وهو القلب ـ إن تجرَّد حقيقة تجرَّد الظاهر وإلا فلا، ولاتكمل ولاية أحدنا إلا إن كان ما بباطننا بظاهرنا، وما بظاهرنا بباطننا، ولاشك أن المتجردين الظاهر والباطن من أهل الله ـ أو نقول: من أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ فكرتهم أقوى من فكرة المتسببين، ومقامهم أعلى من مقامهم، ولعن الله من كذب عليهم، إذ هي ناشئة عن فراغ الباطن، وعن فراغ الظاهر، ولاشك أيضاً أن الظاهر على دين الباطن[٢]، ومنه يربح أو يخسر إذ هو الأصل، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب)[٣].

---

(١) حديث: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لايمل حتى تملوا، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل» رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، بسندهم عن عائشة رضي الله عنها (الجامع الصغير ١/ ١٨٣ الحديث رقم ١٤٣٩).

(٢) أي أن يكون الظاهر موافقاً للباطن.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ١/ ٢٠، ومسلم في كتاب المساقاة ١٠٣، والبيهقي في سننه ٥/ ٢٦٤.

وفي الحكم العطائية: «ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر»[١].

فهذا ماحملنا على التجريد، وهو الذي حمل غيرنا عليه، ولاشك أنه مقام كبير، وقد سماه ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ: «الهمة العالية»، إذ قال في حكمه: «إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية»[٢].

ونحبك أن تنسى نفسك والتجريد والأسباب وكل شيء بربك، والله يأخذ بيدك. وإذا عزمت فتوكل على الله، إذ بتجريدك من شواغلك تتقوى نورانيتك، وبتقويتها يتقوى يقينك، وبتقويته تعلو همتك، وبعلو همتك تصل إلى ربك، ووصولك إلى ربك وصولك إلى العلم به[٣]، والسلام.

الرسالة الثامنة والخمسون:

من أسر سريرة ألبسه الله رداءها

٥٨ ـ **ومنها:** فالحالة التي ترى عليها ظاهر الفقير، فهي التي عليها باطنه لامحالة، كما في الحكم العطائية: «ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر»[٤].

---

(١) الحكمة رقم ٢٨.
(٢) الحكمة رقم ٢.
(٣) أي بصفاته، وكيف تتجلى كل صفة بالعبد، فذاك هو المعرفة بالله.
(٤) الحكمة رقم ٢٨.

ونراك - أيها الفقير - تارة تميل إلى أهل الظاهر، وتارة تميل إلى أهل الباطن، وتارة تقبل على الجهتين، وتارة تعرض عن الجهتين، وتارة تنشط، وتارة تكسل وتمل، وتارة تقبل الحق، وتارة لاتقبله، وهكذا. ونرى كلامك كلام الصوفية - رضي الله عنهم - والأهواء تغلب بك هكذا دائماً، فساءني حالك وأردت أن أنصحك، وغاية نصحي لك، أن تتوب لربك مما أنت عليه من الأهواء التي تلعب بك، ولاتقتدي إلا بمن يدعوك إلى ربك من غير تخليط، وأما تعلقك بكل أحد أحد فليس لك فيه خير، إذ قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(1)، ولاشك أن سلامتك وسلامتنا وسلامة كل أحد في الاقتداء بأهل السنة المحمدية، وهم الجماعة التي ورد فيهم حديثه - صلى الله عليه وآله وسلم -: (يد الله مع الجماعة)(2) إذ لاشك أنها على عهد الله، ولو كانت قليلة فهي كثيرة.

وتكون الجماعة في رجل واحد إذا كان راسخ القدم في سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ظاهراً وباطناً، ولاتكون الجماعة الكثيرة جماعة إذا لم تكن على سنة رسول الله ·صلى الله عليه وآله وسلم -، ويكون الرجل الواحد أيضاً أمة إذا كان قلبه على قلب نبي الله تعالى سيدنا ابراهيم - عليه السلام -، إذ قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ الآية(3)، والسلام.

---

(1) سورة الأنعام - الآية ١١٦.

(2) رواه الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما «الجامع الصغير ٢/ ٦٥٥ الحديث رقم ١٠٠٠٤».

(3) سورة النحل - الآية ١٢٠.

الرسالة التاسعة والخمسون:

في الإقبال على الله ودفع الخواطر النفسانية.

٥٩ ـ **ومنها:** فالخواطر النفسانية والشيطانية[١] إن تسلَّطت عليك وأردت نفيها ـ أو نقول: دفعها ـ عنك، فأعرض عنها، وأقبل على ربك، واسلب له الإرادة في نفسك، وكن هكذا دائماً، فإنها تذهب عنك، ولاتأتيك أبداً، والسلام.

الرسالة الستون:

في تعظيم الأشياخ والإخوان وعباد الله كلهم.

٦٠ ـ **ومنها:** فمن شاء أن تصدق عليه الآية الكريمة التي هي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[٢] كما صدقت على غيره[٣] فليقنع من الدنيا بأدنى شيء منها، وليفطم نفسه عنها دائماً ـ اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وينظر أشياخه وإخوانه، وعباد ربه كلهم بعين التعظيم، فإن كان كما قلنا، وردت عليه واردات إلهية، وهي علوم وهبية تجري كجري الماء بسحاب رحمة، ورعد رحمة، وبرق رحمة، وبَرَد رحمة، وعاد مطر الرحمة ينزل بقلبه كل

---

(١) وهي كل ما يبعد عن طاعة الله، أو ما يبعد عن طاعة فاضلة إلى طاعة مفضولة، فقد يكون الخاطر النفسي لايدعو إلى معصية ولكن يدعو إلى طاعة مفضولة ليزحزح العبد عن طاعة أفضل منها.

(٢) سورة النمل ـ الآية ٨٨.

(٣) بمعنى أن يكون العبد مع الناس يتحرك وهو في الحقيقة قلبه وعقله وفكره ثابت في نقطة واحدة وهي الحضور مع الله تعالى.

ساعة وحين. وذلك علم جديد، وعمل جديد، وهذا ينسي هذا بالحلاوة واللذة، والسلام.

الرسالة الحادية والستون:

في الجمع بين الباطن والظاهر والشريعة والحقيقة.

٦١ ـ ومنها: فاللحاحة[١] إذا كانت لك في الباطن ـ أيها الفقير ـ لم تكن لك في الظاهر، وإذا كانت لك في الظاهر لم تكن لك في الباطن، ولايتسع الباطن إلا بضيق الظاهر، كما لايتسع الظاهر إلا بضيق الباطن.

ولاترد عليك العلوم الوهبية مع اشتغالك بالعلوم النقلية، أو لايحضرك الباطن مادمت مشتغلاً بالظاهر، إذ القوة لاتكون في الجهتين، فمهما كانت في الظاهر لم تكن في الباطن، ومهما كانت في الباطن لم تكن في الظاهر، وإذا كانت فحتماً يكون الميل إلى جهة دون أخرى، إذ قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾[٢]. فلانقول ببطلان أحدهما، إنما نقول: الجمع بين الجذب والسلوك، أو بين الحقيقة والشريعة، أو بين السكر والصحو، أو بين الجمع والفرق، لايكون إلا للأقوياء من الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ، وأما غيرهم فلايكون إلا على السلوك دون الجذب، أو على الجذب بلا سلوك، أو على الشريعة بلا حقيقة، أو على الحقيقة بلا شريعة، أو على الفرق بلا جمع، أو على الجمع بلا فرق، أو على السكر بلا صحو، أو على الصحو بلا سكر، أو على غير السلوك والجذب وهو موجود إلا أنه من جملة الحمير، أو يقرب منهم، والسلام.

---

(١) أي: الإلحاح.

(٢) سورة النساء ـ الآية ١٢٩.

الرسالة الثانية والستون:

في أن المرض الكبير هو حب الدنيا.

٦٢ ـ **ومنها:** فالمرض الكبير ـ أيها الفقير ـ هو حب الدنيا الذي يصيب القلوب، لاالحَب[١] الذي يصيب الأجساد، إذ الدنيا هي سببنا في بعدنا عن ربنا، ولولا حبها الذي سكن قلوبنا لكنا دائماً في حضرة ربنا، ولاحجبنا عنه إلا حبها الذي سكن قلوبنا، والسلام.

الرسالة الثالثة والستون:

في استحضار النية الصالحة عند كل عمل.

٦٣ ـ **ومنها:** فالنية هي الإكسير[٢] لا محالة، إن حضرت لأحد حضر له الخير، وإن غابت عنه غاب عنه الخير، إذ لاأعظم من نبينا ـ عليه السلام ـ في سائر المخلوقات، ومع جلالة قدره، وعظيم شأنه[٣].

من حضرت له النية الصالحة ربح الربح الكبير ومن لا فلا، والسلام.

الرسالة الرابعة والستون:

في التحذير من الدنيا وأهلها.

٦٤ ـ **ومنها:** فمن أقبلت عليه الدنيا ـ أيها الفقير ـ ولم يعرض

---

(١) أي: القروح والبثور التي تظهر على ظاهر الجلد.

(٢) في الاصطلاح القديم الإكسير مادة تخلط مع القصدير أو مع معادن أخرى لتقلب المعادن ذهباً.

(٣) يبدو أن للكلام تتمة لعل تقديره أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان مع عظيم قدره وجلالته كان لايعمل عملاً إلا بنية، أو ما هذا معناه.

عنها ـ كما أعرض عنها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهو من المغرورين، ـ أو نقول: من الهالكين ـ وكيف لا؟ وهو قد أعطى للسنة بظهره والبدعة بوجهه ـ والعياذ بالله ـ، فلو رآها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لاتضرنا لما أعرض عنها حينما أقبلت عليه[١]، ومعاذ الله أن يرضى لنا أن نبدل الباقي بالفاني، فلاتغتروا بغير رأيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، واعتبروا بالرجل الذي أخذته من بين يديه، وحكايته في كتاب الله شهيرة، إذ قال تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية[٢]، فاقنعوا منها، وافطموا أنفسكم دائماً عنها تسعدوا، ولا تأخذوا منها إلا ما لا بد منه، ولا تتخيروا في أكلكم، ولا في لباسكم، ولا في مسكنكم، ولا في مركبكم، ولا في أموركم من حيث هي، واقبلوا ما وجدتم منها وارضوا به، واقنعوا به، إذ القناعة رأس الغنى، وهي الحياة الطيبة عند بعض المفسرين[٣]، ومن أخذ فوق ما يكفيه أعمى الله عين قلبه، ومن تمام نعمة الله على عبده أن يرزقه ما يكفيه ويمنعه ما يطغيه، إذ قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[٤].

و(خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي) كما ورد[٥].

---

(١) ولما حذَّرنا منها ومن أهلها كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة في كتب الصحاح وغيرها وقد عقد الإمام الغزالي في كتابه العظيم إحياء علوم الدين كتاباً واسعاً في هذا الباب فارجع إليه لزاماً.

(٢) سورة التوبة ـ الآية ٧٥.

(٣) لقوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة﴾ سورة النحل ـ الآية ٩٧.

(٤) سورة الشورى ـ الآية ٢٧.

(٥) رواه الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي عن سعد، ورمز السيوطي لصحته «الجامع الصغير ١/٥٤٤ الحديث رقم ٤٠٠٩».

وقد ورد أيضاً: أن الدنيا كنهر طالوت لا ينجو منها شارب إلا من اغترف غرفة بيده. ويا عجباً ممن أسر في بر الإسلام وهو يحزن على من أسر في بر الكفر، وهو لم يشعر بأسره في بره، ولابحزنه على غيره، وبكائه عليه، مع أن الحزن عليه يحق، والبكاء كذلك[1]، وما أقبح حال من بيد العدو وهو لم يشعر، وأقبح منه حالاً إذا شعر ولم يفدِ نفسه، وأقبح وأقبح إن عاش أعواماً عديدة ولم يفد نفسه بل بقي بيد العدو إلى أن مات بيده.

فلاينبغي لعاقل أن يحزن على الأسارى الذين هم عند النصارى حتى لايكون هو أسيراً عند الدنيا، وعند النفس، وعند الشيطان ـ لعنه الله ـ وعند الهوى، أو نقول: وعند الوهم.

إنـي بـلـيـت بـأربـع يـرمـونـنـي بـالـنـبـل عـن قـوس لـه تـوتـيـر

إبـلـيـس والـدنـيـا ونـفـسـي والـهـوى يـارب أنـت عـلـى الـخـلاص قـديـر

فإذا فديت نفسك ـ أيها الفقير ـ من يد أعدائك الذين هم معك دائماً، فحينئذ إن حزنت على من عند النصارى من الأسارى، واهتممت واغتممت أيضاً من أجلهم، وبكيت عليهم، حتى تحمر عيناك، أو يطلعها البياض فلابأس، ولك الأجر العظيم، والثواب الجسيم، والسلام.

الرسالة الخامسة والستون:

في شروط التجريد وآدابه.

٦٥ ـ ومنها: فلانحب من يتجرد إلا بعد أن يتوب من كل ذنب ثم

---

(١) بمعنى أن الأسير الحق ليس هو الذي في يد العدو إنما هو من أسرته الدنيا واستولت على قلبه وعقله، وأخذته عن ربه، فهذا الأسير الحق الذي يستحق البكاء عليه لأنه موجود بين المسلمين وتمنعه دنياه وتأسره عن أداء شعائر دينه وطاعة ربه.

لايرجع إليه و: (التائب من الذنب كمن لاذنب له)[١]، ويفر أيضاً من كل ما لا يعنيه دائماً سرمداً، فمن كان هكذا فلا بأس أن يتجرد من أسبابه وثيابه، إذ هو يتحلى بالمعاني حين يتخلى عما ذكرنا، ويؤيِّس نفسه من هواها لامحالة كما قلنا مراراً: مخالفة الهوى تنتج العلم الوهبي حقاً، والعلم الوهبي ينتج اليقين الكبير، واليقين الكبير ينفي الشكوك والأوهام بالكلية، ويزج صاحبه بالحضرة الربانية.

فإذا تحلى بالمعاني التي ترد عليه من حضرة ربه فلا نخاف من رجوعه إلى ما ترك، وذلك كشجرة أريد تلقيمها[٢] بأخرى، فلابد لصاحبها أن يقطع أغصانها، إلا ما شاء الله منها، ليرجع الماء إليها، وحينئذ تعيش، أو نقول: تنتج وتشجر.

والتجريد ينحصر في أربع مسائل: في الفرار من الدنيا، والفرار من الناس، وإهمال الجسد[٣]، وإهمال البطن. فلايعبأ بها المتجرد كالناس بل يهملها. ولاشك أن الصدق يحمل صاحبه على أن يظهر للناس ما يكرهونه منه كأكل الفجل بالسوق، أو اللفت، أو البقل، أو كباب، أو مالح ومليح[٤]، أو السفنج[٥]، أو الشواء، أو شق عينه[٦] أو خزو[٧].

---

(١) رواه ابن ماجة بسنده عن ابن مسعود، والحكيم الترمذي عن أبي سعيد الخدري، ورمز السيوطي لحسنه. وورد أيضاً بلفظ: «التائب من الذنب كمن لاذنب له وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب» ذكره القشيري في الرسالة وابن النجار عن أنس، ورمز السيوطي لحسنه «الجامع الصغير ١/٤٥٦ الحديث ٣٣٨٥، ٣٣٨٦».

(٢) أي تطعيمها بأخرى.

(٣) بأن يلبس اللباس العادي النظيف دون لباس الشهرة، فمن اهتم بظهره تعرّى ومن اهتم ببطنه جاع كما يقال في الدارجة المغربية.

(٤) وهو الحمص المسلوق بالماء المالح.

(٥) نوع من الزلابيا، وصانعها: سفَّاج «معجم شمال المغرب مادة سفنج».

(٦) نوع من أنواع الفطائر.

(٧) وهو الجزر.

ويحب الصادق أن يكون على هذا بمحضر أهل المروءة وهم ينظرون إليه، ويتأسفون عليه، ولايأكله في غيبة أهل المروءة، أو مع السُّقَّاط مثله، لئلا يهون عليه ذاك، إذ لايحب أن يهون عليه، إنما يحب أن يكون كالكلب أو أقل من الكلب[1]، ويحب أن يكشف رأسه أمام من ذكرنا وغيره كأقاربه وعشيرته وأحبته، ويسأل الناس كالمضطر الكبير قواريطهم، أو ما شاء الله، ويكبر اللقمة حين يأكل، ويفتح فاه كثيراً لها، ويلبس القشابة المقلوبة[2]، وحين يجلس يمد رجليه ويفرقهما ولايجمعهما، ويكشف عن قرب دبره لاعن دبره، بل يترك عورته مستورة حفظاً للشريعة المحمدية، وليعلم من رآه أنه بعقله، ويسكت عمن يتسلط عليه مع وجود من يكره أن يكون حاضراً، ولايقابله بشيء حتى يشفي غرضه في ذمه وإذايته، ويلبس الشاشية المرشوقة البالية النقية[3]، إذ لاشيء أحب إلى أهل الصدق من الأسباب التي تسقطهم عن أعين الناس، فهذا دأبهم، وهذا حالهم، ولاشك أن الأحوال التي ذكرنا هي نسك عندنا، وسيئات عند غيرنا، والسلام.

الرسالة السادسة والستون:

في الترهيب من الوقوع في المحرمات والمكروهات.

٦٦ ـ ومنها: فاسمع ـ أيها الفقير ـ إني أحب من يكون على خرق عوائد نفسه منكم أن يكون على حذر من الوقوع في المحرمات

---

(١) بمعنى أن يعتبر نفسه الدنية كالكلب ويعاملها كما يعامل الكلب لأنها شر منه ولايأتي منها إلا الشر لأنها مطية الشيطان، ولايتأمر بخير أبداً، ويبقى هكذا حتى يغلبها بتأييد الله وعونه أو تغلبه والعياذ بالله نسأل الله العافية منها لنا ولأحبابنا وللمسلمين.

(٢) نوع من اللباس الدارج في المغرب.

(٣) الشاشية: قبعة من السعف يعلوها نسيج حريري على هيئة الحبل أحمر أو أخضر أو أصفر وهي منسوبة إلى شاش: بلد من بلاد وراء النهرين «معجم شمال المغرب مادة شاشي».

والمكروهات لئلا تنقلب حقيقته النورانية إلى حقيقة ظلمانية، كما وقع لكثير من أهل الطريق، فقد رأيت بعضهم يصافح الشريعة المحمدية ولايبالي[1]، وإن قلت له: خف من ربك، يقول لي: ماهو إلا هو مع أن نفسه تشبه نفس فرعون ونفس النمروذ، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

ولايحل ـ لفقير وغيره ـ أن يكون كذلك، إلا إن غلب عليه السكر، حتى غاب عن إحساسه غيبة من غير شعور قط، كالولي الشهير أبي الحسن سيدي علي بن حمدوش[2] بزرهون، وكالولي الشريف سيدي محمد بن علي بن ريسون العلمي[3] بتازروت، ونظائرهما ـ رضي الله عنهم ـ، فمن غاب عن إحساسه في شهود عظمة ربه كهؤلاء فيعذر ولايؤاخذ، إذ الدية على العاقل[4]، ومن كانت نفسه تشبه نفس فرعون ونفس النمروذ فلايعذر شرعاً، بل يؤاخذ المؤاخذة البالغة، إلا إذا لم يحضر من يحده فالأمر لله، وإن فعل ذلك من غير شريعة فهو وفرعون والنمروذ وأبو جهل ـ لعنهم الله ـ سواء، لافضل لأحدهم على الآخر، والله ينقذ بواطننا وظواهرنا من كل خطأ، والسلام.

الرسالة السابعة والستون:

في معنى العبودية الحقة.

٦٧ ـ **ومنها:** فمن أراد أن تريه الحرية وجهها فليرها وجه عبوديته

---

(١) أي يودعها ويتركها ويوليها ظهره.

(٢) هو السيد الشهير المتبرك به لدى الجم الغفير، أبو الحسن سيدي علي بن حمدوش، دفين جبل زرهون، له أصحاب وأتباع يذكرون له خوارق وكرامات، ويؤثرون عنه أحوال ومقامات، وله الآن طائفة ينتسبون إليه، ولايدعون زيارته كل سنة، توفي رضي الله عنه سنة ١١٣٥ هجرية «نشر المثاني ـ موسوعة أعلام المغرب ١٩٧٩/٥»..

(٣) سبقت ترجمته الحاشية رقم ١٨.

(٤) أي لايؤاخذ على فعله إلا العاقل.

وهو النية الصالحة، والمحبة الصادقة، والظن الحسن، والخلق الكريم، والوقوف عند الأمر والنهي من غير تبديل ولاتغيير، فإنها تريه وجهها ولاتستره عنه، والسلام.

الرسالة الثامنة والستون:

في التأكيد على التخلية من كل وصف مذموم والتحلية بكل وصف محمود.

٦٨ ـ **ومنها:** فلاتكلف من يأتيك ـ أيها الشيخ ـ بأن يقول: الله الله الله، دائماً، أو أن يصلي دائماً، أو يصوم دائماً، أو يتلو دائماً، وحالته الهيمان في الدنيا، والكب على القيل والقال، وكلِّفه بالمفروض، وبما تأكّد من المسنون، وترك ما لا يعني، والأخلاق الكريمة، فإذا ذكر الله تعالى مرة واحدة، أو صلى صلاة واحدة، أو تلا سورة واحدة، وهكذا. . . كان له ذلك مع الحالة الشريفة المذكورة خير من أن يفعل ذلك ألف مرة مع الحالة الذميمة التي هي الهيمان في الدنيا، والكب(١) على القيل والقال، والاستغراق في الضلال، والله ينقذنا، والسلام.

الرسالة التاسعة والستون:

في فضل الإذن وسره.

٦٩ ـ **ومنها:** فإني لما ظفرت بأستاذي ـ رضي الله عنه ـ عام اثنين وثمانين ومائة وألف، قد أذن لي أن يأخذ بيدي بعض الأساتيذ، إذ كان من أشياخي في القرآن العظيم، وعزم عليَّ أن يتخذ أستاذي شيخاً كما اتخذته أنا، لكن أراد الإذن من الشيخ له، فتعلق بي في ذلك، فلما أعلمته

---

(١) أي الانكباب.

قال ـ رضي الله عنه ـ: خذ بيده أنت، إذ كنت قد أعلمته به قبل ذلك، فذكرته ما كان يذكرني هو به ـ رضي الله عنه ـ، فنفعت الذكرى ببركة إذن أستاذي الشريف ـ رضي الله عنه ـ، لكن حال الزمان بيني وبينه بانتقالي عنه من فاس إلى قبيلة بني زروال، التي تركونا أسلافنا ـ بارك الله فيها ـ وبقي الأستاذ بفاس البالي بلاتمام، ولما عزمت على الرحيل إلى القبيلة المذكورة، قلت لأستاذي: ليس لي هناك معي من نتنفس[1] معه في فني إذ هو لايقول إلا بذلك. فقال لي ـ رضي الله عنه ـ: ألدها، كأنه رضي الله عنه قد رأى الولادة المعنوية تكون على يدي أو رآها، فكررت عليه القول مرة أخرى، فقال لي أيضاً: ألدهم، فببركة إذنه وسره جاءني رجل ـ كثَّر الله مثله في الإسلام ـ فبنفس ما رأيته ورآني قضى الله حاجته ـ أي حصّل مقام الفناء والبقاء أول وهلة ـ والله على ما نقول وكيل، فظهر لي فضل الإذن وسره، وانتفت عني بسبب ذلك الشكوك والأوهام، والحمد لله والشكر لله، ثم اشتاقت نفسي أيضاً إلى الإذن من الله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واضطررت إليه اضطراراً كبيراً، فبينما أنا ذات يوم بموضع خالٍ بوسط غابة، وأنا حينئذ سكران صاحياً مستغرقاً غاية الاستغراق في سكري، ومستغرقاً غاية الاستغراق في صحوي، جامعاً بينهما، وقوياً فيهما القوة الكبيرة، إذ سمعت خطاباً من ذاتي بأسرها: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فسكن قلبي بذلك واطمأن، وأيقنت أن الخطاب من الله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، إذ كنت بالحضرتين الكريمتين، الربانية والنبوية، وكان والله خرق عادة من ذاتي بأسرها ولا له كيف يعرف به؟ إنما يعرفه من عرف الله ـ سبحانه ـ، تارة يخاطب عبده من نفسه ـ كما وقع لنا ـ وكما وقع لغيرنا.

(١) أي لم يبق معي من نتذاكر معه في هذا الفن أي: فن التربية.

(٢) سورة الذاريات ـ الآية ٥٥.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبو الحسن الششتري ـ رضي الله عنه ـ: [وهي تنسب إلى سيدي أبي مدين الغوث].

وسمعت الخطاب من ذاتي من مكان قريب   يا حياتي وأنت في ذاتي حاضر لاتغيب

وتارة يخاطبه من جنسه، وتارة من الجماد، وتارة من الحيوانات، وتارة من الهواء، وتارة من جهة واحدة، وتارة من سائر الجهات، ولايعرف ذلك إلا من عرّفه الله، ولايحمله إلا من قوّاه الله.

وقد بقيت الآية الكريمة التي خوطبت بها من ذاتي بأسرها ممزوجة بلحمي ودمي نحو العشرة أيام أو أكثر، والله على ما نقول وكيل. ولما وقع هذا الإذن جاء المؤمنون في الحس بنفس ما رأيناهم ورأونا تذكروا وتذكرنا وانتفعنا منهم وانتفعوا منا، وربحنا منهم وربحوا منا، وكان ما كان من الخير والسر، والفضل والبركة والعناية، وذلك بالقبيلة الزروالية ـ دفع الله عنها كل بلية ـ، والحمد لله، والشكر لله، والسلام.

الرسالة السبعون:

في التأكيد على الارتحال من عالم الحس إلى عالم المعنى.

٧٠ ـ **ومنها:** فالسبب للفقير الذي لم يتربى للمربي هو عدم ارتحاله من عالم الحس إلى عالم المعنى، فلو كان في عالم المعاني لتربي، إذ لايتربى إلا الموجود، وهو الذي خلق في المعاني، وأما المعدوم فكيف يتصور أن يتربى وهو في العدم؟ فقد جرى على ألسنة الناس: «حتى يخلق ونسمّوه».

فإذا أردت ـ أيها الفقير ـ أن تربي من شئت فتسبب في ولادته في المعاني حتى تحصل له، فإذا حصلت فحينئذ ربيه فإنه يتربى لك. وقد تفرست غاية جهدي في إخواني الفقراء، فلم نجد فيهم من رحل من

عالم الحس إلى عالم المعنى إلا النادر والنادر لاحكم له، فساءني ـ والله ـ حالهم غاية، ثم تفرست أيضاً في السبب الذي منعهم من ورود المعاني عليهم مع وجود تجردهم من الأسباب والثياب، ومن الأحباب والأصحاب، فوجدت محبتهم للدنيا أو سكونهم إليها، إذ هم ـ لطف الله بهم ـ بعدما تجردوا كما ذكرنا، فقد أسرفوا في السؤال، ولولا حب الدنيا والركون إليها لما أسرفوا فيه، وقد يسرف الصادق وهو لاحاجة له بها، إذ لاحاجة بالسرف لمن خرج حبها من قلبه، فتنبه ـ أيها الفقير ـ وقل عنا لمن شئت: إن أردت أن ترد عليك المعاني كما وردت على غيرك من أهل الصدق أو أكثر منهم فتأخر عن الدنيا وعن سائر شهواتك، فإنها ترد عليك بجيوشها العظيمة القوية الشديدة، فتأخذك إليها قهراً على أنفك، ولعن الله من كذب عليك، إذ لاشك أن الله تعالى قد جعل لك ولكل واحد من الناس منها مثل ما جعل للبحر من الأمواج، فلو علموها ما اشتغلوا بشيء عنها، ولو علموها أيضاً لوجدوا أنفسهم أنهم فيها بحور لاساحل لها، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الحادية والسبعون:

في الحض على علو الهمة.

٧١ ـ ومنها: فكن ـ أيها الفقير ـ على الهمة دائماً ترى عجباً.

فإن قلت: كيف ذلك؟ قلت: قد قال السلطان الشريف السعدي مولاي أحمد الذهبي[(١)] ـ رضي الله عنه ـ للولي الأشهر سيدي أبي الشتاء الخمار ـ نفع الله به ـ: أنجعل لك الحرم من وادي سبوا إلى وادي

---

(١) المتوفى سنة ١٠١٢ هجرية، ويمتد نسبه إلى السيدة حليمة السعدية ـ كما ذكر في موسوعة أعلام المغرب وفيات سنة ١٠١٢هـ.

وزغة؟ فقال: فالله تعالى قد جعل لي الحرم من العرش إلى الفرش.

وقال ولي الله تعالى سيدي عبد السلام الرتال الأغزاوي ـ رضي الله عنه ـ لسيدي أحمد الخضر ـ عليه السلام ـ بعد أن سلم عليه وردّ عليه السلام واشتغل بشغله ولم يلتفت إليه. . . رد السلام فقال له إذ ذاك: أهل عرفتني؟ فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الخضر. فقال له: أشخصت؟ فهكذا تكون الهمة العلية وإلا فلا، والسلام.

الرسالة الثانية والسبعون:

في الترغيب على تطهير الباطن وسلامة الصدر.

٧٢ ـ **ومنها:** فقد قلت لبعض المدعين المشحونة قلوبهم بالغل والحسد، والكبر، والرياء، والعجب، والبخل، والحرص، وغير ذلك من الرذائل: كن سالم الصدر وأنقص من صلاتك ومن سائر أعمالك ولاتقم إلا بالمفروض، وبما تأكد من المسنون، ولاتزد شيئاً، إذ لاينفعك كثرة أعمالك مع خبث قلبك، ولو علمت ما علمت، إنما تنفعك سلامة صدرك مع ما فرض الله عليك، وأقل عمل يكفيك معها، ولايكفيك صيام نهارك وقيام ليلك أو عبادة دهرك كله مع مرض قلبك، واستغراقك فيما يكره الله منك والعياذ بالله من حالك ومن حال أمثالك، والسلام.

الرسالة الثالثة والسبعون:

في الحث على موافقة القلوب والسرائر أعمال الجوارح والظواهر.

٧٣ ـ **ومنها:** فإني نرى كثيراً من الفقراء، وكثيراً من أهل العلم، وكثيراً من الناس على عبادة كثيرة، ولم يظهر لهم سر ما ظهر لمن له

الأمر أيسر منها، إذ لايخلو منه ـ أي: من السر ـ إلا جاهل أو مخذول، فظهر لي أن ذلك من ترددهم في توجههم إلى ربهم، إذ هم ـ لطف الله بهم ـ بعدما أعرضوا عن الهوى، وأقبلوا على ربهم بأجسامهم، فقلوبهم باقية على ما كانت عليه من حال الغفلة، وهي حالة خسيسة ـ والعياذ بالله ـ ولو وافقت قلوبهم جوارحهم لرأوا من الأسرار والفوائد خرق العوائد، والسلام.

الرسالة الرابعة والسبعون:

وصيته رضي الله عنه لبعض فقهاء الظاهر في عدم الانكار على أهل الباطن، لاسيما المتأدبين بآداب الشريعة.

٧٤ ـ ومنها: فاعلم ـ أيها الفقير ـ أني كتبت لبعض الفقهاء المنكرين لما نحن عليه من حال الفقر، بعد السلام عليكم ـ لطف الله بكم، ومن كل ضلال أنقذنا وإياكم ـ: بلغنا أنكم قد تركتم عيوبكم، واشتغلتم بعيوب غيركم، أوما تعلمون أن في كتاب الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية[١]، أوليست لكم عيوب؟ حاشا من سلم من العيوب أن يرى غير المحبوب، فلايرى العيب إلا العائب، وأي عيب أعظم من رؤية الأغيار التي لاترون إلا إياها آناء الليل وأطراف النهار؟، ولاشك أن القبيح والمليح كلاهما لايرى إلا وجهه في الناس، فكن مليحاً ترى الملاح، وكن قبيحاً ترى القباح.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي البوصيري ـ رضي الله عنه ـ:ـ

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٤٤.

وهذا ميزان صحيح، والله إن كنا مرضى لكان الماء في فمنا إلا مراً، ولو كانت وجوهنا المعنوية حسنة لكانت وجوهنا الحسية إلا حسنة، إذ الناس كالمرآة للناظرين، فمن وجهه مليحاً رأى فيهم وجهاً حسناً، ومن كان وجهه قبيحاً رأى فيهم وجهاً قبيحاً، ولايمكن أن يرى المليح من كان قبيحاً، كما لايمكن أن يرى القبيح من كان مليحاً، ولأجل هذا قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو الحسن سيدي علي الخروبي - رضي الله عنه -:-

قل للذين رأوا ما ينكرون فينا   لصفاء شربنا رأوا وجوههم فينا

وقد كنا فقهاء - كما أنتم - وأقبح منكم، إذ كنا نستقبح أحوال الناس، ونستحسن أحوال أنفسنا، وكان مثلنا عدد كثير من الناس كالشيخ الجليل ولي الله تعالى عز الدين بن عبد السلام، والشيخ الجليل ولي الله تعالى الغزالي، والشيخ الجليل ولي الله تعالى تاج الدين ابن عطاء الله، والشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبي الحسن الشاذلي، ونظرائهم - رضي الله عنهم - فلما فتح الله بصائرهم، ونوّر سرائرهم، وأزال حجاب الوهم عنهم، بحثوا إذ ذاك على القبح فلم يجدوا له خبراً.

واسمعوا - أيها الفقهاء - ما قال بعضهم: لو كلفت أن أرى غيره(١) لم أستطع، فإنه لاغير معه حتى أشهده معه. وقالوا:-

مذ عرفت الإله لم أر غيراً   وكذا الغير عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت افتراقاً وأنا اليوم واصل مجموع

وقالوا: أبى المحققون أن يشهدوا غير الله. وقالوا: -[لأبي مدين الغوث]

الله قل وذر الوجود وماحوى   إن كنت مرتاداً بلوغ كمالِ

فالكل دون الله إن حققته   عدم على التفصيل والإجمال

(١) أي غير الله تعالى.

واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال
من لاوجود لذاته من ذاته فوجوده ـ لولاه ـ عين محال
فالعارفون فنوا ولمّا يشهدوا شيئاً سوى المتكبر المتعالِ
ورأوا سواه على الحقيقة هالكاً في الحال والماضي والاستقبالِ

وهكذا، والأمر في الذكر واسع، وفضل الله وكرمه وجوده ورحمته أوسع وأوسع، أوما وجدتم ما ينكر ويكره ويستقبح ويستثقل إلا ذكر الله تعالى في بيوت الله تعالى التي أمرنا به سبحانه حيث قال في كتابه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ الآية[1]، أو أنتم تعبدون ربكم، ومن ذكرتم يفتنكم بهذا إن كان لا يقبل فاعله بل يرد عليه، ويضرب به وجهه، ولايستحسنه إلا جاهل أو راض عن نفسه، ولانرى من يعبد الله بناحيتكم كما تزعمون، وإنما نرى بعض الطلبة يقرؤون ولايصلون في غالب أوقاتهم. وأما استعمال تابغة والحشيشة، واللواطة، والغيبة، والنميمة، ومثل ذلك مما نهانا ربنا عنه فلا كلام لكم ولا لهم على ذلك، ولا نراكم تسرعون إلى شيء مثل ما تسرعون إلى الكلام في أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ، وقد عمت البلوى بما أنتم عليه في سائر البلاد، فأهل الانتساب إلى الله الذين تابوا من ذلك إلى الله لا تشتغلون إلا بهم وعيوبهم كأن تعالى قد أمنكم منها ـ وحاشاه من ذلك ـ ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وحاصل الأمر إن أردتم النصيحة، والسلامة من الفضيحة، فتوبوا إلى ربكم من ذنبكم، إذ قال تعالى في كتابه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ الآية[2].

---

(١) سورة النور ـ الآية ٣٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ سورة النور ـ الآية ٣١.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (توبوا فإني أتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرة)، وفي حديث آخر: (مائة مرة)[١]، وهذا أن الله تعالى قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر. ونرى أنه ـ عليه السلام ـ كان يترقى في المقامات، ومهما وصل إلى مقام وجده أعلى من الذي قبله، وإن كان مقاماً علياً أي مقام، ويا ليتنا وصلنا مقاماً تاب منه صلى الله عليه وآله وسلم، «حسنات الأبرار سيئات الأخيار، وحسنات الأخيار سيئات المقربين»[٢].

ولابد توبوا إلى الله، وردوا المظالم إلى أهلها، واجتنبوا الكذب والغيبة والنميمة، والمحرمات، والمكروهات بأسرها، وتنبهوا لما به قد شحنت قلوبكم من الخبائث التي حرم الله عليكم ـ ما ظهر منها وما بطن ـ، فالظاهرة: ما أنتم عليها ـ أيها الطلبة الغافلون ـ وقد ذكرناه وأوضحناه. والباطنة: ما أردنا ذكره من كبر ورياء، وحسد، وعُجب، وغيبة، ونميمة، وفسق، وسفه، وحرص، وبخل، وغير ذلك من الخبائث التي لايحل لمؤمن أن يشحن قلبه بها، إنما يحل له أن يطهره منها بالليل قبل النهار، وفي الجلوس قبل القيام ـ إن أمكنه ذلك ـ وإلا

---

(١) حديث: (توبوا إلى الله تعالى، فإني أتوب إليه كل يوم مائة مرة) رواه البخاري في الأدب عن ابن عمر، ورمز السيوطي لحسنه في الجامع الصغير «الجامع الصغير ١/ ٤٥٥ الحديث رقم ٣٣٨٢».

(٢) حسنات الأبرار سيئات المقربين «هو من كلام أبي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته، وهو من كبار العارفين بالله تعالى، مات في سنة مائتين وثمانين، وقد عده بعضهم حديثاً وليس كذلك، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرحها: الفرق بين الأبرار والمقربين أن المقربين هم الذين أخذوا عن حظوظهم وإرادتهم واستعملوا في القيام بحقوق مولاهم عبودية وطلباً لرضاه، وإن الأبرار هم الذي بقوا مع حظوظهم وإرادتهم وأقيموا في الأعمال الصالحة ومقامات اليقين ليجزوا على مجاهدتهم برفع الدرجات، انتهى. «انظر كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٣٥٧».

فليبحث على الطبيب في بلاد المغرب بأسرها، وفي الحواضر والبوادي منها، فإن وجده فلايفارقه، وليلازمه حتى يطهر قلبه من الخبث الذي أصابه، ومن سائر عيوبه، وإن لم يجده بأرض المغرب فليتوجه إلى بلاد المشرق ـ حرسها الله ـ من حينه ولايتأنى حتى يمشي مع الحجاج، بل يسرع إلى ذلك لئلا يؤخر التوبة، فتجب عليه توبة أخرى، لأن تأخير التوبة ذنب تجب التوبة منه، (والتائب من الذنب كمن لاذنب له) ـ كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ. وفي كتاب الله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ الآية[1]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ الآية[2]، إلى غير هذا، والسلام.

الرسالة الخامسة والسبعون:

تحقق بوصفك يمدك ربك بوصفه.

٧٥ ـ ومنها: فأهل مقام الفناء ـ رضي الله عنهم ـ ذات الْحق عندهم عين صفاته، لأنهم لما فنوا لم يشهدوا قط سواها، ومنذ شاهدوها لم يشهدوا سواها، فلذلك يقال لهم: «الذاتيون». ولذات الحق من الكمال والحسن والجمال ما تحيرت فيه عقول الكل من خاصتهم فأحرى عامتهم لأنها قد تلطّفت ورقّت، حتى غابت من شدة تلطفها ورقتها، فلما غابت قالت لنفسها: كمالي وحسني، وجمالي، وبهائي، وشرفي، وعُلُوّي، وارتفاعي لا انتهاء له، وقد غاب ولم يظهر. والكمال لايكون كمالاً كما هو كامل إلا إذا كان حاضراً كما هو غائباً، وكما هو لطيفاً يكون كثيفاً، وكما هو قريباً يكون بعيداً،

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ١٢.

(٢) سورة الشورى ـ الآية ٢٥.

وكما هو جمالياً يكون جلالياً، وهكذا...، فأرادت ظهوره فقالت: كيف أظهره وهي عالمة بذلك؟ فقالت: نتكثف ونتلون، ثم فعلت ذلك، فهذه الذوات أو نقول: الصور الحاضرة من حيث هي، والغائبة من حيث هي، واللطيفة من حيث هي، والعلوية من حيث هي، والسفلية من حيث هي، والقريبة من حيث هي، والبعيدة من حيث هي، والمعنوية من حيث هي، والحسية من حيث هي، والجمالية من حيث هي، والجلالية من حيث هي، كلها ذاتها ـ وإن شئت قلت: صورتها ـ قد أظهرت جمالها فيها ولم تظهر لها في نفسها، إذ هي ما هي إلا هي، وليس ثم شيء سواها.

قال شيوخ الطريقة من إخواننا المشارقة:ـ

كل الجمال جمال الله ليس فيه شك إلا وشاة النهى غالب عليها الشك
يا وارد العين إن حققت زال الشك الذات عين الصفات ما في المعاني شك

إلى غير هذا مما لشيوخ الطريقة المشارقة والمغاربة في هذا المعنى ـ رضي الله عنهم ـ.

فإن فهمت ـ أيها الفقير ـ إشارتنا وتلويحنا فتبارك الله، وإلا «فتحقق بوصفك يمدك ربك بوصفه».

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الجلال ذات، والجمال صفات، والذات عين الصفات، كما عند سائر أهل مقام الفناء ـ رضي الله عنهم ـ كما قلنا ـ لاعند غيرهم من ساداتنا أهل العلم الظاهر ـ رضي الله عنهم ـ. ولاشك أن الظاهر جلال محض، والباطن جمال محض، الظاهر قد أعار من جلاله للباطن كما أن الباطن قد أعار من جماله للظاهر، فصار الظاهر جلالي جمالي، والباطن جمالي جلالي، إلا أن جلال الظاهر حقيقي، وجماله مجازي، كما أن جمال الباطن حقيقي وجلاله مجازي،

وهذا لايعرفه إلا من خاض في علم القوم كما خضنا، واستغرق به كما استغرقنا، وفني فيه كما فنينا ـ رضي الله عنا ـ.

واسمع ـ أيها الفقير ـ قول الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي[1] في كتابه «بغية السالك في أشرف المسالك» ـ رضي الله عنه ـ: اعلم ـ نوّر الله قلوبنا بأنوار المعارف، وحملنا على منهج كل ولي وعارف ـ أن المعرفة هي مقام الإحسان وآخر منازله، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[2] أي: عرفوه حق معرفته. وقال تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[3].

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله)[4]، ونعني بالمعرفة هنا: تمكين حال المشاهدة واستصحابها مع إقامة القول وملازمة الحكمة، وهذا غير ما يطلقه أهل الفقه من أن المعرفة هي العلم بالرسوم، وإن كان للمعرفة عموم ويصح به أن تطلق على العلم من حيث هو، لكن أخص مقتضياتها المعرفة بالله تعالى بمعاني أسمائه وصفاته من غير تفريق بين الصفات والذات، وهي المعرفة الصادرة عن غير الجمع، وتعرب عن الخلاص التام، وتفصح عن دوام السر مع الله عز وجل، إلى أن قال ـ رضي الله عنه ـ: وإذا تقرر هذا؛ فالمعرفة المشار إليها هي غاية السالكين، ونهاية المسافرين إلى الله تعالى، والصفة التي بذلوا فيها أنفسهم إلى الله عز وجل ثمناً، وإن كان لم يبق منها اليوم غير مجرد الاسم دون المسمى، فلاجرم أن نبسط من ذكر

---

(١) المتوفى سنة ٧٣٥ هجرية.

(٢) سورة الأنعام ـ الآية ٩١.

(٣) سورة المائدة ـ الآية ٨٣.

(٤) ذكره في تنزيه الشريعة المرفوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٢٢٢.

أحوالها ووظائفها ما تعلم به قدر ما فاتنا من الله تعالى، ونطلع منه على ماسبق إليه المفردون، وظفر بها العارفون، وما حُرِمَه المقصرون والطالبون؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، والسلام.

الرسالة السادسة والسبعون:

في الحض على زيارة شيوخ الطريقة، والتمسك بالشريعة.

٧٦ ـ ومنها: فاسمع ـ أيها الفقير ـ أني أحب من يقتدي بي أن يقوم بالمفروض، وبما تأكد من المسنون، وأن يزور شيوخ الطريقة كالإمام الغزالي بجزيرة الأندلس، وسيدي ابن العربي المعافري[١]، وسيدي علي بن حرزهم[٢]، وسيدي عبد الله التاودي[٣]، وأستاذنا

(١) هو الفقيه الإمام العالم الهمام أبو بكر بن الفقيه أبي محمد عبد الله بن سيدي محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربي، ولد رضي الله عنه بإشبيلية سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة، وبها نشأ، ثم رحل مع أبيه إلى الشام والعراق فلازم الإمام أبا الوليد الطرطوشي، والإمام الغزالي وغيره، ثم رجع بعد وفاة أبيه بالإسكندرية إلى الأندلس، وولي القضاء بها، ثم حمل مع من حمل إلى مدينة مراكش ثم انصرف منها لفاس فأدركته المنية، قيل: بمغيلة بين سايس وزرهون، في سنة ٥٤٢ هجرية، ودفن خارج باب الشريعة، وبني عليه ضريح من أشهر الأضرحة «موسوعة أعلام المغرب ـ تذكرة المحسنين ـ وفيات سنة ٥٤٢».

(٢) هو الشيخ القطب أبو الحسن سيدي علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم بن زيان، يتصل نسبه بسيدنا عثمان بن عفان صاحب مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته، كذا أثبت نسبه السلطان أحمد الوطاسي وكتبه بضريحه. ولد رضي الله عنه بفاس ونشأ فيها، وكان من كبار الفقهاء، زاهداً في الدنيا سالكاً سبيل التصوف، وكان والده صالحاً وأخوه كذلك، توفي رضي الله عنه في سنة ٥٥٩ هجرية، ودفن خارج باب الفتوح، وضريحه مشهور للزيارة والتبرك. «تذكرة المحسنين ـ موسوعة أعلام المغرب، وفيات سنة ٥٥٩».

(٣) هو الشيخ الصالح المتقشف أبو عبد الله التاودي، المعلم لكتاب الله العزيز بمدينة =

سيدي علي الجمل وأشياخه السادات أولاد ابن عبد الله وأشياخهم السادات الفاسيين، فهؤلاء كلهم بمدينة فاس - دفع الله عنها كل باس - وكذلك الشيخ سيدي أبي يعزا[١] بتاغية، وأبي مدين الغوث[٢] بتلمسان، ومولانا عبد السلام بن مشيش بجبل الأعلام، ونظائرهم من أهل مغربنا ومن غيرهم - وهم كثيرون - رضي الله عنهم، إلا أنهم لايعرفهم إلا من وصل مقامهم، أو من وقف على آثارهم فاستدل به عليهم، لأن الأثر دليل على المؤثر، إلا أن هذا لايعرفه إلا الحاذق اللبيب من أهل العلم والتقى - رضي الله عنهم - ولايعرفه غيره. ولاشك أن العامة يتشيخون أهل زمانهم يتسرحون في غديرهم - أي: في شهوات نفوسهم - ويعتقدون أن أشياخهم أشياخ الطريقة، ولا هم أشياخ الطريقة ولا عرفوهم حق المعرفة، إنما هم من جملة العامة الذين هم أهل نسك، والغالب أنهم يجعلون مقامهم أكبر من مقامهم، ويقطّبونهم ولا يقبلون غير قطبانيتهم قط - ولو قلت لهم ما قلت - إنما تُعيي رأسك بالكلام معهم في ذلك، لا والله ما الأمر كما يعتقدون، إنما خلاف ما يعتقدون، ولا شك أن الذهب لا يعرفه إلا أهله وهم السمايطية، وأما غيرهم فربما يجدونه في الأرض مطروحاً ثم لا يأخذونه ولا يعبؤون له

= فاس، توفي رضي الله عنه سنة ٥٨٠ هجرية، ودفن بمدينة فاس خارج باب الكيسة. «الأنيس المطرب - ٢٦٩».

(١) قطب دهره وأعجوبة عصره أبو يعزا يلنور بن ميمون بن عبد الله اليزميري، وقيل هو من بني صبيح هسكورة، مات وقد نيف على المئة وثلاثين سنة، أقام منها عشرين سنة سائحاً بالجبال المشرفة على تينمل، ثم ارتحل إلى السواحل فأقام بها منقطعاً ثماني عشرة سنة لا يتعيش إلا من نبات الأرض، وكان أسود كبدي اللون طويلاً رقيقاً يلبس برنساً مرقعاً وشاشية عزف على رأسه، توفي رضي الله عنه سنة اثنين وسبعين وخمسمائة من الهجرة، «انظر: الأنيس المطرب ٢٦٧».

(٢) سبقت ترجمته.

لأنهم يظنونه صفراً أو نحاساً، أو قصديراً، أو ورِقاً، أو ربما يجدون أيضاً صفراً، أو نحاساً، أو قصديراً، فيظنون أنه ذهب فيرفعونه، ثم يجعلونه أعز ما عندهم من ذخائر ـ لطف الله بهم ـ فهذا غالب أحوالهم في سائر أزمنتهم، وما أبعد الأمر من الأمر، لأن أشياخ الطريقة ممن ذكرنا في مذاكرتنا، قد كادوا ـ رضي الله عنهم ـ أن يكونوا أنبياء ـ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ـ لأنهم ورثتهم، وصفهم من وصفهم، ونعتهم من نعتهم، ظواهرهم بشرية وبواطنهم ربانية، أو: ظواهرهم سلوكاً وبواطنهم جذباً، أو: ظواهرهم صحواً وبواطنهم سكراً، أو: ظواهرهم فرقاً وبواطنهم جمعاً، وهكذا. . . فكيف يتشبه الوصف بالوصف؟ وقد بعُد غاية البعد ما بين الوصفين، أو نقول: الجهتين.

فلا تصف ـ أيها الفقير ـ شيخاً من الشيوخ ـ رضي الله عنهم ـ إلا بما وصفه الله به، ولا تصفه قط بغير ما وصفه الله به، فإذا كان عالماً ظاهراً فصفه بذلك، وإذا كان عالماً باطنياً فكذلك، أو نقول: إذا كان من أهل الدليل والبرهان فصفه بذلك، وإذا كان من أهل الشهود والعيان فكذلك، وهكذا. . . ، ولاتقل في الفقيه: الفارس، أو الفارس: الفقيه، أو في الرئيس ما ليس برئيس، وما هو ليس برئيس رئيساً، كما هو شأن كثير من الطلبة الجاهلين في ألفاظ رسائلهم ـ ولعن الله من كذب عليهم ـ.

ولاشك أن زيارة الأشياخ ـ رضي الله عنهم ـ لها فضل كبير، وسر واضح شهير، كما قال الشيخ الجليل سيدي ابراهيم التازي[1] ـ دفين وهران ـ رضي الله عنه:ـ

زيارة أرباب التقى مرهم يبري ومفتاح أبواب الهداية والخير

---

(١) الولي الصالح أبو اسحاق ابراهيم بن محمد التازي أمير أولياء الله تعالى في وقته، أخذ عن أبي عبد الله الهواري، توفي رضي الله عنه سنة ٨٦٦ هجرية، ودفن بزاويته بوهران «موسوعة أعلام المغرب ـ تذكرة المحسنين ـ وفيات سنة ٨٦٦ هجرية».

إلى آخر قصيدته النفيسة(١).

فنؤكد عليك ـ أيها الفقير ـ تأكيداً محتماً، وعلى كل مقتد بي أن يكون عليها دائماً ـ إن أمكن ذلك ـ كما يكون على زيارة أهله مادام حياً، وأن يكون أيضاً على إسقاط منزلة نفسه ـ إذ هي شرط في الطريق ـ لاعلى إثبات رفعتها كما عليه جُلُّ الناس إلا الناذر منهم والنادر لاحكم له، والسلام.

الرسالة السابعة والسبعون:

في التأكيد على مخالفة النفس والهوى.

٧٧ ـ **ومنها:** فكن ـ أيها الفقيه ـ على حذر من ميل قلبك إلى نفسك، إذ هو من نفاق القلب، وميله إليها هو اتباعه الأخف عليها دون الأثقل، كما عند القوم ـ رضي الله عنهم ـ.

وأوصيك أيضاً أن تكون على ما يثقل على نفسك دائماً لا على ما يخف عليها، إلى أن تفنى.

وقد قلنا مراراً متعددة: مخالفة الهوى تنتج العلم الوهبي(٢)، والعلم الوهبي ينتج اليقين الكبير، واليقين الكبير ينفي الشكوك والأوهام، ويزج صاحبه بحضرة الملك العلام، والسلام.

الرسالة الثامنة والسبعون:

في الحث على كثرة الانفاق في سبيل الله.

٧٨ ـ **ومنها:** فالعامة لهم رأس المال ولهم الربح، ولانرى للخاصة

---

(١) وستأتي لاحقاً.

(٢) عملاً بقوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾، وكما ورد: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم» وقد مر.

إلا الربح، فلا ينبغي للمقتدي بهم أن يدَّخر شيئاً إنما يبسط يده دائماً سرمداً، تخلقاً بأخلاق مولاه، إذ قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1]، ويد الله ملأى لا تخشى فاقة، ـ كما في الحديث الشريف ـ، ولا يخاف الفقر إلا من بَعُد من ربه، وكيف يخافه من له الربح من دون رأس المال؟ ومعاذ الله أن يكون من دون رأس المال مَنِ الله ربه، ومحمدٌ نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وقد قال ولي الله تعالى سيدي أبو العباس المرسي ـ رضي الله عنه ـ: للناس أسباب وسببنا ﴿الله﴾، وقال مرة أخرى: للناس أسباب وسببنا نحن الإيمان والتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ الآية[2].

وقد تكلمنا ذات يوم مع بعض الفقراء من إخواننا أهل فاس ـ دفع الله عنها كل باس ـ في هذا المعنى، ففضل أهل الأسباب على أهل التجريد، واستشهد بالحديث الذي هو: (إن الله يحب العبد المحترف)[3] فقلت: نعم إن الله يحب العبد المحترف، لكن الحرفة الكبيرة هي ترك الحرف. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الآية[4] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الآية، ولم يدرِ ـ لطف الله به ـ أن المتسبب الأفضل هو الذي حصلت له الثقة بالله، فتنزل إلى الأسباب بعد حصول الحرية كأستاذنا ـ رضي الله عنه ـ الذي كان يسأل القراريط دائماً من حانوت إلى حانوت مع جلالة قدره، وعلو منزلته ـ رضي الله عنه ـ، وكأبي سلهام[5] الذي أشار إلى البحر فأتاه بلا تأني،

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٦٤.

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ٩٦.

(٣) حديث: «إن الله يحب العبد المؤمن المحترف» رواه الحكيم والطبراني والبيهقي بسندهم عن جابر، ورمز السيوطي لضعفه «الجامع الصغير ١/ ٢٥١ الحديث رقم ١٨٧٣».

(٤) سورة الطلاق ـ الآية رقم ٣.

(٥) مرت ترجمته.

وقد كان مع علو مقامه وعظيم شانه يتستر بأضعف الأسباب وهي صيد الحوت بالسنارة، والسلام.

الرسالة التاسعة والسبعون:

من علامات الشرفاء من آل البيت النبوي وأخلاقهم.

٧٩ ـ ومنها: فاسمع ـ أيها الفقير ـ أني قلت لبعض الشرفاء(١) ـ رضي الله عنهم ـ، وقد أساء إلى بعض الناس: من زعم أنه شريف وخلقه سيء فهو كذاب إذ الشريف حقاً هو الكريم الخلق، وكيف يكون سيء الخلق وأصله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذي قال فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢)، فإذا لم يكن ـ يا أخي ـ وصفك من وصفه، ونعتك من نعته، فمن أي جهة تكون منه؟ ومن أي باب تقرب منه؟ إذ ليس لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلا الأخلاق الكريمة والمحاسن العظيمة، وليس له غيرها قط، والله على ما نقول وكيل.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي البوصيري ـ رضي الله عنه ـ في بردته:ـ

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌ فيعرب عنه ناطق بفم
فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ ... وأنه خير خلق الله كلهم

---

(١) أي المنتسبين للحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من آل البيت النبوي الشريف.

(٢) سورة القلم ـ الآية ٤.

وكذلك - أيضاً - قلت لبعض الفقراء - وقد كان مشتهراً بالمرابطة[1] عند كافة أهل بلده: أنت يا أخي مشتهر بالمرابطة أكثر من سائر الفقراء، فاشتهر أنت بالمحاسن أكثر منهم لكي تناسب اسمك، والسلام.

الرسالة الثمانون:

في الحث على فطم النفس عن الشهوات.

٨٠ - **ومنها:** فاحذر - أيها الفقير - من أن تقود نفسك إلى ما عنه نهاك ربك، ثم تترك ما أمرك به، فكن على حذر منها، واقنع من الدنيا، وافطم نفسك دائماً عنها والمحتم عليك ما قلنا لك إذ هو قريب إنما يبعده الوهم والوهم باطل فلا تعتبره، ولا يكبر عليك فطم نفسك عن شهواتها من أولها إلى آخرها، وتراها تركن إلى بعض الأمور حتى لا يتصور الإنسان أن يفارقها مع أن مفارقتها قريبة لأن:-

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

كما قال الشيخ البوصيري - رضي الله عنه - في بردته.

وقد صحَّ بالتجريب المرة بعد المرة ما قاله رضي الله عنه -. والله ما كنا نقول نترك بعض الأمور فإذا بنا قد تركناها ونسيناها، بعد أن كان ذلك من المحال عندنا. ومن الأمور التي كان لا يتصور لنا فراقها:

(١) المرابط هو -حامي الثغر، يربط نفسه وفرسه للدفاع عن بيضة الدين، وكان منهم سيدي محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، له رباط في آسفي كان يقرأ فيه هو وجماعته دلائل الخيرات وهم يحملون السلاح، وهكذا كان السادة الصوفية أهل الله الحقيقيون لا المدعون، كانوا أهل ذكر وجهاد في سبيل الله والدفاع عن دين الله علم ذلك من علم وجهل ذلك - أو تجاهله - من جهل.

النوم، والأكل، والكلام، وخلطة الناس والاستئناس بهم[1]، فإذا بنا إن شئنا أن لا نأكل ولا ننام، ولا نتكلم، ولا نخالط الناس، لكان ذلك لنا بلا مشقة، ولا تعب، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الحادية والثمانون:

في التحذير من الاغترار بالعلم الظاهر والحث على الاقتداء بالأئمة من أهل الباطن، مع ذكر شيء من أحوالهم وأقوالهم نفعنا الله بهم وبعلومهم.

٨١ ـ **ومنها:** فاحذر ياسيدي أحمد الزياتي متابعة العلم الظاهر، وحذَّر العالم الجليل سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الأنجري ـ رحمه الله ورضي عنه ـ.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو حفص سيدي عمر بن الفارض في تائيته ـ رضي الله عنه ـ:

ولاتكُ ممن طيشته دروسه ... بحيث استقلت عقله واستقرت
فثم وراء النقل علم يدق عن ... مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته مني وعني أخذته ... ونفسي كانت من عطائي ممدتي[2]

وقال الشيخ المجذوب ـ رضي الله عنه ـ: إذا كان علم الأوراق حده حلاوة اللسان، وإذا كان علم الأذواق نراه اسكن لي في أكنانِ.

وقال الشيخ الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مُصِراً على الكبائر وهو لم يشعر.

---

(١) وكل هذه من الأمور التي تحتاج إلى مجاهدة كبيرة لا يقدر عليها إلا من وفقه الله تعالى وتربى على يد شيخ تربية عارف بعيوب النفوس وخبائث القلوب، لذا فترى معي يا أخي أن ذلك لايكون إلا بتوفيق الله تعالى لمن أراد له الخير من عباده دله على أهله وخاصته من العارفين والمربين نفعنا الله بهم وبمحبتهم آمين.

(٢) ديوان ابن الفارض ـ صفحة ٦٠ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي.

وقال الشيخ سيدي ابراهيم بن أدهم - رضي الله عنه -: والله لو علمت علماً أشرف من هذا تحت أديم السماء لأتيته.

وقال الشيخ سيدي المرسي - رضي الله عنه -: إذا رأيت من أعطي العلوم وفتحت له مخازن الفهوم فلا تجادله بنقل الطروس، ولاتحاججه بغيرة النفوس، لأن المواهب تفوق المكاسب.

وقيل للشيخ أبي الحسن سيدي علي بن ميمون[1] - رضي الله عنه - في ابتداء أمره: اطرح كتابك واحفر في أرض نفسك يخرج لك ينبوعاً وإلا فاذهب عني.

وقال الشيخ الجليل أستاذنا أبو الحسن سيدي علي الجمل - رضي الله عنه -: الكتب هي المستمدة من القلوب، وهي التي تنفق عليها من أول الدنيا إلى آخرها، إذ هي الأصل.

وقال الشيخ الشاذلي - رضي الله عنه - حين لقي شيخه القطب مولاي عبد السلام ابن مشيش - رضي الله عنه -: اللهم إني اغتسلت من علمي وعملي حتى لا أعرف علماً ولا عملاً إلا ما يرد عليَّ على يد هذا الشيخ - يعني ابن مشيش الشريف - ثم اغتسل بالعين المشهورة

---

(١) هو الشيخ المشهور صدر الصدور وارث المقام النبوي ولي الله تعالى أبو الحسن علي بن ميمون الشريف الحسني، أصله من بني أبي زرا أحد قابئل غمارة ترغة، تولى القضاء بمدينة شفشاون في أيام الأمير أبي الحسن علي بن راشد الأكبر، وكان رضي الله عنه له من الكرامات ما لا يحصى، من أعظمها صولة علومه في المشارق والمغارب، وإجماع فحول العلماء ومشايخ الأولياء على علومه وولايته، وأنه ممن أيد الله به هذا الدين الحنيف، توفي رضي الله عنه سنة ٩١٧ هجرية ببلاد الشام، وقد أفرده بعض تلاميذه بالتأليف فألف علي بن علوان الحموي الشافعي المتوفى عام ستة وثلاثين وتسعمائة كتاب: مجلي الحزن عن المحزون في مناقب الشيخ علي بن ميمون «دفن رضي الله عنه بتل قرب مجدل معرش بضاحية بيروت. (انظر موسوعة أعلام المغرب - تذكرة المحسنين صفحة ٨٢٨ - ٨٢٩).

بالحص - وهي بقرب الشيخ المذكور بأسفل الجبل من جهة القبلة شرفها الله - وكان ذلك سُنَّةً لمن أتى بعده، إذ لا طريق لتحصيل علم الحقيقة إلا من ذلك، ولذلك ذكرت هنا ما عرفت من كلام شيوخ الطريقة - رضي الله عنهم - في هذا المعنى.

وقال الشيخ الجليل مولاي عبد القادر الجيلاني - رضي الله عنه - في قصيدته العينية :-

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا ... إلى شيخ حي في الحقيقة بارع

فقم في رضاه واتبع لمراده ... ودع كل ما من قبل كنت تصانع

وكن عنده كالميت عند مغسِّل ... يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وفي قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع

إلى قوله: «كذلك علم القوم فيه بدائع».

واحذر يا سيدي أحمد أن تفهم من كلامنا هذا إهمال علم الظاهر بمحبة أهل الباطن، لا والله لا والله أن أكون على هذا مع أني لا أعرف لك طريقاً إلى الحقيقة إلا من باب الشريعة، ولا طريق إلى الحرية إلا من باب العبودية، ولا حملني على ما نقلت من كلام شيوخ الطريقة - رضي الله عنهم - في هذا المعنى إلا أني نرى جلَّ فقهاء الظاهر - رضي الله عنهم - لايسيؤون ظنهم بأحد من أهل الخطأ مثلما يسيئون ظنهم بأهل الطريقة، وهم أهل العلم الباطن - رضي الله عنهم ولايبادرون إلى الإنكار على أحد من العصاة كما يبادرون إلى الانكار عليهم، ويزعمون أنهم على صواب فيما هم عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر، وهم - لطف الله بهم - مع اشتغالهم بالعلم الذي لايعبد ربنا إلا به كأنّ الله تعالى لم يأمرهم بمخالفة أهوائهم، وهذا منهم جهل كبير، وخطأ شهير - والعياذ بالله -. وقد نرى أن يتوبوا مما هم عليه -

عزماً من غير تراخ ـ وإلا أهلكوا أنفسهم وأهلكوا المقتدي بهم من العامة الجهَّال، إذ هم يغلقون باب التوبة في وجوههم، وفي وجه كل من يقتدي بهم، وهي مفتوحة إلى أن تطلع الشمس من مغربها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية[1]، إذ المراد طلوع الشمس من مغربها ـ والله أعلم ـ.

ويا عجباً كم شدّدوا، وكم بعّدوا، وكم صعَّبوا، وكم ضيقوا على الناس المسالك؟ وعرّضوهم للمهالك، ومع ذلك فأهل الصدق دائماً يتوبون، دائماً يربحون، دائماً يسلكون، دائماً يصلون، فباب الكرم هو الباب ـ يا من لايفرق بين الخطأ والصواب ـ.

ويا عجباً الواصل لايشدِّد ولايضيّق مع وجود قربه، والمنقطع يشدِّد ويضيق مع وجود بعده، فقد كان أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ يقول لنا دائماً: فما علينا إلا فضل الله، وفضل ساداتنا علماء الظاهر الذين قبضوا لنا أعلام النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فبعدما يغرق أحدنا في بحر الحقيقة، ينظر إلى أعلام النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذي بيد ساداتنا أهل العلم الظاهر ـ رضي الله عنهم ـ ويرجع إليه، وينجو من الغرق.

وكان يكرر علينا دائماً قول كلام الكُمَّل من أهل العلم الجامعين بين علم الشريعة وعلم الحقيقة ـ رضي الله عنهم ـ: «من تشرَّع ولم يتحقق فقد تفسَّق، ومن تحقق ولم يتشرَّع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقَّق»[2].

ويكرر علينا أيضاً من كلامهم: «قوم حجبوا بالشريعة عن الحقيقة،

(١) سورة الأنعام ـ الآية ١٥٨.

(٢) وهي قولة مشهورة للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه.

وقومٌ حجبوا بالحقيقة عن الشريعة، وقوم جعلوا الشريعة باباً والحقيقة باباً» ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وقد أدركنا ـ يا سيدي أحمد ـ من شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ أستاذنا أبا الحسن سيدي علي الجمل ـ رضي الله عنه ـ وأدرك هو رجلاً شريفاً كبير السن حسن الوجه، نظيف الحالة، عليَّ الهمة، كريم الأخلاق، ـ من ناحية المشرق ـ واسمه: عبد الله، وجده بالمدينة التطوانية ـ حرسها الله ـ عند بعض الناس بالدار لم يخرج ولم يدخل، ولم يعرفه أحد. قال لي ـ رضي الله عنه ـ: فما رأيت كرماً أكبر من كرمه ـ رضي الله عنه ـ، إذ هو قد تخلَّق باسم الله تعالى الكريم، وقال لي: سبب ملاقاتي به بركة زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش ـ نفعنا الله ببركاته ـ. وسمعت منه: أنه صاحبه سنين بالمدينة المذكورة ـ حرسها الله ـ.

وأدرك أيضاً الشيخ سيدي العربي بن عبد الله الفاسي بحومة المخفية[2] ـ رضي الله عنه ـ وقد عرفه قبل أن يعرف الشريف المذكور، لكن لم يصح له من عنده شيء، إذ كان مخلقاً باسم الله تعالى (المانع)، فلذلك بحث على حاجته حتى وجدها عند الشريف المذكور ففتح الله عليه على يديه، ولما مات الشريف رجع هو إلى فاس مفتوحاً عليه ـ كما قلنا ـ فصحب حينئذ سيدي العربي بن عبد الله المذكور ست عشرة سنة، والأسرار التي كان يرى منه قد كادت أن لا تنحصر، فما سمعته يذكره ثم لم يبكِ عليه، والله على ما نقول وكيل.

وكان ـ رضي الله عنه ـ كبير السن غاية، خامل الذكر، لا يعرفه

---

(١) سورة المجادلة ـ الآية ٢٢.

(٢) مرت ترجمته.

أحد ولا يقر له بالفضل، إذ كان يميل إلى الخراب، وحال الخراب ينفر الناس منه، وكان كثير الصمت، وأدرك ـ هو ـ والده أبا العباس سيدي أحمد بن عبد الله، وكان شهير الذكر عند كافة أهل المغرب، وأدرك ـ هو ـ الشيخ سيدي قاسم الخصاصي(١) ـ رضي الله عنه ـ.

واسمع وصيته لبعض إخوانه في الله: «لا تشتغل قط بمن يؤذيك، واشتغل بالله يرده عنك، فإنه هو الذي حرّكه عليك ليختبر دعواك في الصدق. قد غلط في هذا الأمر خلق كثير فاشتغلوا بإذاية من آذاهم فدام الأذى مع الإثم، ولو أنهم رجعوا إلى الله لردهم عنهم، وكفاهم أمرهم»، انتهى.

ولما مات استخلف قطب الدائرة الشيخ أبو العباس سيدي أحمد اليماني(٢) ـ رضي الله عنه ـ وهو شريف قادري، والله أعلم. فأخذ عنه هو وولده الشيخ سيدي العربي الذي هو شيخ أستاذنا الشريف، وكان ـ شاباً حينئذ، وقد ذكرنا سلسلتهم ـ نفعنا الله بهم ـ فيما تقدم.

واعلم أني سمعت أستاذي يقول مراراً متعددة: من شق تونس إلى شق وادي نون، قيل: يوجد اثنين من أهل هذا الفن، وقيل: لا، والمدعون كثيرون، والمخلصون قليلون، وفي كتاب الله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾. وقد قلت لي ـ يا سيدي أحمد اكعرير ـ أن العالم الرباني الشريف

---

(١) مرت ترجمته.

(٢) هو الشيخ الفقيه العالم العامل، العارف المحقق الواصل الكامل، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن إدريس اليمني، من قرية يقال لها: «مهلّو» بفتحات وشد اللام أربجي وسنّر أيضاً وأربجي موينة الصحراء بين صعيد مصر وأرض الحبشة بينها وبين سنر نحو خمسة أيام، وسنّر أيضاً مدينة بالصحراء المذكورة وكلتاهما على النيل، كان خروجه رضي الله عنه من بلاده سنة خمس وسبعين وألف، ودخوله لفاس في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وألف، وتوفي رضي الله عنه سنة ١١١٣ هجرية «موسوعة أعلام المغرب ـ نشر المثاني ـ وفيات سنة ١١١٣ هجرية».

أبا العباس سيدي أحمد بن عجيبة ـ رضي الله عنه ـ قد لقي جماعة من صلحاء الباطن بمدينة فاس ـ حرسها الله ـ فاستبعدت قولك ـ رضي الله عنك ـ واستغربته غاية، لأني كنت هنالك، ولم يكن مما قلتَ به إلا أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ والآن ليس هنالك إلا المدعون، أو بعض الإخوان من أصحابه ـ رضي الله عنه ـ. ولاشك أن الأمر غريب ـ كما قال أستاذنا ـ وكما قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبي مدين ـ رضي الله عنه ـ:

متى أراهم، وأنى لي رؤيتهم ... أو تسمع الأذن مني عنهمُ خبرا

إذ لاشك أن الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ غالب أحوالهم حال الدنو، والناس لاينظرون إلا إلى حال العلو، فكيف يعرفونهم؟ فما أبعدهم من بعضهم إلا من أخذ الله بيده.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله في حكمه ـ رضي الله عنه ـ: «سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث جعل الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه»(١).

فإن قيل لي: كيف جرى لك أنت حتى عرفتهم وأخذت عنهم؟

قلت: نظرت إلى حال الدنو ولم ننظر إلى حال العلو، فوجدت حاجتي هنالك والحمد لله، والشكر لله. وجلُّ الناس لاينظرون إلا إلى الدنيا وإلى من هي عنده، ولاينظرون إلى الفقر، ولا إلى من هو فقير، ومنهم من إذا رآى ولياً فقيراً ليس له شيء من الدنيا يفر منه ولايقرب إليه، ويقول: لو كان ولياً لكان غنياً ولم يكن فقيراً، لم يعمل الخير في رأسه فكيف يعمله في الناس؟ ولم يدر أن الولي هو الفقير من الدنيا، الغني بالله، المكتفي به.

---

(١) الحكمة رقم ١٥٦.

وأما الرواتب التي قلت لي، فقد عرفتها وأنا شاب صغير، لكن غلبني العجز والكسل، فادع الله لي بالتوفيق، والله يكافيك. وقد ذكرنا أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ عمل قد قل من هو عليه من الناس مع أنه لاتقوم الأعمال إلا به وهو التحقق بالوصف ـ كما قال الشيخ سيدي ابن عطاء الله في حكمه رضي الله عنه ـ: «كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً»(١).

وقالوا: ـ أي القوم رضي الله عنهم ـ «كلَّما دفنت نفسك أرضاً أرضاً سما قلبك سماء سماء». وقال لي ـ يا سيدي أحمد ـ أحد فقهاء فاس مثل ما قلت لي، فأجبته بأجوبة كثيرة، ولنذكر لك بعضها ـ محبة فيك لا مقابلة لك:

فمنها: قول بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ تابعنا الأعمال كلها فلم نر لأمر الآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا، وقد ذقنا شيئاً من ذلك، فلذلك تفترقا فيما تقول كما ترى.

وأيضاً مهما كانت اللحاحة في الأعمال الظاهرة لم تكن في الأعمال الباطنة إذ القوة لا تكون في الجهتين، كما قلنا مراراً متعددة، وكما قال غيرنا.

وقلت له ـ يا سيدي أحمد ـ: نوافلنا لايدريها إلا أهل الذوق الصريح، وهي تبعُّد من الخلق، وتقرُّب من الحق. إن الذي تكرهون مني ذاك الذي يشتهيه قلبي ـ كما قيل ـ، وقد قلَّ من كان عليها من أهل الطريق، إنما كان عليها بعض الأقوياء من الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ كالشيخ الجليل ولي الله تعالى أبي حفص سيدي عمر بن الفارض ـ رضي الله عنه ـ إذ قال:ـ

---

(١) الحكمة رقم ١٢٥.

تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا   وخلِّ سبيل الناسكين وإن جلوا[1]

وكان الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي على التستري ـ رضي الله عنه ـ إذ قال:ـ

عريان نريد نمشي   أجل شيْ

كما مشى قلبي   غيلان منْ

وقد كان الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي عز الدين بن عبد السلام ـ رضي الله عنه ـ يقول: وهل ثَمَّ طريق غير ما فهمنا من الكتاب والسنة؟ وينفي طريق القوم، فلما اجتمع بالشاذلي وأخذ عنه صار يقول: والله ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدم إلا الصوفية[2]. وكذلك كان يقول الشيخ الجليل الإمام الغزالي ـ رضي الله عنه ـ قبل اجتماعه بشيخه البازغاني.

وقلت له ـ يا سيدي أحمد ـ: قد سلك طريق الباطن عدد كبير من الأولياء ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ولم يردهم عنها لا من كبر شأنه ولا من صغر شأنه. وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[3] وهي هي ـ والله أعلم ـ، والظاهر والباطن ضدان، والضدان لا يجتمعان إلا لرجل قدمه على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ كالإمام أبي بكر الصديق والإمام سيدنا

---

(١) ديوان ابن الفارض ـ القصيدة التي أولها:

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل   فما اختاره مضنى به وله عقل

الديوان ـ صفحة ٧٧ ـ تحقيق ابراهيم السامرائي.

(٢) فليسمع أولئك المتنطعون الذين ينكرون على السادة طريقهم بدعوى العلم والفهم ووالله لو كانوا من العلماء الذين يخشون الله تعالى حق خشيته لأقروا للسادة ما هم فيه كما أقرّ سلطان العلماء وغيره من أئمة العلم نفعنا الله بهم وبمحبتهم.

(٣) سورة الأنعام ـ الآية ٨٩.

عمر بن الخطاب، والإمام سيدنا عثمان بن عفان، والإمام سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وكولديه الحسن والحسين - رضي الله تعالى أيضاً عن جميعهم -، وكالولي الأكبر سيدي الحسن البصري، والولي الأكبر سيدي ذي النون المصري، والولي الأكبر سيدي ابراهيم بن أدهم، والولي الأكبر سيدي سفيان الثوري، والولي الأكبر سيدي معروف الكرخي، والولي الأكبر سيدي أبي يزيد البسطامي، ونظرائهم من الشيوخ المشارقة، ومن الشيوخ المغاربة، وهم كثيرون كما قلنا - رضي الله عنهم وعنا - إلا أنهم لايعرفهم إلا من وصل مقامهم، أو وقف على آثارهم فاستدل عليهم، وأما من دونهم فلا يكونون إلا من أهل الظاهر بلا باطن، وإلا من الباطن بلا ظاهر، وإلا لا باطن لهم ولا ظاهر، لأن الضدان لا يجتمعان إلا لرجل قدمه على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما قلنا -، إذ هو صعيب غاية الصعوبة. وقد قيل: إن ملكاً من الأملاك - عليهم الصلاة والسلام - يسبح الله تعالى دائماً، ثم يقول في تسبيحه: «سبحان من ألّف بين الثلج والنار»[1]. وقد اعترض الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو العباس سيدي أحمد اليماني ومن كان معه من أشياخه الفاسيين، وأشياخنا العبدلاويين - رضي الله عنهم - على الشيخ

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه أبو الشيخ بن حبان في كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف، وأخرجه ابراهيم الحربي في غريبه عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال: «إن لله ملكاً...» فذكره إلا أنه قال: «اللهم كما ألفت بين هذا الثلج وهذه النارَ فلا الثلج يطفيء النار ولا النار تذيب الثلج ألّف بين قلوب عبادك الصالحين». وفي مسند الديلمي بسنده عن ابن عباس رفعه: «إن لله ملكاً نصف جسده الأعلى ثلج، ونصفه الأسفل نار ينادي بصوت رفيع: «اللهم يا مؤلفاً بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك الصالحين على طاعتك، سبحان الذي كفّ حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج فلا يطفيء حر هذه النار».

الجليل سيدي الحسن اليوسي[1] قوله «وزين الظاهر بالمجاهدة وأصلح الباطن بالمشاهدة»، فقالوا له: القوة لا تكون في الجهتين، فمهما تقوّى الظاهر في المجاهدة، ضعف الباطن في المشاهدة، ومهما تقوى الباطن في المشاهدة ضعف الظاهر في المجاهدة.

وقال بعض السادات ـ رضي الله عنهم ـ: من رأيته معتنياً بظاهره فاعلم أن باطنه خراب.

قلت: وقدْ قلَّ من جمع بين الظاهر والباطن، أو بين الشريعة والحقيقة، أو بين الصحو والسكر، أو بين الفرق والجمع، وهكذا. وقد كررنا هذا مراراً متعددة فلا نحتاج إلى متابعته أكثر من هذا.

وأما تأويل الرؤيا التي ظهر للعالم الجليل الشريف سيدي أبي العباس أحمد بن عجيبة الأنجري فهو عجيب مناسب لاسمه «ابن عجيبة» والله أعلم.

وافرح ـ يا سيدي أحمد ـ بما أعطاك نبيك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في رؤيتك إياه في المنام، واعلم أنه يأتيك وهبياً، كما كانت رؤيتك وهبية، فقد رأيناه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قبل أن كنا معك بمدينة فاس ـ دفع الله عنها كل باس ـ وكنا بها هنالك ـ والله أعلم ـ وقت دخول البريجة، وقد دخلها السلطان الأعظم الشريف الأكرم أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الحسني العلوي ـ رحمه الله ـ عام اثنين وثمانين ومائة وألف، فأردت أن أقوم إليه من رقادي، فأشار إليَّ بيده الكريمة مرة أو ثلاثاً أن أبقى على رقادي، فقصصت ذلك

---

(١) الشيخ الإمام العلامة المشارك الأصولي المعقولي المنطقي البياني العروضي المبارك الجليل أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي توفي رضي الله عنه سنة ١١٠٢ هجرية، ودفن ببلاده بتامزازت قرب صفرو. «موسوعة أعلام المغرب ـ وفيات سنة ١١٠٢».

على أستاذي حين عرفته، فقال لي: قد أمَّنك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فظهر لي ـ والله ـ وجه الأمان، وشاهدته بالعيان، والحمد لله والشكر لله.

ورأيت بأثر رؤيته في تلك الساعة مولاتنا فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ فارتحل قلبي بسبب رؤيتها عن عوائده، وعن سائر شهواته، ولم يقبل إلى ذلك قط، ومن تلك الساعة ونحن بخير والحمد لله والشكر لله، وذلك سر الرؤيا الحقيقية.

وكان أستاذي ـ رضي الله عنه ـ مستغرق الأوقات في رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقظة ومناماً. وقد ترجح لي ـ والله أعلم ـ أنه أقوى من سيدي المرسي بما رأيت منه من الاستغراق في رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومخاطبته إياه، لأني صحبته أعواماً عديدة، ورأيت أيضاً وصفه لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيما ترك من الأذواق، فبينه وبين سيدي المرسي فرق كبير، ومن أراد أن يعرف هذا من هذا فلينظر ما لسيدي ابن عطاء الله في أستاذه المذكور في كتابه «لطائف المنن» وما لأستاذنا في كتابه، فإنه يرى ـ إن شاء الله ـ القوي منهما من الضعيف في رؤيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

والله ـ سبحانه ـ ذو القوة المتين، وهو حسيبنا إن قوينا شيخنا بشهوة أنفسنا، إنما قويناه كما قواه ربنا، واكتفاؤنا بعلم ربنا هو الذي حملنا على ما قلنا في شيخنا لاعدم اكتفائنا بعلم ربنا، ولو سكتنا عما في علمنا من قوة أستاذنا في رؤيته خوفاً من أن يقال فينا ذلك منا من عدم اكتفائنا بعلم ربنا لكان أمرنا كذلك، وحيث لم يكن كذلك، قلنا في أستاذنا ما في علمنا، وسواء قيل ذلك فينا أو لم يقل اكتفاء منا بعلم ربنا، وحملنا أيضاً على التعريف بقوة أستاذنا ما رأينا من أحوال الناس إذ هم ـ لطف الله بهم ـ لا يرون الفضل لمن حضر، إنما يرونه لمن

غاب ولو كان من أكبر أهل الفضل، وهذا حال جلهم ـ والعياذ بالله ـ والسلام.

الرسالة الثانية والثمانون:

في ذكر بعض من أحوال شيخه وأقواله رضي الله عنه.

٨٢ ـ **ومنها:** فالنية ـ أيها الفقير ـ هي الإكسير الحقيقي لا محالة، لما حضرت لنا فتشنا على من يأخذ بيدنا، فوجدناه بين أيدينا لا مسافة بينه وبيننا، وقد كاد أن يوجد معنا بدارنا، والله على ما نقول وكيل.

وكان[١] ـ رضي الله عنه ـ جلالياً في الظاهر جمالياً في الباطن، أي: ظاهره ذلاً عبودية، وباطنه عزاً حرية، وما أقبح العكس وهو الظاهر عزاً حرية، والباطن ذلاً عبودية، والظاهر سنياً والباطن عبودية، أو الظاهر حلالياً والباطن حرامياً، أو الظاهر ربانياً والباطن شيطانياً، وهكذا... إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول، ولا شك أن الخاصة كأستاذنا ونظرائه لما ذلُّوا ظواهرهم اختياراً منهم ـ أعزَّ الله بواطنهم وظواهرهم، فهم دائماً في الفرح والسرور، والعامة لما عكسوا، وعزوا ظواهرهم اختياراً منهم، أذلَّ الله ظواهرهم وبواطنهم، فهم دائماً في الكدر.

وقد اكتفى بعلم الله أيضاً أستاذنا فلم يلتفت لا لظهور ولا لخفاء، إذ كان لا ينظر إلا إلى ما بينه وبين ربه، ولا يلتفت إلى قول مادح ولا إلا ذم ذام، وكان يكثر من ذكر هذه الأبيات:ـ

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... بيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

---

(١) أي: شيخه سيدي علي الجمل رضي الله عنه.

وقد كان لسان حاله يقول: اللهم!!! الفضيحة مع الخلق والسترة مع الحق، ولا العكس وهو السترة مع الخلق والفضيحة مع الحق. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا﴾(١).

واسمع ـ أيها الفقير ـ بعض كلامه ـ رضي الله عنه ـ: إذا اشتغلت الناس بالعبادة فاشتغل أنت بالمعبود، وإذا اشتغلت بالمحبة فاشتغل أنت بالمحبوب، وإذا اشتغلت بطلب الكرامات فاشتغل أنت بلذيذ المناجاة، وإذا اشتغلت بتكرير الأوراد فاشتغل أنت بربك الجواد وهكذا.

وقال أيضاً ـ بعد كلام تقدم ـ: ولو شهدته في كل شيء لحجبت بشهوده عن كل شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء، ولو قرنت الحادث بالقديم لتلاشى الحادث وبقي القديم، ولو ظهرت صفات المحبوب لفني الحجاب والمحجوب، ولو تجلَّت أنوار الشهود لفني الزاهد والمزهود، رفعت الأشياء فوق قدرها حين زهدت فيها وذلك لحجابك عنه، لو شهدته فيها أو قبلها أو بعدها ما حجبت بها عنه. اشتغالك بها عنه هو الذي حجبك عنه، ولو شهدت وجودها منه ما حجبت بها عنه، ولا حال بينه وبين المعبود إلا الفرح بالموجود والحزن على المفقود، ولا حجبك عن النعيم إلا هذا الوصف الذميم، لولا الواشي والرقيب لم يكمل فرحك بالحبيب، ولولا النار ولذع النحل لم تكمل لذة الشهد والعسل، وهكذا....

وقال ـ رضي الله عنه ـ: من زعم أنه شرب من شراب القوم أو فهم معانيهم ولم يزهد في الدنيا فقد كذب، وكما أن الجنة محرَّمة على من لم يمت ويبعث، كذلك جنة المعارف محرمة على من لم تمت نفسه عن الدنيا وعن تدبيرها واختيارها، وعن إرادتها وشهواتها، وعن كل شيء دون الله.

وقال ـ رضي الله عنه ـ: والله لا تقل «أنا» إلا بعد حصول الفنا،

---

(١) سورة الجاثية ـ الآية ١٩.

ولا تحصل لك الحياة إلا بعد الممات، ولا تشرق لك الشموس إلا بعد موت النفوس، ولا تبلغ المنى حتى لا يبقى لك بين الأنام ثنا، ولا تذق طعم الإيمان إلا بالخروج عن الأكوان، ولا يحصل لك الهنا إلا بعد الفنا عن أهل الفنا، ولو انهتكت لك الحجب لشهدت في ذاتك المحبوب، ولو زالت عنك الأوهام لشهدت الباقي على الدوام، ولو طويت عنك مسافة نفسك لما رأيت موجوداً سوى ربك، ولو سلمت نفسك من الرذائل لجاء الحق وزهق الباطل، وهكذا..... وله: من الفوائد خرق العوائد - رضي الله عنه، والسلام.

الرسالة الثالثة والثمانون:

لا عبرة بعلم من تصرف قبل أن يتصوف.

٨٣ - **ومنها:** فلا تغتر بعلم من تصرف قبل أن يتصوف، والمتصرف قبل أن يتصوف هو الذي لم يتحقق بوصفه[١]، ولا يقبل من علم الصوفية - رضي الله عنهم - إلا ما كان ناشئاً عن تحقق بوصف وهو لا يخفى والله أعلم، إذ قالوا - رضي الله عنهم -: تكلموا تُعرفوا.

وفي الحكم العطائية: «كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز»[٢] إلى غير ذلك، والسلام.

الرسالة الرابعة والثمانون:

في حقيقة التجريد.

٨٤ - **ومنها:** فلا نحب أخي أن يتجرد من أسبابه وثيابه المعلومة

(١) أي أنه لم يتحقق بوصف العبودية الحقة وهو الوصف الذي ينبغي أن يتحقق به كل أحد.

(٢) الحكمة رقم ١٨٣.

حتى ينوي أنه قد تجرد من حالة أهل الغفلة ولبس لباس أهل اليقظة، أو تجرد من لباس أهل الدنيا ولبس لباس أهل الآخرة، أو تجرد من لباس أهل العوائد ولبس لباس أهل خرق العوائد، أو تجرد من لباس أهل البعد ولبس لباس أهل القرب، أو تجرد من لباس الأموات ولبس لباس الأحياء، أو تجرد من لباس الذل ولبس لباس العز، أو تجرد من لباس الفقراء من الله ولبس لباس الأغنياء بالله، أو تجرد من لباس العامة ولبس لباس الخاصة، أو تجرد من لباس العيال ولبس لباس الرجال، أو تجرد من لباس الرعية ولبس لباس السلطنة الربانية، والسلام.

الرسالة الخامسة والثمانون:

في التحذير من أهل الدنيا والحث على العزلة بشروطها الشرعية.

٨٥ ـ **ومنها:** فاحذر من أهل الأغراض الدنياوية دائماً، إذ في القرب منهم بعدٌ من الله،[١] ومن كذب فعليه لعنة الله.

ولا شك أن العزلة إذا كانت بشروطها تنتج خالص العلم، وخالص العلم ينتج خالص العمل، وخالص العمل ينتج خالص الحال، «حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال»[٢]، كما قال ولي الله تعالى الشيخ الجليل أبو العباس سيدي أحمد بن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ في حكمه.

---

(١) لأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، وإذا ما رأوا ذاكراً لله شغلوه عن ذكره وأبعدوه عن كل ما يقربه إلى ربه، هذا خلاصة حالهم.

(٢) والمقصود ارتواء القلب بما ينزله الحق فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي عنه كل شك وريب «الحكمة رقم ٤٦».

الرسالة السادسة والثمانون:

لا تجتمع رؤية الله مع رؤية ما سواه.

٨٦ ـ **ومنها:** فلا يمكن أن يرى ربنا ـ جلَّ جلاله ـ ويُرى معه سواه، كما لا يمكن أيضاً من يرى ربه أن يكون سيئاً خلقه، والسلام.

الرسالة السابعة والثمانون:

في تعظيم جانب الله تعالى وجانب أوليائه، والحث على التوسع في تفسير كتاب الله.

٨٧ ـ **ومنها:** فإني أحبك أن تعظم جانب ربك، إذ التعظيم هو سبب الربح، وما نال من نال خصوصية وبركة على يد أحد من أهل الله إلا بسبب تعظيمه إياه، ولولاه لم ينل منه شيئاً، وقد أحسنت ـ يا أخي ـ في تقييد كلامنا، فجزاك الله خيراً عنا:ـ

العلم صيد والكتابة قيده ... قيد صيودك بالحبال الموثقة

وأما قولك: اللسان والقلم عندك والقلب لم تعرف هل هو عندك أم لا؟ فاخبر نفسك وقت فاقتك، ووقت ذم الناس لك، ووقت فقدان شهوتك، فإن انشرح صدرك، وسررت حينئذ فالقلب عندك لا محالة، وشاهدنا من كتاب الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآية[١].

ونرى أنه شاهد كبير، إذ الإسلام الرفيع هو الإبراهيمي الذي عليه

(١) سورة الزمر ـ الآية ٢٢.

الصوفية[١]، إذ هم ـ رضي الله عنهم ـ كما يجدون قلوبهم وقت الرخاء يجدونها وقت الشدة، وكما يجدونها وقت الصحة يجدونها وقت المرض، ووقت العافية كوقت البلية، ووقت الغنى كوقت الفقر، ووقت العز كوقت الذل، ووقت التاسيع كوقت الضيق وهكذا....، كسيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ الذي وجد قلبه في غاية الضيق، أو نقول: البلية والمحنة.

اللهم اجعلنا وكل من تعلق بنا من أهل الملة الإبراهيمية بجاه خير البرية سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

واحذر ـ يا أخي ـ أن تفسر آية من الآي تفسيراً قصيراً، بل بالغ في تفسيرها تصيب، وإذا لم تبالغ في تفسيرها فإنك تخطيء لا محالة، إذ القرآن عظيم، ومعاني العظيم لا تكون إلا عظيمة، وفيه ما لا يعلم تأويله إلا الله، فياليت من فسّره من ساداتنا العلماء أهل الظاهر لو اشتغلوا بتلاوته عن تفسيره، حتى يفتح الله عليهم في معانيه الباطنة، ويكونون جامعين من علم الظاهر وعلم الباطن، أو بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، وحينئذ يفسرونه كما فسره كثير من الكُمَّل منهم ـ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ـ آمين.

فإن قلت: القرآن يشهد للإبراهيمي، ويشهد لغيره؟

قلت: وهل يستوي من لا يشرح صدره إلا لوجود شهواته وأغراضه،

---

(١) من التسليم لله تعالى في كل الأمور كما كان عليه سيدنا ابراهيم حين سأله جبريل وقت كان عليه الصلاة والسلام ملقى في النار فقال له: علمه بحالي يغني عن سؤالي، فقد فوض الأمر كله لله تعالى فأنقذه الله تعالى مما هو فيه وقال للنار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم، وكذلك من كان على تلك الحالة من التفويض لابد أن يبدل الله نار الذل إلى برد العز ونار الضعف إلى برد القوة ونار الفقر إلى برد الغنى وهكذا.... في جميع المحن والبلايا.

مع من غاب عن شهواته وأغراضه في شهود عظمة ربه؟ لا والله، لا والله، لا والله. واختبر قلبك أيضاً هل يستمد من القرآن العظيم، ومن حديث النبي الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن الشيوخ أهل الظاهر وأهل الباطن، ومن الإخوان، ومن الله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ فإن وجدته يستمد من الجميع فهو قلب كبير، وإلا فادن ممن حاله هكذا ولا تفارقه حتى تكون كما هو، صبغتك صبغته، وصبغته صبغتك، والمستمد من الله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تستمد منه المخلوقات بأسرها، علويها وسفليها، غائبها وحاضرها، قريبها وبعيدها، كثيفها ولطيفها، ومهما تقوّى استمداده تقوى استمدادها، ومهما ضعف استمداده ضعف استمدادها، لكن نرى إن كان كاملاً مهما تقوى استمداده في جهة توجه للأخرى لكي يعادل الجهتين المستمدتين منه لئلا يقع الممد لأحدهما، وهكذا صاحب هذا القلب أو نقول: صاحب هذا المقام العظيم إلى انقراض الدنيا، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الثامنة والثمانون:

في الحث على التقوى في طلب العلم.

٨٨ ـ **ومنها:** فإني أرى تحصيل العلم يتوقف على أمرين؛ أحدهما: الصدق دائماً في القول والفعل من غير تبديل ولاتغيير. الثاني: مناسبة الكلام للكلام، ولايفعل ذلك إلا من اتقى الله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ الآية[٢]، والسلام.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٢.

(٢) سورة الأنفال ـ الآية ٢٩.

الرسالة التاسعة والثمانون:

في الحث على التحقق بوصف العبودية الحقة في كل الأحوال.

٨٩ ـ **ومنها:** فإن شئت أن تكون قوياً على الدوام، فكن ضعيفاً على الدوام، وأقلل من الطعام والكلام، والاستئناس بالأنام، وإن شئت أن تكون غنياً على الدوام، فكن فقيراً على الدوام، وإن شئت أن تكون عزيزاً دائماً فكن ذليلاً دائماً، أو علوياً دائماً فكن سفلياً دائماً، أو حراً دائماً فكن عبداً دائماً، أو ترى كما تحب وترضى دائماً، فكن مع نفسك على ما لا تحب وما لا ترضى دائماً، أو معرفة الخلق إياك دائماً فاكتف بعلم الله دائماً، أو الفوائد دائماً فاخرق من نفسك العوائد دائماً، أو خفت العوائق دائماً فاترك العلائق[(١)] دائماً، والسلام.

الرسالة التسعون:

المرء مع من تعلق به.

٩٠ ـ **ومنها:** فالله يجعلك دليل الخيرات، فتفني النفوس وتحيي القلوب، واسمع ما قال محبنا سيدي محمد البوزيدي ـ رضي الله عنه ـ: النفس لا تموت مادامت مجاورة ومؤنسة بأهل النفوس الحية، إنما تموت بمجاورة أهل النفوس الميتة، انتهى. والله تعالى يجعلك حصناً حصيناً، فكل من تعلق بك ينجو أو يسعد، بجاه سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ انتهى.

وهذه المذاكرة قد كتبناها لأخينا في الله أبي عبد الله سيدي محمد

---

(١) العلائق: هي الأسباب التي يتعلق بها الطالبون ويتخلفون عن المراد «الهجويري ـ كشف المحجوب ـ صفحة ٦٢٨».

بن عبد الله المكودي[1] بتازة ـ حرسها الله ـ، إذ كان ـ رضي الله عنه ـ قد كتب لولدنا أحمد ـ رحمه الله ـ دليل الخيرات[2]، والحصن الحصين، والسلام.

الرسالة الحادية والتسعون:

لا يعرف الله تعالى من التفت إلى سواه.

٩١ ـ ومنها: فاحذر أن تكون حريصاً على مذاكرة أحد من الناس إلا إن اضطر إليك، وعلامة اضطراره إليك أن يتيسر لك ما تمده به من المواهب الربانية التي هي العلوم الوهبية، التي ترد على القلوب الخالية من حب الدنيا، المطهرة من كل وصف ذميم، وكن أيضاً مكتفياً بربك، ولا يكتفي به إلا من عرفه ـ سبحانه ـ، إذ محال أن تعرفه معرفة العيان ثم تلتفت إلى نعيم الجنان، وكل من زعم أنه عرف ربه ـ أو نقول: رأى ربه ـ وهو يلتفت إلى شيء دونه ـ جليلاً كان ذلك الشيء أو حقيراً ـ فهو كذاب.

---

(١) هو سيدي محمد بن عبد الله المكودي التازي، من أكبر تلامذة مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهما ونفعنا بمحبتهما وبمحبة الصالحين، له رضي الله عنه تآليف عديدة في التصوف، منها شرح على نظم أبي مدين، ورسالة في سلوك الطريق سماها الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان وغيرها من المؤلفات، توفي رضي الله عنه سنة ١٢١٤ هجرية. «إتحاف المطالع ـ موسوعة أعلام المغرب ـ وفيات سنة ١٢١٤».

(٢) لعله كتاب «دلائل الخيرات «لسيدي الإمام أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه جمع فيه ما يقارب من ألفي صيغة من صيغ الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رزق هذا الكتاب القبول والاشتهار ما لم يعط لغيره، فولعت به الخاصة والعامة وخدموه بشروح وحواشي، وما ذلك إلا لحسن نية مؤلفه وخلوص باطنه في حبه صلى الله عليه وآله وسلم، وقال أحد الشيوخ: إذا أردت أن تعرف مقام الرجل في القبول عند الله تعالى فانظر إلى مؤلفاته وتلاميذه.

وكيف لا يغيب عن كل شيء من يرى من ليس كمثله شيء؟ فأي جمال مثل جماله؟ وأي شيء يعشق في الدارين مثل رؤية وجه ربه؟ ورؤيته سبحانه لا تدرك ولا يطمع فيها أحد قط إلا بعد فناء نفسه ومحوها واضمحلالها، وذهابها وزوالها، ـ كما قلنا عن شيوخنا وشيوخهم، وشيوخ الطريقة كلهم ـ رضي الله عنهم ـ.

قلت: ولا يرى ربنا بالأشباح التي هي مادة الفناء، إنما يرى بالأرواح التي هي مادة البقاء، فافهم، والسلام.

الرسالة الثانية والتسعون:

في الحض على المذاكرة وبيان فضيلتها.

٩٢ ـ ومنها: فالمذاكرة[١] عند القوم ـ رضي الله عنهم ـ من أهم المهمات، فلا يستغني عنها إلا من جهل قدرها. وقد كان شيخ أستاذنا ـ وهو سيدي العربي بن عبد الله رضي الله عنه ـ يقول: الناس خمرتهم في الحضرة، وخمرتنا نحن في الهدرة[٢].

وأيضاً: مذاكرة اثنين أفضل من حمل وقرين ـ كما عند القوم ـ، وعليه فلا نحب من يسكت من الإخوان وقت المذاكرة، بل نكرهه الكراهة البالغة إذ لا فائدة في الصمت حينئذ إنما فيه قلتها، لأن المعاني

---

(١) يعني بالمذاكرة مدارسة العلوم والأحوال والأذواق بين أهل الفن الواحد.

(٢) قال العلامة الكاشاني: والمشارب على اختلاف أنواعها ترجع إلى أربعة: الماء القراح، واللبن، والعسل، والخمر. وهذه الأربعة هي مظاهر التجليات العلمية، فالماء القراح للتجلي المعنوي والعلمي، واللبني للعلوم الفطرية، والعسل للعلوم المحققة بالوحي والإلهام، والخمر لعلم الأحوال. «شرح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال للكاشاني ـ صفحة ٨٢».

تجر بعضها بسبب الكلام حتى يجر صاحبها إلى الحضرة الربانية. ولاخفاء أن الدجاجة لا تلد إلا بعد أن تجعل لها مولاتها بيضة، كذلك شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ لا ترد عليهم العلوم التي ينفقونها على المقتدي بهم إلا بوجود بحثهم وحكهم الحك البالغ[١]. والسؤال يدعو الجواب، والجواب يدعو السؤال، وهكذا. . . إلى أن يحصل الوصال.

وقد كنا ذات يوم على حال المذاكرة ـ ونحن بفاس البالي عمرها الله ـ وبعض الإخوان معنا صموت لا يتكلمون، إذ قلت لهم: تكلموا معنا أو قوموا عنا.

وكان أستاذنا يكره من يصمت من الفقراء وقت المذاكرة ويستثقله ويستقبحه، حتى كان يظهر أثر ذلك في وجهه ـ رضي الله عنه ـ، ويتلو قول الله عز وجل: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾[٢]، وكان يقول: لا يصمت وقت المذاكرة إلا من كان قلبه كالبيت المظلم المشحون بالخنافس[٣]، وأما من قلبه سليم من الخنافيس فلا يصمت بل يتكلم ويخرج ما بباطنه إلى وسط الحلقة، وينزله بها مليحاً كان أو قبيحاً، وأما الذي يخرج المليح والقبيح يخزنه بباطنه ويستحي أن يخرجه، فهذا لا يبرأ من علله، وقد غش نفسه وهو بين يدي الطبيب، والله يداوي كل عليل بمحض كرمه، بجاه النبي الحبيب ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصحبه، والسلام.

---

(١) وذلك بكثرة مجالسة المريد لشيخه ومدارسته ومذاكرته والتلقي عنه ولا يكون ذلك إلا بشرط الأدب الكامل كما مر، فما وصل من وصل إلا بالأدب، وما انقطع من انقطع إلا بترك الأدب.

(٢) سورة النمل ـ الآية ٨٥.

(٣) لأن المقام مقام مذاكرة ومدارسة، كالمريض بين يدي الطبيب ما ينبغي له أن يصمت، بل لابد له أن يتكلم مبيناً ما فيه من علل ليصف له الطبيب الدواء المناسب لعلله، ولا يكون هذا إلا بين يدي الشيخ ـ شيخ التربية المتحقق بشروط المربي الكامل ـ.

الرسالة الثالثة والتسعون:

في الحث على التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الأمور والأحوال.

٩٣ ـ **ومنها:** فإن شئت أن تتخلص من الشكوك والأوهام فتحصن دائماً بسنة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ومن أهم المهمات الاستبراء من البول، فلا تتوضأ حتى لا تشك في انقطاع بولك، وإن شئت أن تتقي ذلك كما يجب فالشبعة السنية تقرب الأمر عليك، وأما إن شبعت شبعة بدعية، وهي حتى تضيق نفسك على الطلوع والهبوط كما شأننا وشأن جلِّ الناس، فلا يمكنك ذلك لأجل أن البول والغائط يكثران عليك، وبكثرتهما يصعب عليك الاستبراء والوضوء في كل وقت، وإذا تعذر الاستبراء تعذر الوضوء، وإذا تعذر الوضوء تعذّرت الصلاة، وإذا تعذّرت الصلاة تعذّر الدين، وإذا تعذَّر الدين فأجرنا وأجرك على رب العالمين.

وإن شئت أن تتهنا من نفسك فدع حديثها عنك حين توسوسك، ولا تلتفت إليه، وإن هي تسلطت عليك ولم تعذرك، وقالت لك ـ مثلاً أنت من الخاسرين، فلا يشوشك قولها ولا يروعك، ولو قالت لك من مثل هذا ما قالت، إنما تجلس إن كنت جالساً، أو تبقى قائماً إن كنت قائماً، أو ترقد إن كنت راقداً، أو تأكل إن كنت تأكل، أو تشرب إن كنت تشرب، أو تضحك إن كنت تضحك، أو تصلي إن كنت تصلي، أو تتلو إن كنت تتلو، وهكذا. . .، ولا تسمعها إلا إن قالت لك: أنت من المؤمنين أو من العارفين، أو أنت في يد الله، وفضله وكرمه كبيران، إذ لا تنقطع عنك وساوسها إلا بالحالة الموصوفة والثبات عليها دائماً، مع التحصن بالسنة المحمدية، وأما إن سمعت حديثها، فتقول

لك: أنت من الخاسرين، ثم تزيدك «الظالمين»، ثم تزيدك «الفاسقين»، ولولا أن حد البلاء الكفر لقالت لك: أنت من الكافرين، ثم زادتك.

وقد كان لي أخ ـ رحمه الله ـ يسمع حديثها ويثق به، وكان كثير الهموم والأحزان بسبب ذلك، فقال ذات يوم لوالدنا ـ رحمه الله ـ وإنّا وإياه معه ـ: والله يا أبي ما نرى سفينتك إلا تهرست، فقال له: «يحرق بوك» ـ والله ـ ما تهرست، ولا هي إلا صحيحة كما كانت، إنما تهرسها بفيك، فسرني قوله ـ رحمه الله ـ غاية السرور، ونهضت بسبب قوله إلى ربي نهضة كبيرة، لأني نرى كثيراً من الناس في نعمة شاملة، من إيمان وصحة، وأكل، وشرب، ولباس، وركوب، وزواج، وعافية كبيرة، وغير ذلك من نعم الله، وهم ـ لطف الله بهم ـ في هم وغم وضيق دائماً، وذلك لغفلتهم عن ربهم، ووقوفهم مع حظوظهم، فلو تركوها وأقبلوا على ربهم كما أمرهم لذهب كل باس عنهم، إذ هو لا يكون إلا لأهل الغفلة، وأما أهل الذكر فلا، إذ الصاعقة لا تصيب الذاكرين ـ كما ورد ـ فاثبت يا أخي على هذه المذاكرة، واشدد يدك عليها إن أردت أن تعمل الطريق في الكون بأسره، وإلا فهو يعملها فيك كما عملها في أقرانك، وحتماً لم تعملها فيه يعملها فيك.

وقد كان أستاذنا يقول لنا ـ رضي الله عنه ـ: الكون دائماً يقول لنا بلسان حاله: اضرب وإلا فاحن قفاك تأكل [الزر][١]، والأمر كذلك هو، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الرابعة والتسعون:

الفرق بين الحقيقة النورانية والحقيقة الظلمانية.

٩٤ ـ **ومنها:** فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أني أرى كثيراً من الفقراء

(١) هكذا وردت في الأصل.

ومن غيرهم يعملون الحسنات ويعلمون أنهم عملوها، ويعملون أيضاً السيئات ولا يعلمون أنهم عملوها، ولا يفرقون بين الطاعة والمعصية، أو نقول: بين الروحانية والبشرية ـ والعياذ بالله ـ إذ ليس من يعلم ما يعمل كمن لا يعلمه، : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية[1]، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ الآية[2].

ولا شك أن من كان لا يفرق بين الطاعة والمعصية، ولا بين الروحانية والبشرية لا تكون حقيقته إلا ظلمانية، ولا تكون نورانية، والله يأخذ بيدنا، والسلام.

الرسالة الخامسة والتسعون:

الدواء الناجع لجمع القلب على الله.

٩٥ ـ **ومنها:** فلا شيء أقرب لجمع القلب على الله من الصمت والجوع، كما لا شيء أقرب لتشتيته من كثرة الأكل والكلام ـ حتى فيما يعني ـ، ولاشك أن المؤمن قليل الكلام كثير العمل، وحتماً يكون قليل الكلام كثير العمل، إذ الصمت ينتج الفكر، والفكر عمل قلبي، والعمل القلبي ذرة منه أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، وقد جاء في الخبر: (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة)[3]، والسلام.

الرسالة السادسة والتسعون:

في أمور شتى.

٩٦ ـ **ومنها:** فاعلم ـ رحمك الله ـ أني رأيت بعض رسائلك ـ يا

---

(١) سورة الزمر ـ الآية ٩.

(٢) سورة الرعد ـ الآية ١٦.

(٣) مر تخريجه.

سيدي أحمد اكعرير الزياتي ـ رضي الله عنك ـ قد قلت: إن العالم الجليل الشريف الأصيل أبا العباس سيدي أحمد بن عجيبة الأنجري ـ رحمه الله ـ له اعتناء بمطالعة كتب التصوف، فأحرى الحكم العطائية، وله شرح على الصلاة المشيشية، فظهر لي أنك مثله في ذلك، فلذلك حذرتك من الوقوف معها فيما مر، وهي وإن كانت في غاية الحسن فهي أيضاً لمن وقف معها في غاية القبح، إذ الأسرار لا تتلقى من السطور وإنما تتلقى من الصدور، كما في القرآن العظيم: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، وظهر لي أن الواردات الإلهية[1] التي وردت على سيدي الجنيد وسيدي الجيلاني، وسيدي الغزالي، وسيدي الشاذلي، وسيدي علي أستاذنا، ونظرائهم ـ رضي الله عنهم ـ فترد ـ إن شاء الله ـ على سيدي أحمد اكعرير، وعلى سيدي أحمد بن عجيبة، وعلينا وعلى غيرنا، إن عملنا بما علمنا، إذ جاء في الخبر: (من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)[2] فلا تنحجبا بما للناس من المعاني عما لكما، إذ لكما منها مثل ما للبحر من الأمواج، ولعن الله من كذب. وقد علمتما أن من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

وعن ابن أبي الحواري عن شيخه الداراني ـ رضي الله عنهما ـ: إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت إلى صاحبها بطرائف الحكمة، من غير أن يؤدي إليها عالم علماً. وهذا شأن السادات الصوفية ـ رضي الله عنهم ـ.

---

(١) الوارد: ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد، وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضاً وارد، ثم قد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم، فالواردات أعم من الخواطر، لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه، والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط... إلى غير ذلك من المعاني. «الرسالة القشيرية ٤٤».

(٢) مر تخريجه.

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يرى للناظرين
وألسنة بأسرار تناجي تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمين

وقد حذَّر سيدي أحمد الحداد الخمسي(١) سيدي ابن عسكر(٢) صاحب دوحة الناشر إذ كانا يتكلمان في التصوف ـ رضي الله عنهما ـ، وكان ابن عسكر يكثر من نقل كلام السادات، فقال له سيدي أحمد الحداد: إلى متى تقول قال فلان وروى فلان، فماذا تقول أنت وأنا؟، وكذلك سيدي علي بن ميمون قد حذَّره شيخه الدباس بالجريد كما بالروحة.

ولانحذِّر من العلوم الدينية كما توهم لك ـ يا سيدي أحمد اكعرير(٣) ـ إذ لا يعبد ربنا إلا بالعلم، إنما نحذِّر من الوقوف معه ـ كما قلنا لك ـ فكيف نحذر منه ولا أعظم من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد أمره الله أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: (كل يوم لا أزداد فيه علماً يقربني من

---

(١) الرجل الصالح الولي المتواضع في ذات الله تعالى الفقيه أبو العباس أحمد الحداد، كان رحمه الله يحترف صنعة الحديد، وكان إماماً بمسجد الشرفاء من قبيلة بني فلواط، وكان رحمه الله تعالى إماماً في الزهد والورع وقيام الليل والاجتهاد في المعاملات. كان مجاب الدعوة وله كرامات شائعة، أخذ عن الشيخ أبي محمد الغزواني وعن الشيخ أبي محمد الهبطي، توفي رحمه الله تعالى في حدود سنة اثنتين وستين وتسعمائة من الهجرة، ودفن بإزاء جامع الشرفاء من بني فلواط. «موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٨٩٤ وفيات سنة ٩٦٢».

(٢) هو سيدي القاضي محمد بن عسكر الشفشاوني قاضي قصر كتامة، توفي سنة ٩٨٦ هجرية «موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٩٣٦».

(٣) الكعر هو الشخص صاحب اللدد والعنيد ـ في الدارجة المغربية ـ.

(٤) سورة طه ـ الآية ١١٤.

الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم)[١].

ولا نكره مطالعة كتب التصوف وفيها من الفوائد خرق العوائد، وقد قالوا: احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

وأيضاً - يا سيدي أحمد -: لولا العلم لم يصلح جميعنا لشيء، لكن إن افتقرنا إلى ربنا جاءتنا علوم وهبية من عنده، كما جاءت كل من فرغ قلبه من الشواغل.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو العباس سيدي أحمد بن عطاء الله - رضي الله عنه - في حكمه: «ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشواً بصور الآثار، فارتحلت من حيث نزلت. فرِّغ قلبك من الأغيار يملؤها بالمعارف والأسرار»[٢].

قلت: والله - ياسيدي أحمد اكعرير - ما منعنا إلا من عدم افتقارنا إلى ربنا، ولو افتقرنا إليه لأغنانا كما أغنى أقراننا إذ قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣]، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾[٤].

والذل والفقر وصفان من أوصافنا اللازمين لك، ومع ذلك يثقل علينا أن نكون فقراء أذلاء، ولا طريق إلى الحرية[٥] إلا من باب الذلة والافتقار، فعليك بهما إن شئت أن تفوز:-

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في جامع العلم، وآخرون بسند ضعيف عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها وعن الصحابة أجمعين «الكشف ٢/١٢٦ الحديث رقم ١٩٩٤».

(٢) الحكمة رقم ٢٠٥.

(٣) سورة النور - الآية ٣٢.

(٤) سورة التوبة - الآية ٦٠.

(٥) الحرية في اصطلاح القوم هي إشارة إلى نهاية التحقق بالعبودية لله تعالى. وهو أن =

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة فكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن ذليلاً له فاقرا السلام على الوصل

وقال غيره :ـ

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضي المحبوب صحّ لك الوصل

وقال غيره :ـ

إذا كنت لم تصبر على الذل في الهوى تفارق من تهوى وأنفك راغم

وقال ابن الفارض :ـ

ولو عز فيها الذل ما لذَّ لي الهوى ولم تك لولا الذل في الحب عزتي[1]

وقال الشيخ الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ: والله ما رأينا العز إلا في الذل.

وقلنا ـ رضي الله عنا ـ: والله ما رأينا الذل إلا في الفقر، فمن

= لا يملكك شيء من المكونات وغيرها، فتكون حراً إذا كنت لله عبداً، كما قال بشر لسري السقطي رضي الله عنهما فيما حكى عنه أنه قال: إن الله تعالى خلقك حراً فكن كما خلقك، لاتُراءِ أهلك في الحضر، ولا رفقتك في السفر، اعمل لله ودع الناس عنك «قال الإمام الجنيد قدس الله سره العزيز: آخر مقام العارف الحرية. وقال بعضهم: لا يكون العبد عبداً حقاً ويكون لما سوى الله مسترقاً.

وقيل: الحرية الانطلاق عن رق الأغيار وهي على مراتب: حرية العامة عن رق الشهوات، وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم في إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار.

وقال العلامة التهانوي: الحرية انقطاع الخاطر من تعلق بما سوى الله تعالى بالكلية، فالعبد في مقام الحرية يأتي عليه وقت لا يتعلق فيه بأي غرض من الأغراض الدنيوية، فلا يهتم بالدنيا ولا بالآخرة.

(١) في الديوان:

ولو عز فيها الذل ما لذ لي الهوى ولم تك لولا الحب في الذل عزتي

ديوان ابن الفارض ـ صفحة ٣٣ ـ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي.

أراد أن يذل نفسه فليفقرها من الدنيا ومن الناس إلا من ينهض منهم حاله ويدل على الله مقاله[1]، إذ لاشيء أثقل عليها من ذلك، فانهض إليه - يا سيدي أحمد - ولا تنهض إلى غيره ترى عجباً، وإياك أن تقول: حتى... حتى[2]، وهكذا إلى أن يأتي الزعيم فينهض إليه، ويتركك معك تخوض فيك، فيأتيك الموت في الخلاء وحدك لا حنيناً ولا رحيماً ولا شفيقاً فتشنقك حتى تغيبك عن الوجود، وتمشي بك إلى ربك رغماً على أنفك، ولم يعلم بحالك إلا هو، إذ لم تدر أيضاً ما يفعل بك؟ لكن الغالب عليك أن تكون خائفاً مفتوناً، والفتنة أشد من القتل، والله يأخذ بيدنا وبيدك. ولا يعرف سر الافتقار الذي قلنا إلا من خرج حب الدنيا من قلبه.

واسمع شيئاً منه - يا سيدي أحمد -: قال ابن عسكر في دوحته: حدثني غير واحد من فضلاء مكناس أنهم جدبوا سنة فأتوا إلى الشيخ أبي الرواين[3] المجذوب - رضي الله عنه - ليستسقي معهم، فقال:

---

(١) كما قال سيدي ابن عطاء الله في حكمه: «لاتصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله».
انظر: الحكم العطائية «الحكمة رقم ٤٣».

(٢) أي: إياك أن تسوف الأمر بقول حتى أفعل كذا، أو حتى يحصل لي كذا فما أهلك أهل النار إلا سوف.

(٣) هو الشيخ الولي أحد رجال التصريف أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الرواين، كان هذا الشيخ من عجائب الدهر على طريق الملامتية، يتكلم بكلام فاحش، ويصبح غنياً، ويمسي فقيراً لا يلوي على شيء، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين، وأحوال تعتريه على الدوام، وإذا لقي أحداً من الأمراء وأرباب الأموال يقول له: اشتر مني ولايتك بكذا! فإن فعل، قال له: أنت آمن، وإن لم يفعل قال له: أنت معزول، فيكون ذلك كذلك بقدرة الله تعالى. ومناقبه لا تحصى، توفي - رضي الله عنه ونفعنا بمحبته في آخر العشرة السادسة من الهجرة سنة ٩٥٩ هـ، ودفن في باب روضة شيخه ابن عيسى رحمة الله عليه ورضوانه.

أمهلوني حتى أرجع إليكم، فدخل إلى داره، وتصدق بجميع ما كان بها، ولم يترك منه شيئاً، ثم لبس تليساً[1] وخرج إليهم، وقال: قوموا بنا الآن يصح الطلب، ويصدق الدعاء، فما رجعوا حتى كاد أن يحصل الغرق من شدة المطر.

فهذا شيء من سر الافتقار، ومن أسراره العجائب والغرائب، ويكفينا في سره قول الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2]، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾[3].

والشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبو الروابن المحجوب ـ رضي الله عنه ـ من شيوخ الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو زيد سيدي عبد الرحمن المجذوب ـ رضي الله عنه ـ.

وأما ما أنت عليه من النسك ـ يا سيدي أحمد ـ فلا يخفى، لكن نحبك أن تعرف ما أقول لك، وهو إذا كانت اللحاحة لك في الظاهر لم تكن لك في الباطن، وإذا كانت لك في الباطن لم تكن لك في الظاهر، إذ القوة لاتكون في الجهتين ـ كما قلنا لك ـ، وقد كررنا قولنا مراراً متعددة لعل من يسمعه.

وقلنا في بعض المذاكرة: فلانحب من يقول: الله، الله، دائماً وحالته الهيمان في الدنيا، والكب على القيل والقال، إنما نحب من يقوم بالمفروض وبما تأكد من المسنون، مع ترك ما لا يعني، ويتخلق دائماً

---

(١) التليس: نوع من السجاد الرخيص خفيف النسج يفرش على الأرض، ويستعمله فقراء المغاربة غطاء، أما أغنياؤهم ومتوسطو الحال فيستعملون السجاجيد «الزرابي» والمادة عربية.

(٢) سورة النور ـ الآية ٣٢.

(٣) سورة التوبة ـ الآية ٦٠.

بالخلق الكريم، فإذا قال ﴿الله﴾ مرة واحدة، أو صلى صلاة واحدة، أو تلا سورة واحدة، فخير له من ألف مرة مع الحالة ـ والله أعلم ـ.

فإن فهمت هذا ـ يا سيدي أحمد ـ وكنت عليه فإنك تخفف عن نفسك حملها وتزيد بها إلى ربها، إذ لا شك أنه أقرب للتقوى ـ والله أعلم ـ، كما لا يعرف سر الذل الذي تقدم أيضاً إلا من ترك نفسه، كالذي قال: طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل. ولابد من الشيخ في هذا الفن وفي غيره من الفنون، والله أعلم ـ إذ قالوا: من لا شيخ له فالشيطان شيخه. وقالوا أيضاً: من لا شيخ له لا قبلة له. وقال ابن شيبان ـ رضي الله عنه ـ من ليس له أستاذ فهو بطال. وحذف الوسائط اختلال، وإسناد الفعل لها ضلال.

ونرى ـ والله أعلم ـ أن من فتح له في علم الحقيقة من غير واسطة، فيجب عليه بشريعة أهلها ـ رضي الله عنهم ـ أن يتخذ شيخاً من شيوخها، أي: من شيوخ علم الحقيقة ـ إن وجده ـ ولا يفقده إلا من استغنى عنه فرأى نفسه، والله أعلم. وأما من افتقر إليه فأظنه يجده أينما كان، إما يأتي الشيخ إلى المريد، وإما يأتي المريد إلى الشيخ، القدرة تحمل الشيخ إلى المريد، أو تحمل المريد إلى الشيخ، والله على ما نقول وكيل. وأما إن سلك الطريقة بدون الشيخ بل برأي نفسه فقط فيكون ـ والله ـ كما قال سيدي أبو حامد الغزالي ـ رضي الله عنه ـ في بداية الهداية: أن المريد إذا لم يكن له شيخ لم يجيء منه شيء، كشجرة تنبت في الفيافي، فإنها تنبت ولا يتم ثمارها. وأما من يقول: لا شيخ اليوم، فقد أخطأ وما أصاب، ولعن الله من كذب.

واسمع ـ يا سيدي أحمد ـ ما وقع لبعض المشارقة إذ جاء إلى مغربنا يسأل عن القطب، فلقي الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي عبد

الوارث اليالصوتي[1] الذي هنا ببني زروال ـ رضي الله عنه ـ فسأله عن القطب؟ فقال له: لو فتح الله بصيرتك لوجدته أمامك.

وأما قول الشيخ الجليل أبي العباس سيدي أحمد زروق، الذي نقله عن شيخه الحضرمي ـ رضي الله عنهما ـ فلا نسمعه، وإن سمعته فلا نقبله، ولا نعرف من ربي ذلك، وإنما نعرف منه البركة، أو نقول: الحكمة لا تنقطع مادام ملك الله، إذ قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[2]. وقد اعترض علينا به كثير من الفقهاء، وكثير من غيرهم فلم تقبله عقولنا، ولم تنشرح إليه صدورنا ـ ونحن في حال الشباب ـ فضلاً من الله ونعمة. والطرق التي تتبع الحضرمي ـ رضي الله عنه ـ إنما هي فروع لا الأصل، والأصل حقاً هي الشاذلية المحضة فلا يبدلها مبدل، ولا يغيرها مغير حتى تقوم الساعة ـ كما قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي الخروبي الطرابلسي للشيخ الجليل الشريف الأصيل أبي حفص سيدي عمر بن عبد الوهاب الحسني العلمي[3] من حفدة الشيخ القطب الكبير مولانا عبد السلام بن مشيش ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وهذه الطريقة لها حفاظ يحفظونها وحراس يحرسونها إلى يوم القيامة، وهم أهل الله تعالى، وأنصار دينه الذين وهبهم الله تعالى العلم

---

(١) مرت ترجمته.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٠٦.

(٣) سيدي عمر بن عبد الوهاب العلمي الحسني، كان رضي الله عنه خيراً ديّناً متمسكاً بالسنة وأقوالها، توفي رضي الله عنه سنة ١١٨١ هجرية ـ على ما ذكره في إتحاف المطالع «موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٣٩١».

الظاهر والعلم الباطن، وأمدهم باسمه (الناصر)، وباسمه (الحفيظ)[1]، إلى آخر كلامه. وأظنك تعرف هذا في أجوبة الخروبي المذكور للشريف المذكور عن أحوال القطبانية، فإني رأيت شيئاً منها بخطك في آخر رسائلنا التي كانت عنده.

وقد تكلمنا ذات يوم في أحوال القطبانية، وفي التخلق بالرحمة، واستغرقنا في ذلك غاية الاستغراق، فأيدنا الله بها، إذ كانت لنا حجة على ما رأينا من أحوال القطبانية، ولم يكن لنا علم بها قط، إنما آتانا ربنا بها من الغيب ومن القرب لا من البعد، ومن عند المعارف لا من عند غيرهم، وهذا لا يقع إلا لأهل الصدق الكبير، وقد وقع لنا والحمد لله والشكر لله، ولا نحب من يغلق باب الله في وجوه عباد الله، وهي مفتوحة على الدوام، بل نكرهه الكراهة البالغة، والله على ما نقول وكيل.

ولا نرى الفضل إلا لمن يوسع ويسهل على عباد الله أمورهم بالآي والأحاديث، ونرى أيضاً من ضيق عليهم ضيق الله عليه، ومن وسّع عليهم وسع الله عليه، ومن شدد عليهم شدد الله عليه، أو من صعّب عليهم صعّب الله عليه، ومن سهّل عليهم سهّل الله عليه، ولا

---

(١) من هنا أقول: فلينتبه وليحذر الذين يناصبون أهل هذه الطريقة العداء باسم العلم تارة، وباسم محاربة البدع والدعوة إلى التوحيد تارة أخرى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!!!!، وأنت ترى يا أخي أن العلم الحقيقي والمعروف الحقيقي ما هو إلا في هذه الطريقة أعني طريقة أهل الله تعالى وطريق التصوف الحقيقي الموافق للشريعة، ولا عبرة بالمتطفلين الذين يدعون التصوف وهو منهم براء، بل ربما يكون من أهل هذه الطريقة من هم أعداء للتصوف بل هم الأعداء الحقيقيون للتصوف، فلا تغتر يا أخي بالمدعين، كما لا تسمع للمعادين للتصوف المحاربين له باسم السلفية ـ بل هي تمسلف ـ ومحاربة البدع.... وما هؤلاء وأولئك إلا رسل للشيطان يحاربون أولياء الرحمن، والله من ورائهم محيط.

شك أن أهل النية والمحبة والصدق والظن الحسن لا يقطعهم عن ربهم قاطع، ولا يمنعهم منه مانع، إذ هم دائماً سرمداً أمنهم الله، ومنه إليهم من غير حائل لهم، ولا له سبحانه عنهم، والحائل محال في حقه ـ جل جلاله ـ، وقد قال الشيخ الجليل البوصيري في بردته:ـ

محضتني النصح لكن لست أسمعه إن المحب عن العذال في صمم

فهم ـ بارك الله فينا وفيهم وكان لنا ولهم ـ دائماً يتوبون، دائماً يربحون، دائماً يسلكون، دائماً يصلون، فباب الكرم هو الباب يا من لا يفرق بين الصواب، وأما من يريد الدخول من غيرها فلا يدخل أبداً، إذ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢)، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾(٣)، إلى غير ذلك إذ هو سبحانه قرّب من قرّب بغير علة، وبعّد من بعّد من غير علة، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(٤)، والسلام.

الرسالة السابعة والتسعون:

في مجاهدة النفس والزهد في الدنيا.

٩٧ ـ ومنها: فأوصي ساداتنا ـ أبقى الله وجودهم لنا ـ أن يجعلوا دائماً وقتاً لله تعالى، لا لحظ من الحظوظ، سواء كان بالليل أو النهار، يتلون فيه كلام الله، أو يذكرون فيه «لاإله إلا الله»، أو الاسم المفرد

(١) سورة البقرة ـ الآية ٦٤.
(٢) سورة النساء ـ الآية ٨٣.
(٣) سورة النور ـ الآية ٢١.
(٤) سورة النور ـ الآية ٤٠.

فقط، أو يصلون ما شاء الله، أو يصلون على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. والله إن كنتم على ما قلت لكم حتى يفتح الله عليكم فتحاً غير الذي فتح عليكم وأكبر منه، ويظهر فضله عليكم كما ظهر على أمثالكم من أهل العلم وغيرهم، ولا تقنعون بما أنتم عليه من العلم الظاهر بل اطلبوا العلم الباطن كما تطلبون العلم الظاهر، وتسببوا في تحصيلهما معاً.

وكونوا ـ وفقكم الله ـ من أهل القلوب والجوارح، ولا تكونوا من أهل الجوارح فقط، (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم) كما ورد[1]، وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2] وفيه أيضاً: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[3] وغير ذلك.

واحذروا غاية جهدكم من العمل بقول القائل: ليس إلا أهل الظاهر، وأما أهل الباطن فتلك أمة قد خلت[4]، وقد صرح بهذا كثير

---

(١) حديث: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه (الجامع الصغير ـ ١/٢٤٦ الحديث رقم ١٨٣٢).

(٢) سورة الحج ـ الآية ٤٦.

(٣) سورة الأعراف ـ الآية ١٧٩.

(٤) لأن في ذلك نوعاً من القنوط من رحمة الله تعالى، وفيه أيضاً نوع من سوء الأدب على الله تعالى الذي يفيض برحمته ـ التي لا حد لها ـ على من يشاء في أي وقت يشاء، ومن رحمته تعالى وجود أهل الحقيقة العارفين والمربين الصادقين في كل مكان لكن ـ وكما قال إمامنا البوصيري رضي الله عنه :ـ

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

فافتح ـ يا أخي ـ عين قلبك تر من تبحث عنه أمامك، والله الموفق والهادي. ورحم الله ابن عطاء القائل في حكمه الجليلة: «سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا =

من أهل العلم ـ رضي الله عنهم ـ وليس الأمر ـ والله ـ ما هم عليه بل هو خلاف ما هم عليه:ـ

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

والله ـ يا سادتي ـ ما تكرم الله بالعلم الباطن والفتح الكبير بعد قول الشيخ أبي العباس سيدي أحمد زروق وغيره، لا على العدد الكثير من أهل العلم ومن غيرهم، ومن أراد أن يتحقق بما هو حق وبما هو باطل فليترك حب الدنيا من قلبه ولا يرضى عن نفسه، لأن بترك الدنيا تتقوى النورانية، وبتقوية النورانية يتقوى اليقين، وبتقوية اليقين تعلو الهمة عن الأكوان، وبعلوها عن الأكوان يحصل الوصول إلى مكونها، والوصول إليه وصول إلى العلم به، فهذا اعتقادنا، ونحن عليه إلى لقاء ربنا، ولا نعتقد غيره قط، لأن من كان لله كان الله له، وكيف يخلو من الخير والبركة من كان الله له؟ فهذا محال والله.

وقولنا لكم: اجعلوا وقتاً لله تعالى لا لحظ من الحظوظ، لأن المنقطع إلى الله دائماً له أنوار وأسرار، وله خصوصية، ومن له خصوصية يعرف الحق من الباطل، ومعرفة الحق من الباطل مرتبة غالية بخلاف من ليس له خصوصية إنما له العمومية، فلا يرى إلا ما يرى العموم.

وأظن أن الشيخ سيدي أحمد زروق قد قال بانقطاع أهل التربية قبل أن يعرفهم، وقبل أن يفتح الله عليه ـ إلا في آخر عمره ـ ولم يعش بعد الفتح إلا مدة قليلة، وليس من عاش بعد الفتح أعواماً عديدة كمن مات بقرب فتحه، أو نقول: ليس من دخل البلاد وأقام بها حتى عرف

= من حيث جعل الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه «فافهم» فهمنا الله وإياك بجاه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

عامتها وخاصتها وما اشتملت عليه كمن دخلها صباحاً وخرجها مساءً، والسلام.

الرسالة الثامنة والتسعون:

في حقيقة الشهود.

٩٨ ـ **ومنها:** فالعجب كل العجب ممن لايرى إلا البعد مع أنه لابعد في الحقيقة إنما القرب، إذ قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(١).

وكما قال سائر المحققين ـ رضي الله عنهم ـ إذ قال بعضهم: لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع، فإنه لا غير معه حتى أشهده معه(٢). وقال بعضهم:ـ

مذ عرفت الإله لم أر غيراً ... وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقاً ... وأنا اليوم واصل مجموع

أبى المحققون أن يشهدوا غير الله، وقال بعضهم:ـ

اللهَ قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتاداً بلوغ كمالِ
فالكل دون الله إن حققته ... عدم على التفصيل والإجمالِ
واعلم بأنك والعوالم كلها ... لولاه في محو وفي اضمحلالِ
من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محالِ
فالعارفون فنوا ولمّا يشهدوا ... شيئاً سوى المتكبر المتعالِ
ورأوا سواه على الحقيقة هالكاً ... في الحال والماضي والاستقبالِ

---

(١) سورة ق ـ الآية ١٦.

(٢) وكما قال العلامة السهروردي: الشهود هو الحضور وقتاً بنعت المراقبة، ووقتاً بوصف المشاهدة، فما دام العبد موصوفاً بالشهود والرعاية فهو حاضر.

وقال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو زيد سيدي عبد الرحمن المجذوب[١] ـ رضي الله عنه ـ:ـ

غيبت نظري في نظري وافنيت عن كل فانِ
حققت ما وجدت غير وامسيت في الحال هانِ

وأعجب وأعجب ممن هم عند الناس من أهل القرب وهم لا يرون إلا البعد[٢] مع أنه لا بعد كما قلنا إنما هو قرب، والسلام.

الرسالة التاسعة والتسعون:

في الحث على الدنو من أهل الخير والابتعاد عن أهل الشر دائماً.

٩٩ ـ ومنها: فالرؤية التي رأيتنا في المنام نسأل الله تعالى أن تكون لك سبباً في هداية كبيرة، إذ كم من واحد فتح الله عليه بسبب رؤيته[٣]، وأول أمر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الرؤية، لكن ادن أيها الفقير من أهل الخير وابعد من أهل الشر دائماً، واترك ما لا يعنيك، وتخلّق بخلق نبيك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تر عجباً، والسلام.

الرسالة المكملة المائة الأولى:

في التحذير من علماء السوء الذين يعلمون ولايعملون.

١٠٠ ـ ومنها: فاعلم ـ أيها الفقيه ـ أني أحبك أن تتخلق بعكس ما هم عليه جلُّ فقهاء وقتك[٤] ـ لطف الله بهم ـ، إذ هم قد تركوا الخلق

---

(١) المتوفى سنة ٩٧٦ هجرية ـ رضي الله عنه وأرضاه.

(٢) لما يلبسون على الناس من أحوال هم غير متحققين بها.

(٣) أي رؤياه، إذ الرؤيا تكون في حال النوم، والرؤية في حال اليقظة.

(٤) ووقتنا أيضاً لطف الله بهم وبنا، تجد أحدهم يحمل من العلوم القناطير، ولاتجد لديه =

الكريم وتخلقوا بالخلق الذميم، إذ هم يعلمون ولا يعملون، يتكبرون ولايتواضعون، يحرصون ولا يقنعون، يرغبون ولا يزهدون، يبخلون ولايسخون. الله أكبر ماأبعدهم من العلم!!!، وما أقربهم من الجهل؟ فاهرب - يا أخي - اهرب ولا تلتفت، وإن شئت أن ترث الأنبياء - عليهم السلام - فتخلق بخلقهم، وسر على سيرهم، والسر والفضل والبركة والخيرات في ترك الدنيا الذي هو شأن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والأولياء - رضي الله عنهم -. والتجرد منها ظاهراً وباطناً هو طريق النبي - عليه أفضل الصلاة والسلام - ومن تمسك بسنته وهو على بينة من ربه، فعليك بذلك، والله يوفقك، والسلام.

الرسالة الأولى بعد المائة:

لا تحصل الاستقامة إلا بترك حب الدنيا من القلب.

١٠١ - ومنها: فالاستقامة مطلوبة منا ظاهراً وباطناً، وهي لا تحصل لأحدنا ولو عمل ما عمل إلا إن ترك حب الدنيا من قلبه. والله لا يستقيم عالم إلا إن تركها، ولا صائم النهار ولا قائم الليل إلا إن ترك حبها من قلبه - كما قلنا -. وعلامة ذهاب حبها من قلبه: أن ينقبض بوجودها، وينبسط بفقدانها، والسلام.

= من الأخلاق النبوية والآداب المرضية درهماً أو دانقاً أو فلساً.. وما ذلك البلاء إلا لعدم تربيتهم على أيدي المربين الصادقين، وإنما اكتفوا بما يسمى «الإجازات العلمية «من بعض الجهات وكأن هذه الإجازات أو الشهادات العلمية (جواز سفر)، أو رخصة تسمح لأحدهم بالتطاول على الأئمة وسلف الأمة وأهل الله العارفين بحجة ظاهرها الحق لكن أريد بها الباطل. أنهم - أي المدعون - رجال، ومن سبق من الأئمة والأعلام رجال فلا بأس أن نرد من كلام أولئك ما يحلو لنا!!!، أليس هذا هو البلاء بعينه؟؟؟ وما أكثر هؤلاء في أيامنا هذه نسأل الله لنا ولهم الهداية آمين.

الرسالة الثانية بعد المائة الأولى:

في الحض على تعظيم الأشياخ والإخوان في الله تعالى.

١٠٢ ـ ومنها: فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أن شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ الجامعين بين الجذب والسلوك، وإن شئت قلت: بين السكر والصحو، هم الوسائط بيننا وبين ربنا، لا من هو سالك من غير جذب أو مجذوب من غير سلوك، أو نقول: لا من هو سكران من غير صحو، أو صاحٍ من غير سكر، فمن تعلق بهم نجا، ومن تخلف عنهم غرق، إذ قالواً ـ أي القوم رضي الله عنهم ـ: من لا شيخ له فالشيطان شيخه.

ونؤكد عليكم تأكيداً محتماً أن تعظموا أشياخكم وإخوانكم وكافة عباد ربكم، إذ بالتعظيم لما ذكرنا تتعظموا أنتم، وبالإهمال له تهملوا أنتم:ـ

انظرتهم نظرني شرفوا عيوني

كما قال ولي الله تعالى سيدي محمد الشرقاوي ـ نفع الله به ـ. وأن تحذروا غاية جهدكم من عقوقهم، إذ قالوا ـ أي القوم رضي الله عنهم ـ: عقوق الأستاذين لا توبة لها، والسلام.

الرسالة الثالثة بعد المائة الأولى:

ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح والعكس صحيح.

١٠٣ ـ ومنها: فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أني كتبت إليكم كتباً متعددة، ولم أدر هل وصلتكم أم لا؟ والآن إن كتبتم إلينا كتاباً فلا يلتفت حامله إلى شيء قط حتى يوصله إلينا ويرد إليكم جوابه إذ لذلك وجه ظاهر وهو إن كان منكم إلينا ومنا إليكم من غير حائل له، كان

الماء جارياً منا إليكم ومنكم إلينا وإلا فلا، إذ الحس عين المعنى عندنا وعند كافة أهل مقام الفناء ـ رضي الله عنهم ـ وهو إن كان مسرحاً كان المعنى كذلك وإلا فلا، وقد قنعنا منكم بالكتابة لكن بشرط أن تكون منكم إلينا ومنا إليكم من غير حائل كما قلنا. وقد قالوا ـ أي القوم رضي الله عنهم ـ: ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح، ولا خسر من خسر إلا بصحبة من خسر. وصحبتنا تثبت ـ إن شاء الله ـ بالكتابة بشرط منا إليكم ومنكم إلينا من غير حائل ـ كما قلنا ـ والسلام.

الرسالة الرابعة بعد المائة:

الإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١٠٤ ـ **ومنها:** فكما أحببتمونا أحببناكم، والله على ما نقول وكيل. ونحبكم ـ بارك الله فيكم ـ أن تقربوا من الرحمة دائماً، أو نقول: تستغرقوا في الرحمة دائماً، ورسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عينها[1]، فادنوا منه بكثرة الصلاة عليه والسلام ـ كما قلنا لكم قبل هذه الأيام ـ وابعدوا أيضاً من كل ما يشغلكم عن ربكم ولا تقربوا منه، وأهملوا بطونكم وظهوركم ما استطعتم، إذ في إهمالها من الفوائد خرق العوائد، حتى يظهر لي أن من قنع من الدنيا وأفطم نفسه دائماً عنها، وأهمل ظهره وبطنه، وقام بالمفروض وبما تأكد من المسنون، وترك دائماً ما لا يعني، كان ـ والله ـ محيطاً بالسنة المحمدية، ومن لم يكن هكذا وكان على كثير من غيره فليس بسُنِّي، والله أعلم.

---

(١) كيف لا وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أنا رحمة مهداة» رواه ابن سعد والحكيم عن أبي صالح، والحاكم أيضاً في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً» رواه البخاري في التاريخ عن أبي هريرة، وهو حديث حسن كما ذكر السيوطي في الجامع.

وستعم الوجود رحمة عظيمة ـ إن شاء الله ـ كما عمَّته زمن الجنيد والغزالي والشاذلي والحاتمي ونظرائهم ـ رضي الله عنهم ـ إذ كلٌ منهم كان في الوجود بمنزلة القلب الصافي المجوهر في الجسد، فلذلك ظهرت محاسنهم على الوجود حتى كان ما فيه ما كان من الخيرات، لأن القلب إذا كان كثير المحاسن فحتماً تظهر محاسنه على الجوارح، وإذا كان كثير القبائح فحتماً تظهر قبائحه على الجوارح، وهذا خبر معلوم، والسلام.

الرسالة الخامسة بعد المائة الأولى:

الحكمة من البلاء وإنه لا يتسلط إلا على الصادقين كلٌ على قدره.

١٠٥ ـ ومنها: فالمرض الذي أصابك يصيب المحبوب عند الله: (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل)[١] فلا تحزن لأجله إذ هو لا يتسلط ـ في الغالب ـ إلا على أهل الصدق والمحبة، إذ به تحصل لهم الزيادة إلى ربهم، وبه تصفو قلوبهم وتتجوهر، ولولا التعرُّفات ما حصلت لأحد المعرفة، هيهات هيهات، إذ «لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين» ـ كما في الحكم العطائية[٢]ـ وفيها:

(١) حديث: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل) رواه الطبراني في الكبير عن أخت حذيفة، ورمز السيوطي لحسنه في جامعه «الجامع الصغير ١/١٣٦».
وفي رواية: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه: فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) رواه البخاري والترمذي وابن ماجة والإمام أحمد كلهم عن سعد بن أبي وقاص «الجامع الصغير ١/ ١٣٦ الحديث رقم ١٠٥٤».

(٢) الحكمة رقم ٢٤٤.

«إلهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرَّف إليَّ في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء».

وقد قالوا أي القوم ـ رضي الله عنهم ـ: عند تقلبات الأحوال يعرف الرجال من الرجال.

وفي القرآن العظيم: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآية[1].

واسمع أيضاً ما هم عليه أهل معرفة الله، فقد قيل لسيدنا عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ ما تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله.

وقال الشيخ الجليل مولانا عبد القادر الجيلاني ـ رضي الله عنه ـ:

وما لي إن حلّ البلاء التفاتة ... وما لي إن فاجا النعيم مراتع

فما أنا من يسلو ببعض غرامه ... عن البعض بل بالكل ما أنا قانع

وقال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله في حكمه: «ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك»[2]، ولا شك أن أشرف الأوقات عند القوم ـ رضي الله عنهم ـ هو وقت فاقتهم ـ أي: باحتياجهم ـ إذ بذلك تحصل لهم الزيادة.

قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله في حكمه ـ رضي الله عنه ـ: «خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه إلى وجود ذِلَّتك»[3].

وقال: «ربما وجدت من المزيد في الفاقة ما لا تجده في الصوم والصلاة»[4].

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآيتان ١، ٢.

(٢) الحكمة رقم ١٠٥.

(٣) الحكمة رقم ١٠٠.

(٤) الحكمة رقم ١٧٥.

والفاقة عبارة عن شدة الاحتياج. وكان شيخ شيخنا سيدي العربي بن عبد الله يسميها «الحيزة» لأنها تحوز صاحبها إلى ربه. وكان أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ يقول: «لو علم الناس ما في الاحتياج من الأسرار والخيرات لم يحتاجوا إلى شيء سوى الاحتياج».

وكان يقول: إنه يقوم مقام الاسم الأعظم. وكان ـ رضي الله عنه ـ يفسر القدر بالضيق(١). ونرى أن المعرفة تدفع البلاء عنا كما دفعته عن غيرنا من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومن الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ الآية(٢).

وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾(٣) مع أن البلاء الكبير لم ينزله الله إلا بهم محبة فيهم واعتناء بهم، إذ في القرآن العظيم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ﴾ الآية(٤)، وفيه أيضاً: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ﴾(٥) وفيه غير هذا لكن معرفة ربهم واستغراقهم في شهود عظمة ذات ربهم قد غيبتهم عن الشر والخير، إذ هم ـ رضي الله عنهم ـ لا يرون خيراً ولا شراً، إنما يشاهدون ربهم، وهم ـ رضي الله عنهم ـ كما يشاهدونه في النعم يشاهدونه في النقم، إذ هو المنعم وهو المنتقم، أو كما يشاهدونه في العطاء يشاهدونه في المنع، وهكذا. . . .

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ «سورة الفجر ـ الآية ١٦» أي: ضيق عليه رزقه.

(٢) سورة الأنبياء ـ الآيتان ٦٩، ٧٠.

(٣) سورة النحل ـ الآية ٣٠.

(٤) قوله تعالى: ﴿وكأي من نبي قاتل ـ وفي قراءة قتل ـ معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ سورة آل عمران ـ الآية ١٤٦.

(٥) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٠.

قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله في حكمه ـ رضي الله عنه ـ: «متى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره فهو في ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك»[1].

وحاصل الأمر: هو الجليل عندهم وهو الجميل، والبلاء لا يعرفونه ولا يعرفهم ـ رضي الله عنهم ـ إذ ما هو إلا لأهل الحجاب وليس هو لأهل رفع الحجاب[2]، فسبب العذاب وجود الحجاب، وإتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم، و«ماتجده القلوب من الهموم والأحزان فلأجل ما منعت من وجود العيان» كما في الحكم العطائية[3]، والسلام.

الرسالة السادسة بعد المائة:

من أقوى أسباب القطيعة عن الله الوقوف مع الوهم.

١٠٦ ـ **ومنها:** فالوهم باطل، لكن صَوَّره الحق لحكمة كبيرة، وكل أمر إمر[4] فله سر كبير، ووجه واضح شهير، إذ قال تعالى:

---

(١) الحكمة رقم ٩٣.

(٢) الحجاب حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طالبه وقاصده، كان سري السقطي رضي الله عنه وعنا به يقول: «اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلِّ الحجاب». وقال سيدي محمد بن علي الكتاني رضي الله عنه: «رؤية الثواب حجاب عن الحجاب، ورؤية الحجاب حجاب عن الإعجاب «معناه والله أعلم أن رؤية العبد الثواب لعبادته وذكره حجاب له عن الحجاب المنهي عنه، ورؤيته للحجاب حجاب له عن إعجابه بعلمه».
وقال العلامة الكاشي: الحجاب انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحقائق. وقال الجرجاني: «الحجاب كل ما يستر مطلوبك وهو عند أهل الحق انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق.

(٣) الحكمة رقم ٢٢٤.

(٤) أي أمر عظيم، وخطب جليل.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾[1]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[2] حاشا ربنا أن يخلق ذلك، بل تعالى ربنا عن ذلك، وهو ـ أي الوهم ـ إن لم تتسلط عليه ـ أي: تجور برأيك عليه ـ فحتماً يتسلط عليك، ويجور برأيه عليك، وإن لم تنف رأيه ينفي رأيك، وليس هو شيء لكن إن سمعت حديثه ضعف لك يقينك، وسلبك منه إلى طرف، وإن لم تسمع حديثه تقوّت نورانيتك، وبتقويتها يتقوى يقينك، وبتقويته تعلو همتك، وبعلوها تصل إلى ربك، ووصولك إليه ـ سبحانه ـ وصولك إلى العلم به، وهو أيضاً عند من لم يسمع حديثه، ولم يتبع رأيه من السائرين به إلى الله كالريح القوية المسرحة عند ربابين البحر، وفي ساعة واحدة يصلون به إلى ما لم يصل غيرهم إليه في شهر أو سنة، والله أعلم.

ومن وقف مع حديثه ورأيه بقي والله معوقاً بجزيرة القطيعة، أي: وقع له كما يقع لربابين البحر، فهكذا شأنه.

ونرى أن من ترك ما لا يعنيه فأقل شيء من الأسباب يكفيه، وإن لم يتركه فلا يكفيه شيء ولو عمل ما عمل، والسلام.

الرسالة السابعة بعد المائة الأولى:

في فضيلة ذكر الله تعالى.

١٠٧ ـ ومنها: فالخير كله في ذكر الله، إذ قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3]، وقال تعالى:

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٩١.

(٢) سورة المؤمنون ـ الآية ١١٥.

(٣) سورة الأحزاب ـ الآية ٣٥.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وقال عليه الصلاة والسلام في ما رواه عن ربه ـ سبحانه ـ: (أنا جليس من ذكرني، وأنا معه حين يذكرني. .) إلى آخره[3]، وهذا كاف في فضل الذكر وذم الغفلة، فإن لم يكفنا في فضله ما ذكرنا من الآي والحديث فلا يكفينا شيء ولا خير فينا، وعظّم الله الأجر فينا، إذ لا نحتاج إلى شيء آخر، إنما نحتاج إلى مخالفة أهوائنا، إذ هي[4] تنتج العلم الوهبي، والعلم الوهبي ينتج اليقين الكبير، واليقين الكبير يخلصنا من الشكوك والأوهام، ويوصلنا إلى حضرة الملك العلام سبحانه لا إله إلا هو، والسلام.

الرسالة الثامنة بعد المائة الأولى:

في عاقبة الغفلة عن مخالفة النفس.

١٠٨ ـ **ومنها:** فالغشمية[5] تقتل صاحبها لا محالة إذا جاء أجله، لأنها تظهر للناس أنها عمداً من صاحبها فيقتلونه على ما رأوا منه من الخطأ، فوالله ما كنت أظن إلا أن الناس هم الذين يتبعوني، ويسفهوني، ويصغروني، ويحقروني، ويذلوني، ويجهلوني، ولا يعرفون قدري، فلما فتح الله بصيرتي، ونوّر ـ بجوده وكرمه ـ سريرتي، وجدت حينئذ نفسي

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٥٢.

(٢) سورة الزمر ـ الآية ٢٢.

(٣) مر تخريجه في الرسالة الرابعة من هذه الرسائل المباركة.

(٤) أي مخالفة الهوى والنفس ينتج العلم الوهبي مصداقاً لقوله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾.

(٥) أي: الغفلة.

هي الفاعلة في ذلك الفعل لا غيرها، ووجدت آيات عديدة دالّة على ذلك، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[3]، إلى غير ذلك، ومنذ عرفت هذا وأنا لا أرى الظلم إلا من قبل نفسي، ولا أراه من قبل جنسي، وحتى إن جاءني شاك يشكو إليّ بأحدٍ فلا نرى الظلم إلا من جهته، ولا نراه من جهة أخرى.

واعلموا أنكم - بارك الله فيكم - إن عرفتم قدركم وعلو منزلتكم حقيقة عرف الوجود بأسره قدركم وعلو منزلتكم، وإن جهلتموه جهلكم ولم يعرف قط قدركم، ولعن الله من كذب عليكم، لأن نفسك - أيها المؤمن - من حيث أنت عالماً أو جاهلاً، صالحاً أو طالحاً، هي الكون بأسره في الحقيقة، عند من عرف لا عند من تلف، وأنت لا ترى إلا الكون الذي لا يرى كل أحد، وترى أيضاً الكون يؤذيك ولا تؤذيك إلا نفسك، والله إن غلبتها أو نقول: قتلتها حتى تغلبن الكائنات بأسرها جليلها وحقيرها، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة التاسعة بعد المائة الأولى:

في حقيقة النفس.

١٠٩ - ومنها: فالنفس أصلها طيب غاية الطيب، لكن تخبثت بعد طيبها، ودنت بعد علوها، وذلّت بعد عزها، وافتقرت بعد غناها، وجهلت بعد علمها، وضعفت بعد قوتها، وتكدرت بعد صفائها، وعجزت بعد

---

(١) سورة الرعد - الآية ١١.

(٢) سورة يونس - الآية ٤٤.

(٣) سورة النساء - الآية ٧٩.

قدرتها، واستوحشت بعد أنسها، وضاقت بعد تاسيعها، وانهزمت بعد صولتها، وانكسرت بعد نصرتها، وصغرت بعد كبرها، وتعبّدت بعد حريتها، وتغربت عن وطنها وأصلها بعد أن كانت بوطنها وأصلها، وماتت بعد حياتها، وهكذا. وسببها فيما حلّ بها ركونها إلى غير عالمها وهو عالم الكدر الذي نحن فيه مقيمون من غير حركة منا إلى غيره ولا سكون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فهذا هو السبب يا إخواني، وهي هي العلة، فإن شئنا أن نرجع إلى وطننا الذي منه جئنا ـ وهو عالم الصفاء ـ أو نقول: العالم الأسنى، أو نقول: العالم العلوي، أو نقول: العالم الروحاني، فلا يفيدنا إلا أن نمحو سائر ما انتقش بقلوبنا من الأكدار، أو نقول: الأغيار، ولا يفيدنا أيضاً إلا أن ننسلخ من عالم الكدر كما تنسلخ الشاة من جلدها، ونسيناه ولا نذكره أبداً، فهذه هي طريق الرجوع يا من لا يخاف الجوع والعري والعطش واللصوص، والأسد، والعقارب، والحيات، وغير ذلك.

وانظروا ـ يا إخواني ـ كيف بدّلنا الأعلى بالأدنى، ولم نستحِ من ربنا، ولم نعيبوا [أي: نعِب] على أنفسنا ما فعلنا، وقد فتحنا لكم الباب، ورفعنا لكم الحجاب، وأجلسناكم بحضرة الأحباب، فارحمونا ـ يرحمكم الله ـ واذكرونا بخير يذكركم به الله، وواصلونا ولا تقطعونا، والله تعالى يوصلكم إليه بمحض كرمه، إنه جواد كريم، رؤوف رحيم، وذو فضل عظيم، سبحانه لا إله إلا هو، والسلام.

الرسالة العاشرة بعد المائة الأولى:

في بيان حالة الجذب والتجريد.

١١٠ ـ **ومنها:** فالناس لا ينظرون المجذوب إلا بعين التعظيم، ولا ينظرونه قط بعين الاحتقار، مع أنه لا يصلي ولا يصوم، ولا يفعل شيئاً

مما أمرنا الله به، لكن لما فقد عقله بسبب شهود عظمة ربه كانت حقيقته حقيقة نورانية، ولم تكن ـ والله ـ ظلمانية، ومن كان هكذا كان ـ والله ـ ولي الله، ومن كذب فعليه لعنة الله.

وحالة التجرد التي أنت عليها ـ يا أخي ـ حالة المجاذيب ـ رضي الله عنهم ـ فإن لم تقم بها فإن الناس يسفهونك، ويستقبحونك، ويؤذونك، ولا يظلمونك لأنك لم تقم بحالة الجذب بعد ما أنت عليها، ولم تنتقل عن حالة السلوك بعد ما أنت في حالة الجذب، لأنك في حالة السلوك وأنت تبطش إلى حالة الجذب، كما أنت في حالة الجذب وأنت تبطش إلى حالة السلوك، وحتماً تؤذى من جهة أهل الجذب، فكلاهما يؤذيك ولا يظلمك، بل أنت ظلمت نفسك بسبب تذبذبك، إذ أنت لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلو قمت بحالة الجذب لكف عنك الأذى من جهة أهل الجذب، كما أنك لو قمت بحالة السلوك لكف عنك الأذى من جهة أهل السلوك، ولو جمعت بين جذب وسلوك، أو نقول: بين ظاهر وباطن، أو بين شريعة وحقيقة لكف عنك الأذى من الجهتين، ولكنت جنيدياً، أو غزالياً، أو شاذلياً، أو حاتمياً، أو مشيشياً، أو غوثياً، ونظرائهم ممن جمع بين السكر والصحو، كأستاذنا ـ رضي الله عنه ـ وأشياخه السادات أولاد الفاسي، والسادات أولاد ابن عبد الله بالمدينة الفاسية ـ دفع الله عنها كل بلية ـ ورضي الله تعالى عن ساداتنا أجمعين. وكنت أيضاً ـ والله ـ مقبولاً عند كافة أهل السلوك، وعند كافة أهل الجذب ـ رضي الله عنهم ـ والسلام.

الرسالة الحادية عشرة بعد المائة:

من أراد المعاني فعليه بترك المحسوسات.

١١١ ـ **ومنها:** فإن ضعف حسك ـ أيها الفقير ـ تقوّت معانيك لا

محالة، أو فإن ضعَّفت ظاهرك توسع باطنك لا محالة، أو خرَّبت ظاهرك ابتنى باطنك لا محالة، وانظر حال العامة لما زينوا ظواهرهم قبّح الله ظواهرهم وبواطنهم، فبعدما تشمهم سبعة أيام أو عاماً من الأعوام فلا تشم فيهم رائحة المعاني إنما تشم فيهم رائحة العرق، ذلك جزاء من يترك الأصل وهو عمل القلب، ويأخذ الفرع وهو عمل الجوارح، إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول، والمحسوسات ضد المعاني والضدان لا يجتمعان، فمن أراد المعاني فعليه بترك المحسوسات، ومن أراد المحسوسات والملذوذات والشهوات فلا يطمع في المعاني، إذ لا سبيل له إليها إلا من باب تركها، والسلام.

الرسالة الثانية عشرة بعد المائة:

في الحض على المذاكرة فيما يميت النفوس ويحيي القلوب.

١١٢ ـ **ومنها:** فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أني أحبكم أن تتذاكروا في الذي يميت نفوسكم ويحيي قلوبكم، كما كان من قبلكم من أهل طريقكم، واحذروا من دسائس أنفسكم لئلا ينقطع المدد عنكم، ومن أراد أن لا ينقطع المدد عنه فلا يعز نفسه بل يذلها، ويطرحها، ويهبطها، ويسير بها على مكروهاتها ـ رغماً على أنفها ـ، وهكذا شأن أهل الصدق معها، لا يسيرونها إلا على مكروهاتها ومستثقلاتها ومستقبحاتها حتى تصير المكروهات والمحبوبات عندها سواء، ولا يسترون قبائحها، أو نقول: عيوبها أو دسائسها، بالرضا عنها أبداً. وحالة التجرد التي أنتم عليها لا يناسبها إلا الباطن الكبير، أي: القلب الكبير، وأما إذا لم يكن الأمر كذلك فالذي هو على هيئته في أسبابه خيراً منه وأحمد عاقبة، والله أعلم.

ويتأكد في حقنا ـ بشريعة القوم ـ أن يكون فقرنا أكبر من صيتنا،

وصيتنا اليوم أكبر منا، والله يداوينا. ومن أراد أن لا ينقطع عنه المدد فلا يتكلم في فنه مع كل أحد، إنما يتكلم فيه مع أهله، والسلام.

الرسالة الثالثة عشرة بعد المائة:

في أن الإنسان عبد لمن يهوى في الدنيا والآخرة.

١١٣ ـ ومنها: فبعض المنكرين قد قال لي ذات يوم بمحضر من الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ: أنتم ساداتنا وموالينا. فقلت له: إني لا أسمع ذلك منك ولا من غيرك، ولا أقبله من أحد قط إلا إن كان الله سيدي ومولاي، وأما إن كانت نفسي هي سيدي ومولاي فلا أسمعه ولا أقبله، ثم قلت له أيضاً: فالوقت الذي يكون فيه الله ـ سبحانه ـ هو سيدي ومولاي أكون فيه أنا سيد الوجود ومولاه ـ رغماً على أنفه ـ أحب أم كره، والوقت الذي أكون فيه نفسي هي سيدي ومولاي يكون الوجود فيه هو سيدي ومولاي ـ رغماً على أنفي ـ أحببت أم كرهت، سائره يحقرني، ويصغِّرني، ويذلني، ويقهرني، ويهملني ولايعبأني، ويفعل بي ما شاء.

وكيف نلتفت مع هذا إلى مدحك أو ذمك، وإلى مدح غيرك أو ذمه؟ فهذا لا وجه له، والسلام.

الرسالة الرابعة عشرة بعد المائة الأولى:

في الحث على مجالس الذكر والمذاكرة.

١١٤ ـ ومنها: فإني كنت ذات يوم في حال المذاكرة مع الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ فإذا برجل بقربنا كأنه لم يرنا ولم يسمعنا، فقلت له ـ بحال قوي قد ورد عليَّ ـ: قم واجلس معنا ـ يرحمك الله ـ، لأن

جمعنا جمعٌ مرحومٌ، والرحمة لا تفارقنا ما دمنا على جمعنا[١]، وفي الوقت الذي ترى أكثر وأكثر، فادن منا يا أخي يرحمك ربك معنا، كما يرحم من أجل جمعنا كل ما خلق، ومن شك في قولنا فلا يجلس معنا ولا يقرب إلينا، والسلام.

الرسالة الخامسة عشرة بعد المائة الأولى:

في الحث على اتخاذ الصمت ورداً.

١١٥ ـ **ومنها:** فإني كنت ذات يوم بزاوية الشيخ ـ رضي الله عنه ـ نتكلم مع الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ في الصمت، ونحضهم عليه ومن جملة ما قلت لهم: اجعلوا الصمت من مؤكدات أورادكم، ومن مختاراتها وساداتها، إذ هو ـ حقاً ـ ينتج الفكر، و(تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة) ـ كما علمتم من الحديث ـ[٢]، وكنت إذ ذاك في سكر عظيم، وفي صحو عظيم[٣]، جامعاً بينهما وقوياً فيهما القوة الكبيرة، فإذا ببعض أهل العلم ـ رضي الله عنهم ـ من إخواننا أهل فاس ـ دفع الله عنهم كل باس ـ يضحك استهزاء بي، فانظر ما فعل الله به في آخر كرائمنا التي أكرمنا الله بها الآتي ذكرها، ترى إن شاء الله ما يسرك ويقوي يقينك، ومحبتك في أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ، والسلام.

---

(١) مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه أبو داود في سننة بسنده عن أبي هريرة.

(٢) مرّ تخريجه في الرسالة الثالثة عشرة.

(٣) مر تعريف السكر والصحو في مقدمة الرسائل.

الرسالة السادسة عشرة بعد المائة الأولى:

الزم باباً واحداً تفتح لك الأبواب.

١١٦ ـ **ومنها:** فإني أحبكم أن تتركوا المحبة المشتتة إذ هي تمنعكم من السر والخير والفضل والبركة، ونرى من يتعلق تارة بهذا وتارة بهذا، فهو إذاً ممن يحفر على الماء هنا شيئاً، وهنا شيئاً وهنا شيئاً، فهذا يموت عطشاً ولا يلحق الماء، بخلاف من يحفر بموضع واحد توكلاً على الله واعتماداً عليه، فإنه يلحق الماء ويشرب ويشرب الناس، والله أعلم.

وقد قالوا ـ أي: القوم، رضي الله عنهم ـ: الزم باباً واحداً تفتح لك أبواب، واخضع لسيد واحد تخضع لك الرقاب، ومن شأنه تارة يعشق بلاد المشرق فيسافر إليها، وتارة بلاد المغرب فيسافر إليها، وتارة يزهد، وتارة يرغب، فهو بعيد ولو حصل على القرب لسكن واطمأن.
وقد قال الشيخ الجليل سيدي المجذوب ـ رضي الله عنه ـ:ـ

اطلع النهار على الأقمار ... ولا ابقى إلا ربي
الناس زارت محمد ... وأنا اسكن لي في قلبي

والسلام.

الرسالة السابعة عشرة بعد المائة الأولى:

في التنفير من ملاقاة أهل الدعاوى في كل وقت.

١١٧ ـ **ومنها:** فأؤكد عليكم أن تحذروا ما استطعتم من ملاقاة أهل الدعاوي من أهل وقتكم، ومن الكلام معهم ولو تكلموا معكم ورغبوا في التحدث معكم، إذ لا جواب لهم كالصمت عنهم. قال

أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ: عداوة العدو حقاً هي اشتغالك بمحبة الحبيب، وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو نال مراده منك وفاتك محبة الحبيب، والسلام.

الرسالة الثامنة عشرة بعد المائة الأولى:

في التحذير من الوقوف مع المحسوسات.

١١٨ ـ ومنها: فالواقف مع الطين[١] حتماً لا يحصل على التحقيق، فاتركوا عنكم الوقوف معه، ولا تحكموا حكماً بظنكم ولا برأي أنفسكم، إنما تحكمونه بعد أن تحققوا بالأمر إذ الصدقَ في القول والفعل ينفي الشكوك والأوهام، ويثبت التوحيد في قلب صاحبه على الدوام، وينفي حتى خصيم النفس، ومهما انتفى خصيم النفس انتفى خصيم الجنس، ومهما انتفى خصيم الجنس عنه وقفت النوبة عليه، والله تعالى ينصره، وأما إن كف إذايته عن عباد ربه وحمل هو إذايتهم إياه كان أكبر تحقيقاً وأكبر خلقاً، وذاك هو حال الكمَّل من أولياء الله ـ رضي الله عنهم ـ، والسلام.

الرسالة التاسعة عشرة بعد المائة الأولى:

القول في بعض أحوال الصوفية.

١١٩ ـ ومنها: فالدربال[٢]، والسؤال، وكشف الرأس[٣]، والمشي

---

(١) عبّر رضي الله عنه عن المحسوسات والماديات بالطين، لأن الوقوف مع المحسوسات لا ينتج إلا المحسوسات، أما الوقوف على المعاني فحتماً لا ينتج إلا المعاني، فكل إناء بما فيه ينضح.

(٢) الدربال نوع من اللباس الخشن من الصوف، والسؤال يقصد به التعرض للناس وسؤالهم بعض المال مثلاً.

(٣) وقد كان كشف الرأس مسقطاً للعدالة وقتها، وكل هذه الأمور التي يذكرها الشيخ إنما =

بالحفا، والجلوس بالمزابل - بشرط الحذر من النجاسة -، والأكل بالأسواق، والرقاد بالطرق، وغير ذلك من الأحوال التي عليها بعض الصوفية كأهل طريقنا وغيرهم - رضي الله عنهم -. لايدري هل هي حق أم باطل إلا المخلص.

ونرى: أن الإخلاص هو الذي رمى القوم هنالك، إذ هم - رضي الله عنهم - لا يبالون بأنفسهم قط، ولا يختارون حالاً على حال، إذ هم أيضاً غرقى في بحار التعظيم، كما قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو سعيد بن الأعرابي - رضي الله عنه - لما سئل عن الفناء فقال: الفناء أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة.. إلى آخر كلامه، وقد تقدم[(١)].

وهم - والله أعلم - قبل أن يغرقوا في بحار التعظيم كذلك، لأن صدقهم لا يتركهم أن ينظروا إلى ما بينهم وبين ربهم، ولا ينظرون قط إلى ما بينهم وبين خلقه، وهذا هو حالهم - رضي الله عنهم -.

ونرى لأهل الإخلاص أحوالاً غريبة كبيرة كثيرة متلونة لا يدريها إلا الخضري[(٢)] من الناس حقيقة، وانظر أحوال الخضر - عليه السلام - في كتاب الله تعالى ترى عجباً، فإنه خرق السفينة وهي عامرة بمواليها وأمتعتهم، وقتل الغلام من غير أن يقتل له أحداً من أهله ولا من غيرهم، ولا وجب عليه شيء شرعاً، وبنى الجدار مع أن مواليه لم يضيفوه بعد أن طلب ذلك منهم، وفعل هذا كله بمحضر رسول الله وكليمه سيدنا موسى -

= كانت من أفعال الملامتية الذين يخفون أحوالهم وصلاحهم عن الناس اكتفاء بعلم الله بهم، وذلك ضمن إطار الشرع الشريف دون فعل أي محرَّم.

(١) في مقدمة هذه الرسائل.

(٢) أي كان ممن أعطاه الله العلم الوهبي من لدنه كما أعطى سبحانه سيدنا الخضر من علمه اللدني: ﴿وآتيناه من لدنا علماً﴾.

على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ إذ هو[1] لا يقبل إلا الحق، ولا يفعل إلا إياه، فافهموا فهَّمنا الله وإياكم، والسلام.

الرسالة العشرون بعد المائة الأولى:

أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

١٢٠ ـ **ومنها:** فالأعمال التي بأيدي الناس اليوم كثيرة جداً لكن لا ثمرة لها من أجل حب الدنيا الذي سكن قلوبهم واستقر بها ولم يرحل منها، ولو قنعوا منها كما قنع من قنع منها لكفاهم أقل من عشر عشر أعمالهم، ولحضرت لهم ثمرة أعمالهم كما حضرت لغيرهم، إذ الأعمال بالقلوب ذرة منها أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، وعلى هذا: فلا شك أن الأعمال بالقلوب كثيرة ولو قلّت، وبغير القلوب قليلة ولو كثرت، كما في الحكم العطائية: «ما قلّ عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب»[2]، والسلام.

الرسالة الحادية والعشرون بعد المائة الأولى:

في مقام الجمال والجلال.

١٢١ ـ **ومنها:** فالجلال عين الجمال[3] عند الأولياء الكُمَّل ـ رضي

---

(١) أي الحق الواضح الصريح، حيث لم يكن قد علم العلم اللدني كما علم سبحانه الخضر في الآيات المذكورة في سورة الكهف.

(٢) الحكمة رقم ٤٥.

(٣) أما الجلال فهو نعوت القهر من الحضرة الإلهية. وقال الجيلي: إن جلال الله تعالى عبارة عن ذاته بظهوره في أسمائه وصفاته، كما هي عليه على الإجمال. وأما على التفصيل فإن الجلال عبارة عن صفات العظمة والكبرياء والمجد والثناء، وكل جمال له فإنه حيث يشتد ظهوره يسمى جلالاً. =

الله عنهم ـ إذ الجلال عندهم ذات، والجمال صفات، وكيف يفرق بين الجلال والجمال أو نقول: بين الذات والصفات من يرى العز في الذل، والقوة في الضعف، والعطاء في المنع، والنعمة في النقمة، والحياة في الممات، والعافية في البلية، والحبيب في العدو، والكبير في الصغير؟ فقد قال رجل للشيخ الجليل سيدي ذي النون المصري ـ رضي الله عنه ـ أرني الاسم الأكبر؟ فقال له ـ زجراً ـ: أرني الأصغر أريك الأكبر!!!. إذ لم ير ـ رضي الله عنه ـ إلا العظمة والكبرياء قد تجلّت فيما اختفى، وخفيت فيما ظهر، وهي الظهور وهي الخفاء، وقربت فيما بعدت، وبعدت فيما قربت، وهي القرب وهي البعد، وعلت فيما دنا، ودنت فيما علا، وهي العلو، وهي الدنو، وكبرت فيما صغر، وصغرت فيما كبر، وهي الكبر وهي الصغر، وقويت فيما ضعف وضعفت فيما قوي، وهي الضعف وهي القوة، وهي الفوقية وهي التحتية، وهي المفروقة وهي المجموعة، وهي الفرق وهي الجمع، وهي البعض وهي الكل، وهي المتلونة بكل تلون كائناً من كان ذلك التلون(١)، أو نقول: ذلك الشيء فوقي أو تحتي، أونقول: علوي أو سفلي، ناطق أو غير ناطق، ساكن أو غير ساكن، معروف أو غير معروف وهكذا.

محبوبي قد عم الوجود وقد ظهر في بيض وسود
وفي النصارى مع اليهود وفي الخنازير مع القرود

= وأما الجمال: فهو نعوت الرحمة والإلطاف من الحضرة الإلهية ـ كما قال ابن عربي. وللجمال جلال ووراء كل جلال جمال. وقال الجيلي أيضاً: جمال الله تعالى عبارة عن أوصافه العليا وأسمائه الحسنى.

(١) التلوين صفة أرباب الأحوال فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، ويخرج من مرحل ويحصل في مربع، فإذا وصل تمكن. . . وصاحب التلوين أبداً في زيادة. . . والأولى أن يقال: إن العبد مادام في ترقي فهو صاحب تلوين «انظر الرسالة القشيرية ٤١».

وفـــي الـــحـــروف مـــع الـــنـــقـــط   افـهـمـنـي قـط افـهـمـنـي قـط[1]

وهو قول الولي الشهير العارف الكبير أبي الحسن سيدي علي التستري - رضي الله عنه ونفعنا ببركته وبركة أقرانه -، والسلام.

الرسالة الثانية والعشرون بعد المائة الأولى:

في حقيقة النفس والروح.

١٢٢ - **ومنها:** فالنفس والروح اسمان لشيء واحد من عين النور - والله أعلم -، وقد تثَنَّى أي: عاد اثنين لاتصافه بوصفين؛ وهما الصفاء والكدرة، لأن النفس مادامت مكدرة وهي لا يصدق عليها إلا اسم النفس، ومهما ذهب كدرها وصفت وتجوهرت صدق عليها اسم الروح. ونرى أنهما يتعاشقان دائماً لبعضهما إذ كلاهما قريب من الآخر، وكلاهما ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال، وإذا أراد الله أن يتولى عبداً من عباده زوَّجها له، أي: مكَّن هذه من هذه، وذلك بأن النفس ترجع عن أهوائها التي أخذتها وبعَّدتها من أهلها، وسلبتها من حسنها وجمالها، وبهائها وشرفها، وعلوها وارتفاعها، وما به مدَّها مولاها، حتى أنكرت أصلها هذا ولم تقره، فلا تبقى على حالها بل تتركه وترجع عنه رجعاً كلياً، وحينئذ تدخل الروح بها فتمدها بمعانيها وبأسرارها التي مدَّها الله بها من حيث هي ولا نهاية لها، وبقدر ما تترك من أهوائها يتقوى مدد الروح من قبل ربها، فيكثر النكاح والنتاج؛ وهي العلوم الوهبية، والأعمال الناشئة عنها، ولذة ذلك لا تحمل صاحبها إلا على مخالفتها وسيرها على مكروهاتها ومستثقلاتها ومستقبحاتها، لأنه يهون عليه ذلك بسبب ما يرى من أنوارها وأسرارها وفوائدها، والسلام.

---

(١) أي تجلت قدرته سبحانه في كل مخلوق، فلا تتعجل الفهم والحكم يا......

الرسالة الثالثة والعشرون بعد المائة الأولى:

في بيان حقيقة التجريد.

١٢٣ ـ ومنها: فقد قلت لبعض أهل العلم من أهل فاس ـ دفع الله عنها كل باس ـ، إذ كان قد أنكر علينا التجريد واستقبحه ولم يحسنه ـ: التجريد عند أهله كالإكسير الأحمر عند أهله، ولا ينكره إلا من جهله ولم يعرف قدره، وقد سمَّاه الشيخ الجليل تاج الدين ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ: «الهمة العلية» فقال في حكمه: «إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية»[1].

وكان عليه سيدي أبو يزيد البسطامي، وسيدي الجنيد، وسيدي أبو يعزى المغربي[2]، ومولانا عبد السلام بن مشيش، ونظرائهم ـ رضي الله عنهم ـ، وهم كثيرون، وما ظهر لك أنه خطأ إلا لجهلك به، ولقلة أهله في هذا الزمان الذي قلَّتْ محاسنه وكثرت قبائحه، وما قل أهله إلا لصعوبته على النفوس إذ لا يقدر واحد أن يتجرد من أسبابه وثيابه وعوائده إلا من أخذ الله بيده فأعطاه الثقة به، أو نقول: التوكل عليه.

فإن قلت: أهل التجريد كانوا يفرون بأنفسهم من الناس إلى الجبال البعيدة من العمارة وإلى الكهوف.

قلنا: كانوا كذلك، لكن ليس كلهم بل بعضهم فقط، وجلهم كان كما نحن، وأيضاً من هو منهم مع الناس في الأسواق وغيرها، وقد خرق عوائد نفسه من غيره وأقوى. وفرق كبير بينه وبينه إذ المنقطع عن

---

(١) الحكمة رقم ٢.

(٢) مرت ترجمته في الرسالة رقم ٧٦.

الخلق ضعيف، والقوي هو الذي لا يفارقهم ويسلم منهم لكن من هو بالريح - وهو الناس - وسراج قلبه يضيء ولا يطفئه ريح الناس ليس كمن هو بالبيت والأبواب مغلقة، إذ هو إن نفخ عليه الريح قيل: يبقى مشعولاً، وقيل: لا، بخلاف من هو في الريح والريح ينفخ عليه ولم يطفئه، فافهم.

فإن قلت: قد تلبَّس علينا الأمر فلم ندر من على الحق ممن على الباطل؟.

قلنا: من أراد أن يعرف ذلك فليحسن ظنه بربه وبعباده، إذ قال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: (خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير؛ حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر؛ سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله)[1].

وأيضاً: والله ما ربح من ربح من أول الدنيا إلى آخرها إلا صاحب النية والمحبة والصدق والظن الحسن والتسليم، ولا خسر من خسر من أول الدنيا إلى آخرها إلا من أخلاه الله مما ذكرنا. فصاحب النية وأخواتها يربح في موضع الخسران - والله أعلم -، فأحرى موضع الربح، ومن لا نية له ولا محبة له يخسر في موضع الربح فأحرى موضع الخسران.

فإن قلت: وهل لا سبيل لنا إلى ربنا إلا من باب التجريد الذي أنت عليه؟ ولا يكفينا تجريد بواطننا عن تجريد ظواهرنا؟

قلنا: لا سبيل لأخذنا إلى ربنا إلا من باب تجريد ظاهره وتجريد باطنه، لأن تجريد الجهتين طريق رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وطريق أصحابه ومن اقتدى بهم إلى الآن، إذ لا يتجرد الباطن إلا إن

---

(١) ذكره في الإتحاف ٦/٢٩٣، وابن عساكر في تاريخه ٢/٢٠٨.

ظهر تجرده على الجوارح، وأما إن لم يظهر على الجوارح فلا عبرة به. قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أستاذنا سيدي علي ـ رضي الله عنه ـ: التجريد هو التجريد من الدنيا حساً لا معنى فقط، إذ التجريد معنى لا يحصل نفعه حتى يحصل التجريد الحسي، وإن حصل التجريد المعنوي لايعبأ به ولا يلتفت إليه ولا يحكم به، ولا فائدة فيه إلا إن ظهر الحسي: (أمرت أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر)[١] لأن الظواهر هي التي تثبت، وهي التي تنفي، ومن لم يثبت له شيء بالظاهر فليس هو بشيء، وإن كان الباطن أساس الظاهر وعليه بني.

وقال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبو مدين[٢]ـ رضي الله عنه ـ: إذا رأيت من يدعي مع الله حالة وليس على ظاهره منها شاهد فاحذره.

وقلنا: لو كانت المعاني ترتبط بدون الحس لكفى أهل الإيمان من حيث هم اعتقادهم الإيمان بقلوبهم عن النطق باللسان بالشهادتين، وحيث كانت المعاني لا ترتبط إلا بالحس أمرنا بالنطق بالشهادتين بألسنتنا، وأمرنا بما أمرنا ـ وهو لا يخفى ـ.

ونرى كل من تخلص قلبه من حب الدنيا حقيقة ومن كل ما لا يعني تخلصت ـ والله ـ جوارحه.

---

(١) قال في اللآليء هو غير ثابت بهذا اللفظ، ولعله مروي بالمعنى من أحاديث صحيحة ذكرتها في الأقضية من الذهب الإبريز، وقال في المقاصد: اشتهر بين الأصوليين والفقهاء بل وقع في شرح مسلم للإمام النووي في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم «ما نصه: معناه أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم. انظر: كشف الخفاء للعجلوني ١/ ١٩٢.

(٢) مرت ترجمته في الرسالة ٧٦.

وانظر ـ يا سيدي ـ أحوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وغيرهم من أهل الإخلاص ترى ـ والله ـ ما ببواطنهم ظهر على جوارحهم، إذ كانوا ـ رضي الله عنهم ـ ليس لهم من الدنيا إلا كزاد الراكب، وكان منهم من ليس له شيء منها، وإذا وجد شيئاً قنع به ولم يتخير ولم يدَّخر ـ اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف)[1]، وكانت الدنيا أيضاً عند بعض الصحابة وعند غيرهم من الناس لكن قلوبهم كانت خالية من حب الدنيا، مشحونة بحب الله، وبحب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن كان هكذا فلا تضره بل تنفعه، إذ هو يطعم بها الجائع، ويكسي بها العريان. وفي الحديث أيضاً: (الدنيا مطية المؤمن)[2] لكن لا لكل أحد أحد، بل للبعض دون البعض.

وقال الشيخ الجليل أستاذنا سيدي علي ـ رضي الله عنه ـ فلا محيد لنا عما تقوم به بنيتنا [كما لا محيد لكل منا عن البول والغائط، لكن إن فرغنا من قضاء حاجتنا][3] قمنا عن ذلك من حيننا ومشينا إلى أسبابنا، ولا يستحلي أحدنا مجاورة ذلك ساعة، وكذلك الدنيا إن قضى حاجته المؤمن منها تركها وأقبل على ربه، إذ لا يمكن أن يقبل أحد على ربه إلا إن أدبر عما يشغله عنه. فقد قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله: «إقبالك على الحق إدبارك عن الخلق، وإقبالك على الخلق إدباركك عن الحق».

---

(١) قال النووي: ليس بثابت، وأخرجه الدارقطني في الافراد بسند ضعيف عن الزبير بن العوام مرفوعاً: ألا إني بريء من التكلف وصالحو أمتي. وذكره في الإحياء بلفظ: «أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف «انظر الكشف ١/ ٢٠٥».

(٢) لم أجده فيما لدي من مصادر بهذا اللفظ، لكن له شواهد كثيرة تؤيد معناه.

(٣) ما بين المعقوفتين ناقص من النسخة الأولى المغربية واستدرك من النسخة الثانية المشرقية.

وقال أستاذنا الجليل ـ رضي الله عنه ـ: الفقير الصادق هو الذي لا يجد عدوه سبيلاً إلى الوصول لإذايته، هذه علامته لأنه لا يكون له شغل دائماً إلا حبيبه، واشتغاله بحبيبه يحجبه عن عدوه، إذ الحبيب مع العدو لا يجتمعان أبداً، انتهى.

ولا شك أن التجريد إن حصل للفقير حقيقة حصل له الإخلاص وإلا فلا، إذ التجريد خراب، والخراب من الدنيا وأسبابها وشهواتها إذا لم يظهر على جوارح الفقير فهو طفل صغير، وليس هو رجل كبير، وإذا ظهر الخراب على جوارحه واستقر على حالة الخراب فهو من الرجال الكبار، فهذا علامة بلوغه، أو نقول: وصوله إلى ربه، إذ النور إن تقوى في باطن المؤمن أخرج منه كل شيء، وإذا أخرج منه كل شيء بقي بباطنه مولاه ـ سبحانه وتعالى ـ ومن كان هكذا كان ولياً من أولياء الله، ولا حجة لمن يقول بتجريد الباطن دون تجريد الظاهر، لأن من تجرد باطناً ولم يتجرد ظاهراً يصدق عليه قول الله عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(1) وغير هذا، ومن تجرد ظاهراً ولم يتجرد باطناً يصدق عليه قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الآية(2). نعم إن تخلص الفقير من توهم وجود السوى حتى عاد يأخذ ولا يؤخذ، أو يَغلَبُ ولا يُغْلَبُ، أو يجِرُّ ولايُجَر، أو يملِكُ ولا يُملَكُ، وهكذا..... فحينئذ لابأس عليه سواء تجرد ظاهره أو لم يتجرد، ويا عجباً مات نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يضع لبنة على أخرى، وعلماء وقتنا ـ لطف الله بنا وبهم ـ وكان لنا ولهم ـ لا يقبلون حالة الخراب قط، وإنما يقبلون حالة البنيان، إذ قلَّ من يقبل منهم حالة التجرد مع أن

---

(1) سورة الصف ـ الآية رقم ٣.

(2) سورة آل عمران ـ الآية ١٦٧..

الإمام الأكبر سيدي الجنيد ـ رضي الله عنه ـ كان حقاً من أهل التجرد، والقطب مولانا عبد السلام بن مشيش كان من أهل التجرد، والشيخ الجليل سيدي أبو يعزى ـ رضي الله عنه ـ كان من أهل التجرد، والشيخ الكبير ولي الله تعالى سيدي أبو يزيد البسطامي ـ رضي الله عنه ـ كان من أهل التجرد، وقد كان معه من أهل التجرد نحو الأربعة آلاف كلهم قد خلع الأسباب والثياب، ولبسوا المرقعات، فهؤلاء ـ رضي الله عنهم ـ كل منهم قدوة عظيم شأنه عند الله وعند كافة عباد الله، وقد كادوا ـ رضي الله عنهم ـ أن يكونوا أنبياء ـ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ـ ومع ذلك فلا يقبلون ما كانوا عليه، ولا يسمعونه فأحرى يعملون به. ويا عجباً إن كنا لا نقتدي بمثل هؤلاء فبمن نقتدي من الناس؟ فهذه نفس خبيثة متكبرة متجبرة والله والله، ولكن لا يتقوى على مخالفة هواه إلا من قوَّاه مولاه، ولا يسخى بحظ نفسه إلا من تخلص لربه، والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والأولياء ـ رضي الله عنهم ـ قد تخلصوا لربهم، ليسوا مع تجرد ولا مع أسباب، ولا مع شيء من الأشياء، جليلاً كان أم حقيراً حتى مع الجنان، قد غيبهم عنه الشهود والعيان للملك الديان، فكيف يبقون مع الأسباب أو مع التجريد أو مع شيء من الأشياء، إذ هم غرقى في شهود ربهم دائماً، فلا يشهدون شدة ولا رخاء، ولا فقراً ولا غناء، ولا صحة ولا مرضاً، شرَّفنا الله بذكرهم وأماتنا على محبتهم، والسلام.

الرسالة الرابعة والعشرون بعد المائة الأولى:

في الحث على الذكر الحقيقي.

١٢٤ ـ ومنها: فاعلم ـ رحمك الله ـ أني سمعت كلمة من بعض أهل العلم ـ رضي الله عنهم ـ من إخواننا أهل فاس ـ دفع الله عنها كل

باس ـ، قال ـ رضي الله عنه ـ: ما طال العلم إلا بطول الدنيا[1]. فظهر لي ما ظهر له، ثم بعد ذلك قد تفرست في قوله فوجدت خلافه، وهي ـ يا أخي ـ ما طال العلم إلا بسبب قلة من يسمع، ولو حضر من يسمع لقصرت عبارة العلم، فقد لحّ عليَّ بعض الناس في إعطائه الورد غاية، فأعطيته إياه، ثم انتبهت له بعد ذلك بما شاء الله، هل قام به أم لا؟ فإذا به كما كان قبل أن نعطيه إياه!!! فقلت له إذ ذاك: هل تذكر أم لا؟ قال: نعم. فقلت له: الذاكر لا يخفى علينا، إذ الاسم الجليل له سطوة كبيرة، ومزية شهيرة، إذ هو سلطان الأشياء، فلا يترك ذاكره على حاله بل يرحِّله عنه من حينه ـ إن كان آدمياً ـ وإن كان حيوانياً فيمكن أن يبقى على حاله، وأحرى إن كان ذاكره لا يذكره إلا على طهارة بدنه وثيابه ومكانه، وعلى طهارة بطنه من الحرام، ولسانه من الكذب.

ثم قلت له: إني ألهمت لذكر ربي بلا واسطة بل بمحض كرمه سبحانه لا إله إلا هو، فكنت أذكر الاسم المذكور ليْلاً ونهاراً ولا أسكت قط، وأتلو القرآن، وأفرُّ من أهل الغفلة كما يفر العدو من عدوه، والله على ما نقول وكيل، ولا نحب من شغلني عن ذكر ربي ولو كان أبي وأمي، أو أخي وعمي، أو خالي أو حبيبي، أو غيرهم، وكان الأستاذ أبو عبد الله سيدي محمد بن علي اللجائي[2] يحبني أن أوافقه في تسبيح بعض أهل الوقت إذ كان بلا شيخ كما كنت أنا، إذ كان يحبني ـ رحمه الله ـ المحبة البالغة، وكان من أشياخي الذي قرأت عليهم القرآن ـ رحمهم الله ورضي عنهم ـ، وكنت أقول له حين يحرص في مشيي معه

---

(١) أي أن عبارات العلم وتفصيل مسائله ومباحثه ومساجلاته بين العلماء وطلبته.

(٢) سيدي محمد بن علي اللجائي كان أستاذاً يحفظ السبع، له تأليف في القراءات، ذكر فيه أنه أخذه عن الشيخ عبد الرحمن بن إدريس المنجرة، توفي رضي الله عنه سنة ١٢٣٠ هجرية. «موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٩٦».

إلى الشيخ الذي أراد: ها أنا مشيت معك إليه، واتخذته شيخاً كما اتخذته أنت، فأي شيء نستفيد منه؟ فالصلاة والتلاوة والذكر والعزلة والأعمال التي عليها أهل الظاهر أنا على ذلك دائماً والحمد لله، فأي شيء نستفيد منه؟ إن كان الظاهر فأهله كثيرون، وإن كان الباطن فما سمعت به عند أحد من أهل هذا الزمان، وإن كنت لانعرفهم فأصحابهم نعرف جلهم، ونعرف ما هم عليه، والله ما قربهم إلا كعامة الناس، وأما المعرفة فليست هي عندهم، ولو كانت عند أشياخهم لكانت عندهم، وحاجتنا نحن معرفة ربنا، فبقيت على حالي حتى فتح الله علي بمعرفة أستاذي فأخذ بيدي، والله تعالى يكافئه، وكيف - يا أخي - لا تذكر إلا إن قلنا لك: اذكر. فأنت والله كالبهيمة التي تمشي بالنخس!! لأن من كان مع الذاكرين دائماً لا يحتاج إلى من يقول له: اذكر إذ هو بعينيه وأذنيه، والجاهل يتبع الناس، والكيس يتبع الناس كما يقول الناس إنما يحتاج إلى من يرقيه في مقامات الذكر إذ هو ذكر اللسان وذكر العيان.

الرسالة الخامسة والعشرون بعد المائة الأولى:

وصية في الحث على تسليم المريد نفسه وقلبه للشيخ المربي فيما يشير عليه أو يطلبه منه مما فيه خلاصه.

١٢٥ - ومنها: فاسمع - أيها الفقير - هذه الحكاية واحفظها ولاتنسها، واذكرها في غالب أوقاتك لأهل طريقك، والله يأخذ بيدك وهي: أني كنت أسرد جماعة من الزيار[١] من الإخوان الذي اتخذوني شيخاً من شيوخ الطريقة - رضي الله عنهم - قبل تلك الزيارة وكانوا من أحواز المدينة التازية - دفع الله عنها كل بلية - إذ قال لي رجلان منهم:

(١) أي: أستعرض جماعة من الزوار.

نحن قد أردنا أن نجوز على مدينة فاس ـ حرسها الله ـ فقلت لهما: لا بل ارجعا مع إخوانكما خيراً لكما وأسلم، إذ الجمع له بركة. فقالا لي: أردنا أن نشتريا سطيلة[١] من هنالك. فقلت لهما: هذا وقت الحاج وقد عزم على السفر وطريقه عليكم، وعنده سطيلات وقميقمات وقديرات[٢]، وغير ذلك، ومنه اقضيا[٣] السطيلة وغيرها، فقالا لي: [نوينا أن لا نرجع إلا بها، فقلت لهما: أوما تقولان أني شيخكما][٤] فقالا لي: أفي الله شكٌ؟ فقلت لهما: إذاً لابد لكما أن تسلبا لي الإرادة في أنفسكما لأن سلب الإرادة للشيخ هو سلب الإرادة لله في الحقيقة، وسلب الإرادة لله هو الخصوصية الكبرى.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد ـ رضي الله عنهما ـ: لي أربعون سنة وأنا أشتهي أن أشتهي لأترك ما أشتهي فلا أجد ما أشتهي!!. وقال غيره من شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ: منذ أربعين سنة ماأقامني الله في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.

وقال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي الشريشي في رائيته ـ رضي الله عنه ـ:ـ

ومن لم يكن سلب الإرادة وصفه   فلا يطمعن في شم رائحة الفقر

إلى غير هذا، ثم قلت لهما بعد هذا كله: تعلما تسمعاني.

وقد لحَّ عليَّ بعضٌ أن أعطيه الورد غاية الإلحاح، فأعطيته إياه،

---

(١) تصغير: سطل، ويكون عادة من النحاس للوضوء.

(٢) القميقمات جمع قمقوم وهو آنية من نحاس فمها ضيق من أعلى. والقديرات: أي قدور.

(٣) أي اشتريا حاجتكما.

(٤) ما بين المعقوفتين ناقص من النسخة المغربية، وقد استكملت من النسخة المشرقية.

فإذا به يقول لي: أردت أن أسير إلى بلادي أو البلاد الفلانية. فقلت له: قد الدخول قد الخروج[1]، كان ذلك قبل أن تتخذني شيخاً، وأما الآن فأنا أختار لك لا أنت تختار لنفسك.

وجاءني آخر فوقع لي معه كما وقع لي مع هذا والذي قبله من غير زيادة ولا نقصان.

ونقول لكل أحد أحد ممن يعزم على سلوك الطريقة على يد شيوخها ـ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين ـ: هذا، والسلام.

الرسالة السادسة والعشرون بعد المائة الأولى:

في الحث على الالتزام بالطريقة وعدم مخالفة ما يقوله المربي.

١٢٦ ـ **ومنها:** فالفقير إذا أراد أن يأخذ الطريقة على حقيقتها فليكن عبداً مملوكاً لأهلها، ولا يصحبهم قط إلا إن قام بكلفهم من حيث هي ما استطاع، إذ قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف)[2]. وإذا صاحبهم، أو نقول: جاورهم، ولم يصلِّ فريضته معهم، أو بمسجدهم، ويحضر أيضاً حلقة ذكرهم، فحتماً يسقط من أعينهم، ولعن الله من كذب عليهم، إذ لا شك لا يفعل هذا إلا الممقوت، ويستحضر أيضاً ما استفاد منهم وما لم يستفد، لئلا يكون بطالاً وهو لم يشعر ببطالته، وحينئذ تكون حقيقته حقيقة نورانية غير ظلمانية، ويكون أيضاً قد أخذ الطريقة على حقيقتها، حيث علم شرائعها وأقام بها، إذ الحقيقة من غير شريعة تعطيل، كما أن الشريعة من غير حقيقة تعطيل، والجمع بينهما تحقق.

---

(١) أي: وهل الدخول كالخروج؟ وكما يقولون في الأمثال: دخول الحمام ليس كخروجه.
(٢) مر تخريجه في الرسالة رقم ١٢٣.

نعم.... إن حصل السكر الذي يغيب عن الإحساس ـ ولا يخفى على الناس ـ فحينئذ تكون حقيقته حقيقة نورانية، ولو كانت من غير شريعة، ومع ذلك فالكمال هو الجمع بين السكر والصحو، وأما من غاب عما ذكرنا، فإن كان سبب غيبته عنه الجهل والغفلة فلا يفيده إلا أن يعلمه ويستحضره ويعمل به، وإن كان سببه العجز أو الكسل أو التكبر أو قلة الاعتناء فهذا باب لا محيد للسائرين إلى الله عنه، واستفتوا قلوبكم لأن من ترك أهله وشغله وعشيرته وبلده، وصحب أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ ثم لم يترك بعد ذلك التأنس بالناس والتحدث معهم على الدنيا وأمورها فلا عبرة به ولا يصلح أبداً، وصاحب هذه الحالة موجود وله أتباع لكنهم يتقلبون كل ساعة تقلبات، فتارة تحدثهم نفوسهم بالتزامه، وتارة بتركه والتعلق بغيره حتى يموتوا ولم يحصلوا على شيء، بل على الشك ـ والعياذ بالله ـ، ولو قاموا بما ذكرنا وكانوا على الجد لا على الهزل لأخذ الله بيدهم، إذ قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[1].

ومن شيخه يقول قولاً وهو يقول قولاً خلاف قول شيخه، ويرى رأيه أكبر من رأي شيخه، فأحرى إن رد كلاماً على شيخه وصافحه في وجهه كما صافحنا بعض الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ حيث قلت لهم: طريق الفجر هي طريق الشمس، فقال لي ـ تاب الله عليه: ما هي شيء هذه القولة حجة ولا بد، فهذا أيضاً لادواء له إلا المخزن الجائر يربيه[2]، وحينئذ يرجى له الخير، والله يوفقنا وإخواننا آمين، والسلام.

---

(١) سورة محمد ـ الآية ٢١.
(٢) أي أن ينال عقوبة الحبس في المخزن ـ أي السجن ـ يعذّر بذلك ويتربى على مخالفة الأمر، والله أعلم.

الرسالة السابعة والعشرون بعد المائة الأولى:

لا بد من الشيخ المحقق في كل فن من الفنون.

١٢٧ ـ **ومنها:** فلا بد من الشيخ المحقق في كل فن من الفنون، وإلا فالغالب البطالة. واسمعوا ما يصدق قولنا، والله يوفقنا وإياكم: اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن البعض من أهل العلم ـ رضي الله عنهم ـ قد عرف كثيراً من شيوخ أهل زمانه وأخذ عنهم، ومع ذلك كان معي مهما لقيني اشتكى لي بدين كان في ذمته وقد ضاق حاله من أجله غاية الضيق، فقلت له ذات يوم: اسمع ما أقول لك، وكن عليه دائماً ترى عجباً، فوقت الشدة الخير والشر كلاهما حاضران غير غائبين وقريبان غير بعيدين، فإن ذكرت فيه ربك ونسيت نفسك ربحت، وإن عكست خسرت، فمهما تسلطت عليك الفاقة وجارت عليك فاشتغل بما أمرك ربك من الأسباب ولا تلتفت إلى شيء قط، وكن هكذا دائماً وقت الشدة، فإن الشر يذهب عنك والخير يأتيك، ولعن الله من كذب عليك. وأما إن سلبت الإرادة لربك في نفسك وقت فاقتك ـ أو نقول: شدتك، أو نقول: بلائك ـ ولم تنصر نفسك بسبب من الأسباب، فذلك المقام الأعلى والسر الأجلى ليس فوقه مقام إلا مقام النبوة، والله على ما نقول وكيل.

فقال لي ـ لطف الله به ـ بعد هذا [عندي][1] من الأذكار كذا وكذا من ألف، فمنها ما أخذته عن الشيخ الفلاني، ومنها ما أخذته عن الشيخ الفلاني، حتى عدَّ كثيراً من شيوخ أهل زمانه. فقلت له: اسمع ما قلت لك وكن عليه تر عجباً، وأقول لك: الشيخ حقيقة هو الذي يعلمك ما علمتك، ولعن الله من كذب عليك، والسلام.

---

(١) ما بين المعقوفتين ناقص من النسخة المغربية.

الرسالة الثامنة والعشرون بعد المائة الأولى:

في عدم الانتصار للنفس والاشتغال بالله وحده.

١٢٨ ـ **ومنها:** فأؤكد عليكم تأكيداً محتماً أن تشتغلوا بربكم، ولا عليكم فيمن يشتغل بكم لأنكم إن لم تنتصروا لأنفسكم فالله تعالى ينصركم ويتولى أمركم، ولعن الله من كذب عليكم، وإن انتصرتم لها وتوليتم أمرها وكّلَكم إليها ولا تقدرون على شيء، وهو سبحانه على كل شيء قدير.

واعلموا أنكم إن ملكتم أنفسكم ملكتم من يؤذيكم، والكون بأسره ـ والله أعلم ـ إذ لا يملك الناس إلا من ملك النفس، ولا يذهب خصيم الجنس إلا من تحرر من خصيم النفس، ولا يتحرر من خصيم النفس إلا من خالف هواه وأطاع مولاه. وإن ملكتم أنفسكم ـ كما قلنا لكم ـ ملكتم الناس والكون بأسره، وكان الكل تحت قهركم وسطوتكم، تتصرفون فيه كما شئتم، ولعن الله من كذب عليكم.

وإياكم أن تجهلوا، أو تجهلوا جهلكم فذاك هو الجهل المركَّب، فتظنون أنكم تملكون شيئاً مع عدم ملكيتكم لأنفسكم والله لا كان ذلك أبداً، نعم إن ملكتم أنفسكم ملّككم الله الكون بأسره ـ كما قلنا لكم ـ إذ هو سبحانه كريم، وكرمه عظيم، فلا يمكن أن يتكرم عليه أحدنا بنفسه ـ أي: يتسخى بها في جانبه ثم لا يتكرم عليه سبحانه بنفسه العلية جزاءً له ـ فمهما أعطيناه نفوسنا الخبيثة الناقصة أعطانا سبحانه نفسه النفيسة فيها جزاءً لنا، أي: غطى ذلنا بعزه، وفقرنا بغناه، وضعفنا بقوته، وجهلنا بعلمه، وغضبنا بحلمه، وعجزنا بقدرته، وهكذا[1]، وإن

(١) وكما قال سيدي ابن عطاء الله في حكمه: «تحقق بوصفك يمدك بوصفه».

شئت قلت: غطى وصفنا بوصفه، ونعتنا بنعته، ويا عجباً الملك ملكه وهو يشتريه منا بنفسه ولا نبيع له، والله ثم والله من بوجهه الحياء حقيقة لأطاق أن يسمع هذا فأحرى أن يفعله.

واسمعوا ما يقول مولانا جل وعزَّ لمن يسخى منا بنفسه في جانبه سبحانه: أتتكرم عليَّ أيها العبد والكرم لي وأنا له؟ فها نفسي في نفسك، والسلام.

الرسالة التاسعة والعشرون بعد المائة الأولى:

في الحض على كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبيان حقيقة ذلك.

١٢٩ ـ **ومنها:** فإني أؤكد عليكم أن تقربوا من نبيكم كثيراً بالصلاة والسلام ـ كما قلنا لكم قبل هذه الأيام ـ، ونرى الصلاة عليه والسلام كلاهما لا يحصل حقيقة إلا لمن تمسك بسنته وتخلَّق بخلقه، إذ كثيرٌ من الناس يصلون عليه على الدوام وهم دائماً يعومون في الظلام، وذلك لجهلهم بالسنة وتخلقهم بالبدعة، فتنبهوا ـ رحمكم الله ـ لهذه الطريقة واجتنبوها، والله ينجينا وإياكم من الوقوع فيها، والسلام.

الرسالة الثلاثون بعد المائة الأولى:

في الترغيب بزيارة الشيخ والتعلق به لتحصيل المعاني.

١٣٠ ـ **ومنها:** فإن شئت أن تتصل معانيك بمعانينا فصلْ حسَّك بحسِّنا، أو نقول: اقرب حسَّك بحسِّنا إن أمكنك ذلك، وإلا فبأدنى شيء من الزيارة توجهه إلينا ولو مرة في الشهر لكي ترتبط معانيك بمعانينا كما قلنا، والسلام.

الرسالة الحادية والثلاثون بعد المائة الأولى:

وصايا جامعة.

١٣١ ـ ومنها: فالأحوال التي أنتم عليها وهي خرق العوائد، إن لم تكونوا على بصيرة منها فحتماً تبعدكم من السنة وتقربكم من البدعة، وتلك هي البلية ـ والعياذ بالله ـ فلا تخرقوا عادة أنفسكم إلا فيما يثقل عليكم، وليس بمحرم شرعاً ولا بمكروه.

وأما قول الولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد زروق ـ رضي الله عنه ـ الذي هو ما لم تقوى الكراهة جداً، فلا يليق بنا أن نعمل به في الوقت الذي قلَّت فيه المحبوبات وكثرت فيه المكروهات، وقلَّت فيه المتابعة وكثرت فيه المخالفة، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية[١].

وأوصيكم أن تقوموا بالمفروض وبما لابد منه من المسنون، وأن لاتسلكوا مسلكاً قط بدون العلم، إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لايحل لامرىء مؤمن أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه)[٢].

وقال سيدي أبو سليمان الداراني ـ رضي الله عنه ـ: لا ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يسمع به في الأثر.

وقلنا: ليس من علم كمن جهل، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣] ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾. وقلنا قبل هذا: ليس من يعلم ما يعمل كمن لا يعلمه. ونرى كثيراً من الفقراء

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٣١.

(٢) لم أجده فيما لدي من مصادر.

(٣) سورة الزمر ـ الآية ٩.

ومن غيرهم يعملون الحسنات الكثيرة ولايعلمون أنهم عملوها ويعملون السيئات الكثيرة ولا يعلمون أنهم عملوها، فهؤلاء حقيقتهم ظلمانية غير نورانية، ومن يعلم ما يعمل ويحذر من مخالفة أمر ربه فهو والله حقيقته نورانية غير ظلمانية، ولا شك أن العلم نور والجهل ظلمة، والعلم نهار والجهل ليل. ويكفينا في شرف العلم وفي علوه وارتفاعه أنه صفة الله تعالى كما قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه سبحانه: (أنا عليم أحب كل عليم)[1]، فلا خير فيمن لا يتعلمه ولا فيمن لا يعرف قدره، إذ لا يعرف ربنا ولا يعبد إلا به، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد)[2].

والسنة المحمدية يا إخواني هي السنة، قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي البوصيري - رضي الله عنه - في بردته:-

دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

وقال:-

ولن ترى من ولي غير منتصر به ولا من عدو غير منقصم

إلى غير هذا، والسلام.

الرسالة الثانية والثلاثون بعد المائة الأولى:

في حقيقة الشهود.

١٣٢ - ومنها: فالشهود[3] معنى، والمعاني لا ترتبط إلا بالحس،

---

(١) لم أجده فيما لدي من مصادر.

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٨٢، وابن حجر في الفتح ٢٤٨/١٣.

(٣) قال العلامة السهروردي: الشهود هو الحضور وقتاً بنعت المراقبة ووقتاً بوصف المشاهدة. فما دام العبد موصوفاً بالشهود والرعاية فهو حاضر.

ولاتدوم إلا بالمذاكرة والزيارة، وخرق العادة، ومهما وقع السكون إلى حالة وقعت الفترة لا محالة، فلا تعجزوا عن الحركة ـ أو نقول: الأسباب ـ إذ بها تتقوى المشاهدة، وقد كان أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ يقول لي على الدوام: المعاني لطيفة جداً إذا لم يكن الإنسان لبيباً تذهب من يده ولم يشعر، والسلام.

الرسالة الثالثة والثلاثون بعد المئة الأولى:

لا وجود حقيقي إلا لله سبحانه وتعالى.

١٣٣ ـ ومنها: فلا موجود إلا الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(١)]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[(٢)]، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[(٣)]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[(٤)]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[(٥)]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ

= وقال العلامة الكاشي: الشهود رؤية الحق بالحق.

وقال العلامة التهانوي في مصطلحات الفنون: «الشهود رؤية الحق بالحق يعني الكاسب الذي يكون قد عبر مراتب الكثرات الموهومات الصورية والمعنوية، ووصل إلى مقام التوحيد العياني، فحينذاك يتأمل في صور جميع الموجودات التي ترى الحق بحكم قوله: «كنت بصره الذي يبصر به»، وعندئذ يرى نفسه وجميع الموجودات قائمة بالحق، فتنتفي الغيرية والاثنينية من أمام بصره، فيكون الحق في كل ما يبصره، ويكون الحق في كل ما يعلمه. (انظر: التهانوي ٤/١٠٢).

(١) سورة القصص ـ الآية ٨٨.

(٢) سورة الرحمن ـ الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة يونس ـ الآية ٣٢.

(٤) سورة الحج ـ الآية ٤٢.

(٥) سورة الإسراء ـ الآية ٨١.

يَلْعَبُونَ﴾[1]، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (مارأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه)[3].

وقلنا ـ عفا الله عنا ـ: ومحال أن يرى ربنا ويرى معه سواه كما عليه أهل التحقيق ولا يدريه من ليس له قدم في الطريق، قال بعضهم:ـ

مذ عرفت الإلـه لـم أر غيـرا وكـذا الغيـر عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت افتراقا وأنا اليوم واصل مجموع

معناه والله أعلم ـ: مذ عرفت ربي معرفة أهل الشهود والعيان لا معرفة أهل الدليل والبرهان لم أر حينئذ في كل شيء شيء إلا هو كما رآه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. وقوله أيضاً:

مذ تجمعت ما خشيت افتراقا وأنا اليوم واصل مجموع

معناه والله أعلم ـ: مذ رأيت الوحدة في الكثرة ما خشيت أن أرى الكثرة في الوحدة كما كان شأني قبل أن نشاهد ربي في كل شيء، ولا شك أن لا موجود إلا الله، إنما الوهم حجبنا عن شهوده، والوهم باطل.

قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ في حكمه: «ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان».

وقال سيدي المجذوب ـ رضي الله عنه ـ:

غيبت نظري في نظره وافنيت عن كل فان

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ٩١.

(٢) سورة الحديد ـ الآية ٣.

(٣) لم أجده.

حققت ما وجدت غيره وامسيت في الحال هانِ

فلا يتصور لكم في عقولكم وجود موجود مع الله، إذ ليس مع الله سوى الله، كما عليه كافة أهل التحقيق، ولا يدريه من ليس له قدم في الطريق، ولا تكرهوا الخواطر النفسانية إن تسلطت عليكم وترادفت بجيوشها في قلوبكم، بل اسلبوا لربكم الإرادة في نفوسكم وقت تسلطها عليكم، واسكنوا ولا تتحركوا واطلقوا منها ولا تقبضوا فيها، وارقدوا إن أمكنكم حتى تشبعوا إذ الرقاد وقت الشدائد فيه من الفوائد خرق العوائد، إذ هو سلب الإرادة لله، وكل من سلب إرادته إلى ربه بكله أخذ بيده، فلا تكرهوا الخواطر النفسانية إن كثرت عليكم بل كونوا كما قلنا لكم فإنها تربحكم، ولعن الله من كذب عليكم، وبسببها يستقر التوحيد بقلوبكم، وتذهب الشكوك والأوهام عنكم، أو بها يقع السير ويحصل الخير، أو بها يحصل الزوال والخلاص من كل ضلال، وإياكم أن تهتموا من أجل كثرة القواطع - أو نقول: الموانع - إذ الخبير قواه الله يطويها لكم إذ كنتم على ما قلنا لكم. وقد قال لي بعض الفقهاء - رضي الله عنهم -: الشهوة قد ضرَّتني، فقلت له: أنا هي التي نفعتني! ولا عليَّ إلا فضل الله وفضلها، والله ما ننسى جميلها.

فأهل العلم بالله لا يفرون من الأشياء كغيرهم إذ هم يشاهدون ربهم في كل شيء شيء، وغيرهم يفرون منها، إذ هم[1] - لطف الله بهم - محجوبون بشهود الأكوان عن شهود المكون، كما أن أهل العلم بالله محجوبون بشهود المكون عن شهود الأكوان، ولذلك قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله - رضي الله عنه - في حكمه: «إنما يستوحش العُبَّاد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء، فلو شهدوه في كل

(١) أي الناس غير العارفين.

شيء لم يستوحشوا من شيء»[1].

واسمعوا ما وقع لبعض إخواننا ـ رضي الله عنهم ـ إذ كان سائراً مع الطريق وقد حجب بشهود المكون عن شهود الأكوان، وكان معه أناس ببعض الطرق، وكان ما يرى ويسمع يقول لمن كان معه: هذا ما هو شيء هو سواء سمع كلام الناس أو كلام الطيور أو البهائم أو الريح أو غير ذلك كلاً من ذلك يقول لمن معه إن سمعه أو رآه: هذا ما هو شيء هو. ومن معه يتعجب من قوله.

وكذلك وقع لبعضهم بالاسكندرية حيث تكلم غراب فوقه فقال: لبيك اللهم لبيك!، فطوِّف[2] شرعاً لأنه قال بقدم الحادث وببقائه، وحاشا أن يكون ذلك إلا لربنا.

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن لا مانع من شهود ربنا إلا وقوفنا مع شهوات أنفسنا، وإياكم أن تقولوا إن الكون هو الذي حجبنا عن المكون، بل ـ والله ـ ما حجبنا عنه إلا الوهم الذي أنتجه الجهل، ولو علمنا لأنتج لنا علمنا اليقين، واليقين يسلب قلوبنا وسرائرنا من رؤية الأغيار ـ كما هو شأنه ـ ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان، ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان.

واسمعوا ما وقع لبعض المريدين سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف إذ كان ـ لطف الله به ـ يتقوى شهوده فيبتدر إلى أهل الغفلة بقصد أن يسمع ما هم عليه من الخوض في المكونات لعله يتفتر أو نقول: يضعف شهوده، فإذا به كان شهوده لربه يتقوى بذلك حتى كاد أن يغيب

---

(١) الحكمة رقم ١١٥.

(٢) التطويف: نوع من العقوبة التعزيرية تقام على من خالف أمراً شرعياً بأن يقام عليه الحد مثلاً، ثم يوضع على دابة أو بهيمة ويطاف به في الأزقة والشوارع ليشاهده الناس ويعتبروا به.

عن إحساسه، فيهرب ويلجأ إلى ربه، وكثيراً ما كان يتقوى شهوده حتى يرجع إلى ما كان عليه أيام غفلته من الملاهي والأهواء، فأراد الله أن يجعله من أهل الصحو، فصحا وهو قائم الحياة الآن[1] ـ لطف الله به وبأحبته آمين ـ[2].

والمشاهدة بالبصيرة لا بالبصر، ومن زعم أن الأشياء تمنع منها فليس له علم بها إذ لا مانع منها إلا الوهم والوهم باطل، ولو ذهب لوجد كل شيء وسيلة إلى الله، ولا وسيلة إليه سواه، «عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي»[3].

وقال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله في حكمه: «متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعُدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟»[4]، وفيها: «ربما نصبت لك الكائنات لا لتراها ولكن لترى فيها مولاها»... إلى غير هذا، والسلام.

الرسالة الرابعة والثلاثون بعد المائة الأولى:

لا بد من البلاء لأهل الاصطفاء.

١٣٤ ـ ومنها: فلا بد لأهل المعرفة والمحبة من أن يتسلط عليهم من يؤذيهم، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا،

---

(١) أي: مازال على قيد الحياة ـ أي في وقته رضي الله عنه ـ.

(٢) ولست أدري إن كان يعني نفسه والله أعلم.

(٣) من الأقوال المنسوبة إلى الخليفة الصديق أبي بكر رضي الله عنه ونفعنا بمحبته.

(٤) كما جاء في المناجاة في آخر الحكم. وقال في الحكم: «شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه؟. «الحكمة رقم ٢٩».

فقد حلَّ بالأولياء ـ رضي الله عنهم ـ من الإذاية الأمر العظيم؛ فمنهم من سجن، ومنهم من سُوِّط[١]، ومنهم من طُوِّف[٢]، ومنهم من قتل، ويكفينا ويكفي غيرنا في هذا المعنى موت القطب مولانا عبد السلام بن مشيش[٣]، وموت سيدي الحلاج، وغيرهما ـ رضي الله عنهم ـ، وكذلك موت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وكذلك موت الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إذ قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤].

ونرى أن الإذاية التي أوذي الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أكبر من الإذاية التي أوذي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وإذايتهم التي أوذوا أكبر من إذاية غيرهم من الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ إذ هي بحسب المقامات كما جاء في الخبر عن خير البشر صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل)[٥]، وليست هي ـ

---

(١) أي: ضرب بالسياط.

(٢) أي: طوِّف به على الدابة للتشهير به ـ وربما يكون ذلك ظلماً كما فعل ببعض الصالحين كما أشار إليه مولانا العربي هنا.

(٣) سيدي عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر منصور بن علي الإدريسي الحسني أبو محمد، من العارفين بالله تعالى والمتفانين بمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإليه تنسب الصيغة المشتهرة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الصلاة المشيشية» أو «البشيشية» التي يعرفها الخاص والعام من المحبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولد رضي الله عنه ونفعنا بمحبته في جبل العلم، بثغر تطوان، وقتل فيه شهيداً، قتله جماعة أرسلهم رجل يدعى ابن أبي الطواجين الكتامي، ساحر متنبيء، ودفن بقنة الجبل المذكور سنة ٦٢٢ هجرية، وقبره مشهور يزار ويتبرك بزيارته «انظر: الأعلام ٤/٩».

(٤) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٦.

(٥) سبق تخريجه في الرسالة الخامسة بعد المائة.

والله ـ من الله تهاوناً بهم ولا استخفافاً بحقهم، بل هي ـ والله ـ من الله كرامة لهم، وفضلاً من الله ونعمة، وهي هدية كبيرة من الله لهم.

واعلموا أنكم إن ملكتم أنفسكم ملككم الله من يؤذيكم من جنسكم ومن غير جنسكم، والكون بأسره ـ كما قلنا المرة بعد المرة ـ إذ لا يملك الناس والكون بأسره إلا من ملك النفس ـ أو نقول: لا يتحرر من خصيم الجنس إلا من تحرر من خصيم النفس، ولا يتحرر من خصيم النفس إلا من خالف هواه وأطاع مولاه طاعة خالصة.

وإن شئتم أن يأخذ الله بيدكم فاسلبوا له الإرادة في أنفسكم، فإنه يتولى أمركم كما تولى أمر غيركم، ولعن الله من كذب عليكم، وسيفتح الله عليكم حتى لا تشكون قط ـ إن شاء الله ـ فيما قلنا لكم، والسلام.

الرسالة الخامسة والثلاثون بعد المائة الأولى:

في ذكر الاسم المفرد.

١٣٥ ـ **ومنها:** فالمؤمن إن دام على ذكر الله وقال: «الله الله الله» نال القوة من الله، ونال العز من الله، ونال النصر من الله، ومن كذب فعليه لعنة الله.

وأصل المحاسن من حيث هي فراغ القلب من حب الدنيا، والسلام.

الرسالة السادسة والثلاثون بعد المائة الأولى:

في الحث على التسليم لله في كل الأمور.

١٣٦ ـ **ومنها:** فلا يعاند القدرة إلا من لا عقل له وأما العاقل فلا يعاندها، فلا تحزنوا على مال إن فقدتموه، ولا تفرحوا بمال إن

وجدتموه، بل اختاروا ما يختار ربكم لكم وجداً كان أو فقداً، عطاءً كان أو منعاً، عزاً أو ذلاً، صحة أو سقماً، تاسيعاً أو ضيقاً، بسطاً أو قبضاً، غناء أو فقراً، علواً أو دنواً، حياة أو موتاً، وهكذا. . . .، وهو حال من سلب الإرادة لربه، وحال من يريد أن يكون معهم ويلحق بهم ويكون من جملتهم، وأما من يتخير على الله، ويريد غير ما أراد الله فلا يبقى إلا أسير هواه، ومن كذب فعليه لعنة الله:ـ

سلِّم لسلمى ودُرْ حيث دارت واتبع رياح القضا وسر حيث سارت

فهذا الذي نحب أن تتمسكوا به وأن تتنافسوا فيه، إذ هو الغاية في الطريق، والنهاية في التحقيق، إذ لا يتخلص من الهوى إلا من سكن وقت البلوى، والسلام.

الرسالة السابعة والثلاثون بعد المائة الأولى:

في الفرق بين من قلبه عند الأسباب ومن قلبه عند مسبب الأسباب.

١٣٧ ـ ومنها: ففرق كبير بين من قلبه عند المكون وبين من قلبه عند الأكوان، فمن قلبه عند المكون فالأكوان من حيث هي في قبضته وتحت قهره وسطوته، ومن قلبه عند الأكوان فهو وقلبه في قبضتها وتحت قهرها وسطوتها، فهي دائماً مسلطة عليه ـ أي: دائماً تطوفه[1] وتمتحنه ـ إلا إن حرره الله منها بمحض كرمه، وإلا فيموت أسيراً

---

(١) أي تذله ما وجدت إلى ذلك سبيلا، وقد مر أن التطويف نوع من عقوبة التعذير ليفتضح أمر الجاني حيث يوضع على حمار ورأسه إلى أسفل ويدار به في الأسواق وبين الناس ليشهدوا فضيحته، وهكذا حال من كان أسير الدنيا وأهلها لابد أن تفضحه أطماعه عاجلاً أم آجلاً ما لم يرجع ويعطي كل ذي حق حقه، نسأل الله السلامة والعافية لنا وللمسلمين ولمن قال آمين.

بيدها، ثم إن أهل الأسباب التي تشغل عن الله وتبعد صاحبها منه يذمون التجريد الذي هو البعد من الشواغل ويمدحونها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والسلام.

الرسالة الثامنة والثلاثون بعد المائة الأولى:

في حقيقة الذكر والذاكرين الله على الحقيقة.

١٣٨ ـ **ومنها:** فقد صليت ذات يوم مكتوبة بالقرويين بعد أن كان كل من بها على عبادة، أي: منهم من يصلي، ومنهم من يتلو، ومنهم من يحدِّث، ومنهم من يدرِّس، ومنهم من يقرأ دلائل الخيرات، وهكذا... فإذا برجل يدَّعي الخصوصية بقربي نعرفه، إذ كان متعلقاً بشيخنا كما كنا، فسلبته الدنيا من حلة الفقر ولم تترك له إلا الدعوى باللسان، وقطعته عن الشيخ وعنا وتركته من أقل الناس، فقلت له بأثر الصلاة: هل هؤلاء القوم ذاكرون أم غافلون؟ فتحير فيما يقول لي ساعة لأنه فهم أن المعنى راجع إليه ثم قال: ما يظهر إلا ذاكرين ـ لخلاص نفسه ـ فقلت: ذاكرون عند الغافلين، وغافلون عند الذاكرين(١)، لأن عندهم ما ترى من الأسباب الدينية، وعندهم ما يماثلها بعشر مرات من الأسباب الدنياوية، وهم فقراء من الجهتين، أي: فقراء من الدنيا وفقراء من الآخرة، فكلاهما ليست عندهم لعدم اطمئنانهم بربهم، ولو ذكروه ـ أو نقول: عبدوه حقاً ـ لاطمأنوا به وذهب عنهم كل بأس إذ لا يجتمع ذكر الله والبأس؛ فمهما حضر ذكر الله ذهب البأس، ومهما حضر البأس ذهب

(١) أي أنهم يذكرون الله ظاهراً بين قوم غافلين عن الذكر، إلا أن قلوبهم في الحقيقة مشغولة عن الذكر بالدنيا وأسبابها وأهلها فهم مشغولون حقيقة وإن كانوا ذاكرين من حيث الظاهر.

ذكر الله، ومن زعم أنهما يجتمعان فهو جاهل بمزية ذكر الله، وهو لا يعرف قدر ذكر الله، ولا سرَّ ذكر الله، ولا درجة ذكر الله.

ولذكر الله قدر كبير، وكيف لا وقد لا يحزن الفزع الأكبر المطمئن بذكر الله يوم القيامة، فأحرى ما يصيبه من البلايا والمحن في دار الدنيا، وأي ذكر أو عبادة عند المستغرق في بحر الشكوك والأوهام؟، والله ما نرى له شيئاً، والسلام.

الرسالة التاسعة والثلاثون بعد المائة الأولى:

في حقيقة الولاية.

١٣٩ ـ ومنها: فالولاية حالة ربانية شريفة[(١)]، ومرتبة علية منيفة، قد تحيرت فيها عقول الناس فلم يدركها منهم إلا الأقوياء الأكياس ـ لا أخلى الله الدنيا منهم ـ، وكيف لا؟ والولي من تولاه الله، فغطى وصفه

---

(١) الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك يتولى الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين. وقال الجيلي في تعريف الولاية أنها عبارة عن تولي الحق سبحانه وتعالى بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وأثر لذة وتصرفاً. وقال العلامة الجرجاني: «الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، والولاية في الشرع: تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى.

وقال العلامة الكلاباذي: «الولاية ولايتان: ولاية تخرج من العداوة وهي لعامة المؤمنين، فهذه لا توجب معرفتها والتحقق بها للأعيان، لكن من جهة العموم، فقال: المؤمن ولي الله. وولاية اختصاص واصطفاء واصطناع، وهذه توجب معرفتها والتحقق بها، ويكون صاحبها محفوظاً عن النظر إلى نفسه، فلا يدخله عجب ويكون مسلوباً من الخلق، بمعنى النظر إليهم بحظ فلا يفتنونه، ويكون محفوظاً عن آفات البشرية، وإن كان طبع البشرية قائماً معه باقياً فيه، فلا يستحلي حظاً من حظوظ النفس، استحلاء يفتنه في دينه، واستحلاء الطبع قائم فيه، وهذه هي خصوص الولاية من الله للعبد. (انظر: الكلاباذي ٧٤).

بوصفه، ونعته بنعته ـ أي: عجزه بقدرته، وضعفه بقوته، وفقره بغناه، وذله بعزه، وجهله بعلمه وهكذا... ـ فلا ينبغي لأحد أن يجهل مرتبتها، ولا أن يهمل أهلها، إنما يتأكد في حقه أن يعرفها ولا يجهلها لتعلو همته، ويسمو قلبه.

ونرى جلَّ الناس لا يعتقدونها في جهة من الجهات كما يعتقدونها في جهتين: إحداهما أهل الجذب بلاسلوك[1]، والأخرى جهة أهل المجاهدة الكبيرة، وليس الأمر كما يعتقدون لأن الجذب ولاية وهو لا يجتمع مع المجاهدة، إذ هو قوة، والمجاهدة قوة، والقوة لا تكون في الجهتين كما قلنا مراراً متعددة، لعل من يسمعنا ويتبعنا ويربح.

وأيضاً الجذب حقيقة سكر، والسلوك شريعة صحو، والحقيقة تحجب صاحبها عن الشريعة كما تحجبه الشريعة عن الحقيقة ـ كما في الحكم العطائية ـ وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق، وفني عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب، فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها، سالك للطريقة قد استولى عليه مداها غير أنه غريق الأنوار مطموس الآثار وقد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه، وفناؤه على بقائه، وغيبته على حضوره.

قلت: وهنا قد سَكِرَتْ حتى غابت مولاتنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ إذ قالت: «والله لا أشكر إلا الله»[2]، إلا أنها قد صحت من حينها فرجعت إلى حال الكمال التي كانت عليها وهي الجمع بين السكر والصحو، أو بين الشريعة والحقيقة، وبين الجذب والسلوك، أو بين

---

(١) وقد مر تعريف الجذب في مقدمة الكتاب.

(٢) وذلك في حديث الإفك الذي رواه الشيخان وغيرهما، عندما قال لها سيدنا أبو بكر قومي واشكري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ حينما نزلت آية براءتها ـ فقالت له قولتها المشهورة التي عبر عنها مولاي العربي بالسكر.

الظاهر والباطن، أو بين الحضور والغيبة إذ هي حالة الكاملين ـ رضي الله عنهم أجمعين ..

قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ في حكمه: «وأكمل منه عبد شرب فازداد صحواً، وغاب فازداد حضوراً، فلا جمعه يحجبه عن فرقه، ولافرقه عن جمعه، ولا فناؤه عن بقائه، ولا بقاؤه يصده عن فنائه، يعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه».

وسكر هنا حتى غاب عدد كبير من أولياء الله تعالى ـ رضي الله عنهم ـ فعن الولي الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي الشهير بالعارف(١) ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كنت أحفظ أربعة عشر علماً، فلما حصلت على علم الحقيقة ذهبت تلك العلوم كلها، ولا بقي لي منها إلا القرآن والحديث. وقلت: لما حصلت على ما حصل عليه سيدي عبد الرحمن المذكور سلبت من كل نعيم أتنعم به ومن محبة كل حبيب كنت أتأنس به، ومن كل شهوة كنت أشتهيها، وكل لذة كنت أتلذذ بها،

---

(١) هو العارف بالله تعالى الولي الكبير العالم المحقق الشهير أبو محمد سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي، كان رضي الله عنه إماماً عالماً متحرياً نظّاراً جامعاً لأدوات الاجتهاد مائلاً إليه، محققاً في جميع العلوم، عالماً بالنحو واللغة والفقه والأصول والكلام والمنطق والبيان، وغير ذلك، إماماً في جميع ذلك متوسعاً في الأصلين، لا يدرك فيهما شأوه، وأما معاني القرآن والسنة والتصوف المؤيد بالكتاب والسنة فلا يجارى في شيء من ذلك، متين الدين صلباً في الحق، حسن الأخلاق، كريم النفس، زاهداً في الدنيا، عالي الهمة، ممتع المجالسة، لم يتعاط أسباب الدنيا قط، ولا رغب فيها، متوكلاً على الله تعالى، حسن اللباس، لا يرى عليه أثر فاقة ولا حاجة، ظاهر الغنى، غنياً بالله، توفي رضي الله عنه سنة ١٠٣٦ هجرية، ودفن في روضة أخيه أبي المحاسن. «موسوعة أعلام المغرب ـ نشر المثاني ـ وفيات سنة ١٠٣٦».

وارتحلت عن عوائدي بأسرها، وعلى أهوائي كلها، ولم أسكن إلى شيء بقلبي قط دون الله، ولو سكنت إليه بجوارحي اكتفاء مني بربي والحمد لله والشكر لله.

ولما حصل عليه الشيخ سيدي الجنيدي ـ رضي الله عنه ـ قال:ـ

تطهَّر بماء الغيب إن كنت ذا سرٍّ وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر
وقدِّم إماماً كنت أنت إمامه وصلِّ صلاة الظهر في أول العصر
فتلك صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

ولما حصل عليه أيضاً سيدي الواسطي ـ رضي الله عنه ـ[1] قال: الذاكرون في ذكره أشد غفلة من الناسين لذكره، لأن ذكره سواه.. إلى غير هذا مما لأهل مقام الفناء في هذا المعنى ـ رضي الله عنهم ـ كقوله:ـ

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني سري وقلبي وروحي عند ذكراكَ
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكار إياكَ
أما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه معناكَ

وأما أهل الجذب بلاسلوك فهم كما يعتقدونهم إذ هم قد تصرفت فيهم نورانية ربهم، فأخرجت بواطنهم إلى ظواهرهم، ووقع ما وقع

(١) هو سيدي محمد بن الشريف الواسطي الدرقاوي، من أصحاب مولانا العربي الدرقاوي ـ نفعنا الله به ـ كان من الأكابر، ولما رأى ما بدا من عتو الترك على العرب بالجزائر ونحوها قام انتصاراً لله على السلطان يومئذ، واجتمع عليه أقوام عديدة وقويت شوكته بنواحي الجزائر وأخذ بعض المدن كتلمسان وغيرها، وانتصر على الترك وقتل منهم ما يزيد على ستمائة نفس بنصر من الله وفتح.

كان رضي الله عنه مشاركاً مذاكراً قوي الحجة، توفي سنة ١٢٣٣هـ. «موسوعة أعلام المغرب ـ تذكرة المحسنين ـ وفيات سنة ١٢٣٣ هجرية ٧/ ٢٥٠٢».

بهم، كما في الحكم العطائية: «متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك، إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون»[1].

ويلتبس على الناس أيضاً أمر الخصوصية في أهل الأسباب، فأحرى أهل السؤال منهم، ولم يعلموا أن الولي الشهير سيدي سلهام[2] ـ رضي الله عنه ـ قد كان على أضعف الأسباب وهو صيادة الحوت بالسنارة، ومع ذلك قد جر البحر بهمته، وتصرف فيه بقهريته وسطوته.

وأستاذنا ـ رضي الله عنه ـ قد كان يسأل القراريط بفاس البالي ـ عمره الله ـ من حانوت إلى حانوت كالمضطر الكبير مع أنه قد عاش غوثاً[3] جل عمره، وقد تعدى عمره ثمانين عاماً والله أعلم، وكان الناس يرون أن الثقة بالله أو التوكل على الله لم تحصل إلا لمن ترك أسبابه، ولم يعلموا أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثقته بربه لم يكن مثلها لأحد من أمته ولا لغيرها من سائر الأمم الماضية، ومع ذلك قد كان يتسبب ويتجرد، وكان يفطر ويصوم، وينام ويقوم، تشريعاً لأمته، وفي أمته من هو على قدمه في الثقة بربه إلى لقاء ربه، وهم من ذكرنا ونظراؤهم ـ رضي الله عنهم ـ.

ويلتبس أمرها أيضاً فيمن قلّت نسكه اكتفاء منه بربه، ولم يعلموا أن الضيف لا يتكلف بشيء عند الكرماء، فكيف بضيف كريم

---

(١) الحكمة رقم ٢٠٩.

(٢) مرت ترجمته في المقدمة.

(٣) الغوث هو واحد الزمان بعينه إلا أنه إذا كان الوقت يعطي الالتجاء إلى عنايته. وقال العلامة الكاشي: الغوث هو القطب حينما يلتجأ إليه، ولا يسمى غير ذلك الوقت غوثاً. وقال العلامة التهانوي: الغوث هو القطب وقيل غيره. «معجم مصطلحات الصوفية ـ مادة غ و ث».

الكرماء؟. والحقيقة إشارة إلى الحق، والحق هو الله عز وجل، والشريعة إشارة إلى الشارع وهو نبينا ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ، والسلام.

الرسالة الأربعون بعد المائة الأولى:

موت النفس شرط للوصول إلى الله.

١٤٠ ـ ومنها: فلا وصول إلى الله إلا من باب موت النفس ولو عمل العامل ما عمل، وموتها يكون بمخالفتها، وبترك رأيها بالكلية، واتباع رأي أهل السنة المحمدية ـ رضي الله عنهم ـ، وأما من وقف مع رأيها وظن أنه لا يصل إلى ربه إلا بعد فناء مساويه ومحو دعاويه، لم يصل إليه أبداً، إذ لا وصول إليه إلا بمحض كرمه، إذ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم﴾ الآية(١)، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ﴾ الآية(٢)، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ الآية(٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله. قيل له: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)(٤) إلى غير هذا.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾ سورة البقرة ـ الآية ٦٤.

(٢) قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ سورة النساء ـ الآية ٨٣.

(٣) سورة النور ـ الآية ٢١.

(٤) رواه الطبراني في الصغير عن شريك بن طارق، والطبراني أيضاً في الكبير عن أسامة بن شريك، والإمام أحمد في المسند وعبد بن حميد عن أبي سعيد الخدري، بألفاظ مختلفة ومتقاربة. «الكنز ٤/ ٢٥٤».

وأؤكد عليكم أن تكونوا على إسقاط منزلة أنفسكم، وأن تحذروا غاية جهدكم من الوقوع في المحرمات والمكروهات التي عنها نهاكم ربكم، لئلا تنقلب حقيقتكم النورانية إلى حقيقة ظلمانية، وأن لا تحملوا ما ليس على ظهوركم باشتغالكم بتدبيركم واختياركم، وبشدة اهتمامكم بما تكفل الله به لكم - وهو رزقكم - وأن تحملوا ما تواجهون به من الناس من المكاره، وأن تكفوا إذايتكم أنتم عنهم، إذ لا يخفاكم أن قطب التصوف كف الأذى واحتمال الأذى، وكل بقية فيكم من صفة العامة فاتركوها، ونافسوا في ضدها، ولتكن همتكم دائماً عليَّة غير دنية، وقد قلَّ في هذا الزمان غاية من علت همته، إذ لا ترى فقيراً ولا عالماً، ولا شريفاً إلا وترى همته دنية غير علية، إذ الناس كلهم لما نزلوا بهممهم إلا على الدنو وهو الدنيا، وعلى حب الجاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلذلك هبطوا إلى أسفل، ولم يطلعوا إلى فوق. فارحلوا يا إخواني بقلوبكم من عالم الشهوات الفانية إلى عالم الشهوات الباقية، وتقدموا إليه ولا تتأخروا، إذ ما تأخر إلا أهل الغفلة، وأما أهل اليقظة فقد تقدموا، أو نقول: رحلوا، وهنالك نزلوا، والسلام.

الرسالة الحادية والأربعون بعد المائة الأولى:

في الحث على ما ينفع في الدارين والاكتفاء بالله وحده.

١٤١ ـ ومنها: فنفس ابن آدم كالأرض إن لم تزرع فيها الصلاح فحتماً ينبت له فيها الفساد، وكونها تبقى بلا نبات فهيهات هيهات!!!، إن لم تأت بالمليح تأتي بالقبيح. فعليكم بما ينفعكم وبما يعود خيره في الدارين عليكم، وكونوا دائماً من حقوق ربكم إلى حقوق أنفسكم، ومن حقوق أنفسكم إلى حقوق ربكم، إن شئتم سلامة رؤوسكم[1]، واستقامة

(١) بمعنى إن أردتم سلامتكم وخلاصكم مما يرديكم.

ظاهركم وباطنكم، وأن لا يخصكم شيء ولايضركم شيء، وإلا فترك الأسباب والثياب، وقلة النسك والإقامة على ذلك من غير استغراق في شهود عظمة ربكم وفي شهود عظمة نبيكم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مع الغيبة عن الإحساس من غير شعوركم قط بطالة لا تخفى(١)، لأن من تخلى فقد تحلى(٢) ومن لا فلا. نعم إن حصل الأمر كما قلنا فليس لأحد ما يقول لنا إذ هو الوصول، والواصل له دليل قوي وهو الاكتفاء بالله، إذ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾(٣)، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٤)، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾(٥).

والمكتفي بالله دلائله كثيرة وهي: أن لا يستوحش حين يفارق ما يهوى، إن فقد وجد في فقده، وإن ذلَّ عزَّ في ذلته، وإن افتقر اغتنى في فقره، وإن ضعف تقوّى في ضعفه، وإن عجز قدر في عجزه، وإن ضاق اتسع في ضيقه، وإن انكسر انجبر في انكساره، وإن خسر ربح في خسرانه، وهكذا. . . .

وأيضاً نرى تارك الأسباب إن استيقظ من نومه فإلى أي جهة يتوجه بقلبه؟، فلا نراه يتوجه إلا إلى الخوض بخلاف من له سبب فإنه مهما استيقظ من نومه نهض من حينه إلى سببه من غير أن يخوض في شيء أو يدبر أو يختار، فاشتغلوا بما ينفعكم وبما يعود خيره في الدارين عليكم، وتحركوا ترزقوا، كما قال لكم نبيكم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ(٦) ولا تكسلوا.

---

(١) لأن كل ذلك تمسك بالقشور وبعد عن اللب.

(٢) أي من تخلى عن كل خلق رديء مذموم فقد تحلى بالخلق السني الكريم.

(٣) سورة الزمر ـ الآية ٣٦.

(٤) سورة فصلت ـ الآية ٥٣.

(٥) سورة العلق ـ الآية ١٤.

(٦) في الحث على السعي والحركة في كل الأمور كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (استعن بالله ولا تعجز) في بعض حديثه.

واسمعوا ما قويت به بعض الإخوان ـ وقد خاف من الزواج أن يفتنه كما خاف من فتنته كثير من أهل الطريقة رضي الله عنهم ـ، فقد قويته بقولي: نرى بعض الناس لهم شواغل كثيرة ومع ذلك فكأنهم لا شغل لهم، وليسوا هم من خاصة الناس إنما هم من عامة الناس، ونرى بعضهم ما لهم إلا رؤوسهم وقد وحلوا بها، فهم دائماً في غاية المشقة من أجلها، وذلك منهم بسبب تدبيرهم واختيارهم وشدة اهتمامهم بأمرها، فظهر لي حينئذ ـ والله أعلم ـ أن الرجال لا يفتنهم عن ربهم شيء، والعيال أدنى شيء يفتنهم. وعلى أي شيء اعتمد مريد الوصال منكم وقد ترك أسباب الدنيا وأسباب الآخرة؟ فيا عجباً ممن ينتقم من التسبب في صلاح نفسه ويقول: لو تركت أسبابي واشتغلت بربي لكان خيراً لي مما أنا عليه، مع أن له أوقاتاً ضائعة في غير الاشتغال بربه وهو لا يراها ولا ينتقم منها، فهذا هو الخذلان، وهذا هو الخسران، إذ لا يناسبه أن ينتقم من التسبب في صلاح نفسه ولا في صلاح عياله، حتى لا يضيع حق ربه في وقت من أوقاته، والسلام.

الرسالة الثانية والأربعون بعد المائة الأولى:

في مجاهدة النفس والتخلي عن الهوى.

١٤٢ ـ ومنها: فمن أراد أن يتحلى فعن الهوى يتخلى، إذ قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ الآية[١]، وقال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ الآية[٢].

(١) سورة النجم ـ الآية ٣٩.
(٢) سورة مريم ـ الآية ٢٥.

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (تحركوا ترزقوا)[١].

وفي الحكم العطائية: «كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟»[٢].

وفيها: «كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته؟»[٣].

وفيها: «ورود الإمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار»[٤]، فعليكم بعلو همتكم وتحرير مقاصدكم، إذ قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٥].

وقال[٦]: لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحا يسير، والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه! ولكن ارحل من الأكوان إلى المكوِّن ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[٧]، انتهى.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما ورد: (سافروا تصحوا وترزقوا) رواه عبد الرزاق في الجامع عن محمد بن عبد الرحمن مرسلاً.

(٢) الحكمة رقم ١٢٦.

(٣) الحكمة رقم ١٣.

(٤) الحكمة رقم ١١٢.

(٥) سبق تخريجه في الرسالة السابعة عشرة.

(٦) أي سيدي ابن عجيبة في حكمه: الحكمة رقم ٤١.

(٧) سورة النجم ـ الآية ٤٢.

فكونوا من أهل الهمم العلية ولا تكونوا من أهل الهمم الدنية، ولا شك أن أهل الهمم العلية قد قل وجودهم غاية، فلا عالماً ولا فقيراً ولا شريفاً إلا وترى همته نازلة على الدنيا الدنية، وعلى حب الجاه اللذين هما حرام على أهل الله، فلذلك رميت شبكتي في مذاكرتي هذه وفي غيرها على الفقراء، ولم نرمها على العلماء وعلى غيرهم من الناس لأني نرى الفقراء كلهم يزعمون أنهم على طريق الفقر وليسوا هم ـ والله ـ عليه حتى تكون أنفسهم ودنياهم عندهم كلاشيء، إذ هذه حقيقة الفقر، وطريقته. ولكون الفقراء أيضاً رفقاءنا، ومنا وإليهم، وإليهم وإلينا، فلهم مالنا وعليهم ما علينا، بخلاف ساداتنا العلماء ـ رضي الله عنهم ـ فإنهم ليسوا من رفقائنا، لا في طريق الظاهر ولا في طريق الباطن، وذلك منهم لا منا، والله مطلع علينا، لأنهم ـ لطف الله بهم ـ قد أبعدونا من الحس، ولسنا ـ والله ـ من أهل البعد بل نحن ـ والله ـ من أهل القرب، إذ نحن ـ والمنة لله ـ لنا الحظ الأوفر في طريق الظاهر، ولنا النصيب الأكبر في طريق الباطن، ولو خالفوا أهواءهم، وتخلصوا من حظوظهم لوجدوا جلنا علماء، وجُلَّهم جُهَّالاً مع وجود جهلنا ووجود علمهم.

قال الشيخ ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله في حكمه: «فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟»[1].

وأما العموم فهم كما قال أستاذنا الجليل لبعض صلحاء مدينة فاس ـ دفع الله عنها كل باس ـ وقد كان يدعي الخصوصية الكبرى، إذ قال له: من أي فريق أنا عندك؟ من فريق العموم أم من فريق الخصوص؟ فقال له: العموم أسيادي وأسيادك إذ هم لم يدعوا شيئاً. فقال له: لست

---

(١) الحكمة رقم ٣٥.

عندك من العامة ولا من الخاصة فممن أنا عندك؟. فقال له: أنت عندي من حمير مصر الطوال الآذان، فلذلك لم أذكرهم، ولم أرم شبكتي عليهم.

ولا شك أن من جهل شيئاً عاداه، ولو ذاق ماذاقت الرجال لقال كما قال القائل:ـ

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم تشغلاً بك يا ديني ودنيائي

انتهى، والسلام.

الرسالة الثالثة والأربعون بعد المائة الأولى:

في التحذير من الشيطان وغواياته وبيان الحكمة من إذايته لأولياء الرحمن.

١٤٣ ـ ومنها: فلم أدر هل تعرفون الشيطان المسلط على أهل الطريقة[١] ـ لعنه الله، ورضي الله عنهم ـ أم لا؟ فللطريقة شيطان حي مسلط على أهلها، دائماً يؤذيهم وقد تسلط على الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ فأحرى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لأن إذايته تكبر لكبر المقامات: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل)[٢].

---

(١) أي هذه الطريقة الدرقاوية المرضية وما شابهها من الطرق الرحمانية كالشاذلية والتيجانية والرفاعية وغيرها من طرق أهل الله العارفين المرضيين المهديين على رغم أنف أهل الضلال المبتدعين ورسل الشيطان المسلطين على أولياء الرحمن، نسأل الله الهداية لنا وللمسلمين أجمعين وأن يحفظنا من الشيطان وأعوانه وأنصاره من بني الإنس والجن، آمين.

(٢) سبق تخريجه في الرسالة رقم ١٠٥.

والحكمة في إذايته ـ لعنه الله ـ ليتخلصوا إلى مولاهم ـ سبحانه ـ إن سبق لهم ذلك، وقد سبقت السعادة للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والأولياء ـ رضي الله عنهم ـ كما في الحكم العطائية: «من وجد ثمرة عمله عاجلاً فهو دليل على وجود القبول [آجلاً]»[١]، وفي كتاب الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢]، ولا شك أن لا قدرة له عليهم ولا على غيرهم ـ لعنه الله ـ إذ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولو كان ينفع لنفع نفسه، أو يضر لضرَّ كل أحد، حاشا أن يكون له أو لغيره ذلك، إنما هو لله وحده ولكن هو حكمة ربانية، وسر من أسرار الربوبية عند من عرف، وعداوته حقاً هي الإقبال على الله والإدبار عنه، كما قال أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ: «عداوة العدو حقاً هي اشتغالك بمحبة الحبيب، وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو نال مراده منك وفاتتك محبة الحبيب». وكما قال الشيخ الجليل سيدي قاسم الخصاصي[٣] ـ رضي الله عنه ـ: «لا تشتغل قط بمن يؤذيك واشتغل بالله يرده عنك فإنه هو الذي حركه عليك ليختبر دعواك في الصدق وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير فاشتغلوا بإذاية من آذاهم، فدام الأذى مع الإثم، ولو أنهم اشتغلوا بالله ورجعوا إلى الله لردهم عنهم، وكفاهم أمرهم» انتهى. وهو نظر الأكابر من الصوفية أهل التربية ـ رضي الله عنهم ـ.

ونرى أن الشيطان المسلط على أهل الطريقة هو من بني آدم لا من

---

(١) الحكمة رقم ٧١.

(٢) سورة يونس ـ الآيتان ٦٣، ٦٤.

(٣) مرت ترجمته في الرسالة السابعة من هذه الرسائل.

الجان، ونراه أيضاً أفقه وأقوى من شيطان الجن، فالظاهر أن كلاً منهما يتسلط على ابن آدم، وفي كتاب الله: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١)، وقد قلنا لكم: عداوة العدو حقاً الاقبال على الله والإدبار عنه، والسلام.

الرسالة الرابعة والأربعون بعد المائة الأولى:

في الحث على ذكر الله والصمت إلا عن الدعوة إلى الله والطيب من القول.

١٤٤ ـ ومنها: فمن قام بالمفروض وبما تأكد من المسنون، واستبرأ من البول كما يجب، وواظب على حال النظافة والمسكنة، والقناعة، كان على أحسن حال، ونال ما نالت الرجال ـ رضي الله عنهم ـ، واللسان قال للرأس: كيف أصبحت؟ قال له: إذا سلمت منك. . . ؛ على خير!!. فمن أراد سلامة دينه، وسلامة شيخه فليشتغل بذكر ربه أو يصمت، أو يرقد، لأن الوقت وأهله في غاية الصعوبة.

ونؤكد على أخي أن يذكّر عباد الله ما استطاع، إذ قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) لا يدفعهم عنه إلى أسبابهم، ولا يغفل عن دفعهم حتى يجتمع العدد الكثير عنده، بل إذا بات عنده نفر منهم يدفعه ليأتي آخر، وهكذا حتى يرسخ قدم أخي في طريق الله، وحينئذ لا يضره ما نحذره منه بل ينفعه، ويزيد به إلى ربه، وكذلك نحبه أن لا يكون مغلوب الطبع حتى يخرج عن نظره إلى نظر غيره، إذ لا خير لك في ذلك، إنما الخير لك ولغيرك فيما يرضاه الله لا فيما يرضاه العبد لأن رضا الناس غاية لا تدرك، وأحمق الناس من طلب ما

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٧٦.

(٢) سورة الذاريات ـ الآية ٥٥.

لا يدرك، ولا بد ولا بد احذر من رأي الفقراء ومن رأي غيرهم، ورأيك هو السديد، إذ قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[1]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2].

وإن تحيرت في أمر من أمورك، ولم تدر هل الخير في فعله أو في تركه؟ فبادر إلى الاستخارة النبوية، أو صلِّ ركعتين واتل سورتين قصيرتين كـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، وصلِّ على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولو ثلاث مرات صباحاً ومساءً، وقل: حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مثل ذلك، يُحِق الله لك الحق ويبطل الباطل، والله على ما نقول وكيل.

ونرى أن السالك إذا استعمل هذا واستفتى قلبه ـ كما قال عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه رضي الله عنهم ـ: (استفت قلبك)[3]، فإن قلبه إذ ذاك لا يثبت فيه إلا الحق، نعم إن تحققت ببصيرة أحد من الفقراء أو من غيرهم أكبر من بصيرتك فالصواب أن تقتدي بصاحبها، فقيراً كان أو غير فقير، والله يقوي مددك، ويكون في عونك، والسلام.

الرسالة الخامسة والأربعون بعد المائة الأولى:

في الحث على اغتنام الأوقات والترغيب في زيارة الصالحين الأحياء والأموات في إطار الشرع، وبيان فوائد ذلك.

١٤٥ ـ ومنها: فأوصيكم أن تكونوا على حذر من أن يفوت الزمان ولم تنالوا ما نال أهل الجد في كل حين وأوان.

---

(١) سورة القيامة ـ الآية ١٤.

(٢) سورة الأنعام ـ الآية ١١٦.

(٣) قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك) رواه الإمام أحمد والطبراني وأبو يعلى وأبو نعيم عن وابصة مرفوعاً «كشف الخفاء ١/ ١٢٤».

ولا بد ولا بد أن تتعرضوا دائماً لنفحات ربكم، ولا تعجزوا أو تكسلوا لئلا يفوتكم من ربكم ما فات جلَّ الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومن شاء أن يتعرض لنفحات ربه فلا يكن مع نفسه على ما تشتهيه، وليخف عليها، وليكن معها على ما لا تشتهيه ويثقل عليها، فإن مسافة الطريق يطويها، وثمرة عمله يجنيها، وأما إذا اشتغل بالأعمال وهذا لم يرد له بال فلا يلحق بالرجال، ولا يخلو من الضلال، ولو كان ما كان له من الأعمال.

قال بعضهم ـ رضي الله عنه ـ: ترك شهوة واحدة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها.

وقال بعضهم: لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من أكلها، وأقوم من أول الليل إلى آخره.

قلت: فهكذا تعرضوا لنفحات ربكم إن شئتم أن تطوى مسافة الطريق لكم، وأن تطيب أوقاتكم لكم، ويكون لكم من القرب من ربكم ما كان لغيركم.

وعليكم بزيارة الأحياء من شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ إن وجدتموهم، ولا تخلو الدنيا منهم(١)، ومن أخلاها منهم فهو الخالي من البركة ومن كل خير كائناً من كان، إلا أنهم ـ رضي الله عنهم لا يجدهم إلا من اضطر إليهم غاية الاضطرار، لأن المضطر إليهم اضطراره يجمعه بهم أين ما كانوا بِبَر الإسلام أو بِبَر النصارى(٢)، إما يأتيهم أو

---

(١) ولن تخلو إن شاء الله.

(٢) وهذا من كراماته ومكاشفاته ـ رضي الله عنه ـ حيث إنه لا يخلو بلد من بلاد المشرق أو المغرب أو الشمال أو الجنوب من بقاع الأرض في وقتنا من مريدين وأتباع للطريقة الدرقاوية من الشاذلية أو غيرها ومن أهل الله المحبين لهذه الطريقة المرضية نفعنا الله بهم وبمحبتهم، ولا عجب إذ ماعلمنا أن هذه الرسائل قد ترجمت إلى أكثر من لغة =

يأتونه، القدرة تحمله إليهم أو تحملهم إليه، والمضطر إليهم ربما يجدهم معه بداره، أو قريباً منها ـ كما وقع لنا ـ فإنا لما اضطررنا إلى من يأخذ بيدنا وجدناه قريباً منا، وكاد أن يكون معنا بدارنا، والله حسيبنا إن حدثنا بغير ما وقع لنا، وذلك سر الاضطرار يا من لا يدري ما في ملك الله من الأسرار.

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن بعض الناس اضطر إلى بعض الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ ليريه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وألحَّ عليه في ذلك غاية الإلحاح، فأمره أن يأكل من الحوت حتى يشبع، ويكف نفسه في تلك الليلة عن شرب الماء حتى يطلع النهار، فامتثل أمره وقام؛ فبات الليلة كلها لا يرى إلا الماء، ولا يخوض إلا في الماء(١).

وفي الحكم العطائية: «سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه»(٢).

وعليكم أيضاً بزيارة الأموات منهم؛ كالشيخ الجليل أستاذنا(٣) ـ رضي الله عنه ـ، والشيخ الجليل مولانا عبد السلام بن مشيش ـ رضي الله عنه ـ، والشيخ الجليل سيدي الغزالي، ونظرائهم ـ رضي الله

= لينتفع بها من لا يتقن العربية من المريدين الأعاجم في ألمانيا أو في بريطانيا أو في فرنسا أو في غيرها من بلاد النصارى كما ذكر هو رضي الله عنه في رسالته هذه بقوله: أو بِبَر النصارى.

(١) كأنه هنا ـ رضي الله عنه ـ يرمز إلى أن من اضطر إلى شيء لابد أن يحصله كما حصل مع هذا المريد الذي أكل المالح وأصابه العطش طول ليله فكان لا يرى إلا الماء لأنه مضطر إليه، وكذلك في كل أمر يحصل فيه الاضطرار، وهذا مثال تقريبي للمريدين.

(٢) الحكمة رقم ١٥٥.

(٣) أي سيدي علي الجمل رضي الله عنه ونفعنا بمحبته ومحبة الصالحين.

عنهم ـ، والأماكن المعظمة عند الناس[1] كجبل تيزران بقبائل غمارة ـ صانها الله ـ، وكبني يفرح بقبيلة الأخماس ـ دفع الله عنها كل باس ـ، وحجرة لا إله إلا الله بتارعة بالقبيلة الزياتية ـ دفع الله عنها كل بلية ـ والمنصورة بالقبيلة الأحمدية ـ دفع الله عنها كل بلية ـ، والرباطات. . . إلى غير هذا من الأماكن المعظمة. ومن رفع همته عن الدنيا لحق ـ والله ـ بالأولياء، وفي علو الهمة من الفوائد خرق العوائد، ومنها أن صاحبها يقول للشيء: كن فيكون والله على مانقول وكيل.

وأوصيكم إن قابلكم أحد بوصف من أوصاف الحرية فقابلوه بضده من أوصاف العبودية؛ إن قابلكم بالكلام فقابلوه بالصمت، أو بالعز فقابلوه بالذل، أو بالقوة فقابلوه بالضعف، وهكذا. . فإنكم تقهرونه وتذلونه، وتغلبونه لا محالة، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

---

(١) والتكريم والتعظيم لا لذاتها وإنما لما حل بها من الصالحين وما قام فيها من الطاعات والعبادات ومجالس الذكر والمذاكرات العلمية التي حفتها الملائكة وذكر الله أهلها فيمن عنده من ملائكته وباهى بها أهل سماواته، فمن هنا جاء التكريم فافهم!!!!.
ولعل ما جاء عن الإمام السبكي وهو العلامة الفقيه الأصولي المحقق المدقق، حينما جاء لزيارة الإمام النووي في دمشق وسأل عنه فأخبروه بوفاته رضي الله عنه واندراجه في تربته، فاسترجع وحوقل، وسأل عن مقام الإمام النووي فقيل له: في مدرسة دار الحديث، فجاءها بعد أيام واستفسر أين كان يجلس الإمام؟ وصار يمرغ خده ولحيته على محل جلوس الإمام النووي رضي الله عنه، تواضعاً منه، وإظهاراً لعظيم قدر هذا الإمام وتبركاً بمكان جلوسه، وأنشد البيتين المشهورين عنه:ـ

وفي دار الحديث لطيف معنى ... أردد في جوانبها وآوي
لعلي أن أمسّ بحرِّ وجهي ... محلاً مسه قدم النواوي

فانظر رحمك الله إلى هذا الاحترام من هذا الإمام الذي ملأ علمه طباق الأرض حتى قال عنه ولده تاج الدين السبكي صاحب الطبقات الكبرى: لو أن المذاهب الأربع درست لأملاها الوالد من صدره!!. رحمه الله ورضي الله عنه ونفعنا به وبمحبته ومحبة الصالحين ورزقنا حسن الأدب معهم وكل من قال آمين.

الرسالة السادسة والأربعون بعد المائة الأولى:

في نهيه رضي الله عنه الفقراء والمريدين عن سؤال الناس والاكتفاء بعلم الله وحده.

١٤٦ ـ ومنها: فقد جرى لكم ما جرى لرجلين من أهل الجنة، إذ هما لما دخلا إليها وجدا بها أولاً وادياً من لبن أو خمر فجعلا يشربان شرب من أدركه العطش غاية، فقيل لهما: إن زدتما وجدتما ما هو أحلى من ذلك، فقالا: بوك وجد بوك يزيد!![1] وأما نحن فهذه حاجتنا. فكذلك أنتم ـ لطف الله بنا وبكم ـ لما توجهتم إلى ربكم تعرضت الدنيا لكم، فأخذتم بدرابيلكم وبتسابيحكم وعكاكزكم وجميع ما لكم، ولم تشعروا بما حصل لكم من أسر العدو لكم، وإن شعرتم فالشهوة الفانية ملكتكم رغماً على أنفكم، والله تعالى يكون لنا ولكم.

فالسؤال[2] دائماً ـ يا إخواني ـ لم يقل به أحد من أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ، وقد أسرفتم فيه غاية السرف إذ وجدتموه باباً إلى الدنيا، وأدركتم به من الشهوات خرق العادات بعد أن كان الرجل منكم يتمنى إدراك شهوة واحدة فلم يدركها، ولاشك أن لا خير لكم في إدراك الشهوات، إنما الخير لكم [في] البعد عن الشهوات، إذ قالوا ـ أي

---

(١) ظاهر القول أنه شتم للأب والجد والمعنى كقولنا: ويحك أوتربت يداك أو تربت يمينك أو ما شابه ذلك من الكلام الذي ظاهره الشتم والمراد به غيره على عادة العرب، وقد ورد كثير من هذا في الأحاديث الشريفة وأقوال العرب.

(٢) يريد به ما درج عليه بعض الفقراء من سؤال الناس في الطرقات والأسواق من دراهم وعطيات وذلك بنية إسقاط المنزلة وإذلال النفس وكسر جاهها وحبها للترفع، وهذا أسلوب من أساليب التربية التي كان بعض الشيوخ يربون عليها مريديهم كسراً لنفوسهم وإذلالاً لها.

القوم رضي الله عنهم ـ: من وافق شهوته عدم صفوته. وقالوا: ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها.

وقال بعضهم: لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من أكلها، وأقوم من أول الليل إلى آخره.

قلت: ولا شك أن من عرف ما قصد هان عليه ما ترك، فمن عرف الله تعالى لم يلتفت إلى نعيم الجنة، فما بالك بنعيم الدنيا؟ ومن جهله فهو الذي تملكه شهوة الدنيا، وشهوة الآخرة. فارجعوا عن السؤال واسلكوا مسالك الرجال إن أردتم الوصال والسلامة من الضلال.

والفاقة أيضاً بسط المواهب وقد غلَّقتم بابها وحرمتم بركتها، وهي عبارة عن شدة الاحتياج، فقد قال الشيخ الجليل أستاذنا ـ رضي الله عنه ـ: لو علم الناس ما في الاحتياج من الأسرار والخيرات لم يحتاجوا إلى شيء سوى الاحتياج، قيل: إنه يقوم مقام الاسم الأعظم، انتهى.

فادنوا يا إخواني مما دنا منه نبيكم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفروا من غيره، إذ هو أنجى لكم وأسلم.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي البوصيري ـ رضي الله عنه ـ في بردته:ـ

وراودته الجبال الشم من ذهب ... عن نفسها فأراها أيما شمم

وإن قنعتم بما أنتم عليه فالله يهنيكم به، وأنا بريء ممن يسأل ـ كائناً من كان ـ إلا إن ترك الإلحاح، ولم يرغب قط، كما عند القوم ـ رضي الله عنهم ـ لأن الطائفة الكبيرة من الفقراء إذا كانت كلها على السؤال كان السؤال حينئذ حقيقة ظلمانية غير نورانية، ومن كدرته إذاية الخلق وقلة الشيء فلا يفلح أبداً، والسلام.

الرسالة السابعة والأربعون بعد المائة الأولى:

في الحث على عدم الشهرة وإسقاط الجاه والإقلال من معرفة الناس.

١٤٧ ـ ومنها: فإذا عزمت على زيارتنا كما أخبرنا بعض الإخوان، فالله تعالى يقويك ويؤيدك بفضله، والسر في الانخفاض من الناس[١]، فلا يأتي معك إلا ماشاء [الله] لأن كثرة الناس شهرة، والشهرة لا شيء أضر منها للمريد، وفي كثرة الناس كلفة، ونبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: (أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف)[٢] والخمول أيضاً نعمة، ويكفينا في فضله قول الله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣]، ومن شاء أن يزورنا من غير الذي يأتي معك فحتى ترجع ـ إن شاء الله ـ من عندنا، ويأتون شيئاً فشيئاً.

واعلم ـ يا أخي ـ أن لي مدة طويلة تزيد على أربعين سنة بثلاثة أعوام ـ وقيل أربعة أعوام والله أعلم ـ وأنا أخالط الفقراء، وأذكِّرهم الله تعالى، فاستشرفت على أحوالهم، فوجدت أن لهم أغراضاً كثيرة، وأحببت أن أرضيهم، فظهر لي أن رضاهم غاية لا تدرك، وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك ـ كما قيل ـ، ومن جملة أغراضهم أنهم يحبون المنزلة ـ أو نقول: الرفعة ـ وإسقاطها شرط لازم في الطريقة كما في الحكم العطائية: «ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه»[٤]. وكما قال بعض شيوخ الطريقة شرفنا الله بذكرهم:

---

(١) الانخفاض بمعنى الابتعاد أو الاقلال من معرفة الناس.

(٢) مر تخريجه في الرسالة ١٢٣ من هذه الرسائل المباركة.

(٣) سورة القصص ـ الآية ٥.

(٤) الحكمة رقم ١١.

«طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل»، إلى غير هذا كقول الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبي حفص سيدي عمر بن الفارض - رضي الله عنه - في تائيته:-

ولو عز فيها الذل ما لذَّ لي الهوى ولم تك لولا الذل في الحب عزتي[1]

وقال غيره:

إذا كنت لم تصبر على الذل في الهوى تفارق من تهوى وأنفك راغم

وقال غيره:-

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة فكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن ذليلاً [له] فاقرا السلام على الوصل

وقال غيره:-

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضي المحبوب صح لك الوصل

إلى غير هذا، ولاشك أن الذل عبودية، والعبودية باب الحرية، والله تعالى يقول: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[2].

والحاصل: أني أؤكد عليك أن لا تسرحهم في أغراضهم كأن تكثر من المقدمين على الفقراء، وليكن أمرهم مقصوراً عليك إلا من ترتضيه وتصطفيه غاية، وهذا هو الصواب، ولعن الله من كذب.

وقد ظهر لنا أن الفقيه الأجلَّ سيدي «فلان الفلاني» ممن يرتضى لذلك، فنحبك أن لا تقدم إلا مثله، والسلام.

---

(١) ديوان ابن الفارض - صفحة ٣٣ - تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي.
(٢) سورة البقرة - الآية ١٨٩.

الرسالة الثامنة والأربعون بعد المائة الأولى:

في الحث على النصيحة والتذكير بالحكمة والموعظة الحسنة والكف عن أعراض المسلمين.

١٤٨ ـ ومنها: فإني ممن يحبك لله ـ يا سيدي محمد بن عبد الله البجلالي، ولم ندر هل تعلم ذلك أم لا؟ والسبب في محبتي إياك أني كنت بالمدرسة المصباحية بفاس البالي ـ عمره الله ـ حين كنت أنت بها في العشرة السابعة من المائة الثانية عشرة[١]، وكنت أسمع الطلبة يذكرونك بخير، ويتهمونك به التهمة الكبيرة[٢]، فأخذني ما أخذهم، وأنا على ذلك من ذلك الوقت إلى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ إن شاء الله ـ إذ لا نسمع عليك إلا خيراً، والله على ما نقول وكيل.

والحاصل: فكما نصحتنا فالله يجازيك خيراً عنا، وقد علمت أيها المؤمن الصادق أن أهل البداية الغالب عليهم الغلط فأحرى إن لم يكونوا دائماً بحضرة من يربيهم، إذ ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح، ولا خسر من خسر إلا بصحبة من خسر. وقد كان أستاذي ـ رضي الله عنه ـ يقول لي: اقبض فيَّ بيدك وعضَّ بأسنانك، وإذا رأيت شيئاً لا يعجبك فغمض عينيك لئلا نطير ونخليك[٣]، انتهى.

---

(١) أي سنة ١١٧٠ هجرية.

(٢) أي: ينسبونك إلى الخير ويصفونك به.

(٣) بمعنى أنك لا تنظر إلى عيوبي الذاتيه حتى لا تحرم موائد إشاراتي العرفانية، وكما قال بعض المشايخ ـ رضي الله عنهم ـ: من احتجت إلى شيء من علومه فلا تنظر إلى عيوبه، فإن نظرك إلى عيوبه يحرمك بركة الانتفاع بعلومه. وقال سيدي داود الباخلي رضي الله عنه: لا تنظر في أفعال الواعظين تحجب عن موائد أقوالهم، ولا تنظر لذات العارفين تحجب عن فهم إشارتهم.

والنجاة حقاً في اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والهوى يغلب كل أحد إلا من سبقت له سابقة عند الله[1]، فمن رأيته منا قد خالف عمداً أو غلطاً فبادر إلى تذكيره كما أمرك الله، إذ قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]، لا كما فعل القاضي سيدي المصطفى بن جلول الذي هنالك!!.

سألتك بالله هل ثبت لديك أن الإمام الأكبر سيدنا مالك ـ رضي الله عنه ـ قد نتف لحية أحد من المسلمين[4]؟ أو الشافعي، أو الحنفي أو الحنبلي، أو غيرهم من أئمتنا ـ رضي الله عنهم ـ؟ أولم يكن في وقتهم من يعص الله؟ معاذ الله أن يكون ذلك[5]، والله ما كانت الطاعة والمعصية والتوبة والمغفرة إلا في كل زمان، الله أكبر أين العلم؟ وأين الحلم؟ وأين الصبر؟ وأين التأني؟ وأين الزهد؟ وأين التوكل؟ وأين الورع؟ وأين اللين؟ وأين القناعة؟ وأين المسكنة؟ وأين العفة؟ وأين الشفقة؟ وأين الرحمة؟ وأين الخشية؟ وأين التواضع؟ وأين الحياء؟ وأين السخاء؟ وأين الأخلاق الكريمة؟ وأين المحاسن العظيمة؟؛ ففي الحكم العطائية: «من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان

---

(١) وقد ورد عن الجنيد رضي الله عنه أنه سئل: «هل يزني العارف؟»، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» أي أنه لا عصمة لغير الأنبياء عن فعل ما لا يليق، إلا أن الله سبحانه يحفظ أولياءه عن الوقوع في ذلك إكراماً لهم فهم محفوظون بحفظه سبحانه.

(٢) سورة الذاريات ـ الآية ٥٥.

(٣) سورة النحل ـ الآية ١٢٥.

(٤) كناية عن الغيبة والوقوع في أعراض المسلمين.

(٥) أي أن يكون ذلك الأمر وهو الوقوع في أعراض الناس قد وقع من أحد من هؤلاء الأئمة العظام رضي الله عنهم وشرفنا بذكرهم ونفعنا بمحبتهم آمين.

اطلاعه فتنة عليه وسبباً لجر الوبال إليه»[١]. وفيها: «خير العلم ما كانت الخشية معه»[٢]، «العلم إن قارنته الخشية فلك، وإلا فعليك»[٣]، وفيها: «فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟»[٤].

وقد قيل للشعبي ـ رضي الله عنه ـ في أول الزمان: يا عالم، فقال: لا تقل يا عالم، قل: يا فقيه، العالم من يخشى الله. ولا شك أن الفقيه سيدي المصطفى ـ المذكور ـ ما حمله على هتك حرمة أهل الانتساب إلى الله إلا قلة الخوف والحياء من الله، ولولا قلتهما لاشتغل بنفسه عن عباد ربه، ويا ليته لو سلك لوحه وترك ألواح الناس عنه[٥] كأئمتنا الكبار وساداتنا الأخيار ـ رضي الله عنهم ـ ولا نكره أن يقال له: فهلا تصرفت في نفسك حتى استقامت، وحينئذ تصرفت في الناس، أو تركت نفسك في غدير الشهوات والمخالفات، ثم تسلطت على المساكين الضعفاء الغرباء الذين انتسبوا إلى ربهم وأعرضوا عن شهواتهم، ولا نكره أيضاً أن يقال له: من ليس له نصير ينصره فالله تبارك وتعالى ينصره، والسلام.

الرسالة التاسعة والأربعون بعد المائة الأولى:

في ذكر الاسم الأعظم والصمت إلا عن خير.

١٤٩ ـ ومنها: فلا نكره أن تأمر كل من بتلك النواحي من الإخوان

---

(١) الحكمة رقم ١٥٧.

(٢) الحكمة رقم ٢٢٥.

(٣) الحكمة رقم ٢٢٦.

(٤) الحكمة رقم ٣٥.

(٥) أي لو أنه اشتغل عن عيوب الناس بالتفتيش عن عيوبه كما فعل الأئمة الكبار من العلماء العارفين والصالحين رضي الله عنهم.

- رضي الله عنهم - أن يذكروا الاسم الأعظم سراً حتى يتخلصوا من أهوائهم، وحينئذ يسرون أو يجهرون ولا يبالون، ولا نكره أيضاً أن تأمرهم بالصمت دائماً إلا إن تأكد الكلام لمصلحة دينية أو دنيوية، إذ فيه من الفوائد خرق العوائد، وأقل شيء من الأعمال يكفيهم إن تركوا ما لا يعنيهم، وتخلقوا بخلق نبيهم - صلى الله عليه وآله وسلم - والله إن تخلقنا بأخلاق نبينا لاغاب عنا حيثما كنا، وكيف نطمع في رؤية نبينا مع سوء أخلاقنا، والله لا كان ذلك لنا، ولا نرى نزيد منه إلا بعداً، ولا معنى لمجاهدتنا مع ما نحن عليه من سوء أخلاقنا.

قيل لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل إلا أنها سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: لا خير فيها هي من أهل النار(١).

ومن كدَّرته - أو نقول: آلمته - إذاية الخلق وقلة الشيء فلا يفلح أبداً كما قلنا فيما مر، والسلام.

الرسالة الخمسون بعد المائة الأولى:

في حقيقة الخضر عليه السلام.

١٥٠ - ومنها: فالسيد الخضر(٢)- عليه السلام - قد اختلف فيه؛

(١) رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو بفتح الخاء وكسر الضاد ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها كما في تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي.

وحقيقة الخضر وحياته، ونبوته، ونسبه و.... إلخ من الأمور التي غاص بها فحول العلماء والأولياء، والخلاف بين المحدثين والسادة الصوفية في أمره أشهر من أن يذكر، ولو ذكر لامتلأت منه الصفحات لاسيما وأن كبار الأئمة من الفريقين على طرفي نقيض في الرأي، لذلك أحيل القاريء الكريم للتوسع في ذكر هذا المبحث إلى =

قيل: إنه ولي، وقيل: إنه نبي، وقيل: إنه رسول، وما قلت فيه الذي بلغلكم عنا إلا مقابلة للذي استبعد أن يكون ـ عليه السلام ـ قد علّم رسول الله سيدنا موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام ـ وقد علمه كما أخبر الله عنه، إذ قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الآيـة[2]، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ الآيـة[3]، ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾ الآية[4]، أوهذا ليس بتعليم؟ معاذ الله أن يكون هذا ليس بتعليم، بل ـ والله التعليم الكبير، إذ لا نسمع غير ما في كتاب الله، وغير ما في حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والثقات الكبار من أمته، إذ في حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (رحم الله أخي موسى لو صبر لاستفدنا) إلى آخره[5]، إذ كان قد هيأ له مثل ما علمه مائة مسألة ـ والله أعلم ـ وفي هذا كفاية، ولا يبعد أن يعلم النبي أو الولي ما لم يعلم الرسول، وإن كان الرسول أعلم وأفضل لأن العالم إذا لم يعجز لم يتأيد بل يدعي وصف

= كتاب الإصابة في حياة الصحابة للإمام ابن حجر العسقلاني ١/ ٤٢٩ ـ ٤٥٢، فقد بحثه رضي الله عنه بحثاً مستفيضاً، وذكر الخلاف المشهور في حقه، ثم ما ذكره الإمام النووي رضي الله عنه في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٦ ـ ١٧٧، فقد أتي فيه بخلاصة القول، وسيبقى الخلاف دائراً مادام على الأرض أهل صلاح وأهل حديث رضي الله عن الجميع.

(١) سورة الكهف ـ الآية ٦٨.

(٢) سورة الكهف ـ الآية ٧٩.

(٣) سورة الكهف ـ الآية ٨٠.

(٤) سورة الكهف ـ الآية ٨٢.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، إلا أن له شاهداً رواه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير عن ابن عباس: «رحم الله موسى لو لم يعجل لقص من حديثه غير الذي قص». «المستدرك ٢/ ٣٨٠».

الربوبية، ولا سبيل له ولا لغيره إلى ذلك، كما في الحكم العطائية: «منعك أن تدعي ماليس لك مما للمخلوقين، أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين»[1].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]، وقد قيل: ومن العصمة أن لا تجد.

وقد أيد الله تعالى رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بالعجز وبالقهر، وأمدهم أيضاً بوصفه إذ أيدهم بنصره، إذ هو سبحانه حكيم عليم، وهو على كل شيء قدير، وأيد أنبياءه وأولياءه وعباده أجمعين كما أيد رسله ـ عليهم السلام ـ، ولولا تأييده الدائم لكان سائرنا في الظلام عائم.

واعلموا أن اليهود ـ لعنهم الله ـ لما عزموا أن يسألوا نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن حقيقة الروح قالوا ـ لعنهم الله ـ: إن عجز عن جوابنا فهو نبي، وإلا فليس بنبي!، فإذا به لم يجاوبهم بل عجز عن جوابهم حتى علمه الله ما يقول لهم كما في كتاب الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الآية[3].

ولاشك أن العجز وصف العبد، والعبودية هي غاية الشرف، فلذلك مدح الله نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بها كما قال في كتابه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[4] ولم يقل: بنبيه ولا برسوله، والسلام.

---

(١) الحكمة رقم ١٢٥.

(٢) سورة الإسراء ـ الآية ٨٥.

(٣) سورة الإسراء ـ الآية ٨٥.

(٤) أول سورة الإسراء.

الرسالة الحادية والخمسون بعد المائة الأولى:

لا طريق للحرية إلا من باب العبودية.

١٥١ ـ ومنها: فوالله ما هو الشرف حقاً إلا في العبودية، فلذلك مدح نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بها حيث قال في كتابه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ولم يقل بنبيه ولا برسوله ولا بغيرهما، إنما اختار له اسم العبد، إذ هو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عبده حقاً تحقيقاً، ومدح بالعبودية غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إذ قال تعالى في كتابه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1]، ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[2] ـ وفي قراءة: عبدنا ابراهيم، إلى غير هذا.

والظاهر الذي لاخفاء فيه لمن فتح الله بصائرهم ونوّر سرائرهم أن العبودية هي شرف كل أحد كائناً من كان ذلك الأحد، فشدوا أيديكم عليها، وكونوا على ما يثقل على أنفسكم منها لا على ما يخف عليها، إذ قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[3]. وفرق كبير بين من تعبد لربه اختياراً لا قهراً وبين من تعبد له قهراً لا اختياراً، ولاشك أن لا طريق للحرية إلا من باب العبودية، والسلام.

الرسالة الثانية والخمسون بعد المائة الأولى:

في بيان عظيم فضل عمل النساء في خدمة بيوتهن وأولادهن وأزواجهن، والحث على العمل عن علم والنهي عن التكلف.

١٥٢ ـ ومنها: فالله تعالى قد أسقط عن الحائض والنفساء الصلاة

---

(١) سورة ص ـ الآية ٣٠.

(٢) سورة ص ـ الآية ٤٥.

(٣) سورة مريم ـ الآية ٩٣.

التي هي من فرائضه على عباده؛ فكيف بدونها؟ فالنساء يتركن ما لا يعنيهن ويقمن بما فرض الله عليهن، ولا يعملن من النوافل إلا ما عليه قدرن، فإنهن يسعدن - إن شاء الله - ولا يشقين، ولا يتكلفن لأنهن يطحنَّ، ويغربلن، ويفتلن، ويعجن، ويطيبن، ويربطن، ويطلقن، فيكنسن، ويسقين، ويخيطن، ويغزلن، ويحلبن، ويمخضن، ويحملن أولادهن، ويربينهم، هذه كلها أعمال كبيرة ومجاهدة شهيرة، فلا يحتجن معها إلا إلى الصلاة والصوم وما فرض الله كالزكاة لمن كمل نصابها، أو الحج إن استطاعت. وكذلك الرجال إن كانوا على ما يعنيهم مشتغلين بما يعينهم على طاعة ربهم، فلا نحب من يتكلف منهم، إذ قال عليه الصلاة والسلام: (أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف)[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: (ما دخل الرفق في قلب إلا زانه)[2]، والرفق يدوم لصاحبه كما علمت.

واعلم أن الإنسان لا ينتفع إلا بالعمل الذي بالعلم، وأما العمل الذي يعمله بلا علم فلا ينتفع به[3]، فقد قال شيخ شيوخنا سيدي العربي بن عبد الله لشيخنا سيدي علي - رضي الله عنهما: حالتك هذه - وقد كانت حالة التجريد - اجتمع لك فيها الظهور والخفاء، وما ذكرت لك هذا إلا لتنتفع به، انتهى.

فكذلك نحن - يا أخي - ما ذكرت لك ما ذكرت من أمر النسوة

---

(١) سبق تخريجه في الرسالة رقم ١٢٣.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، لكن روى مسلم له شاهداً قوياً بلفظ: «عليك بالرفق، إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه «صحيح مسلم - كتاب البر عن السيدة عائشة - الحديث ٢٥٩٤».

(٣) وقد قال صاحب الزبد:

وكل من ليس بعلم يعمل ... أعماله مردودة لا تقبل

إلا لتخبرهنّ بعملهن الذي لم يعلمن لأن كثيرهنّ لا يحسبنه عملاً وهو والله من أكبر الأعمال، يمحو الله به السيئات، ويرفع به الدرجات، فأخبرهنّ به لينهضن إليه ولا يسخطنه، وهو عند الله عظيم.

ولا بد ولا بد، ومن تشوق إلى وردنا من أهل تلك النواحي فقد آذناك أن تعطيه إياه حين كنت عندنا فيما مضى، والكمال على الله، والاعتماد عليه.

والاسم المفرد هو الذي عليه جمهور أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ بشرط طهارة البدن والثياب والمكان والبطن من الحرام، واللسان من الكذب والغيبة والنميمة، وترك المحرمات والمكروهات، وما لا يعني من حيث كان، والسلام.

الرسالة الثالثة والخمسون بعد المائة الأولى:

في معنى خرق العوائد والحث عليه.

١٥٣ ـ ومنها: فالفقير بلا قلب حتماً لا يخلو من الكدر، إذ هو دائماً يشتكي، ودائماً يبكي، ودائماً يوحوح[١]، ولا يبرأ من كدره أو مرضه، أو وساوسه إلا إذا وجد قلبه. ولا نرى سبباً يوجد القلب بوجوده في ساعة كخرق عوائد نفسه، أي: اترك ما تعودته من الكلام دائماً، والشبع دائماً، والتأنس بالناس دائماً، وأما النوم فلا يضره بل ينفعه إن كان في وقته. والله ما منع الفقراء من الاستغراق في المعاني فيما مضى وفيما يأتي إلا الكلام دائماً، والشبع دائماً، والتأنس بالناس دائماً، وأما لو تطبع الفقير بضد الكلام وهو الصمت، وبضد الشبع وهو

(١) وحْوَحَ، يوحْوِحُ: إذ قال: أحَّ أحَّ متوجعاً من ألم حسي أو معنوي «معجم شمال المغرب».

الجوع، وبضد التأنس بالناس وهو الوحشة منهم، وتأخر ـ أو نقول: رجع ـ عن اتباع الحس الذي هو ضد المعاني لاستغرق فيها حتى لا يستطيع الخروج من بحرها كما وقع للإمام الغزالي، والإمام ابن عربي الحاتمي، والإمام الشاذلي ونظرائهم، كأستاذنا وغيره ـ رضي الله عنهم ـ.

وقد قلنا ـ فيما تقدم ـ: الناس قد استولى عليهم الحس فأخذ قلوبهم وجوارحهم حتى أنهم لا يشتغلون إلا به، ولا يخوضون إلا فيه، ولا يعرفون سواه، والمعاني كأن الله تعالى لم يجعلها لهم، مع أنه ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل لكل واحد منهم منها مثل ما جعل للبحر من الأمواج، فلو علموها ما اشتغلوا بالمحسوسات عنها، ولو علموها أيضاً لوجدوا أنفسهم أنهم فيها بحوراً لا ساحل لها، والله على ما نقول وكيل. وما أوتي من أوتي من الناس ـ أي: هلك من هلك منهم ـ إلا من حيث علم لا من حيث جهل، لأن الكلام دائماً والشبع دائماً، والتأنس بالناس دائماً كلهم ـ لطف الله بهم ـ يعرفون حقاً أن ذلك يفسد القلب ولا يصلحه، يضره ولا ينفعه، فأحرى أهل العلم منهم، ولكن الهوى غلبهم، وفضحهم، وحرمهم، وقوّى مرضهم، وأعماهم، وأتلفهم كل التلف، أي: تركهم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ـ إلا النادر منهم ـ، إنا لله وإنا إليه راجعون، والسلام.

الرسالة الرابعة والخمسون بعد المائة الأولى:

في أمور تنضبط بها الطريقة الغراء.

١٥٤ ـ ومنها: فلي مدة طويلة نريد أن نجعل رسالة مختصرة فيما تنضبط به الطريقة لنا حتى يكون على حقيقتها جميعنا، فلم يحضر لي ما هو مختصر إلا ما هو غير محرر حتى منَّ الله عليَّ بالسبب فقرَّب البعد عليَّ بلا مشقة ولا تعب، وذلك أني سمعت أحدكم قد تكلم فيما لا

فائدة فيه مقدار ما يصلي ثماني عشرة ركعة، أو ما يتلو خمسة أحزاب من القرآن، أو ما يحصد ثلاثة أشباك من الزرع، وحاصل الأمر من وقت المغرب إلى وقت العشاء وهو ـ لطف الله به ـ يتكلم فيما لا فائدة فيه، وما كان فقيراً صادقاً هكذا قط، ولا يكون أبداً.

واسمعوا ما كان الناس عليه: فقد كان سيدي أبو القاسم الشاطبي[١] ـ رضي الله عنه ـ لا يتكلم إلا بما تدعو الضرورة إليه، وكان سيدي عمر الزياتي[٢] ـ رضي الله عنه ـ لا يتكلم، وإذا تكلم يقول: الله الله، ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٣].

وكان سيدي علي الحاج البقال[٤] ـ رضي الله عنه ـ مهما فرغ من عبادة شرع في أخرى، فهؤلاء ونظراؤهم ـ رضي الله عنهم ـ هم الناس، وهم السادات، وهم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كما قال تعالى في الآيتين الكريمتين:

---

(١) هو الشيخ الفقيه القاضي أبو القاسم بن علي بن مسعود الشاطبي، كان قاضياً بمراكش لأبي العباس المنصور، توفي سنة اثنتين وألف من الهجرة.

(٢) أبو حفص عمر الزياتي ـ رضي الله عنه ـ كان من الفضلاء الأخيار، وأخذ عن الشيخ سيدي أبي محمد الغزواني، وصحب الشيخ سيدي أبا محمد الهبطي، وكان ـ رضي الله عنه ـ زاهداً ورعاً فاضلاً، خيِّراً من الأولياء. توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ٩٥٥ هجرية، ودفن بزاويته من بلاد غمارة، وقبره هناك يزار ويتبرك به.

(٣) سورة الأنعام ـ الآية ٩١.

(٤) الشيخ الفقيه الأديب الفصيح أبو الحسن علي المعروف بالحاج ابن البقال الأغصاوي، رحل إلى المشرق وجال في أقطاره نحو الست عشرة سنة، ولقي فيه المشايخ، ثم رجع إلى المغرب وأخذ عن الشيخ أبي محمد الهبطي، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد الخروبي السفاقسي وعليه عول في طريقته، وكان كاتباً فصيحاً بليغاً ذا هيبة كبيرة، وشمر عن ساعد الجد في بداية أمره فكان صوّاماً قوّاماً كثير الانقطاع عن الناس، وكانت الخوارق تظهر على يديه، توفي في آخر سنة ٩٨١ هجرية، ودفن بزاويته من بلاد أغصاوة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ الآية[2]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ الآية[3]، وأما الذين قالوا ربنا الله ثم لم يستقيموا ثم ضيعوا أعمارهم في غير ما أمرهم به ربهم فليسوا ـ والله ـ بأناس، ولا بسادات، وعليهم الخوف، وهم يحزنون.

فاتركوا ما لا فائدة فيه واحذروه على الدوام، ولا تضيعوا أعماركم في غير ما أمركم به ربكم، والله يأخذ بيدكم.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ: أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم، يقول: فكما لا يخرج أحدكم ديناراً ولا درهماً إلا فيما يعود عليه نفعه فكذلك لا يحبون أن تخرج ساعة من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم نفعه.

وفي الخبر: (لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله تعالى فيها إلا كانت عليه حسرة وندامة يوم القيامة)[4].

وتنبهوا أيضاً ـ رحمكم الله ـ لأحوالكم، ولا تغتروا بأحوال أهل البطالة من أهل وقتكم، وما ذكرنا لكم هو الذي تنضبط به الطريقة لكم، حتى يكون على حقيقتها جميعكم، ولاسيما إن ترونق بنظافة بدنه[5]،

---

(١) سورة الأحقاف ـ الآية ١٣.

(٢) سورة فصلت ـ الآية ٣٠.

(٣) قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ سورة يونس ـ الآيتان ٦٢ ـ ٦٣.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ.

(٥) أي: اعتنى واهتم غاية الاهتمام.

وثوبه، ومكانه، واستبرائه كما يجب من بوله، وتمسك بزيارة شيخه وأهل طريقته، وبر والديه، وذلّ نفسه، وترك الممالأة بها في سائر أوقاته، إذ قالوا ـ أي القوم رضي الله عنهم ـ: طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل. وكان أيضاً على سببه ـ أي سبب كان ـ وما لا فائدة فيه دينية أو دنياوية لا يشتغل به، ولا يلتفت إليه، وليكن على ما تأكد من مأمورات ربه بشرط أن لا يتكلف فوق جهده اقتداء بكتاب ربه، وبسنة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]، وفي الحديث الشريف: (أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف)[2]، إلى غير هذا.

ولا شك أن الفقير إذا كان لا يتحرك إلا لفائدة، ولا يسكن إلا لأخرى، وما لا فائدة له فيه لايشتغل به، تقوى معانيه، ومن تقوّت معانيه أغنته عن التكلف إلا ما لا بد منه، إذ هو يغرق في بحار الأفكار، و: (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة)[3] كما ورد، والسلام.

الرسالة الخامسة والخمسون بعد المائة الأولى:

في بعض أحوال أهل الطريق رضي الله عنهم.

١٥٥ ـ **ومنها:** فإن تورّعت في أقوالك وأفعالك واستوى لديك من يعزك ومن يذلك، ومن يعطيك ومن يمنعك، ومن يصلك ومن يقطعك، ومن يحبك ومن يبغضك، ومن يقرك ومن ينكرك، ومن يعرف قدرك ومن يجهل قدرك، ومن يحكك كالقنفوذ[4]، ومن يسمطك

---

(١) سورة الحج ـ الآية ٧٨.

(٢) سبق تخريجه في الرسالة ١٢٣.

(٣) سبق تخريجه في الرسالة الثالثة عشرة من هذه الرسائل المباركة.

(٤) أي القنفذ وهو الحيوان المعروف ذو الجلد الشوكي.

كالمولود[1]، فلا نشك حينئذ في كمالك، إذ لا نعلم من تبحر في علم القوم مثل تبحرك، ولا من له قلب مثل قلبك، أحيا الله الطريقة بك، وكفاك بفضله شرَّ حاسدك. وما ذكرت لك هذا إلا لتعرف فضل الله عليك من دون فقراء عصرك، إذ لا نرى ماءهم إلا محقوناً[2] وقد حقنه سوء ظنهم وخبث سريرتهم، وتكبرهم، وتجبرهم، وتعنتهم، ورضاهم على أنفسهم، وجهلهم، وجهل جهلهم، ولو حسنوا ظنهم وحطوا رؤوسهم لأهل وقتهم[3]، لسرح الله ماءهم[4]، ولعن من كذب عليهم.

وحقنه أيضاً دنو همتهم وزعمهم أنهم كالناس، وليسوا هم ـ والله ـ كالناس إذ لو كانوا كالناس لكان لهم ما للناس، ومن زعم منهم أنه كالناس وله ما للناس فليكن قده قد الناس[5]، وذلك بأن لا يبالي بنفسه بل يذلها ولا يعزها، ويضعها ولا يرفعها، ويصغرها ولا يكبرها، ويفضحها ولا يسترها، وذلك بأن يتسوق في الأسواق كالناس، ثم يقضي حوائجه بيده منها ـ أي حاجة كانت لحماً أو دوارة منه أو الكوارع أو الراس أو البطانة أو دجاجة أو بيضاً أو بردعة أو ربطة من الثوم، أو ربطة من البصل، أو ما أشبه هذا، ويحملها بيده أو على قفائه، أو على حمارته، أو بقرته ـ والله ما أظن أن أحداً منهم يفعل هذا، إذ لو فعله لكان كالناس، وإذا كان كالناس سلب مما كان يعتقده في نفسه بسبب استوائه مع الناس، إذ صار هو وهم سواء، وليس الأمر عنده كذلك،

(١) سمّط الطفل: وضع في وسطه السماط وهو القماط من القماش يلف حول وسط المولود.
(٢) أي أن فضلهم وعلمهم محبوس عن الناس غير منتشر.
(٣) أي تواضعوا لهم وتذللوا.
(٤) أي لنفع الله بهم وبعلمهم ونشر ذكرهم وفضلهم بين الناس.
(٥) أي: ليكن حاله وسلوكه كحال الناس وسلوكهم.

إنما الأمر عنده: الناس عموم وهو خاص، ولا يرى أنه يتفضل عليهم بعبادته أو بخلقه، أو بتواضعه، إنما يرى أنه يتفضل عليهم بتنزيهه عن أحوالهم التي هم عليها من مباشرتهم أسبابهم بأيديهم، وبصيانة مروءته بحيث لا يحب أن يراه أحد إلا على ما يحب ويرضى من الأحوال العلوية، وهي لا تخفى، ولم يدر ـ لطف الله به ـ أن بعض السادات ـ رضي الله عنهم ـ كان يسقي الماء بالأسواق، وبعضهم كان يدلل الحمير، وبعضهم كان بالمزهر، وبعضهم كان يتسوق راكباً على حمارته ويردف زوجته خلفه، إلى غير هذا، إذ قالوا ـ أي: القوم رضي الله عنهم ـ طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الشيخ المجذوب ـ رضي الله عنه ـ من شيوخنا، ومن فحول رجال غربنا، وقد قال ـ رضي الله عنه ـ: ماء المغرب كله انقطع سوى مائنا فإنه لا ينقطع إلى قيام الساعة[1]، وقد شربه من عنده سيدي يوسف الفاسي[2]، ومن عند سيدي يوسف الفاسي شقيقه سيدي عبد الرحمن ـ العارف بالله ـ[3]، ومن عنده الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله، ومن عنده ولده سيدي العربي بن عبد الله بحومة المخفية[4]، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم، ومن عنده الشيخ

---

(١) يكني رضي الله عنه عن طريقته ومشربه الصوفي.

(٢) هو الولي الكبير، العارف الشهير، إمام الطائفة الشاذلية بفاس وغيرها، العالم المتبحر أبو المحاسن يوسف بن الولي سيدي محمد بن يوسف الفاسي الفهري، من بني الجد الفهريين، وهم معروفون في الأندلس بالعلم، توفي رضي الله عنه سنة ١٠١٣ هجرية.

(٣) مرت ترجمته في الرسالة ١٣٩.

(٤) هو الشيخ المهاب اللائح عليه آثار التخصيص والاقتراب أبو محمد سيدي العربي بن عبد الله نجل الولي الشهير سيدي أحمد بن عبد الله معن صاحب المخفية، وصفه كثير من الأعيان بأنه القطب، وكان مولانا العربي الدرقاوي يبالغ في الثناء عليه غاية، =

الجليل أستاذنا أبو الحسن سيدي علي بن سيدي عبد الرحمن الشريف الحسني العمراني الملقب بالجمل ـ رضي الله عنه ـ ومن عنده العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي[1].

ولا شك أن ما ذكرنا من الشيوخ ـ رضي الله عنهم ـ أخذ كل واحد منهم أناس كثيرون غير ما ذكرنا، والسلام.

الرسالة السادسة والخمسون بعد المائة الأولى:

في الحث على الحرص على ما ينفع في الدارين وترك ما لا يعني.

١٥٦ ـ ومنها: فإن شئت أن يظهر فضل الله عليك فكن مستمراً على سلوكك، معتنياً دائماً بما ينفعك وبما يعود خيره في الدارين عليك، عارفاً بشرائع طريقك وعاملاً بها، وغير خائض فيما لا يعنيك، وغير متبع لما يخف عليك، والثقيل عليك هو الخير لك، إذ لا حظَّ فيه لنفسك، وما لا حظَّ فيه لنفسك هو الخالص لربك، ولا تلتفت إلى من يذمك أو يمدحك، قائلاً بلسان حالك: إن الذي تكرهون مني ذاك الذي يشتهي قلبي:ـ

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

= وكان رضي الله عنه له أتباع قليلون منهم الولي الصالح سيدي محمد بن يونس، ومنهم الولي الكبير والقطب الشهير سيدي علي الجمل ومنهم الولي الصالح الملامتي سيدي بلقاسم الوزير، توفي رضي الله عنه سنة ١١٦٥ هجرية «موسوعة أعلام المغرب ـ ٦/ ٢١٧٧».

(١) يقصد نفسه رضي الله عنه.

ولا شك أن أهل الصدق لا ينظرون إلا إلى ما بينهم وبين خالقهم، ولاينظرون إلى ما بينهم وبين الخلق، فإن شئت الخلاص من شهوات نفسك فعليك بما يرضي ربك، ولا عليك في الناس إن ذموك أو مدحوك، رأوك على ما يكرهون أو يحبون، والسلام.

الرسالة السابعة والخمسون بعد المائة الأولى:

في الحث على التعرض لنفحات الله والنهي عن اتباع الهوى.

١٥٧ ـ ومنها: فما أتي من أتي من الناس ـ أي: هلك من هلك منهم ـ إلا من حيث علم لا من حيث جهل، لأن كل واحد منهم يعرف حقاً أن العمل بما علم هو الذي خصه لا العلم، ومنهم من لا يعرف هذا إنما يرى أن العلم هو الذي خصه وليس الأمر كما يرى بل هو خلاف ما يرى.

قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله في حكمه ـ رضي الله عنه ـ: «لا يخاف أن تلتبس الطرق عليك وإنما يخاف من غلبة الهوى عليك»[١].

فتنبهوا وتعرضوا دائماً لنفحات ربكم، ولا تتراخوا في سلوك طريقكم كما نرى كثيراً منكم، إذ الإمداد بحسب الاستعداد، ـ كما في الحكم العطائية ـ: «ورود الإمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار»[٢]. ولا يستحقر الورد إلا جهول، الوارد يوجد في الدار الآخرة، والورد ينطوي بانطواء هذه الدار، وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده، وما فات من عمرك فلا عوض له، وما حصل لك منه لا قيمة له، انتهى.

---

(١) الحكمة رقم ١٠٦.

(٢) الحكمة رقم ١١٢.

قلت: الورد ما من العبد إلى ربه من الأسباب، والوارد ما من الله إلى عبده من المواهب، ولا بد ولا بد تعرّضوا لنفحات ربكم بالحذر دائماً مما يقسي قلوبكم كالكلام دائماً، والشبع دائماً، والتأنس بالخلق دائماً، ولتكن ظواهركم دائماً على حالة التواضع، أي اتركوا كل حالة تدل على التكبر والتجبر، ولا تتشبهوا بحالة من أحوال الجبابرة قط، وكونوا على حال التواضع والنظافة، والمسكنة والقناعة وهكذا...، والسلام.

الرسالة الثامنة والخمسون بعد المائة الأولى:

في الحض على الأدب الكامل مع الله تعالى.

١٥٨ ـ ومنها: فلا بد لكل فقير عاقل من الأدب إلا إذا فقد عقله، فإن الأدب يسقط عنه، إذ قالوا ـ أي: القوم رضي الله عنهم ـ:

أدب العبد تذلل ... والعبد لا يدع الأدب

فإذا تكامل ذله ... نال المودة واقترب

وقالوا أيضاً ـ رضي الله عنهم ـ: اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً. إلى غير هذا.

قلت: ومن ضيع الأدب وهو بعقله فقد ضلَّ عن طريقه، ولو كان فانياً في شهود عظمة ذات ربه عن شهود نفسه مع حضور عقله لأن الغيبة والحضور هما حالتا الكُمَّلِ من أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ ولا يدريهما إلا من حصل عليهما، وأما من لم يحصل عليهما فلا يعرف إلا إذا حصلت له الغيبة لم يحصل له الحضور، وإذا حصل له الحضور لم تحصل له الغيبة، لأنهما ضدان والضدان لا يجتمعان إلا لرجل قدمه على قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

والأدب الكامل ـ أيها الفقير ـ أن تكون الحقيقة عندك باطناً،

والشريعة ظاهراً من غير أن تتعدى إحداهما على الأخرى كالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والكمَّل من الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ، ولا يغتر بمن غلبت حقيقته على شريعته وهو كثير، ولا بمن غلبت شريعته على حقيقته ـ وهو أيضاً كثير ـ.

فإن قلت: ليس في الدنيا إلا من غلبت حقيقته على شريعته، أو شريعته على حقيقته.

قلت: البركة موجودة في الدنيا مادامت الدنيا، ولا يخلو منها إلا من ساء ظنه ولم يحط للرجال رأسه.

ولا بد من الأدب مع الله ومع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومع المسلمين كلهم ـ رضي الله عنهم ـ، وأحيا الله من أحيا الطريق، وأماتنا وإياه على غاية التحقيق. وقد رأينا بنواحينا من أحيا الطريق سنة واضحة من سنن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: قد أحياها الشيخ الجليل ولي الله تعالى مولانا عبد الله الشريف جد السادات الشرفاء أهل وزان ـ رضي الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم ـ وهي إطعام الزيار ـ أي: الزوار ـ بلبول الشعير أو القمح أو الذرة، الحائلين بالماء والملح وشيء قليل من الأدم، إذ لا خير للفقير في الشهوات، إنما الخير له في ترك الشهوات، ولا خير له في الشبع ولو بالربيع، إذ لو كان الخير له في ذلك لشبع من الطعام نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، كيف؟ وهو لم يشبع منه قط يومين متواليين، وأمره شهير عند الخاصة والعامة من الناس، ومن قال بدون هذا فهو ضالٌّ عن السنة المحمدية، وصاحب السنة لا يخيب ولا يعيب، ولا يبعده خير. فهذا اعتقادنا ونحن عليه إلى لقاء ربنا، ولا يحتج بالنادر إنما يُحتجُّ بغير النادر.

ورأَيْنَا ـ أيضاً ـ سنة واضحة من سنن رسول الله ـ صلى الله عليه

وآله وسلم - قد أحياها الشيخ الجليل أستاذنا - رضي الله عنه - وهي حالة التجريد التي هي حالة ساداتنا أهل الصُفَّة الذين هم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأحب الناس إليه - رضي الله عنهم - وقد شاركهم في حالتهم في حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وغيره، إذ كان متجرداً في تسببه، متسبباً في تجرده، مخلصاً في تسببه وتجرده، غير ملتفت إلى ما نهاه الله عنه، وكفى به حجة للمتسبب والمتجرد، ومن أنكر التجريد فقد أنكر التوكل، كما أن من أنكر الأسباب فقد أنكر السنة، ومن ثقل عليه التجريد فقد ثقل عليه الاقتداء بالصحابة - رضي الله عنهم -.

ورأينا أيضاً قبل هاتين السُنَّتين العظيمتين سُنَّةً واضحة قد أحياها جد الأشراف مولانا إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل(١) - رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم - وهي التسبب من وقت الضحى إلى وقت الزوال بخارج مدينة فاس فقط لا بداخلها، فهذا ما رأينا نحن، والسلام.

الرسالة التاسعة والخمسون بعد المائة الأولى:

في النهي عن الوقوع في أعراض العلماء والأولياء، والتحذير من الظلم.

١٥٩ - ومنها: فاعلم - رحمك الله - أني اجتهدت غاية جهدي في طلب معرفة المسكين من الناس، فوالله ما وجدت حقاً إلا ما قاله رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: (الظلم تحت جناح كل أحد)(٢) والكمال هو لله تعالى.

وكنت أعتقد أن أهل العلم - رضي الله عنهم - لا يظلمون الناس

---

(١) المتوفى سنة ٢١٣ هجرية.

(٢) لم أجده.

ولا يتعدون عليهم، وإذا رأوا من يظلمهم ـ كائناً من كان ـ بادروا بجملتهم لحمايته ونصرته ولا يراقبون إلا الله ولا يخشون إلا إياه، فإذا بك ـ أيها الفقيه ـ من أشدهم ظلماً لهم، ومن أشدهم تكبراً وتجبراً عليهم، ألم تعلم أن كل وعيد ذكر في القرآن العظيم للظالمين، وكل لعنة فيه لهم؟، ألم تعلم أن هضم النفس شأن أهل العلم والدين، وعكسه شأن أهل الجهل وقلة الدين؟، ألم تعلم أن البركة إنما تكون في الرفق واللجاء إلى الله تعالى لا في العنف ونسيان جانب المولى تبارك وتعالى؟، ألم تعلم أن المؤمن يلتمس الأعذار ويستنبط لزلة أخيه سبعين عذراً؟، ألم تعلم أن أهل العلم لهم من وصف الأنبياء ـ عليهم السلام ـ الحظ الأوفر والنصيب الأكبر؟، وهم ورثتهم وصفهم من وصفهم، ونعتهم من نعتهم، أو العبارة في الراس والخسارة في الكراس؟! سألتك بالله هل ثبت لديك أن الإمام الأكبر إمامنا مالك أو الشافعي أو الحنبلي أو الحنفي مع جلالة قدرهم وعلو منزلتهم ـ رضي الله عنهم ـ قد نتفوا لحية أحد من المسلمين؟[1] أولم يكن في وقتهم من يستحق ذلك؟ إنما وقع ذلك في وقتك. وسألتك بالله: هل أمرك الله بما فعلت؟ أو إنما فعلت ذلك من تلقاء بطنك؟[2] لا والله ما أمر الله بذلك، إنما أمر بخلاف ذلك، إذ قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ ! فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4]، الله أكبر!!!! هذا فرعون ـ لعنه الله ـ مع ادعائه الربوبية، قد أمر الله

---

(١) سبق وورد أن المعنى أنهم لم يغتابوا أحداً ولم يبهتوا أحداً دون وجه حق.

(٢) أي من تلقاء نفسك.

(٣) سورة النحل ـ الآية ١٢٥.

(٤) سورة طه ـ الآيتان ٤٣، ٤٤.

نبييه ـ أي: موسى وهارون عليهما السلام ـ أن يقولا له قولاً ليِّناً، والمؤمن المسكين الضعيف، العالم الشريف، المنتسب إلى ربه قد بالغت الغاية في إذايته وتروعه، ولم تستحِ من الله ولا من خلقه؟ الله أكبر أينك من العلم؟ وأين العلم منك؟ قد بعد ـ والله ـ ما بينكما بُعد المشرقين. ورحم الله من قال لمثلك: لم نبلغ مقام فرعون ـ لعنه الله ـ ولو عصيت ما عصيت، ولم تبلغ أنت مقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيدنا موسى، ولو أطعت ما أطعت!!!، أو عندك من العلم في هذه القضية ما ليس عندنا، فإن كان عندك ما ليس عندنا فتصدق به علينا، والله يجازيك عنا، وإن لم يكن شيء عندك، فتب إلى ربك واشتغل بعيوب نفسك، ولا بأس إن خلّصت نفسك من شهواتها، ومن سائر حظوظها وأغراضها، أن تشتغل حينئذ بخلاص الناس، وأما إذا اشتغلت بالناس قبل خلاص نفسك فلا يسخر لك ذلك ولا يقبل منك، إنما يُرَدُّ عليك، ويُضْرَبُ به وجهك، إذ في كتاب الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١)، ولقد أحسن القائل حيث قال:ـ

يا من يبث لغيره تعليمه ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع إن وعظت ويهتدى ... بالفعل منك وينفع التعليم

وقال غيره:ـ

وكيف تريد أن تدعى حكيماً ... وأنت لكل ما تهوى ركوب؟
وتعبث دائماً ظهراً لبطن ... وترتكب الذنوب ولا تتوب؟

(١) سورة البقرة ـ الآية ٤٤.

وإذا هداك الله واشتغلت بخلاص الناس فابدأ بأهلك ثم جيرانك ثم أهل بلدك، ثم من على صورتك، وخلِّص الناس من الكبائر أولاً، ثم من الصغائر بعدها، إذ لا يصح الإخلاص[1] من الصغائر إلا بعد الإخلاص من الكبائر. أَوَليس ثمَّ من الكبائر إلا ما فعل عبد القادر[2]؟ لا والله، ما ثمَّ إلا الغرائب والعجائب من القبائح والفضائح، لكن ما رأيت هنالك إلا عيوب نسبة أهل الله، ولا هان عليك إلا إذاية جانب أهل الله؟ ألم تعلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[3] قالوا: فمن المؤمن؟ قال: من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. قال: فمن المهاجر؟ قال: (من هجر الشر واجتنبه)[4].

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه)[5].

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً)[6].

---

(١) الإخلاص هنا بمعنى التخلص من الكبائر لا المتبادر إلى الذهن أولاً.

(٢) لعلّ المخاطَب هنا من الذين اعترضوا على مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ونفعنا بمحبته، ولذا فالخطاب هنا يصلح لأمثاله من المعترضين على أهل الله والصالحين من عباد الله في زماننا وإلى يوم القيامة فتنبه رحمك الله.

(٣) رواه مسلم في صحيحه عن جابر «الجامع الصغير ٢/ ٥٧٦ الحديث رقم ٩٢٠٦».

(٤) روى الإمام أحمد والنسائي وأبو يعلى وابن حبان والحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (المؤمن من آمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لايدخل الجنة عبد لايأمن جاره بوائقه).

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد بسند ضعيف، وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي «إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٥٥».

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند، وأبوداود في سننه عن رجال، ورمز السيوطي لصحته «الجامع الصغير ٢/ ٦٥١».

وقال ـ صلى الله عيه وآله وسلم ـ: (إن الله يكره أذى المؤمن)[1].

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (من أقال مؤمناً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة)[2].

وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (أتدرون على من حُرِّمت النار؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: على الهيِّن الليِّن السهل القريب)[3].

واسمع وصية بعض العلماء العاملين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ لبعض الملوك ـ رضي الله عنهم ـ: استوص بمن ينتسب إلى الله خيراً، ولا تتعرض له بسوء، فإن كان صادقاً انتفعت به، وإن كان كاذباً نفعك الله بنيتك.

واسمع وصيتنا لمثلك: فأهل جانب الله من حيث هم إن كان لك نصيب طيب فأكرمهم به لله تعالى، وإلا فاتركهم عنك واحذرهم جهدك، والنصيحة لله فإن قبلتها فتبارك الله، وإلا فالأمر لله رب العالمين لا لك ولا لنا، ولالأحد من المخلوقين، والسلام.

الرسالة الستون بعد المائة الأولى:

في بيان فضل الإذن وسره وقدره.

١٦٠ ـ **ومنها:** فالمؤكد به عليك أن تربي كل من يتخذك شيخاً،

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد، وقال الحافظ ابن حجر ذكره الترمذي تعليقاً «إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٥٥».

(٢) قال الحافظ العراقي رواه أبو داود، وكذا رواه ابن ماجة والحاكم من حديثه: «من أقال مسلماً أقال الله عثرته».

(٣) قال الحافظ العراقي رواه الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل اللين، قال الترمذي: حسن غريب، وكذا رواه الطبراني في الكبير والأوسط. «إتحاف السادة المتقين للسيد المرتضى الزبيدي ٦/ ٢٦٠».

وقد أذنتك بذلك، كما أذنني أستاذي ـ رضي الله عنه ـ وكما أذنني مولاي ـ سبحانه ـ وسيدي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

واعرف ـ يا أخي ـ فضل الإذن وسره وقدره، ولا تجهله إذ المأذون مأمون، إذ هو في ضمان الله، وضمان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وضمان شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ فاعرف هذا واعتقده ولا تجهله، وكن محزوماً في تربية عباد الله[١] ولا تستحِ من أحد في حق الله كما نستحي أنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأؤكد عليك تأكيداً محتماً أن ترد الفقراء عن حلقة الذكر التي يعملون في الأسواق، وهلاّ كفاهم الذكر في غير الأسواق، وهل رأوا من فعل ذلك، أو سمعوا به في أول الزمان إلى آخره؟ لا والله ما كانت حلقة الذكر في الأسواق التي هي محل البيع والشراء، وإنما كان ذلك في الأسواق الخالية من البيع والشراء والشواغل كلها، ولا بد ولا بد ولا بد قل لهم يرجعون عن تلك الحالة، ويتحصنون بالسنة المحمدية من شياطين الجن والإنس، ولا يعملون لهم القناطير ليأتوهم عليها، أو ما علموا أن الدنيا مشحونة بالحساد؟ أو ما سمعوا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ الآية[٢].

ولا بد ولا بد حذّرهم مما يضرهم، فإن حذروا فتبارك الله، وإلا فاهجرهم، والله أدرى بهم.

واعلم ـ رحمك الله ورضي عنك ـ أني ما رأيت مكروهاً ولا بأساً منذ أربعين عاماً وأربعة أعوام ـ والله أعلم ـ إلا ما أصابني من أجلهم، إذ كانوا يتعرضون للمصائب، وكنت أحذرهم فلم يحذروا حتى سجن

(١) أي: كن حازماً.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٩٥.

أحدهم، وسوِّط أحدهم[1]، ومرض أحدهم، ومات أحدهم بسبب سوء أدبهم، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الحادية والستون بعد المائة الأولى:

في الحث على الاشتغال بالطاعة وعدم الالتفات إلى غير الله من السوى.

١٦١ ـ ومنها: فمن أيقن أن الله تعالى لم يخلقه لشيء دونه، ولا ينفعه ولا يضره إلا هو فلا يشغله شيء عنه، ولا يلتفت إلى طاعة ـ وإن عملها ـ ولا إلى معصية ـ وإن وقع فيها ـ، فكونوا رحمكم الله على علو همتكم عن الدنيا وشهواتها، وعن الجنة ونعيمها، والله والله هو الحصول، وليس لأحد ما يقول، والسلام.

الرسالة الثانية والستون بعد المائة الأولى:

في الحث على الذكر والاستغراق فيه ومحبة الفقراء وأهل الله والإحسان إليهم.

١٦٢ ـ ومنها: فنحن على محبة الله، والله يجعلنا من الذين يظلهم يوم لا ظل إلا ظله، وقد أردنا ـ بارك الله فيك ـ أن تتعرض دائماً لنفحات ربك، وذلك بأن تغرق حركاتك وسكناتك بذكر ربك كما أمرك، وبمحبة أهل الانتساب إليه، والإحسان إليهم دائماً، إذ كان نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يأوي إلى أحد مثل ما كان يأوي إلى أهل الصفة الذين هم أصحابه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأحب الناس إليه، إذ كانوا لا يتسببون، ولا يشغلهم عن ربهم شاغل، وبهم يقتدي كل فقير متجرد، وكان لباسهم ـ رضي الله عنهم ـ المرقعات، إلا

---

(١) أي: ضرب بالسياط.

أنها لاتستر كثيرهم، حتى كان إمامهم لا يتقدم أمامهم خوفاً أن ترى عورته، إنما كان يؤم بهم وهو مستو معهم في الصف، وأمرهم ظاهر لا يخفى. فادن ـ ياسيدي ـ مما دنا منه نبيك وحبيبك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفر مما فرَّ منه، والله يأخذ بيدك.

ونؤكد عليك أن لا تسمع كلام من لا يخشى الله في المنتسبين إلى الله، لأني ما نراهم يعترضون إلا بالبدعة على السنة، لا بالسنة على البدعة، والله على ما نقول وكيل(١).

ومن السنة ـ يا سيدي ـ السكون إلى الضعفاء والمساكين، واليتامى، والغرباء، وأهل جانب الله من حيث هم، والمحبة لهم، والبرور بهم، والانتصار إليهم، وهكذا، والسلام.

الرسالة الثالثة والستون بعد المائة الأولى:

في بيان جواز رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة.

١٦٣ ـ ومنها: فلا خلاف عند أهل العلم ـ رضي الله عنهم ـ في رؤية الناس لربهم في الجنة ـ كما في الحديث الصحيح ـ(٢)، وأما في

---

(١) ولعل أكثر ما نراهم في أيامنا ـ النحسات ـ هذه، من تطاول واجتراء على أهل الله وأوليائه وأئمة الدين والعلماء العاملين الصالحين المصلحين، والمربين الربانيين، والمؤلم أن هذا الاجتراء والتطاول يكون باسم العلم تارة، وباسم السلفية أخرى، ووالله ما هي بسلفية كما يدعون، إنما هو اغترار بالله تعالى واتباع للهوى، وجهل بأصول التربية، حيث إن الكثير من طلبة العلم في هذا الزمان تمشيخوا على الجرائد والمجلات والأشرطة الصوتية «الكاسيتات»، وترفعوا وتكبروا عن الجلوس بين أيدي المربين الناصحين الذين يخشون الله حق خشيته، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٢) روى الإمام مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً =

الدنيا فإنها جائزة غير ممنوعة عند أهل السنة ـ رضي الله عنهم ـ وكفى بأهل السنة حجة إذ هم ـ رضي الله عنهم ـ يقولون لو كانت الرؤية ممنوعة لم يسألها سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ إذ هو رسول الله وكليمه، والرسول لا يسأل المحال، إنما يسأل الجائز، إذ هو معصوم والعصمة تمنعه من كل ما ليس بصواب.

والرؤية لا تحصل لأحد قط إلا بعد فناء نفسه ومحوها واضمحلالها، وذهابها، وزوالها، كما عند شيوخ الطريقة المشارقة، والمغاربة المتقدمين والمتأخرين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، ومهما حصلت لأحد ذهب ـ والله ـ ذلك الأحد، وذهب كل شيء، ولم يبق إلا الله، إذ محال أن يشهده أحد، ويشهد معه سواه.

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو القاسم القشيري ـ رضي الله عنه ـ في التحبير: روي أن رجلاً دق الباب على أبي يزيد البسطامي ـ رضي الله عنه ـ فقال: أيش تريد؟ فقال: أبا يزيد، فقال: ليس في الدار أبو يزيد.

وقد حكي أن رجلاً قال للشبلي: أين الشبلي؟ فقال: مات رحمه الله. وقيل إن ذا النون المصري بعث رجلاً يتعرف أحوال أبي يزيد البسطامي، ويصفها له، لما تناهت إليه أخباره؛ فحضر الرجل بسطام، واستدل على أبي يزيد؟ فدل عليه وهو في مسجده، فدخل عليه وسلم، فقال: أيش تريد؟ فقال: أريد أبا يزيد. فقال أبو يزيد: أين أبو يزيد؟ أنا في طلب أبي يزيد!!!، فقال الرجل في نفسه: هذا مجنون، لقد ضاع

= أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل).

«صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم عز وجل. والترمذي في صحيحه ـ كتاب التفسير، وابن ماجة في السنن ـ المقدمة ـ باب فيما أنكرت الجهمية». وغير ذلك من كتب السنن بألفاظ مختلفة ومتقاربة.

سفري!! فرجع إلى ذي النون فوصف له ما رأى وسمع، فبكى ذو النون، وقال: أخي ذهب مع الذاهبين في الله.

وروي عن سهل بن عبد الله التستري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: منذ كذا سنة وأنا أخاطب الله سبحانه والناس يتوهمون أني أكلمهم!.

وفي معناه أنشدوا:ـ

وظنوني مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مراد

قلت: والفرق بين المشاهدة والرؤية هو أن المشاهدة يتقدمها علم، والرؤية لايتقدمها علم كما قال الشيخ الجليل سيدي محيي الدين بن العربي الحاتمي ـ رضي الله عنه ـ في اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر(١).

فإن قال قائل: نرى أن أهل مقام الفناء ـ رضي الله عنهم ـ بعد حصول فنائهم، يخافون ويرجون، والخوف والرجاء صفتان من صفات النفس، وهي قد ماتت!!!.

قلت: كذلك هم يخافون ويرجون، إلا أنهم ـ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ـ مهما ورد عليهم الخوف ورد عليهم الرجاء، ومهما ورد عليهم الرجاء ورد عليهم الخوف، فهم دائماً بين الخوف والرجاء، فلا الرجاء يغلب الخوف ولا الخوف يغلب الرجاء، صيانة لهم أن يأمنوا مكر الله أو ييأسوا من روح الله، وهذه حالة النبيين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وحالة الأولياء الكاملين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

ولا نرى من رأى ربه في الدنيا أن يراه في الجنة خلاف مارآه في الدنيا، ولا نراه بعد الرؤية أن يلتفت إلى شيء قط، إذ كل من استغرق

---

(١) يبدو أن هذا تصحيفاً من الناسخ فالكتاب لسيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا بمحبته.

في شهود عظمة ذات الله غاب ـ والله ـ عن هواه وعن دنياه وعن أخراه، والكذاب لعنه الله، والسلام.

الرسالة الرابعة والستون بعد المائة الأولى:

في التحذير من الوقوع في المحرمات وكل ما نهى عنه الله تعالى من معاصي الجوارح والقلوب، والتأدب مع خلق الله كلهم.

١٦٤ ـ ومنها: فكل فقير لا يبالي بما يقول ولا بما يفعل بل ينهمك فيما عنه نهى الله، ولا يعبأ بما يصدر منه من معاصي الله؛ فليس بفقير، إنما هو من الحمير!!!، فتنبهوا ـ رحمكم الله ـ وكونوا على حذر مما عنه نهى الله، وإياكم والمحرمات والمكروهات، ولا أخاف عليكم من شيء مثل ما أخاف عليكم من الكذب والغيبة، والنميمة، لأني نرى كثيراً ممن نظن بهم خيراً، ونعتقد أن لهم بركة وسراً، لا يبالون بما يقولون ولا بما يفعلون، بل ينهمكون فيما عنه نهى الله، ولا يعبؤون بما يصدر عنهم من معاصي الله[1]، وما كان فقير صادقاً هكذا قط، ولا يكون أبداً، ولا بد ولا بد كونوا على حذر من الكذب والغيبة، والنميمة، والمحرمات،

---

(١) وهذا مما عمت به البلوى في أيامنا هذه حتى في كثير من مجالس الخير ومجالس العلم والعلماء ـ أقول: أغلبهم لا كلهم ـ نرى الغيبة والنميمة والحسد وغير ذلك تدور موائدها في تلك المجالس وبين أيديهم ولا ينكرونها!!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد عرفنا بفضل الله تعالى بعض المجالس من مجالس أهل الله من لا تسمع بين أيديهم كلمة سوء في حق مسلم أياً كان هذا المسلم، ولا يسمحون لأحد أن يتكلم على أحد في مجلسه، منهم مجلس سيدي الحبيب علي بن شيخ بلفقيه باعلوي رضي الله عنه وأرضاه، فقد ترددت عليه وجالسته سنين وأعواماً، وحضرت مجلسه ما يزيد على عشر سنوات إلى أن وافاه الأجل ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجمعنا به مع جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما سمعته اغتاب أحداً من المسلمين مرة، ولا سمح لأحد أن يذكر عنده أحداً من أهل لا إله إلا الله بكلمة سوء، يشهد بهذا كل =

والمكروهات كلها، ولا تسمعوا غيبة أحد في أحد، وإذا وقع ونزل وسمعتموها فبادروا بردِّها على صاحبها، وبخوه ما استطعتم عليها، فإن رجع عنها فتبارك الله، وإلا فاهجروه مادام مصراً عليها.

واذكروا الأموات أيضاً بخير ـ كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (اذكروا هلكاكم بخير)[1]. وكونوا أيضاً على الحياء من بعضكم بعضاً، ومن الناس كلهم، وعلى حسن الخلق، وعلى حسن الظن، وعلى ترك الطمع، ولا تعكسوا فتكونوا على قلة الحياء، وعلى سوء الظن، وعلى سوء الخلق، واعتنوا دائماً بالاستبراء من بولكم غاية جهدكم، واستحيوا من الله تعالى، ومن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن كل مؤمن ومؤمنة، من الجن والإنس، والله يأخذ بيدكم، والسلام.

الرسالة الخامسة والستون بعد المائة الأولى:

لا وصول إلى الله إلا بالمحافظة على الشرائع.

١٦٥ ـ ومنها: فلا ترج لفقير خيراً ـ أيها الشيخ ـ مادمت تراه لا

= من حضره وحضر مجلسه المبارك، ومنهم الشيخ القاضي والعالم الفاضل محمد الرطل بناني المغربي الفاسي وغيره من القضاة والشيوخ والعلماء والصالحون من كافة المستويات وجميع البلدان ممن زاره في مجلسه في مدينة أبوظبي، فهكذا تكون المجالس، وإلا فلا ولا حباً ولا كرامة، نسأل الله العافية لنا وللمسلمين وكل من قال آمين.

(١) روى أبو داود والطيالسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم هالك بسوء، فقال: (لا تذكروا هلكاكم إلا بخير) وإسناده جيد.
وروى أبو داود والترمذي والطبراني والحاكم عن ابن عمر رفعه: (اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم) وقال الترمذي: غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وروى البخاري عن عائشة مرفوعاً: (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا).
«راجع كشف الخفاء ـ ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦».

يعبأ بشرائع الطريق، ولا بالشرائع من حيث هي سواء كان منه ذلك عمداً أو غلطاً، لأن الشريعة المحمدية هي الباب لمن أراد الدخول على الله لا غير، فمن أهملها وأراد الدخول على غيرها فلا يطمع في الدخول، ولا يكون ذلك أبداً، إذ لابد من معرفة الشرائع ومن استحضارها دائماً، ومن العمل بها لمن أراد الدخول ـ أو نقول: الوصول ـ أو القبول.

واعلم ـ أيها الشيخ ـ أني رأيت فقيراً قد اتخذ شيخاً من شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ وكان يتكلم في علم القوم ـ رضي الله عنهم ـ، ويذكر مقام الفناء ومقام البقاء، وهما مقامان كبيران، ومع ذلك قد تعلق به بعض الناس أن يسافر معه إلى موضع قربك لله تعالى بقصد أن يقضي حاجته منه، فذهب معه، ولما رجعا منه أخذ منه كراءه رغماً على أنفه، أحب أم كره، إذ كان قد أمَّن عنده ما شاء الله من الدراهم، فإذا به قد أخذها له في كرائه بعد أن ذهب معه، فأي دين هذا؟ وأي مذهب هو؟ والله ما نراه شيئاً، والسلام.

الرسالة السادسة والستون بعد المائة الأولى:

في الحث على حسن الخلق مع جميع الخلق.

١٦٦ ـ ومنها: فالسفه يصغِّرك ـ أيها الفقير ـ في أعين الناس ولو كنت كبيراً، يذلُّك ولو كنت عزيزاً، يقبِّحك ولو كنت مليحاً، يبغضك لهم ولو كنت محبوباً عندهم، يبعدك منهم ولو كنت قريباً منهم، وهكذا. . . .، فتب إلى الله منه عاجلاً من غير تراخ، والله يتوب علينا جميعاً، وإياك ثم إياك أن تخرج الطريق على أحد من عباد ربك، أو تخونه، أو تغشه، أو تحقره، أو تبغضه، أو تغتابه، أو تنقض عهده إذا عاهدته، وهكذا. . . .، كما أن الرشد يكبرك في أعينهم، ولو كنت صغيراً فيها، ويعزك ولو كنت ذليلاً، ويزينك ولو كنت قبيحاً، ويحببك ولو كنت

مبغوضاً، ويقربك ولو كنت بعيداً، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة السابعة والستون بعد المائة الأولى:

الخلق الحسن هو التصوف الحقيقي.

١٦٧ ـ **ومنها:** فالبعض من شرفاء فاس وساداتها وكبرائها قد تقبَّح[١] علي قبحاً كبيراً بمحضر جماعة من الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ وأنا بين يديه ساكت لا أتكلم حتى شفى غيظه وملَّ وسكت، وأنا ساكت لا أتكلم، ولا أجاوبه بشيء قط، فلما طال الأمر وأنا لا أجاوبه بشيء، قال لي إذ ذاك: تكلم معي؛ فإني أتكلم معك!!!. فقلت: أنا قد عرفت الأجواد، وقد ربوني؛ فجزاهم الله خيراً عني!!.، فقال لي: كيف ذلك؟ فقلت له: إذا تكلمت معك وأنت على حال الخوض فنخاف على نفسي أن نتخوض مثلك[٢]، وإذا تخوَّض كلانا فأي خير يكون بيننا؟ والله ما نرى خيراً يكون بيننا إذا اجتمع خوضي بخوضك. فقال لي بحال قوي وبنهضة كبيرة: فهكذا حدثوني عنك الناس، إذ قالوا لي: أنت فقيه كبير، ثم ندم على ما صدر منه من القبح، واستعذر لي غاية الاستعذار، وعاد يحبني المحبة الكبيرة.

فالخلق الحسن ـ أو نقول: الكريم ـ يا إخواني هو التصوف عند الصوفيين، وهو الدين عند أهل الدين، ولعنة الله على الكاذبين. وأما سوء الخلق والسفه، وقلة الحياء، وقلة الوفاء بالعهد، فليس من الدين، ولعنة الله على الكاذبين، والسلام.

---

(١) أي أخذ يشتمني ويجهل علي أمام الناس.

(٢) أي الخوض في الكلام الفاحش الذي لا خير فيه، فلا أريد أن أرد لك الإساءة بمثلها؛ فيحرم كلانا الخير.

الرسالة الثامنة والستون بعد المائة الأولى:

أهل الله في حضرة الله في الدنيا والآخرة.

١٦٨ ـ **ومنها:** فوالله ما هم أهل الله إلا في حضرة الله، ولا هم في دنيا ولا في أخرى. وسمعت الشيخ سيدي علي ـ رضي الله عنه ـ يقول: فحين تقع الشفاعة في المذنبين من أمة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيخرجون من النار ويدخلون الجنة، ويتعارفون بينهم، فلا يجدون أناساً بالجنة ولا بالنار، فيتحيرون حيرة أهل الجنة إلى أن يتجلى لهم مولاهم فيراه جميعهم ـ كما في الصحيحين، والله أعلم: فيقولون له: ياربنا أناساً كنا نعرفهم بدار الدنيا كباراً فإذا هم ليسوا هنا بالجنة! وليسوا أيضاً بالنار، فأين هم يارب؟ فإنك أعلم بهم، فيقول لهم ـ جلَّ جلاله وتقدَّست صفاته وأسماؤه ـ: هم في ضيافتي، إذ كانوا يعبدوني عبادة خالصة لوجهي، فهم الآن عندي كما كانوا في دار الدنيا.

ودليل هذا في كتاب الله تعالى ظاهرٌ جلي، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ٥٣ ! فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾(١).

ودليله من السنة أيضاً، قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله)(٢) لا أحرمنا الله ولا أحرم من اقتدى بنا وهو منا وإلينا، والسلام.

---

(١) سورة القمر ـ الآيتان ٥٣، ٥٤.

(٢) رواه مسلم وابن عساكر بسنده عن ابن عباس «كنز العمال ٣/ ١٨٤ الحديث رقم ٦٠٧١».

الرسالة التاسعة والستون بعد المائة الأولى:

تنبيه!!!! وبيان فضيلة طلب العلم.

١٦٩ ـ **ومنها:** فقد كتبت لبعض الطلبة الذين يتعلمون العلم بفاس البالي ـ عمره الله ـ بعد أن سلمت عليهم ـ: فلا نرى من يخوض في رحمة الله كما يخوض فيها صاحب علم، ولا نرى من هو في رضا الله تعالى كما هو فيه المشتغل بتعلم دينه التارك لما لا يعنيه، ولا تكسلوا أو تعجزوا، أو تملوا عملكم إلى حرفة من الحرف التي نرى عليها كثيراً من الطلبة العاملين، فأحرى غيرهم من عامة الناس، إذ لا حرفة أكبر من حرفة تعلم العلم لله.

ثم قلت لهم بعد هذا: فلا نكره أن تعطوا نسخة من هذا التنبيه لأهل محبتكم، والسلام.

الرسالة السبعون بعد المائة الأولى:

ولي الله من أسلم وجهه لله وأعرض عن هواه.

١٧٠ ـ **ومنها:** فمن أسلم وجهه لله وأعرض عن هواه فهو ولي الله، ومن كذب فعليه لعنة الله، أو نقول: فمن صدق في إقباله على الله نادته مكونات الله أو موجودات الله بأسرها بلسان حالها ـ كل شيء منها يناديه بلسان حاله دائماً ـ: هات يدك يا من أعرض عن هواه، وأقبل على مولاه، وليس له حبيب مثله، ولا صديق مثله. والناس في غفلة عن هذا، ويعتقدون أن المكونات أو الموجودات هي التي تشغلهم عن ربهم، وهي التي تقطعهم عنه، وتمنعهم من السفر إليه، ومعاذ الله أن يكون الأمر كما يعتقدون، إنما هو ـ والله ـ كما قلنا، ولعن الله من كذب منا. أيها الناس.. من حيث أنتم، والله والله من تأمل هذه القضية أيها الناس حتى عرفها

حقاً كما عرفناها حتى يبكي على نفسه ما بقي من عمره، ولعن الله من كذب عليه، ولعن الله من كذب عليه، ولعن الله من كذب عليه، والسلام.

الرسالة الحادية والسبعون بعد المائة الأولى:

في التأكيد على عدم إفشاء علم القوم إلا لأهله أهل الاعتقاد، والتحذير من عرضه على أهل الانتقاد.

١٧١ ـ ومنها: فأؤكد على كل مقتد بي ـ أيها الفقير ـ تأكيداً محتماً أن لايبوح بعلمي لغير أهله قط، إذ هو علم القوم ـ رضي الله عنهم ـ وأهله هكذا كانوا، ولم يكونوا كما نحن مبذرين، ومن خالف نظري ولم يمتثل أمري وأهانه وأهمله ولم يعبأ به ـ أي بعلم القوم ـ فأنا بريء منه دنيا وأخرى، وليس هو مني ولا أنا منه. ولا شك أن من أهانه وأهمله، ولم يعبأ به فلا يجيء منه شيء، ولا تكن منه كائنة، والله أعلم، ولا يغتر بي من رآني قد هنته وأهملته ولم نعبأ به لأني كنت في ذلك مخذولاً وممقوتاً فرد الله علي، فهذا ما أقول لكل مقتد بي وهو غاية نصحي له[1]، والسلام.

---

(١) من هنا نعلم ما يقع به بعض الناس من الخوض في علم التصوف وكلام العارفين وأحوالهم وسيرهم في بعض المجالس العامة التي يحضرها من هبَّ ودبَّ من المبتدئين وعوام الناس، وأصحاب الأغراض والأهواء ممن يدعون العلم، فيتعرضون للانتقادات، وإساءة الأدب مع أهل الله، والوقيعة في أعراضهم مما يكون في ذلك سبباً لإذايتهم، وينقلب المجلس من مجلس خير تنزل فيه الرحمات بسبب ذكر الصالحين إلى مجلس غيبة ونميمة وإهانة لأشراف الناس وأشرف العلوم، فحذار يا أخي وانتبه لما نبهنا منه الشيخ واعمل به لتنجو بنفسك من أن تكون سبباً في معاداة أهل الله وأوليائه فتتعرض لحرب الله من حيث لا تدري وتحرم الخير الكثير، فقد قال تعالى في حديثه القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).... اللهم هل بلغت؟ اللهم فاشهد. سلمنا الله وإياك من مهاوي الردى ونفعنا بالصالحين وعلومهم وأسرارهم وأنوارهم في الدارين وكل من قال آمين.

الرسالة الثانية والسبعون بعد المائة الأولى:

في الحث على زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً.

١٧٢ ـ **ومنها:** فإذا كنتَ بفاس البالي ـ أيها الفقير ـ وأردتَ زيارة شيوخ الطريقة الذين هم هنالك، فابدأ بسيدي ابن العربي المعافري[١] الذي بين المدينتين البالية والجديدة ـ حرسها الله ـ، ثم سيدي علي بن حرزهم[٢]، ثم سيدي عبد الله التاودي[٣]، ثم سيدي يوسف الفاسي[٤]، ثم سيدي محمد بن عبد الله، ثم سيدي أحمد اليمني[٥]، ثم سيدي

---

(١) الفقيه الإمام العالم الهمام أبو بكر بن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الله بن سيدي محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربي، ولد رضي الله عنه بإشبيلية سنة ثمان وستين وأربعمائة، وبها نشأ، ثم رحل مع أبيه إلى الشام والعراق، فلازم الإمام أبا الوليد الطرطوشي، وأخذ عن الغزالي وغيره، ثم رجع بعد وفاته بالإسكندرية إلى الأندلس، وولي القضاء بها، ثم حمل مع من حمل إلى مدينة مراكش ثم انصرف منها لفاس فأدركته المنية، قيل بمغيلة بين سايس وزرهون في سنة ٥٤٢ هجرية، ودفن خارج باب الشريعة، وبني عليه ضريح من أشهر الأضرحة ـ رحمه الله ونفعنا بمحبته.

(٢) الشيخ القطب أبو الحسن سيدي علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم ابن زيان بن يوسف بن سومران ابن حفص بن الحسن بن سيدي محمد بن عبد الله ابن عمر بن سيدنا ومولانا عثمان بن عفان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته، كذا أثبت نسبه السلطان أحمد الوطاسي وكتبه بضريحه، ولد رضي الله عنه بفاس ونشأ بها، وكان من كبار الفقهاء، زاهداً في الدنيا، سالكاً سبيل التصوف، وكان والده صالحاً وأخوه كذلك، توفي سنة ٥٥٩ هجرية، ودفن خارج باب الفتوح، وضريحه مشهور للزيارة ـ رضي الله عنه ونفعنا بمحبته ـ.

(٣) مرت ترجمته في الرسالة رقم ٧٦.

(٤) مرت ترجمته في الرسالة ١٥٥.

(٥) الشيخ الفقيه العالم العامل، العارف المحقق الواصل الكامل، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن إدريس اليمني، توفي رضي الله عنه ليلة أول رجب سنة ١١١٣ هجرية ودفن بالقبب خارج باب الفتوح، أقام رضي الله عنه في مدينة فاس أربعاً وثلاثين سنة.

علي الجمل[1] أستاذنا، وهو من بقيتهم هنالك، ثم بادر إن عزمت إلى سيدي أبي علي بايتيوسي، ثم إلى سيدي أبي يعزى[2] بتاغية، ثم إلى سيدي أبي سلهام[3]، بساحل البحر، ثم إلى مولاي عبد الله بن أحمد بمكناسة الزيتون ـ حرسها الله ـ ثم إلى سيدي أبي زكري بها، ثم إلى مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل الأعلام، ثم إلى سيدي أبي زيد[4] بقبيلة مزيات ـ حرسها الله ـ ثم إلى شيخه سيدي أبي مدين الغوث[5] بعباد تلمسان ـ رضي الله عنهم ـ وهم كثيرون إلا أنهم لا يعرفهم إلا من وصل مقامهم، أو من وقف على آثارهم، فاستدل به عليهم، ولا يعرف ذلك إلا الحاذق اللبيب من أهل العلم والتقى، إذ هم قد كادوا ـ رضي الله عنهم ـ أن يكونوا أنبياء، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، كما قلنا فيما تقدم، وقد كررنا قولنا هذا عنوة لعل من يربح، ولا بد ولا بد زرهم ـ أيها الفقير ـ مادمت حياً كما تزور الوالدين وأهل المحبة، إذ لزيارتهم الفضل الكبير، والسر الواضح الشهير، قد شاهدناه مراراً متعدده ـ والله على ما نقول وكيل ـ ومن أراد أن يعرف فضل الزيارة وسرها وخيرها وبركتها ومزيتها فلينظر كتب القوم ـ رضي الله عنهم ـ فقد قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو سالم سيدي ابراهيم التازي دفين وهران ـ رضي الله عنه :ـ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) مرت ترجمته في الرسالة ٧٦.

(٣) مرت ترجمته في المقدمة.

(٤) هو الولي الشهير العارف بالله سيدي أبو زيد الهزميري (عبد الرحمن الأغماتي) دفين روضة الأنوار داخل باب الفتوح، توفي رضي الله عنه سنة ٧٠٦ هجرية «موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٥٨١» عن تذكرة المحسنين.

(٥) مرت ترجمته في الرسالة الخامسة.

زيارة أرباب التقى مرهم يبري ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث في القلب الخلي إرادة وتشرح صدراً ضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلوماً وترفع خاملاً وتُكسِب معدوماً وتجبر ذا كسرِ
وتبسط مقبوضاً وتضحك باكياً وترفع بالبر الجزيل وبالأجرِ
عليك بها فالقوم باحوا بسرها وأوصوا بها يا صاح بالسر والجهرِ
فكم خلّصت من لجة الإثم فاتكاً فألقته في بحر الإنابة والسرِ
وكم من بعيد قرَّبته بجذبة ففاجأه الفتح المبين من البرِ
وكم من مريد ظفّرته بمرشدٍ حكيم خبير بالبلاء وما يبري
فألقت عليه حُلّة يمنية مطرّزة باليمن والفتح والنصر
فزر وتأدب بعد تصحيح توبة تأدب مملوك مع الملك الحر
ولا فرق في أحكامها بين سالك مربّ ومجذوب وحي وذي قبر
وذي الزهد والعباد فالكل منعم عليه ولكن ليست الشمس كالبدر
وزورة رسل الله خير زيارة وهم درجات في المكانة والقدر
وأحمد خير العالمين وخير من ييممه العافون في العسر واليسر
وأمته أصحابه الغر خيرهم وأفضل أصحاب النبي أبو بكر
ويتلوه فاروق أبو حفص الرضى على رأي أهل السنة الشُّهُب الزهر
وبالوقف قالوا في الهزبر أخي العلا علي وعثمان الشهيد أبا عمروِ
وقالوا كترتيب الخلافة فضلهم وقد تم نظمي في المزور وفي الزورِ
على أنبياء الله مني ورسله وخاتمهم أزكى سلام مدى الدهرِ
وقرباه والصحب الكرام وتابع لهم في التقى والبر والصبر والشكرِ
والسلام.

الرسالة الثالثة والسبعون بعد المائة الأولى:

أول كرامة لمولاي العربي رضي الله عنه.

١٧٣ ـ **ومنها:** فمن الكرائم التي أكرمني ربي بها أني أتيت ذات يوم إلى ضريح مولاي إدريس الأصغر بفاس البالي ـ عمره الله ـ بنية صلاة الجمعة، فإذا به مشحون بالناس، سوى موضع المقدم، إذ كان بالخلاء، فجلست به، فإذا برجل من البوادي قد قام معي قومة(١)، نسأل الله السلامة ـ فسكتُّ عنه، ولم أجاوبه بشيء، إلا أنه قد طالت خصومته، والإمام وهو العالم الجليل أبو عبد الله سيدي محمد بناني ـ رحمه الله ـ على المنبر، والمؤذنون يؤذنون، والناس على حال الصمت، فقلت له ـ حيث لم يقصر(٢)ـ فحتى يأتي صاحب الموضع ويسامحني فيه أو يقتلني!!!، فزاد في خصومته حتى كنت أخاف أن يضربني بحديد، فإذا بالشريف الأجل أبو عبد الله سيدي محمد الغالي ـ رحمه الله ـ قد جاء يصلي، فجلس عليه من دون من كان هنالك من الناس، والناس ينظرون إليه، فلم يعده إلا أن قام من تحته، وصار بخارج القبة، بعد أن كان بها، وجاء أيضاً صاحب الموضع من الخلاء فعملنا له فسحة بالتي هي أحسن، وصلينا، ثم إنه أتى إلي بعد الصلاة فاستعذرني بأن المقدم وهو يومئذ أبو عبد الله سيدي محمد أغيول ـ رحمه الله ـ قد أوصاه على الموضع، والشريف المذكور كان من النساك الكبار، فلا يستطيع أحد من عامة أهل فاس ولا من خاصتهم أن يكلمه، والله على ما نقول وكيل، فهذه أول كرامة أكرمني ربي بها، والسلام.

---

(١) أي عنَّفني واشتد غضبه علي.

(٢) أي: لم يكف عن تعنيفي وخصومتي وإذايتي.

الرسالة الرابعة والسبعون بعد المائة الأولى:

كرامة أخرى للشيخ رضي الله عنه.

١٧٤ ـ ومنها: أني كنت أدرب الصبيان هنالك بحومة العيون، وأنا أتلو القرآن العظيم والصبيان يقرؤون ألواحهم أمامي، إذ وجدت نفسي بسفينة بالبحر بمدينة تونس ـ حرسها الله ـ وأنا أتلو القرآن العظيم كما كنت أتلو بالمكتب أمام الصبيان، ومن كان بالسفينة كلا منهم كان يتحلى بتلاوتي، فإذا بسفن عديدة للنصارى قد بادرت إلينا لتأخذنا، فتعلق بي حينئذ كل من كان معي بالسفينة، إذ كنت عندهم من أولياء الله تعالى حقاً، فغطى الله وصفي بوصفه، ونعتي بنعته، فدفعت السفينة إذ ذاك إلى السفن، وأحطت بها بسطوتي وعنايتي، فبعضها غرقت، وبعضها كسرت، وبعضها أسرت، والله غالب على أمره، ثم بعد ذلك وجدت نفسي بمكتبي، وحالي كحال المريض، أو من مرض بالعين، فعظمي كأنه دق بالمرازب، فأخبرت الشيخ بما وقع لي، فجعل يده على فيه ثم تبسم وقال: إيه. . . ما عرف أحد القطبانية أين هي، هل هي في الجبال ترعى المعز؟ أو هي في المكاتب تعلم الصبيان؟[1] ثم جاء الخبر بما وقع في الحين، ولعنة الله على الكاذبين، والسلام.

الرسالة الخامسة والسبعون بعد المائة الأولى:

من أحوال الشيخ رضي الله عنه.

١٧٥ ـ ومنها: أني كنت في ابتداء أمري وقد كان وقت دخول

(١) وهذا إشارة إلى مكاشفة الشيخ بحصول القطبانية لمولاي العربي رضي الله عن الجميع ونفعنا بمحبتهم.

البريجة وقد دخلها السلطان الأعظم الشريف الأكرم أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الحسني العلوي ـ رحمه الله ورضي عنه ـ وذلك عام اثنين وثمانين ومائة وألف، لا نرى في كل شيء شيء إلا ذات رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكنت نرى ذات الله في ذات رسول الله، وذات رسول الله في ذات الله، والكون قد فقدته ولم نجده قط، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة السادسة والسبعون بعد المائة الأولى:

حالة أخرى من أحواله رضي الله عنه.

١٧٦ ـ **ومنها:** إن نفسي قالت لي ذات ليلة: الظاهر والباطن اللذان لا يكونان مثل ظاهرك وباطنك فلا يعدلان. فأخبرت الفقراء بما قالت لي نفسي بعد صلاة الصبح. فإذا ببعضهم قد أقبل وعليه قشابة مثل قشابتي، من غير زيادة ولا نقصان، إذ كانت لقشابتي رقعة جديدة دائرة بأسفلها، والقشابة باليه ولم تكن قشابة الفقير عشية النهار عنده كذلك، فإذا به قد أصبح بها كأنها قشابتي من غير تبديل ولا تغيير، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة السابعة والسبعون بعد المائة الأولى:

كرامة للشيخ تؤيد طريقته العلوية المرضية.

١٧٧ ـ **ومنها:** أن بعض الناس من إخواننا أهل فاس ـ نجاهم الله من كل باس ـ دعاني لختمة ولده بالمنية فمشيت إليه مع بعض الفقراء المتجردين من إخواننا لا من غيرهم، فوجدنا الدار مشحونة بالناس، والطلبة يكتبون للصبي كما هو شأن أهل غربنا، فلما دخلنا إلى الدار،

نهض الصبي من حينه من بين الناس، فمكنني من لوحه، فأعرضت عنه بوجهي، وقبضت اللوح، ثم قلت لجميع من بالدار من خاصة وعامة، ووجهي في جهة، واللوح في جهة، ومن بالدار ينظرون إلي: فانظروا أيها المؤمنون ما نحن عليه، هل على الحق أم على الباطل؟ وقد كنا على حالة التجرد كلنا، فإذا بالآية التي تكتب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ فتعجب من أمرنا كل من بالدار من خاصة وعامة، واستعظموا الأمر، والحمد لله والشكر لله، والسلام.

الرسالة الثامنة والسبعون بعد المائة الأولى:

في كيفية ذكر الاسم المفرد (الله).

١٧٨ ـ **ومنها:** أني كنت أقوم الثلث الأخير من الليل، وأذكر الاسم الجليل: ﴿الله﴾ وكنت أعرف كيفية ذكره، وقفت عليها عند الشيخ الجليل [سيدي الشاذلي] رضي الله عنه ـ في بعض الكتب، وعلمني أيضاً أستاذي كيفية أخرى أقرب منها وأصوب، والله أعلم، وهي: أن نشخص حروفه الخمس بين عيني وقت ذكره من غير أن نرسمها بحائط أو بحجر، إنما نشخصها بين عيني فقط، ومهما زهقت عنها[١] رجعت إليها، ولو زهقت عنها ألف مرة، أو أكثر بالساعة رجعت إليها؛ فأنتجت لي هذه الحالة فكرة عظيمة، فكانت تأتيني بعلوم وهيبة دائماً، وأنا أتركها لها ولا أقف معها قط، والبشرية إذ ذاك تضعف والنورانية تتقوّى كل وقت حتى أتتني ذات ليلة بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ فتركت قولها كما كانت عادتي معها قبل، فلم تتركني هي بل قالت لي: هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فقلت لها إذ ذاك فأما الأول والآخر والباطن فقد عرفته حقاً، وأما

---

(١) أي: ذهلت أو غبت.

الظاهر فلا نرى ظاهراً إلا المكونات!!!، فقالت لي: لو كان المراد بالظاهر غير ما ترى لكان ذلك باطناً ولم يكن ظاهراً. وأنا أقول لك: الظاهر والباطن، فهزمتني بسطوتها، وغلبتني بعنايتها حتى سكت عن جوابها، إذ لم تبق لي حجة قط عليها، إذ تحققت بأن لا موجود إلا الله، وليس في الأكوان إلا إياه، والحمد لله والشكر لله. ثم أخبرت أستاذي بذلك ففرح بي غاية الفرح، وسر بي غاية السرور، وعاد يتكلم معي في التوحيد الخاص ولا يبالي، وكان ـ رضي الله عنه ـ يكثر من قول ولي الله تعالى المحقق الكبير سيدي الششتري ـ رضي الله عنه ـ:

أنـــت أنـــت أنـــت   أنـــت أنـــت أنـــت
الـحـبـيـب مـع الـمـحـبـوب   والـــوصـــال أنـــت!،

انتهى.

مـــذ لـــي مـــن عـــمـــري   مـــذ مـــن زمـــان
وأنـــا نـــريـــد نـــدري   أيـــش قـــدر لـــمـــن
حـــتـــى إن رأيـــت   أنـــنـــي أنـــا
هـــو مـــحـــبـــوبـــي   وأنـــا مـــادريـــت

ويكثر أيضاً من كلام شيوخ الطريقة المشارقة ـ رضي الله عنهم ـ:

أنـا أشـك وأنـت أسـنـى بـيـانـي   أنـا أنـت إذا فـهـمـت الـمـعـانـي
لاش نـــغـــيـــب عـــنـــك   إذا دريـــت كـــيـــف تـــرانـــي؟!

انـــتـــهـــى.

قبل اليوم كنت مقيَّد بقيود البين   محجوب بالوهم نحسب مفردي اثنين
لـمـا أن تـبـدى جـمـالـك   زال عـــنـــي الـــضـــيـــم
شـهـدت عـيـنـي ابـعـيـنـي   وصـــرت عـــيـــن الـــعـــيـــن
الـكـل الـجـمـال جـمـال الـلـه   لـــيـــس فـــيـــه الـــشـــك
إلا وشـــاة الـــنـــاس   غـــالـــب عـــلـــيـــهـــا الـــشـــك

يـــــاوارد الـــــعـــــيـــــن إن حـــقـــقـــت زال الـــشـــك
الـــذات عـــيـــن الـــصـــفـــات مـــا فـــي الـــمـــعـــانـــي شـــك

انتهى، والسلام.

الرسالة التاسعة والسبعون بعد المائة الأولى:

في الأمر بخرق العوائد ومخالفة النفس.

١٧٩ ـ ومنها: أن أستاذي لما رأى صدقي في الطريق، أمرني بخرق عوائد نفسي، وقال لي ـ رضي الله عنه ـ: نحن فكما نكتسب علم الحقيقة فكذلك نكتسب عملها. فلم أفهمه، فقبض ـ رضي الله عنه ـ حائكي[١] بيده الكريمة، وأزاله عن رأسي، وتركه عرياناً، ولواه كثيراً وأداره بعنقي، ثم قال لي: هكذا قياس خير[٢]، فتروعت نفسي إذ ذاك غاية، حتى كان الموت أهون علي من أن نرى على تلك الحالة وهو ينظر إلي، وهو لايتكلم حتى كادت من شدة ثقل تلك الحالة عليها أن تموت، فقمت حينئذ قبل أن يقوم الشيخ، ولم تكن عادتي معه كذلك، بل كنت لاأقوم قط إلا إن قام هو، ومشيت حتى غبت عنه بحائط الزاوية، فقالت لي نفسي إذ ذاك: فما معنى هذا؟ فلم نجد لها جواباً، إلا أن نرد الحائك على رأسي كالناس، فإذا به لم نرده، بل قلت لها: الشيخ يعرف معنى ذلك، فمالك قد تروَّعتِ وتزعزعتِ وكرهت أن تكوني سفلية؟ وأي شيء كنتِ؟ وأي مزية كانت لك حتى لم ترضِ أن

---

(١) قال في معجم شمال المغرب: «الحائك ثوب من الصوف تلف به المرأة المغربية نفسها ـ ولعله كان يستعمل من قبل الرجال أيضاً ـ عند عدم لبس الجلاب، وهو يشبه الملاءة» (معجم شمال المغرب صفحة ٥٥).

(٢) مر أن معناه بالدارجة المغربية: أي لا أقيس عليك الشر إنما أقيس عليك الخير.

تكوني على هذه الحالة؟ أو ما أحببت إلا أن تبقي على شهواتك ومحبوباتك مسرحة فيها بلا قيد؟، لا والله لا فرحتِ بذلك، ولا يكون لك ذلك مادمت عارفاً بك وبخزائيك[1]، فأيست من شهواتها التي كانت عليها، إذ تحققت أنها لا يكون لها ذلك قط، إذ رأت عيني حمراء فيها[2]، وأعطتني الانقياد فيما أردت منها.

والخذلان كل الخذلان أن يرى الفقير صورة نفسه عياناً ثم لم يخنقها حتى تموت، والسلام.

الرسالة الثمانون بعد المائة الأولى:

في أن العلوم الوهبية لا تتأتى للعبد إلا بعد موت نفسه، وحكاية للشيخ رضي الله عنه في ذلك.

١٨٠ ـ **ومنها**: أني جلست ذات يوم بمسجد الأندلس بالصف الأول، وكان اليوم يوم الجمعة، ثم نزعت شاشيتي[3] عن رأسي وتركته عرياناً، والناس ينظرون إلي من كل جهة، إذ لم تكن حالتي عندهم كذلك، فتروعت إذ ذاك نفسي حتى كانت كالعلقة إن جعل عليها الملح[4]، ثم قالت لي: أي شيء حصلت بهذا أو هتكت مروءتك؟ فقلت لها: حصلت بها معرفتك إذ كنت لا أعرفك ولا أعرف صورتك،

---

(١) أي خزاياك.

(٢) كناية عن شدة الغضب والمعاندة والمخاصمة.

(٣) قبعة من السعف يعلوها نسيج حريري على هيئة الحبل أحمر أو أخضر أو أصفر، وهي منسوبة إلى شاش: بلد من بلاد ماوراء النهرين «معجم شمال المغرب صفحة ١١٢».

(٤) أي أنه أصابه الخجل من عمل ذلك أمام الناس حتى ذابت نفسه كما يذوب العلق ـ وهو نوع من الرخويات ـ إذا وضع عليه الملح يذوب.

وقد عرفتها الآن، والله لا كنت معك إلا على هذا الحال المكروه عندك، فلما رأتني قد حمَّرت عيني فيها وأيستْ مني أن نكون على غير مكروهاتها ومستثقلاتها ومستقبحاتها ذهبت عني ذهاباً كلياً، وبذهابها ذهب عني كل كدر، ولم يبق إلا الصفاء الكبير الذي قلَّ له النظير، فوردت عليّ حينئذ علوم وهبية كثيرة كأمواج البحر، حتى لو اجتمع علماء المشرق وعلماء المغرب وسألني كل منهم عن شيء لأجبت كل واحد عما سأل، ولم نفتقر إلى ما نقول له، إذ صرت ـ والله ـ كالمصباح، فبعدما يشعل منه كل أحد أحد مصباحه أو فتيله لم ينقص من ضوئي شيء بل يبقى كما هو[1]، فهكذا كنت، والله على ما نقول وكيل.

ولا شك أن لكل واحد واحد من الناس من المعاني مثل ما للبحر من الأمواج لكن الحس قد استولى عليهم فأخذ قلوبهم وجوارحهم، وتركهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2]، والسلام.

الرسالة الحادية والثمانون بعد المائة الأولى:

من كراماته رضي الله عنه.

١٨١ ـ **ومنها:** أني كنت أدرب الصبيان بفاس البالي ـ عمره الله ـ وقد سخن علي مكان المكتب[3]، إذ كان وقت الصيف، وهنالك زاوية باردة حسنة ذات مياه كثيرة، فقلت للصبيان إذ ذاك: زاوية سيدي عبد الله الأغزاوي تليق بنا ـ والله أعلم ـ. فقالوا لي: هي عامرة بامرأة

---

(١) أي كالمصباح الذي يضاء منه القناديل دون أن ينقص من ضوئه شيء لأنه ممدها.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٧١.

(٣) أي اشتد به الحر وسخن الهواء فيه غاية.

صالحة، ومعها بها نساء أهل فاس، ومن جملتهن أخت القاضي سيدي عبد القادر بن أخريص[1] ـ رضي الله عنه ـ وكان إذ ذاك هو القاضي هنالك، فقلت لهم: أهل الحومة[2] يخرجونها هي ومن معها. فقالوا لي: ياه هي ما تخرجشِ. فقلت لهم: إن لم تخرج منها تخرج إلى المقابر، وأشرت بيدي بحال قوي نحو المقابر، وكان هذا وقت طلوع الشمس، فإذا بها قد ماتت تلك الساعة من غير مرض، ودفنت ـ رحمة الله علينا وعليها، والسلام.

الرسالة الثانية والثمانون بعد المائة الأولى:

كرامة أخرى للشيخ رضي الله عنه.

١٨٢ ـ **ومنها:** أني كنت أشتري موضعاً بقصد الزاوية بحومة كدان هنالك أيضاً، فإذا برجل من تلك الحومة يقول لي: إن سيدي فلان يقول لك: فإن اشتريته فأنا أشفعك.

فقلت له: قل له: إن يشفعني يشفعه هو سيدنا عزرائيل ـ عليه السلام ـ وكان إذ ذاك وقت غروب الشمس، والرجل صحيح البدن

(١) هو العلامة الشيخ عبد القادر بن العربي بن عبد العزيز بوخريص الفيلالي الكاملي ـ قاضي فاس لمدة ثلاثين سنة، كان علامة مشاركاً مدرساً مطلعاً، ولد عام ثمانية عشر ومائة وألف، وتوفي سنة ١١٨٨ هجرية، ودفن قبالة سقاية الشيخ أبي غالب بحومة صريوة، ولا يعرف قبره الآن. وكانت هذه الروضة تعرف بروضة السيد عمر بن الشريف.

وكان مجلسه رضي الله عنه يحصل فيه النفع للمتعلمين، عالماً عاملاً متواضعاً يخشى الله ويتقيه. «إتحاف المطالع ـ عن موسوعة أعلام المغرب ٢٤٠٣/٧».

(٢) الحومة تطلق على الحي في المدينة أو البلدة، وأينما وردت في هذه الرسالة فهذا معناها. «معجم شمال المغرب صفحة ٦٥».

لابأس به، لقيني بالطريق حين مشيت إلى الموضع، ولقيني أيضاً حين رجعت، فما طلع الفجر حتى كان مشفوعاً عند سيدنا عزرائيل ـ عليه السلام ـ فشفعه قبل أن يشفعني كما قلنا ـ رحمة الله عليه وعلينا ـ والسلام.

الرسالة الثالثة والثمانون بعد المائة الأولى:

من كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٨٣ ـ **ومنها:** أني كنت أصلي النافلة بضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف ـ نفع الله به ـ وكنت أخاف على الفقراء من مصيبة تصيبهم من الناس، إذ كان حال البسط غالباً عليهم، والوقت وقت الغفلة والجور، وقد قلّ من يبصر الحق فيه، وإذا ببعض الفقراء قد جاء خائفاً ليعلمني بالأمر الذي كنت أخاف منه، فوجدني أقول: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1] فذهب عني الخوف، إذ كنت خائفاً غاية الخوف لكن لما وجدني أتلو الآية المذكورة ذهب الخوف وجاء الرجاء واليقين الكبير، ثم قلت له إذ ذاك: هذه قد سلكت لا بأس علينا، لكن أعد ما جرى؟ فأخبرني أن أهل قريتهم قد اتفقوا أن يكتبوا أموراً بشيعة قد صدرت من إخواننا الفقراء ـ تاب الله علينا وعليهم ـ ثم يبعثون كتابهم لقائد البلد وهو إلى السلطان، وقد كان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الحسني العلوي ـ رحمه الله ورضي عنه ـ فلم يزحزحني قوله بل سكنت واطمأننت حتى طلع النهار، وإذا بفقير آخر قد جاء خائفاً أكثر من الأول، إذ تركهم عازمين على أمرهم، وكان الفقير يشكو إلي بذلك ويقول: الناس يعملون الحرم

---

(١) سورة الحج ـ الآية ٧٨.

على أصحابهم، وأنت لم تعمل علينا شيئاً!!!، فقلت له: أي شيء تريدني أعمل؟ أو أقلب قريتكم هكذا ـ وأشرت بيدي كمن يقلب شيئاً ـ وإذا برجل قد جاء يجري من القرية بعثه أهلها إلي، بعد أن كانوا بنية العيب الكبير، فأخبرني أن رقاساً[1] قد جاء من عند الباشا عبد الصادق الريفي من طنجة إلى القائد أحمد بن ناصر العياشي بتازة ـ حرس الله تازة وطنجة وغيرهما ـ بعثه إليه بزمام خمسة عشر قنطاراً من مال السلطان المذكور، وكانت أيضاً عند الرقاس سبعون مثقالاً، فإذا به بقريتنا مجروحاً ودمه في ثوبه مصبوغاً، وزمام السلطان وماله قد انتهبا، وهو يقول لنا: أنتم فعلتم بي ما فعلتم لأني بمدشركم[2] قد اتخذت، ثم أهل القرية قد ذهب الدم من وجوههم[3] بالخوف الذي أصاب قلوبهم [فمشيت إليهم وإذا هم كما وصفت أو أكثر من ذلك، فحمدنا الله الذي كفانا شرهم][4] ووقانا قبحهم وخبثهم، والسلام.

الرسالة الرابعة والثمانون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٨٤ ـ **ومنها:** أن رجلاً من أهلي كان ذا فاقة كبيرة، وكان يحرث جناناً[5] كان بيده لبعض الناس بثيران أعطاهما له وأكد عليه أن يروحهما إلى داره ببني أحمد، والوقت وقت القائلة والرصيع، وليس معه من يعينه، وإذا بالسكة قبضتها في الأرض عروق الغابة ولم يشعر بها حتى

(١) هو الأجير الذي يعمل كساعي البريد.
(٢) أي: بقريتكم.
(٣) كناية عن شدة الخوف والرعب.
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الأولى.
(٥) جمع جنينة ـ تصغير جنة ـ وهي الحديقة أو البستان.

حرث ما شاء الله إذ كانت الأرض هشيشة ثم انتبه بعد ذلك فكان تارة يفتش عليها، وتارة يقبض الثيران من أجل الدبانة وهكذا حتى عيي وسطه، وعزَّ علي إذ كنت أنظر إليه وهو في أشد المحن، فاضطررت معه إلى السكة غاية الاضطرار، وإذا به يقول: أعمِّ العربي. . . إذا تجبر لي السكة نعطيك في الوقت علاق العنب. فقمت بحول الله وقوته وخلفت خلفة واحدة[1] ثم شبرت في التراب[2]، وإذا بالسكة بيدي كأنها كانت بيدي، مع أني كنت قبل ذلك أنظر بعيني خطاً بعد خط فلم نر شيئاً، ولما حصل الاضطرار وذهب الجهل وحضر العلم، وذهب البعد وحضر القرب، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الخامسة والثمانون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٨٥ ـ **ومنها:** أن خالتي أخت أمي قد جاءت إلي وبيدها صبية تبكي ثم قالت لي: يا أخي ما عرفنا ما بها، صدّعتنا وقدورتنا، والشكوى إلى الله ثم إليك، فرأيت أن الجهة المعظمة عند الناس فيها يقضي الله حوائجهم حتى قال بعضهم: إنها تقوم مقام الاسم الأعظم، وقد كنت عندها وعند غيرها صغيراً، وإنما وجهتها إلى الحيزة حتى جاءت إلي واشتكت لي، فقلت لها: اطرحيها بالولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف ـ نفع الله به ـ واخرجي عنها ولا تسكتيها إن سمعتيها تبكي حتى تحضر غارة الله. فامتثلت أمري وأنا أنظر إليها بعيني، ثم بعد ذلك أخذتها إلى دارنا وإذا بدودة كبيرة الخلقة خرجت من أذنها،

---

(١) أي: خطوت خطوة واحدة.

(٢) أي: أمسكت وتشبثت.

وذلك بسبب التعظيم الذي كان عندها في الولي المذكور، وسر الاضطرار، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة السادسة والثمانون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٨٦ ـ **ومنها:** أن خالتي أخت أمي كان صبي عند ولدها له من السنين أربعة أعوام، وكان كأنه لا مفاصل له، وقوته في المدة المذكورة الحليب لا غير، فاهتمت هي وغيرها من أجله غاية، إذ كان على تلك الحالة، وكان أيضاً لا يسكت من البكاء سواء حملوه أو طرحوه، فلما كان كذلك توجهوا به إلى زيارة كثير من الأولياء فلم تحصل لهم إجابة، فتوجهوا به إلينا، فسألنا الله أن يعافيه من مرضه أو يأخذه إليه، فإذا به بعد ذلك اليوم أصبح ميتاً، ففرحوا بذلك غاية الفرح، وسروا غاية السرور، والسلام.

الرسالة السابعة والثمانون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٨٧ ـ **ومنها:** أني كنت بوليمة ببني زروال إذ جاء إلي نفر من الناس ليس فيهم من يخشى الله ـ ومن كذب فعليه لعنة الله ـ ثم جلسوا وبيد كل واحد منهم قبضة مملوءة بتبغة، فقالوا لي: إن رفدت عنا(١) هذه العلة نسلِّموا لك ونخدموك، فقلت لهم: هاتوها، فمكنوني منها، ثم هرستها، وقلت لهم: اسمعوا ما أقول لكم، فقالوا: نعم، فقلت لهم: العنوا الشيطان، إذ تلك شهوة شيطانية، فلعنوه ـ لعنة الله عليه ـ

(١) أي: إن أمسكت عنا هذه العلة وهي علة التبغ.

ثم قلت لهم: توبوا إلى ربكم من كل ذنب صدر منكم، ثم قوموا بما فرض الله عليكم، واعملوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] فإذا بهم انهزموا وانكسروا، وسكتوا، ولم يتكلموا بعد أن سمّعوني قبحاً ما سمعته قط، إذ كنت عند الناس في عين التعظيم، إلا رجل قد قال لي بعد هذا: أيش عندك، في صوت المرأة عورة هو أم لا؟، إذ كانت النسوة يذكرن الله على أيدينا حينئذ جهرة، فتركت الجواب الذي يستحقه وساقوا له آخر إن شاء الله، وأجبته بقولي: المرأة تذكر الله سراً، وإذا كثر اشتياقها إلى ربها حتى غابت عن إحساسها فلا شيء عليها شرعاً، إذ هي غائبة عن إحساسها، ثم قلت له: وإذا غابت عن إحساسها تأتيك ـ إن شاء الله ـ عريانة البزازيل[2] فما بالك برفع الصوت؟، فكان ما قلت في ذلك الوقت.

واسمع ـ أيها الفقير ـ ما وقع من غير زيادة ولا نقصان: كانت امرأة تحبنا بقرية هنالك، فإذا بها غابت عن إحساسها، إذ كانت تذكر الله على الدوام، فقال رجل صالح لأهلها: اجعلوا مسماراً في النار حتى يَبْيَضّ واكووها، فإن رجعت فتبارك الله وإلا فاتركوها، ففعلوا ما قال لهم ثم إنها زادت في الغيبة عن إحساسها حتى جاءت إلينا، فانفتق الحائك عنها[3] ولم يقبضه إلا الحزام، وسقطت ابنتها من ظهرها ولم تشعر بها، حتى وصلت إلينا كما وصفنا، وجازت حين جاءت بباب دار صاحب دعوتنا حتى رآها بعينه فصدّقنا الله وكذّبه والحمد لله والشكر

(١) سورة الحشر ـ الآية ٧.

(٢) أي عريانة الثديين، مفرده: بزُول وهو الثدي.

(٣) مرّ أن الحائك هو ثوب من الصوف تلف به المرأة المغربية نفسها عند عدم لبس الجلباب، وهو يشبه الملاءة التي يلبسها سكان مصر إلا أنه أبيض اللون ومن الصوف.

لله، وقد حضر لي بكرم الله أن أقول له مجاوباً لقوله: وهل صوت النساء لا يكون عورة إلا إذا ذكرن الله، أو صلَّين على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولايكون عورة إذا تكلمن مع القوالين وزغردن عليهم في الولائم، إذ هذه عادة نسائك ونساء غيرك من أهل بلدنا، لكن تركت الانتصار لنفسي وأجبته بغيره، وذلك بحول الله وقوته، والسلام.

الرسالة الثامنة والثمانون بعد المائة الأولى:

كرامة أخرى له رضي الله عنه.

١٨٨ ـ **ومنها:** إن رجلين أخوين كلاهما كان يريد أن يتزوج امرأة من قرابتهما، فكنت أرد أحدهما عنها، إذ كان الأَولى فيها الآخر، فلم يرجع عنها، وطال الأمر بينهما في الخصومة عليها نحو السنتين، وإذا بقدرة الله وجهتني وإياهما إلى ضريح بعض الأولياء وأنا مريض من أجلها غاية المرض، إذ كانا يحباني ويتعلقا بي، ثم قلت هنالك: اللهم إن سبق في علمك أنها لهذا فأعطها إياه، وإن كانت لهذا فكذلك، ثم رميت عيني إلى السماء، وإذا بشمعة فوقنا في سقف البيت، فقمت مسرعاً إليها، وأنزلتها بحجر الذي كان متعدياً منهما من غير قصد مني بل قهراً علي وعلى أخيه، إذ كانت ربيبته، وكانت بنية ولده، وقهراً على كثير من الناس كان يخطبها كراهة في الذي أخذها، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، والسلام.

الرسالة التاسعة والثمانون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٨٩ ـ **ومنها:** أني كنت بقرية [تاير تفرح؟] ومعي أخي في الله سيدي أحمد العربي، وكلانا كان قوي الحال في ذلك الوقت إذ ذكرنا الله

هنالك، فاجتمع علينا خلق كثير حتى كان البيت مشحوناً بالطلبة والجماعة والنساء والعيال وراء المسجد، والحال قد سرى في الجميع حتى كان كل من هنالك يبكي، وإذا بأخي شقيقي كان ملازماً هنالك قال في نفسه لما رأى ما رأى إذا كان العربي أخي وأحمد العربي وليي يعطيني ربي مثقالاً من الدراهم في هذه الساعة ـ إذ كان عليه دين ـ فإذا ببعض الطلبة جاء مسافراً فمكنه منه في ذلك الوقت والله ذو الفضل العظيم، والسلام.

الرسالة التسعون بعد المائة الأولى:

من مكاشفاته رضي الله عنه.

١٩٠ ـ ومنها: إني قدمت إلى قرية من قرى بني أحمد، وإذا برجل يقول: عليك أفتش يا مولى عيني. فقلت له: مالك؟ فقال: مالي الثور مشى لي![١]. فقلت له: هل فتشت عليه أم لا؟ فقال: لي يومين والجماعة نفتش عليه فلم نجده، وكان الوقت وقت العشية، فقلت له: ابعث غداً بعض الناس إلى تحت القرية يأتوك به ـ إن شاء الله ـ فقال لي: فتشنا هنالك مراراً! فقلت له: افعل ما أمرتك به فإنك تصيبه قبل طلوع الشمس، ففعل فأتى به من مشى قبل طلوع الشمس كما قلنا، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الحادية والتسعون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته رضي الله عنه.

١٩١ ـ ومنها: أن رجلين من بني زروال أحدهما كان يخطب من الآخر فامتنع له، فتعلق بي، فمشيت إليه، فقال لي قولاً قبيحاً، بعد أن

---

(١) أي: شرد عني وضاع مني.

كان يحبني، وكان من قرابته، فرجعت وبقيت ما شاء الله، وأتيته فقال لي قولاً قبيحاً أقبح من الأول، وهكذا إلى نحو أربعة أعوام - والله أعلم - فبينما نحن كذلك إذ ورد علي وارد معنوي قوي ذو سطوة عظيمة، فقال لي: فلانة الفلانية لفلان الفلاني؛ فأتى إلي من بني عبد الله في تلك الساعة بقدرة السميع العليم؛ فأعطيته إياها وقبضت منه الحلاوة، فسمع بذلك كثير من الناس فاستعجبه، واستغربه، واستبعده، وأحرى والدها - إذ كان خرق عادة أبنت الناس للناس، والحلاوة القمح والسمن وها بعض الإخوان كان يحبها لنفسه، ووافقه بعضهم أيضاً عليها إذ كانت تحبنا في الله، ثم إن القدرة جمعتنا بثلاثة، إذ قال لي أحدهما سمعت كذا وكذا وذكر الحلاوة، فقلت له: نعم كان ذلك، فقال لي: ها والدها زاد على ما كان عليه من المنع والقبح، فقلت له: وقع مني ما وقع، إن كان ربانياً فستراه، وإن كان شيطانياً لم يكذب في الدنيا إلا أنا!!، وأما تراني أكلمه عليها كما كنت فلا، فقلت له: وأنتما متشبران عليها[1]، إن كنتما كذلك نعمل لكما هكذا ثم قبضت يده ونفضتها، وإذا بالرجل قد جاءني غداً ولما رآني رد يده وراءه، وحنى على رجلي وقبلها ثم قال لي: الله يربحك بابنتي أعطها لمن شئت، والله إن أعطيتها ليهودي حتى ندعو له بالربح، إذ كان قد سلب الإرادة التي فيها بالحال والمقال، فأخذها الرجل ودعا له بالربح، فبقيت عنده نحو أربع عشرة سنة ثم مات وتركها وهي الآن عند غيره، وكان أمر الله مفعولاً، والسلام.

الرسالة الثانية والتسعون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٩٢ - ومنها: أن بعض الإخوان كان متهماً بأمر قبيح؛ فأراد أن

(١) أي متمسكان ومتشبثان بها.

يهرب، فكرهت هروبه من أجل ثبوت الدعوة فيه بسبب هروبه[1]، فقلت له: لا تهرب أنا ضامنك والله شيء لا جرى لك، فأتي صاحب المخزن وقبض كثيراً من الجماعة وهو من جملتهم ثم أعطاهم العكاز كلهم إلا هو بعد ما مد في الأرض جاء رجل فحلف عليه بالحرام ما هو إلا رجل مسكين، فسرح بفضل الله لا بالمسكنة التي شهد له بها، ولعنة الله على من كذب، والسلام.

الرسالة الثالثة والتسعون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٩٣ ـ ومنها: إنه انبسط أيضاً ولم يرجع عن البسط بل تمادى عليه حتى كاد أن يقع في المكروهات والمحرمات، ثم كنت أقول له: ارجع يا مسكين عما أنت عليه من الحقيقة الظلمانية، فلم يرجع، بل كان يقول لي: ما هي إلا هي، يعني الحقيقة، فقلت له: والله ـ إن شاء الله ـ حتى تلوي عليك الحقيقة التي تقول في هذه الساعة حتى تخرج عيناك وتمدك بمزبلة، وتبقى تضرب فيك حتى لا ترد النفس، فكان ما قلت له بعد ذلك بأربعة أيام أو أقل ـ والله أعلم ـ إذ جاء قائد القبيلة إليه فلوى عليه كما قلت له، ومدَّه في موضع رباط خيله، وأكل حتى سمط، وبقي مريضاً ما شاء الله، فتربى بسبب ذلك، وتهنّى وتهنينا من أجله والحمد لله، والشكر لله، والسلام.

الرسالة الرابعة والتسعون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٩٤ ـ ومنها: أني كنت بجنازة ابنة لرجل من إخواننا بني زروال،

---

(١) أي حتى لا تثبت عليه الدعوى بسبب فراره.

إذ كان يحبني هو وأولاده، فإذا بكل من كان بها من الناس قد اشتغلوا بي وأنا أسمع بأذني، وأرى بعيني، إذ أقبل إذ ذاك بعض الطلبة ممن كان عند نفسه أنه من أهل الصلاح، إذ كان يزور بعض الصالحين من أهل الوقت، ويزعم أنه شيخه، و[قد] ربح على يديه، مع أنه كان له قلب قد كاد أن يتمزق جلده من شدة خبثه ـ والعياذ بالله ـ وكان يخفي ذلك غاية، ويدفع عن نفسه المحاسن إن نسبت إليه، وينسب لها القبائح على الدوام، وذلك منه لأجل أن يظن به مطموس البصيرة مثله الصلاح فقط، وكان يحبه كل من كان هنالك كراهة فيَّ لا محبة صادقة في الله، فوجدهم على حالهم، فقال إذ ذاك: هذا الذي سلط عفريته على هذه الدار فما يخلي أحداً فيها، بل كلهم يقتلهم، فسرُّوا بقوله غاية، وكان قد مات للرجل قبل البنت المذكورة ابن، وكان يحباني رحمة الله عليهما، فسكت عنه، وكنت ساكتاً عن غيره قبله، وإذا بعفريت قد سلطه الله على ابنته في ذلك الوقت، وكانت بالغة مغمورة لا تدخل ولا تخرج، فكانت تعوي كالذئب وتستغيث بي وأهل المنزل رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً يسمعونها، إذ كانت قريبة منهم، وطال الأمر بها نحو السنة ـ والله أعلم ـ، وأخبرني كثير من الجماعة أن أهلها كانوا يغلقون لها فاها بالثوب كيلا تفضحهم، فكان أمر الله غالباً عليهم، وقدرته متصرفة فيهم، والسلام.

الرسالة الخامسة والتسعون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٩٥ ـ **ومنها:** أني دخلت مسجد بني زروال مع أخي في الله سيدي محمد بن الحاج السوالي ـ رحمه الله ـ، فبينما نحن نستريح به إذ سمعنا ضحكاً وهرجاً كثيراً عند الطلبة علينا، إذ كان لنا عصا له زج

غريب، فعليه اجتمعوا وعليه ضحكوا وكلهم عفوا إلا رجل لم يشبع من الضحك حتى تسلط عليه عفريت في ذلك الوقت فكان يأمره بالوضوء والصلاة والتلاوة ويقول له: إن لم تكن على هذه الحالة على الدوام تسلط عليك على الدوام، فكان عليها، ومهما تركها صار فيه وطال ما نزل به نحو السنة ـ والله أعلم ـ ثم غاب خبره عنا، والسلام.

الرسالة السادسة والتسعون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٩٦ ـ **ومنها:** أن بعض الإخوان كان كثير الكلام مع الناس، ثم كنت أنهاه فلم ينته بل كان يقول: لا يضرني ذلك حتى غلبته ذات ليلة، لكن باطنه قد أقر واعترف إذ حصل حينئذ الفكر، وظاهره لم يرض بالغلب، فقلت له: بنفس ما رأيت الفكر رحاء باطنك تحركت، وها هي تطحن ـ ودورت بيدي كمن يطحن أربع مرات ـ فدارت رحاء بقربنا أربع مرات كما دورت بيدي من غير أن تتقدم ولا أن تتأخر، فأقرَّ حينئذ واعترف، وذلك بفضل ربي الذي بدل ضعفي بقوته، وعجزي بقدرته، والحمد لله والشكر لله، والسلام.

الرسالة السابعة والتسعون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٩٧ ـ **ومنها:** أن بعض الناس بعثني إلى أناس من قرابتي في حاجة فامتنعوا وأنفوا، فقلت لهم: إن نهرتم الدم في وجهي يخرج ذلك عليكم بموت رقبة منكم، فاحترقوا في ذلك الوقت بالبارود واحترقت ثيابهم، ثم بعد ذلك بأربعة أيام ماتت منهم رقبة كما قلنا لهم، والسلام.

الرسالة الثامنة والتسعون بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

١٩٨ ـ ومنها: أني قلت في مجلس: قال فلان الفلاني كنت أزرع في الغرب ثمانية أمداد من الشعير على الزوج[١]، فعارضني إنسان من أهل الدعوة[٢] معارضة بالغة ـ أي كذَّبني في قولي ـ ومن جملة ما قال لي: ليس عندنا من يفلح كأهل فاس، ومع ذلك لا يزرعون هذا على الزوج، ولا يقربون منه، فسكت عنه، وإذا ببعض شرفاء فاس قال: السلام عليكم، وكنا قد سكتنا من تلك الحكاية ـ فتسلط عليه بقدرة السميع العليم، وسمَّعه من القبح ما لم يسمع، ومن جملة ما قال له: تكذب وأنت بتلك الشيبة؟!!، والسلام.

الرسالة التاسعة والتسعون بعد المائة الأولى:

من مكاشفاته رضي الله عنه.

١٩٩ ـ ومنها: أن رجلاً من أهل الدعوة[٣] جاء إلى فاس فانهمرت عليه الناس علماء وفقراء وغيرهما وحتى إخواننا الفقراء زاره كثير منهم واقتدى به، وأتوا به إلى زاويتنا، فكانت عليه كالسوق، وإذا بي قد جئت من بني زروال ـ إذ كنت هنالك ـ فوجدته بها على الحالة المذكورة، فأراد الانصراف فلم نسرِّحه تلك الليلة[٤]، واعتزلت بموضع بعد العشاء بما شاء الله بنية النوم، إذ وجدت في كلي ـ بكرم الله ـ أنه

---

(١) لعله الزوج من الثيران، أقول لعل والله أعلم.
(٢) أي أهل الادعاء.
(٣) أي يدعي ما ليس فيه من الصلاح والفلاح وغير ذلك.
(٤) أي لم نأذن له بالانصراف.

إن طلع عليه النهار بفاس يموت موتة الجاهلية!!! أو يعذب عذاباً عظيماً، فأخبرت الفقراء بما وقع بعد صلاة الصبح، وإذا ببعضهم قد كان يودعه بباب المحروق، جاء فأخبرنا أنه قال لبعض الناس: إن بقيت بفاس إلى أن تطلع الشمس نموت أو تنقطع رجلي لا محالة، فتركوه، فخرج على حل الباب[1] وكان أمر الله مفعولاً، والسلام.

الرسالة المتممة المائة الثانية:

في بيان أفضيلة التجريد بشروطه لمن أرادهُ أو أقامهُ الله به.

٢٠٠ ـ ومنها: إني وجدت الشريف الفاضل الولي الواصل مولاي أحمد الطاهري يقول للفقراء: مولاي العربي يقول التجريد التجريد، واللهِ ابن عطاء الله في التنوير[2] مارجح إلا الأسباب على التجريد!!، فوافقه الأخ الصالح مولاي التهامي الركوني بأن قال له: إن الله يحب العبد المحترف [فسمعت قوليهما وتفرست فيه ثم قلت لهم بكرم الله: نعم إن الله يحب العبد المحترف][3]، لكن الحرفة الكبيرة هي ترك الحرف، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[4]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[5]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[6]، فانقطعت حجتهما وسكتا ولم يتكلما ـ رضي الله عنهما ـ والسلام.

---

(١) أي وقت فتح باب المدينة بعد الصبح.

(٢) أي كتاب التنوير في إسقاط التدبير لسيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة المغربية.

(٤) سورة الطلاق ـ الآية ٢.

(٥) سورة الطلاق ـ الآية ٤.

(٦) سورة الأعراف ـ الآية ٩٦.

الرسالة الأولى بعد المائة الثانية:

من مكاشفاته رضي الله عنه.

٢٠١ ـ ومنها: أن نفسي قالت لي: سيأتيك خبر ميت من أهلك!!!، فإذا برجل مكنني من كتاب وفيه ما قالت لي نفسي من غير زيادة ولا نقصان، والسلام.

الرسالة الثانية بعد المائة الثانية:

في وجوب حمل جميع الأمور على قدرة الله تعالى.

٢٠٢ ـ ومنها: أني اشتريت لحماً من باب السلسلة ولم تحضر لي قيمته كلها، بل بقي في ذمتي موزونتين؛ فقلت للجزار: أطلقني بالدين، فقال لي: أي وقت تخلصني؟ فحملت على نفسي فقلت له: غداً إن شاء الله، ثم تذكرت الحمل على القدرة، فقلت له: الآن نأتيك بما في ذمتي لك، فأعطاني اللحم، ثم شرعت في الانصراف عنه، وإذا برجل قد طرح بيدي موزونتين وانصرف بسرعة، فظهر لي سر الحمل على القدرة، ولو حملت على نفسي العاجزة لطال الدين في ذمتي، وقيل يبقى ديناً إلى الآخرة، والسلام.

الرسالة الثالثة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٠٣ ـ ومنها: أني احتجت إلى قريعة سلاوية[1] إذ كان العشاء عندنا

---

(١) قال في معجم شمال المغرب: القرع وهو أنواع منه: «قرع سلاوي» وهو نوع من الفاقوس الطويل.

كاملاً إلا الخضرة؛ فمضيت إليها، فلما وصلت إلى سوق الحرارين مددت يدي لنسأل قيمتها، فأعطانيها الذي سألته بعد الأول وقال لي: يا مولاي والله ما عندي إلا هذه القريعة!!، فقلت: يا مولاي ما جئت إلا إليها، سبحان من يعطي في محل الفقد، ويمنع في محل الوجد، والسلام.

الرسالة الرابعة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٠٤ ـ **ومنها:** أني كنت ماش بسوق الرصيف إلى جهة العيون، إذ لقيني رجل من قرابتي وعلى وجهه أثر الغيار الكبير، فقلت له: مالك؟ وإلى أين تريد؟ فقال: سبني فلان الفلاني، وطرشني وها أثر الطرش في وجههي[1]، وأنا داعيه إلى الحاكم، فقلت له: إن كنت صادقاً في قولك فالله ينتقم منه في هذه الساعة، فقال لي: وإن كنت كاذباً فالله ينتقم مني في هذه الساعة. فتحقق لي أن الظلم من جهة صاحب دعوته[2]، فرددته عن المشي إلى الحاكم، وقلت له: فوّض فيه أمرك إلى الله تر عجباً، فإذا بصاحب دعوته قبض في ذلك الوقت وأكل الزلاط[3]، وسجن ما شاء الله، ثم سرح، فقتل نفساً فكبله الحاكم وبعثه إلى بلد بعيدة، فسجن بها سنة كاملة، ثم سرح وكان أمر الله مفعولاً، والسلام.

الرسالة الخامسة بعد المائة الثانية:

في رؤيته رضي الله عنه لسيدنا الخضر عليه السلام.

٢٠٥ ـ **ومنها:** أن نفسي قالت لي: سيستند على ذلك العود سيدنا

---

(١) يقال: طرشه أي صفعه بيده ولطمه «معجم شمال المغرب».

(٢) أي المدعى عليه.

(٣) الزلاط: العصا الغليظة، أي ضرب بالعصا، والمادة عربية «معجم شمال المغرب».

الخضر عليه السلام، وإذا برجل مستند عليه كما قالت لي نفسي، وهو ينظر إلى نظراً جميلاً، فاستعظمته، وحصلت لي منه هيبة عظيمة، وترجح لي أنه هو ـ عليه السلام ـ فانصرف عني، ثم قمت وراءه فلم نجده، والسلام.

الرسالة السادسة بعد المائة الثانية:

في تفضيله رضي الله عنه حال التجريد لمن هو أهل له.

٢٠٦ ـ ومنها: أن طائفة من الفقراء كانت معنا ثم وقع لها مع التجريد كما وقع للذئب مع الحامض الذي لم يلحقه فقال: هو حامض، وتركه!!!![١]. فكذلك الطائفة لما لم تقدر على التجريد اشتغلت تذمه على الدوام، ولا ترافقنا بعد أن كانت [لاتفارقنا]، فكان من أمر الله أن جمعنا على طعام مع أناس آخرين، فقال رجل هنالك: والله ياسيدي لولا أني مشغول ما فارقتكم، فقلت له: كيف؟ فأعاد ما قال. فقلت: بكرم الله هذا الخطاب الذي خاطبتنا به ياسيدي خاطبنا ربنا به جميعاً، فقال لنا: وعزتي وجلالي لولا اشتغالكم ما فارقتكم. فصادف القول محله، وظهرت به الطاعة من الزلة، إذ كانت الطائفة المذكورة يمدحون الأسباب التي غفلت الناس عن ذكر الله، وتذم التجريد الذي يحصل به ذكر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والسلام.

الرسالة السابعة بعد المائة الثانية:

ومن أحواله وكراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٠٧ ـ ومنها: أن بعض الشرفاء تجرد بسبب تذكيري إياه، فكره

---

(١) أي حيث إن هذه الطائفة لما لم تجد ثمرات التجريد ولم تقدر أن تصل إلى ذاك المقام، فعلت كما فعل الذئب الذي أراد أن يقطف العنب من كرمه، ولما كان الكرم عالياً ولم يقدر أن يصل إليه، تركه وانصرف، وهو يقول: هو حامض!!.

ذلك والده غاية الكراهة، حتى كنت أخاف منه أن يقتلني، فإذا بعيد قد أقبل؛ فكره ولده أن يعيِّد على تلك الحالة، فأتى إلي وقال: عاملني لله برجوع ولدي إلى لباسه وحاله، إذ لم نستطع أن نراه كذلك، ثم قال: والله إن لم تعاملني عيد لا كان عندي وإنما تكون عندي الجنازة!!!، فمشيت معه إلى داره بقصد رده إلى حاله، فدخل يعمل الطريق[1]، وجلست أنا أذكر الله بباب الدار، وإذا برجل من قرابته يدعي الفقه والتصوف قد أقبل، فجلس بين يدي كالخصيم مع خصيمه، ثم سرح لسانه بالقبح، وأنا أذكر الله تعالى ولا أجاوبه بشيء حتى خرج الشريف بعد ذلك بما شاء الله، فوجد كلانا على حاله، فتغير حتى ظهر على وجهه أثر الغيار الكثير، بعد أن كان يكرهني ويحاربني مراراً، لكن تغير من أجل ما حل بي، والتزم أيضاً منه إذ كان ريحهما موافقاً حساً ومعنى، ثم غفل عنه وقال لي: قم يالله يا سيدي ندخل إلى الدار، فأقسم له بالله أنه لا يدخل إلا إذا دخلت أنا الأول، ويكون النظر لي لا له، فتركتهما وانصرفت، فجاء يردني صاحب الدار، فلم نرجع له بملاطفة وإحسان، فتركني ورجع، ثم إن صاحب دعوتي مرض بالحمى من حينه نحو الشهر، فعاده بعض الإخوان من الفقراء، فقال له: قل لفلان يعاملني لله بقدومه، فلم يساعدني الحال، ثم عاده مرة أخرى فقال له مثل ما قال المرة الأولى، ثم عاده المرة الثالثة فقال له: قل لفلان يعاملني لله بقدومه لأطلب منه السماحة، فلم يساعدني الحال، ثم توفي رحمة الله عليه، فسامحته لله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وحضرت جنازته ـ رحمة الله علينا وعليه وعلى جميع المسلمين ـ، والسلام.

---

(١) أي ليفسح لي طريقاً للدخول إلى داره.

الرسالة الثامنة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٠٨ ـ **ومنها:** أني كنت بفاس زمن الجوع أسأل من حانوت إلى حانوت، والحال حال العراء، والشتاء، والبرد، والطين، والجوع، والظلام، والعيال ينتظروني لقوتهم كالطيور، وإذا ببعض الشرفاء من أهل الشبعة قد تسلك علي[١]، وكان يخاصمني على السؤال، ويتبعني من حانوت إلى حانوت أينما توجهت إلى أن نزل الظلام، فحيل بيني وبينه بالليل، وصار كلانا إلى داره، فلم يشتهر الضوء في آخر الليل[٢] إلا وبعض الناس قد جاءني من عند أبيه وهو يقول: فلان صبح عليك وقال لك: عاملني لله بالفقراء لجنازة ولدي رحمة الله عليه، فحضرنا جنازته ـ رحمة الله علينا وعليه ـ والسلام.

الرسالة التاسعة بعد المائة الأولى:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٠٩ ـ **ومنها:** أني قبضت على لحيتي وأنا أضحك، ثم قلت لرجل من قرابتي: ها هي فيك!، فإذا برجل قليل الدين قلل الله مثله في المسلمين، قد ضربه بعكاز حذو أذنه حتى سقط في الأرض كأنه ميت، ولحيتي على يدي وأنا أنظر بعيني مما فعل، وكان أمر الله مفعولاً، والسلام.

---

(١) أي يتبعني ويسلك الطريق الذي أسلكه.

(٢) أي: لم يطلع الصبح إلا وقد جاءني رجل من عند والد ذاك الشريف يبلغني أنه قد توفي ويستعين بي مع بعض الفقراء لحضور جنازته وتجهيزه رحمه الله.

الرسالة العاشرة بعد المائة الثانية:

من أخلاقه رضي الله عنه.

٢١٠ ـ **ومنها:** أني طلعت إلى سوق الخميس بباب المحروق معي الفقيه الجليل سيدي محمد بن علي اللجائي[(١)] ـ رضي الله عنه ـ إذ كان من أشياخي في القرآن، وكان يحبني غاية، فجلس بطرف السوق ـ إذ كان عازباً لا حاجة له فيه ـ ومشيت أنا أشتري اللحم إذ كنت متزوجاً، فقلت لبعض الجزارين ـ وكان من أصحاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله ـ: بأي شيء تبيع لي هذا؟ فقال: تكلم. فقلت له: نعطيك ثلاثة أوجه، فقام معي قومة ـ نسأل الله السلامة ـ فسكت عنه فلم أجاوبه بشيء، فضربه إذ ذاك بعض الجزارين بِجِنْوِي[(٢)] حتى غاب جلده في فخذه، وقيل: صرح منه إلى الجهة الأخرى، وكان الفقيه المذكور يسمع ويرى ما وقع بيننا، إذ كان قريباً منا بطرف السوق، وكان ينظر إلي حين قام معي ما أنا صانع معه، هل ننتصر لنفسي أم لا؟ إذ كان يعرف تلك الحالة سمعها مني كما سمعتها من الشيخ سيدي علي ـ رضي الله عنه ـ ثم حمل الرجل في النعش إلى فاس الجديد ولم أدر ما فعل الله به، هل توفاه أو عافاه؟ وهذا أول ما وقع لي، والسلام.

الرسالة الحادية عشرة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته رضي الله عنه.

٢١١ ـ **ومنها:** أني لما انتسبت إلى الفقراء وانسلخت من أمور كنت

---

(١) الإمام الشيخ محمد بن علي اللجائي، كان أستاذاً يحفظ السبع، وله تأليف في القراءات، توفي رضي الله عنه سنة ١٢٣٠ هجرية.

(٢) أي بسكين حادة.

عليها موافقاً لكثير من الناس ولست بشيء، فكرهني أهلي وغيرهم كراهة كبيرة بسبب ذلك، إذ كنت موافقاً لهم ثم صرت مخالفاً لهم، فبينما نحن كذلك إذ وقفنا في الشتاء فسألنا الله أن يسقينا فلم يسقنا، بل طالت الوقفة، فبينما نحن أيضاً بمحضر جماعة من الأهل إذ قال لي أخي علي ـ رحمه الله ـ: الأولياء لهم كرامات، وها الزرع قد مات ـ يعني بالقائلة[1] ـ فإن كنت منهم فادع الله أن يسقينا وإلا فدع عنك حال الفقر واشتغل بقراءتك، فسكتُّ عنه ولم أجاوبه بشيء، فلم يسكت هو عني بل تسلط علي وجار علي جوراً عظيماً، فسرَّ بقوله من كان حاضراً غاية السرور، إذ كنت عندهم متلوف الرأي معمي البصيرة، حيث كنت مقصراً من جهتهم، فطال الأمر بيننا وأنا صابر، ولا يصبر على ذلك إلا من أخذ الله بيده أو قهراً عليه، ثم انكسر قلبي بعد ذلك غاية الانكسار، فخرجت عنهم من المسجد إذ كنا فيه، ثم رفعت طرفي نحو السماء فإذا بها صحية سوى سحيبة[2] صغيرة فوقنا، فقلت كما قال بعض السادات ـ رضي الله عنهم ـ: والله يارب إن لم ترحمني حتى نغضب!!!، فإذا بالسحيبة التي كانت فوقنا بارك الله فيها، نشرها الريح يمناً وشمالاً وأماماً وخلفاً، ثم نزل من المطر ما خمرنا ونحن في المسجد كما تخمر من في الخلاء، وصار داخل المسجد بالماء كخارجه ونحن فيه، الماء من فوقنا والماء من تحتنا، وذلك بفضل ربي الذي ستر عجزي بقدرته، والسلام.

الرسالة الثانية عشرة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢١٢ ـ ومنها: أن بعض الوقفة[3] أيضاً سألنا الله أن يسقينا فلم

---

(١) القايل يطلقونه على الشمس وضوئها، وأما القايلة وهي القائلة: وقت الظهيرة.

(٢) تصغير سحابة، أي لم يكن في السماء سوى سحابة صغيرة.

(٣) أي الواقفين للاستسقاء.

يسقنا، ثم قلت في نفسي: دعوتنا كبيرة، وهذا الأمر لا يصعب على أهل الله بل يهون عليهم، ثم تفرست في إخواننا الفقراء فوجدت كثيرهم مال إلى الخراب فعلمت أن [الشرر]؟ الحقيقي يظهر في الحس لا محالة، وقد ظهر فيه، ثم كتبت إلى الشيخ ليردهم عن حال الخراب إلى حال السلوك، وإذا بنفسي تحدثني بنزول الشتاء في الحين، فرددت الرسول من الطريق، وإذا بالشتاء قد نزلت والبركة قد عمَّت، والحمد لله رب العالمين، والشكر لله رب العالمين، والسلام.

الرسالة الثالثة عشرة بعد المائة الثانية:

من مكاشفاته رضي الله عنه.

٢١٣ ـ ومنها: أن أهل فاس لما جار عليهم قائدهم الجعيدي[١]، رق قلبي عليهم إذ كانوا يشكون إلي، فحدث ببالي أن نكتب إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله ـ رحمه الله ـ بمراكش، وأخبره بحالهم، فكتبت الكتاب وأردت أن أبعثه مع من يسافر هنالك كائناً من كان، وإذا بنفسي تحدثني أنه: انتقش في قلبه كل ما كتبت له، وسترى ذلك عياناً إن شاء الله، فإذا بكتاب السلطان قد جاء في الحين إلى أهل فاس، وقرىء في

---

(١) قال في تذكرة المحسنين: الرئيس الأنجد القائد الأسعد السيد عبد السلام الجعيدي، كان ـ رحمه الله ـ ذا همة عالية، وأبهة سنية، ولقد أبدأ وأعاد، ودانت له رؤساء البلاد، وأتقن المكوس، وضرب سكة الفلوس، ثم إن أهل فاس انتقضوا عليه وراموا قتله، ما عدا حومة القلقليين، أقاموا معه وأخذوا بيده، واستخلصوه من يد أهل حومة العيون وأخرجوه ليلاً، ورافقه بعضهم إلى مكناسة الزيتون حضرة أمير المؤمنين، فشد عضده، ووجهه في كتيبة من الخيل حتى دخل فاس وفتك بأعدائه وبعض من أساء إليه وعفا عن بعض، ثم بعده سار أهله، وأولاده ينتسبون لآل البيت، وأهل فاس ينكرون ذلك، والله أعلم بصحة ذلك، توفي رحمه الله سنة ١١٩٨ هجرية. «موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٢٩».

القرويين على المنبر، وأنا أسمع مع خاصتهم وعامتهم، وهو يقول لهم فيه: قلبي عليكم كالحليب بلا سبب، إنما هو أمر سماوي من عند الله - هكذا كان نصه، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الرابعة عشرة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢١٤ ـ **ومنها:** أني جلست ذات يوم على غابة مقطوعة[(١)] بأرض خالية، ثم ذكرت الاسم الجليل ﴿الله﴾ ما شاء الله، إذ وجدت بسري بعد ذلك - يا أولياء الله - ذا العجب، فإذا بخنزير كبير قد قام من تحتي وفر هارباً، إذ كان راقداً هنالك - والله أعلم - وذلك بفضل ربي الذي ضعّف بشريتي وقوّى نورانيتي حتى صرت - والله - نرى ما ليس لي به علم من غير واسطة، والله ذو الفضل العظيم، والسلام.

الرسالة الخامسة عشرة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢١٥ ـ **ومنها:** أن بعض السنين في أيام السلطان الأعظم الشريف الأكرم سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي[(٢)]، وقفنا في الشتاء وقفة كبيرة[(٣)]، فسألنا الله أن يسقينا فلم يسقنا، بل طالت القائلة

---

(١) أي غابة مقطوعة الأشجار، ويصح أن تكون بعيدة عن الناس، والمعنى الأول هو الدارج.

(٢) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل العلوي المتوفى سنة ١١١٨ هجرية، انظر ترجمته مطولاً في نشر المثاني من «موسوعة أعلام المغرب ٥/ ١٩١٠».

(٣) أي أن السنة كانت سنة جدباء لا مطر فيها.

حتى كاد أن يحصل الإياس للناس من نزول المطر في تلك السنة، فإذا ببعض إخواننا بني أحمد[1] ذبحوا على ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف ـ نفع الله به ـ إذ كانت عادتهم معه كذلك[2]، ولما أكلنا نزعنا الثياب عن رؤوسنا والنعال من أرجلنا، ثم درنا بالضريح ثلاث مرات على الحالة الموصوفة، وكنا نقول:

مـــولانـــا نـــســـعَـــوا رضـــاك وبـــبـــابـــك واقـــفـــيـــن

لا مـــن يـــرحـــمـــنـــا ســـواك يـــا أرحـــم الـــراحـــمـــيـــن

ثم رفدنا أيدينا[3] أيضاً بعد ذلك، واشتغل كل واحد يدعو ربه سراً وجهراً، وبكاء وتضرعاً، وخشوعاً واضطراراً كبيراً، فإذا بنفسي تحدثني: بأن الإجابة لا تحصل لكم إلا إذا نصرتم السلطان بقلوبكم وجوارحكم، وبأعلى أصواتكم ـ ثلاث مرات ـ إذ كان لا ينصره أحد في ذلك الوقت بل ولا يذكره قط إلا بالموت، وكان ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ قائم الحياة[4] بحضرة مراكش، فأخبرت الناس بما قالت لي نفسي، فقالوا كلهم، وقلنا معهم: الله ينصر سيدي محمد بن عبد الله ـ ثلاث مرات ـ فرحمنا ربنا في تلك الليلة بالمطر، وأقبل الخير علينا وذهب الشر عنا، ثم شاع الخبر عند كافة الناس بحياته وبقدومه إلى مكناس ـ أمنه الله من كل باس ـ فإذا هو به في الحين ـ رحمة الله علينا وعليه إلى يوم الدين ـ اللهم بارك في ذريته وذرية جده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من حيث هي إلى انقراض الدنيا، والسلام.

---

(١) بني أحمد قريب من بني زروال.

(٢) أي أنهم كانوا يذبحون لله تعالى في ذاك المكان تقرباً لله وحده، ثم يوزعون الذبيحة على الفقراء والمحاويج والمساكين من أهل المحلة، فلا تتعجل الفهم والحكم يا.....

(٣) أي رفعنا أيدينا للدعاء.

(٤) أي: مازال حياً.

الرسالة السادسة عشرة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢١٦ ـ **ومنها:** أني كنت ذات يوم بمدينة فاس ـ أمنها الله من كل باس ـ إذ قال لي بعض الناس: والله ما نعلم من صلحت نيتي فيه مثلك هنا في جميع المنسوبين والمتفوهين بالخير والشكوى إلى الله، ثم إليك، فقلت له: مالك؟ فقال لي: عندي زوجة مريضة تنتفخ وتفنزر[1] منذ سنتين، وقد أعييت من الزيارة والكتابة والطب، فقلت له: فأين مسكنك؟ فقال: بقرب ضريح مولاي إدريس ـ نفعنا الله به ـ فقلت له: زوّرها الضريح المذكور ثلاثة أيام، وتصدق كل يوم بما شاء الله من الخبز على من يجاوره من الضعفاء، فإنها تستريح ـ إن شاء الله ـ أو تموت. فقال لي: أجِّل لي، فقلت له: كيف نؤجل لك؟ والله هو الذي يبتلي وهو الذي يعافي، والعبد لا يقدر على شيء،[2] فقال: لا بد لك. فقلت له ـ معتمداً على ربي الأجل ـ: بيني وبينك ثمانية أيام، ففعل ما قلت له، لكن كان في الثمانية أيام مهما رآني قال لي: ها هي

(١) تَفْنَزَرْ: أي تسيل دماء أنفها بغير ما سبب «معجم شمال المغرب ـ ص ٤٢».

(٢) انظر رحمك الله إلى صحة عقيدته رضي الله عنه في زيارة ضريح مولاي إدريس وكذلك في سائر أضرحة الصالحين والعارفين، هم ونحن نزورهم لأن بقاعهم مكان تنزل فيه الرحمات لأنهم ـ رضي الله عنهم ـ كانوا عبيداً مخلصين لله تعالى، لم يشركوا معه هواهم ولا أحد من السوى في عبادته سبحانه، يؤكد على هذه العقيدة الصحيحه قوله بعد ذلك: «الله هو الذي يبتلي وهو الذي يعافي والعبد لا يقدر على شيء «فماذا يقول المعترض بعد هذا الكلام من هذا الإمام الهمام، ولا تظن يا أخي أن أحداً من المسلمين تختلف عقيدته عن هذا الإمام عند الزيارة لقبور الصالحين سواء كان من عوام المسلمين فضلاً عن علمائهم، فافهم رحمك الله ولا تمشِ وراء من اتبع هواه وأضله الله على علم.

انتزرت، أو: ها هي انتفخت، إذ كانت تارة تنتفخ وتارة تنتزر، حتى لم يبق إلا اليوم الآخر من الثمانية أيام، فقال لي عشية اليوم الذي قبله:ـ بالدارجة المغربية ـ «هاو معك أنا أبقى لك واحد النهور»[1]، فقلت له: فبه يقضي الله حاجتي، ثم صار كلانا إلى حاجته، فبتنا في رحمة الله، ولما طلع النهار، طلعت إلى حانوته ـ إذ كان يبيع الدقيق ـ وكنت أشتري منه، فوجدته مغلوقاً، فسألت عنه بعض جيرانه، فقال لي: عنده جنازة زوجته!! ما افتحش اليوم[2]، والله على ما نقول وكيل، ورحمته سبحانه علينا وعليها إلى يوم الدين، والسلام.

الرسالة السابعة عشرة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢١٧ ـ **ومنها:** أن بعض الناس من قبيلة الأخماس ـ أمَّنها الله من كل باس ـ قد اشتكى إلي بمرض كان عنده، وطال مرضه نحو السنتين، وكان أحد رجليه ميت[3]، فقلت له: زر الولي الذي بقربك جمعتان والثالثه زوره أيضاً واذبح دجاجة أو شاة واعمل مخفية من الطعام[4] وادفعها لعباد الله، فإن المريض يستريح أو يموت ـ إن شاء الله ـ فامتثل ما قلت له من غير زيادة ولا نقصان، ومات ـ رحمة الله عليه ـ تلك الليلة التي هي آخر يوم الزيارة، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

---

(١) أي: ها قد سمعت رأيك وكلامك ولم يبق بيننا إلا نهار واحد على الموعد الذي ضربته لنا.

(٢) أي: لم يفتح اليوم.

(٣) أي به شلل.

(٤) قال في معجم شمال المغرب: «المخفي: قصعة الأكل».

الرسالة الثامنة عشرة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢١٨ ـ ومنها: أني كنت آخر ليلة أذكر الله تعالى بضريح الولي الصالح سيدي أحمد ابن يوسف ـ نفع الله به ـ إذ سمعت منادياً ينادي باضطرار كبير، فمددت يدي إليه وجمعته إلي، وذلك وقت ندائه، ولم أدر هل هو امرأة أو رجل، إلا أني عرفت الجهة التي نادى منها ولم أعرف عينه، ثم إنه لما لم يظهر لي بعينه كذبت نفسي، ثم اشتغلت بتوبيخها، فإذا بامرأة بين يدي صبيحة ذلك اليوم من الجهة التي عرفت، وهي من حوز الولي الصالح أبو محمد الزروالي[(١)] ـ نفع الله به ـ فقلت لها: كيف أنتِ؟ فقالت: كأني معلقة في الهواء ولم ندر كيف جرى لي حتى كنت ههنا بين يديك، وقد علمت ما نزل بها قبل أن تأتيني بنحو إحدى عشرة سنة، إذ كان زوجها من أشياخي في القرآن، قرأت عليه سلكتين[(٢)] بابن كثير، وقرأت عليه قبل ذلك برواية ورش ـ رحمة الله علينا وعليه وعلى جميع المسلمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام.

الرسالة التاسعة عشرة بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢١٩ ـ ومنها: أني كنت ذات يوم أغتسل غسل جنابة بشعبة خالية

---

(١) هو الفقيه المشارك النقادة النحرير سيدي محمد بن عمرو الأغصاوي أصلاً من مدشر بن هيدور من أولاد ابن عليلو الشهير بالزروالي، لكون والده المذكور سكن بمدشر بني يادمي من بني زروال قبيلة من قبائل الهبط، شهيرة وأصلها من بربر صنهاجة، توفي رضي الله عنه سنة ١٢٢٩ هجرية، وقيل ١٢٣٠ «موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٩٢ و٢٤٩٤».

(٢) أي: ختمتين.

بقرب دارنا الكائنة بقرب ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف ـ نفع الله به ـ بربع بومعان بالقبيلة الزروالية أول هذه السنة التي هي تسع ومائتين وألف، إذ وجدت نفسي بجبل عظيم محيط بالدنيا وراء ما في علمي، وهو على لون الخضرة وليس به عمارة ولا بجواره بل بعيد من العمارة غاية البعد، وأنا في حالتي هنالك أغتسل بقرب داري من غير زيادة ولا نقصان، فتحيرت في أمري غاية، إذ وجدت نفسي في كلا الموضعين في وقت واحد وقد بعد ما بينهما غاية البعد، وعادتي أن أطول في الوضوء والغسل، ثم إني لما طالت حيرتي تفرست بعقلي في حالتي غاية الفراسة، هل هو كما وجدت أم هو حلم أو عبث؟، فصح عندي أني كنت ببني زروال، وبجبل قاف في وقت واحد، ثم طال الأمر بي هكذا حتى فرغت من الغسل وانصرفت، فحينئذ فقدت الجبل ووجدت بني زروال، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة العشرون بعد المائة الثانية:

ومن مكاشفاته رضي الله عنه.

٢٢٠ ـ **ومنها:** أني كنت ذات يوم مع بعض إخواننا الفقراء بواد تصرفت وقائلة كبيرة، فإذا برجل قد أقبل يضحك وعليه أثر الغيار، فقلت له قبل أن يصل إلينا: هذه [ارغبها وقفين!!]، فقال لي: كذلك هي، الله تعالى يخلف لي البغيلة، وأخبرني كيف جرى لها، فقلت له: سر إلى دارك وتهنًا في خاطرك، فإنها تأتيك إن شاء الله تعالى عاجلاً أينما كانت، ثم رجعت إليه بعد ثمانية أيام، ولم تكن مسروقة إنما كانت متلوفة، ولكن كانت بعيدة مسيرة نصف يوم بينها وبينه أو ما يقرب منه، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الحادية والعشرون بعد المائة الثانية:

في أن حالة الاضطرار هي من أكبر الكرامات.

٢٢١ ـ ومنها: وهي أكبر الكرائم عندي وعند غيري ـ والله أعلم ـ أني مهما اضطررت إلى حاجة ثم أدبرت عنها وأقبلت على ربي بقلبي وجوارحي أو بقلبي دون جوارحي، أو بجوارحي دون قلبي، إلا وتلك الحاجة حاضرة بين يدي بقدرة السميع العليم، هذا أغلب أحوالي، والله مطلع على أقوالي وأفعالي.

واسمعوا أيها المؤمنون ما وقع لي مع بعض الإخوان إذ كان قد أراد أن يبعث بعض الإخوان وراء بقرة برانية ظن أنها رجعت إلى بلدها، إذ كانت تسرح ولا تروح كل ليلة مع أنها كانت بولدها، فتقلقل ذات ليلة غاية، وأراد أن يتعرض لها بطريق بلدها وذلك بعد المغرب، فقلت لمن كان ماشياً من الإخوان: اجلسوا، فجلسوا. ثم قلت لهم: صلوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثلاث مرات، وقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ مثل ذلك ـ ففعلوا، فقلت لهم: سيروا إلى الشعبة الفلانية فإنها تلقاكم هنالك آتية ـ إن شاء الله ـ، وكانت الشعبة قريبة من دارنا، فمشوا إليها فوجدوها بها آتية لهم، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الثانية والعشرون بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٢٢ ـ ومنها: أني كنت مقبوض الحال غاية القبض، فزرت ضريح

الولي الصالح سيدي الحاج الشطيبي الزروالي[1] ثم أحببت أن أرى منه ما يذهب بقبضي، فإذا به ـ نفع الله به ـ قدامي وهو يقول لي: اتل لي ما تيسر من القرآن، وقد رأيته يقظة لا مناماً، ولا شك أنه كان من الأقوياء، فلذلك بادرني بالدواء ـ رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ـ والسلام.

الرسالة الثالثة والعشرون بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٢٣ ـ ومنها: أني زرت ضريح الولي الصالح سيدي أبي علي بالقبيلة اليوسية، فأحببت أن أرى منه سراً، فإذا بحمام أخضر على لون كسوته قد أقبل من جهة قبره يرفرف، حتى اتصل جناحه الأيمن بخدي الأيسر، وجناحه الأيسر بخدي الأيمن، ثم قبَّل جبهتي، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الرابعة والعشرون بعد المائة الثانية:

في بلوغه رضي الله عنه درجة القطبانية.

٢٢٤ ـ ومنها: أني كنت ذات يوم ماش بسوق الرصيف بمدينة فاس وأنا في سكر عظيم وصحو عظيم، جامعاً بينهما وقوياً فيهما القوة الكبيرة، إذ قالت لي نفسي إذ ذاك: أنت القطب، ولم يخاصمني خصيم من خصمانها في ذلك قط، فإذا برجل قد أقبل نحوي مسرعاً حتى اتصل وجهه بوجهي، فقال لي حينئذ بلسان فصيح: القطب، ثم سار وسرت ولم نلتفت إليه من أجل غنائي بربي، لكن بقيت صورته نصب عيني كأنه حاضر الآن بين يدي وأنا أنظر إليه؛ معتدل القامة، جميل الصورة،

---

(١) المتوفى سنة ٩٦٣ هجرية.

كحيل الشعر، بهي المنظر، كأني أنظر إليه الآن، ولم يقل لي: أنت القطب، إنما قال لي: القطب، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الخامسة والعشرون بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٢٥ ـ **ومنها:** أني كنت في سكر عظيم وصحو عظيم، جامعاً بينهما وقوياً فيهما القوة الكبيرة، فدخلت ذات ليلة حينئذ إلى ضريح الولي الصالح الشريف الحسني مولاي أحمد الصقلي[١] بفاس ـ نفعنا الله به ـ والوقت وقت المغرب، والمؤذن بالصومعة يؤذن، وعلي مرقعة بالية، وعلى رأسي ثلاثة شواشي باليات أيضاً، إذ كان حالي حينئذ كذلك، فحدث في سري أن أزيد شاشية رابعة، فإذا بالمؤذن قد هبط من الصومعة يجري وهو يضحك، فقلت له: هاتها!!!، والله ما أتي بها إلا لي، فمكنني منها، إذ رأى عندي أخواتها الأشقة ثلاثة، وهذا شأن أهل الصدق دائماً، كل ما برز في قلوبهم ظهر في الحس في الحين، ولعنة الله على الكاذبين، والسلام.

الرسالة السادسة والعشرون بعد المائة الثانية:

في شهادة بعض الأولياء بصدقه رضي الله عنه.

٢٢٦ ـ **ومنها:** أني نويت أن أصدق مع الله في أمره ونهيه،

---

(١) هو مولانا أحمد بن سيدي محمد الصقلي الحسيني، الشيخ الإمام العارف بالله تعالى، الشهير، صاحب الزاوية بالسبع لويات بمدينة فاس، ودفينها، توفي رضي الله عنه سنة ١١٧٧ هجرية، وقد ألف في مناقبه الشيخ التاودي بن الطالب بن سودة. «موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٣٨١».

وعقدت النية على ذلك عقدة ميتة[1] فانعقدت بفضل الله، فدخلت ذات يوم إلى ضريح الولي الصالح سيدي حنين الفاسي ـ نفعنا الله به ـ إذ كان به السابع عند أهل فاس، وهو مشحون بالناس، والداخل منهم داخل، والخارج خارج، وليس في قلبي إلا الصدق مع الله في جميع الأحوال، وكنت أقوى في بعض الأوقات في ذلك حتى يكاد أن يتمزق، فدخلت إلى الضريح كما قلت، وأنا في ملأ كبير من الناس، وأنا على الحال القوي، فبنفس ما رآني بعض المجاذيب قد أقبلت وهو ينظر إلي من ركن البيت قال: ها الصدق جا، ها الصدق جا، قالها مرتين أو ثلاثة، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة السابعة والعشرون بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٢٧ ـ **ومنها:** أني كنت مع الأخ الصالح الولي الواعظ الناصح أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله المكودي[2]، بموضع بقرب دارنا بالولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف ـ نفعنا الله به ـ وليس الموضع الذي كنا فيه بطريق سوق، وكنا به نكتب بعض رسائلنا فافتقرنا إلى الكاغد، فإذا ببعض الفقراء ساقه إلينا بغير إذننا وأتي به على غير طريق السوق بل من جهة أخرى، وأتانا به أيضاً في الوقت الذي وقفنا عليه من غير تقديم ولا تأخير، والله على مانقول وكيل، والسلام.

الرسالة الثامنة والعشرون بعد المائة الثانية:

ومن كراماته أيضاً رضي الله عنه.

٢٢٨ ـ **ومنها:** أني كنت ذات يوم بزاوية الشيخ بحومة الرميلة بفاس

(١) أي جازمة شديدة.

(٢) سبقت ترجمته في الرسالة رقم ٩٠ من هذه الرسائل المباركة.

البالي - عمره الله - نحض الفقراء على الصمت، وكنت - والله - على السكر العظيم، والصحو العظيم قوياً في الجهتين معاً قوة كبيرة في وقت واحد، وكان معنا بعض فقهاء إخواننا أهل فاس، إذ كان من جملتنا في محبة شيخنا، وفي الاقتداء به فإذا بي قلت لهم: اجعلوا الصمت من مؤكدات أورادكم ومن مختاراتها وساداتها، فضحك إذ ذاك الفقيه الفاسي استخفافاً بقولي، واستهزاء به، فقلت له إذ ذاك - بعد أن بدل الله عجزي بقدرته -: سيرْ خلك بلا صمت!!، ثم مددت على «سير، سير» مقدار ما يتلو التالي فاتحة الكتاب ثلاث مرات، وقلت ذلك في نفس واحد، فإذا بقدرة الله أخرجته مزعجاً من مدينة فاس من حينه، ثم سار من بلد إلى بلد، ومن وطن إلى وطن، إلى أن وصل مدينة استنبول، وها هو الآن بمدينة مصر - والله أعلم - أين يقف، وكان - لطف الله به - في كل بلد إلا كبيرها - أي حاكمها - وقد حبب الله إليه المخزن[1] وبغض إليه غيره، وحبب إليه الأهواء كلعب الداما والشطرنج مع الأحراس أي المخازنية، وبغض إليه ما يعنيه، بعد أن كان من أعيان طلبة العلم، وبعد أن كانت له دار وزوجة وأولاد، وجيران وأحباب، ولا حول ولا قوة إلا بالله، واشهدوا أني ندمت على ما صدر مني ورجعت عنه رجوعاً كلياً، والله يتوب علينا وعليه وعلى كل من عصاه آمين، والسلام.

الرسالة التاسعة والعشرون بعد المائة الثانية:

في الحض على موافقة السنة والكتاب في كل الأمور، ومخالفة الهوى والنفس.

٢٢٩ - ومنها: فلا نرى من صادق الصواب ووافق السنة والكتاب

(١) قال في معجم شمال المغرب: «المَخْزَنْ الحكومة «والمَخازِنِ: الموظف الحكومي»..

[كمن] طرح نفسه ولم يرفعها، وذلَّها ولم يعزها، إذ هي شرُّ أعدائنا - كما قال بعض السادات رضي الله عنهم: النفس شرُّ أعدائك، وقائد هلاكك، لا يصل إليك شيطان إلا بشهواتها، ولا تقتحم معصية إلا بجهلها، فهي كهف الظلمة، وأرض الشهوة، وخزانة الجهل، ومعدن الكسل، إن ادعت الصدق كذبت، وإن امتحنتها افتضحت، وإن قومتها اعوجت، وإن قدتها بركت، وإن سرحتها ضلت، وإن سامحتها استأمنت، ليس لها دواء إلا مخالفتها، وتسليط سوط المحاسبة عليها، وقال فيها الشيخ المجذوب:-

إذا اسلمت منك يا نفسي ... ما عندي عدو من يؤذيني

وإذا عصيتك يارب ... أين أرض تأويني

والسلام.

الرسالة الثلاثون بعد المائة الثانية:

في الحث على بعض آداب المسجد.

٢٣٠ ـ ومنها: فالهدرة[١]- أيها الفقير - والناس يصلون أو يدرسون العلم، أو يتلون القرآن العظيم، أو يذكرون الله عز وجل، أمر بشع غاية البشاعة، وقبيح غاية القبح، فالبعد منهم أو النوم أفضل من القرب منهم بألف درجة، فإذا لم تصلِّ مع المصلين، أو تتعلم العلم مع المتعلمين، أو تذكر ربك مع الذاكرين، فابعد منهم ونم مع النائمين، هذا هو الصواب، ولعنة الله على من كذب، والسلام.

---

(١) الهدرة: أي الكلام الكثير دون فائدة دينية ترجى، وغيبة الناس.

الرسالة الحادية والثلاثون بعد المائة الثانية:

نصيحة غالية لبعض مريديه رضي الله عنهم.

٢٣١ ـ ومنها: فقد أفرغ الله عليك ـ أيها الفقير ـ حلة نفيسة غاية النفاسة، فإذا بك لم تعرف قدرها فلذلك مزقتها وشتتها، حتى لم تجتمع ببعضها، فإن فهمت إشارتنا وتلويحنا فتبارك الله، وإلا فاجمع ما فرقت من أهل محبتك ونصرتك، وأصلح ما فسدت من أمرك ترى عجباً، والسلام.

الرسالة الثانية والثلاثون بعد المائة الثانية:

في التأكيد على متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

٢٣٢ ـ ومنها: فالإكسير[١] الحقيقي ـ أيها الفقير ـ الذي يقلب الأعيان حقيقة لا محالة، ويملك به الإنسان نفسه والإنس والجان، وهو ما لا يتصور في عقله ويفوز بخير الدنيا وبخير الآخرة، هو ما أتانا به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في كتابه وهو: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢]، وإن شئت قلت: هو الفطرة والنية، والمحبة، والنظافة، والقناعة، والمسكنة، والصدق، والعشق، والشوق، والتواضع، والظن الحسن، والخلق الحسن، والسخاء،

---

(١) الإكسير مستحضر طبي كحولي محلًى يستخدم لإخفاء طعم الأدوية المر، أطلق كيميائيو العصور الوسطى اسم الإكسير على مادة أسطورية يزعم أنها تحول المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة، وتعيد الشباب، وتطيل الحياة.

(٢) سورة الحشر ـ الآية ٧.

والحياء، والوفاء بالعهد، والوقوف عند الحدود، والتذلل لله، والصبر على الله[1]، والاكتفاء بالله، وتعظيم شرائع دين الله، أو نقول: متابعة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومتابعة أصحابه الكرام ـ رضي الله عنهم ـ ومتابعة الثقات الكبار من الأمة المحمدية، وهم كثيرون أحياء وأموات ـ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ـ [إلا أنهم] رضي الله عنهم لا يعرفهم إلا من وصل مقامهم أو من وقف على آثارهم، فاستدل به عليهم، ولا يعرف ذلك إلا الحاذق اللبيب من أهل العلم رضي الله عنهم، ولا يعرفهم غيره ـ كما قلنا فيما مر ـ فمن أعطاه الله هذا الإكسير الذي ليس له نظير فقد أعطاه الخير الكبير، والسر الواضح الشهير، ومن منعه إياه فلا خير فيه ولا سر له، ولا بركة له، ولا فضل له، ولا دين له، إذ هو ـ والله ـ كالجمادات أو الحيوانات ـ والله أعلم ـ.

ونرى ـ والله أعلم ـ أن العود الأخضر من حيث كان أفضل منه إذ هو يسبح الله تعالى على الدوام، ولم يتكلف بشيء، والخلي مما ذكرنا مكلف [وغير] معذور، والله يأخذ بيد كل مؤمن من الجن والإنس.

فاشرب يا أخي ـ ويا إخواني كلكم ـ هذا الماء كما شربناه، واحمدوا الله كما حمدناه، والسلام. . . ، ومن تمامه: والتسليم والتسليم والتسليم، والاستنصاف والاستنصاف والاستنصاف، والسلام.

الرسالة الثالثة والثلاثون بعد المائة الثانية:

من ثمرات مخالفة النفس.

٢٣٣ ـ ومنها: فاعلم ـ أيها الفقير ـ: أن في مخالفة النفس من

(١) أي الصبر على طاعة الله تعالى، أو الرضا بما قدر الله، يحتمل المعنيين والله أعلم.

الفوائد خرق العوائد، ويكفي فيها كل أحد حكاية النصراني ـ دمره الله ـ الذي كان لا يعمل إلا ما يثقل على نفسه، ولا يعمل قط بما يخف عليها، فأعطاه الله أمراً عظيماً بسبب مخالفتها وهو: ما مسح بيده على علة معلول من النصارى ـ دمرهم الله ـ إلا وبرىء من حينه، فشاع خبره في البلدان إلى أن وصل إلى ولي من أولياء الله تعالى، فقال ـ رضي الله عنه ـ: هذه كرامة من كرامة أولياء الله تعالى عند كافر بالله تعالى، فهذا هو المحال، وهذا هو العجب والله، حتى نسير إليه أينما كان ونسأله عن عمله ما هو؟ فذهب إليه ـ رضي الله عنه ـ وسأله، فقال له: إني لا أعمل إلا بما يثقل على نفسي ولا أعمل بما يخف عليها، فقال له: إذا كنت صادقاً في دعواك فاعرض عليها الإسلام، هل يخف عليها؟ أو يثقل عليها؟ فعرضه عليها فثقل عليها أكثر من كل ما يثقل عليها قبل، وأقرَّ واعترف بذلك للولي ـ رضي الله عنه ـ فقال له: أسلم إن كنت صادقاً فيما تقول، فلم يعده إلا أن أسلم من حينه على يديه، فوقع له ـ رحمه الله ورضي عنه ـ كما وقع لمن كان بقاع البئر فإذا هو برأس الصومعة، فضلاً من الله ونعمة، وبهذا يعرف الله تعالى وبما هو أكبر منه وأكبر وأغرب، وهذه الحكاية معلومة عند أهل العلم ـ رضي الله عنهم ـ بعدما لم تكن عندهم معلومة، وليست هي بسيدي البخاري، ولا بسيدي مسلم، ولا بغيرهما من الكتب الصحاح، ففضلها كشمس على علم، إذ لها الخير الكبير والسر الواضح الشهير.

وجرب ـ أيها الفقير ـ إذ في التجريب علم الحقائق، ومن جرب صاب، ومن كذب خاب. ومثلها قد وقع لرجل قد عاهد الله أن لا يكون إلا على مخالفة فكان عليها مدة من الزمان، ثم بعد ذلك بينما هو ذات يوم بقرب حانوت جزار، إذ رأى عنده لحماً سميناً جيداً فاشتهته نفسه ورغبت فيه غاية، فلم يعده إلا أن بادر باشترائه لها، ثم

تنبه بعد أن اشتراه وحازه لما كان عليه من ترك شهوته ومعاهدته لله على ذلك، فرمى اللحم بسرعة وذهب، فترك الجزار حانوته ولحقه، ثم قال له: إني تائب إلى الله يا ولي الله أن لا أخدم هذه الحرفة مادمت حياً، لأنه ظن أن الرجل من أولياء الله تعالى، وقد أطلعه الله عليه أنه يبيع الجيفة للمسلمين، إذ كان للجزار كبش معلوف فأصبح له ميتاً، وكان يبيعه للمسلين جيفة حرصاً على دراهمه التي دفعها فيه، ولما رأى من الرجل مارأى ظن أنه ولي الله تعالى، ومن أهل الكشف، فأقر له واعترف بذنبه، وتاب إلى ربه على يده، فربح إذ ذاك كلاهما ـ أي: الجزار والرجل الذي رمى [له] اللحم بعد أن اشتراه وحازه ـ فكانت والله مخالفة النفس سبباً في ربحهما معاً، لأن الجزار قد تاب إلى ربه من ذنبه، والرجل قد تقوى على مخالفة نفسه لما رأى من سر مخالفة نفسه، ولم يكن الرجل ـ والله ـ ولياً كما ظن الجزار إنما كان طامعاً في الولاية برياضة نفسه، وهي حكاية غريبة حسنة تقوي على مخالفة النفس التي هي لب العبادة، ولا يخالف نفسه إلا من أراد الله ربحه:ـ

وخالف النفس والشيطان واعصهما   وإن هما محضاك النصح فاتهم

وهو قول سيدي البوصيري في بردته الرفيعة القدر.

ومن أباح النفس ما تهواه   فإنما معبوده هواه

وهو قول سيدي ابن البنا في مباحثه ـ رضي الله عنه ـ؛ فإذا رأيت نفسك ـ أيها الفقير ـ أنها تحرص في شهوة من الشهوات فتنبه لها، ولا بد ولا بد ولا بد فإن كانت شيطانية أو نفسانية فبادر من حينك إلى تركها إن كنت صادقاً وإلا فأنت مخير، ولا شك أن أهل الصدق يختارون تركها عن أخذها، إذ الإخلاص في تركها لا في أخذها، وقد

يكون حظها في الترك إن كان فيه فأخذها أولى إن كانت مباحة والله أعلم، ولا شك أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس، كما قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (جئنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)[1] وقد قال هذا حين رجع من جهاد العدو ـ دمَّره الله ـ والسلام.

ومن تمامه: ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها.

ومن تمامه: لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره.

ومن تمامه: عن بعض السادات ـ رضي الله عنهم ـ أن نبياً من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تناجى مع الله تعالى، فقال: أين نجدك يارب؟ فقال له: اترك نفسك وتعالَ إلي.

الرسالة الرابعة والثلاثون بعد المائة الثانية:

في الحث على الاستخارة النبوية في كل الأمور.

٢٣٤ ـ ومنها: فإن شئت أن تجور على الوهم كما جار عليك، فاشدد يدك على سنة نبيك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مادامت حياتك واستطاعتك، وإذا أردت فعل أمر من أمورك المهمة وخشيت عاقبته

---

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر بلفظ: قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غزاة فقال عليه الصلاة والسلام: «قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال مجاهدة العبد هواه» انتهى. وقال العجلوني: والمشهور على الألسنة رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر دون باقيه ففيه اقتصار. انظر: «كشف الخفاء ١/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥».

فانهض إلى الاستخارة النبوية، وهي أن تصلي ركعتين إحداهما بفاتحة الكتاب والكافرون، والثانية بفاتحة الكتاب والإخلاص، وبسمل أول الفاتحة وأول السورة، وقل: آمين بعد «ولا الضالين» وادع الله تعالى الدعاء المعلوم في كل سجدة وهو: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضِّني به إنك على كل شيء قدير. وحين تسلِّم كرر عملك من أوله إلى آخره، سبع مرات فإن الله تعالى يحق لك الحق، ويبطل الباطل.

واعلم أني من حال شبابي إلى الآن وهي مدة تزيد على الخمسين سنة وأنا لا أقدم على أمر مهم من أمور إلا بعد تكرار الاستخارة النبوية، فما رأيت في المدة كلها إلا خيراً، والله على ما نقول وكيل. ونرى ـ والله أعلم ـ أن تكرير الاستخارة هو المناسب لمقام الغفلة إذ لكل مقام مقال، ولا شك أن هذه المذاكرة هي عندنا لعامة الفقراء لا لخاصتهم، لأن الخاصة يعلمون ما ذكرنا ولا يجهلونه، ولا بد ولا بد اعرفوا شرائع الدين ولا تجهلوها، واعتنوا بها ولا تهملوها، وراعوا حرمتها دائماً وحرمة من أتانا بها، وهو نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وراعوا حرمة من أخذها عنه وبلّغها إلينا من غير تبديل ولا تغيير، وإياكم ثم إياكم أن تسقطوا حقها، وحرمة من أتانا بها من حيث كان لئلا تسقطوا من عين الرحمن ـ والعياذ بالله ـ من السقوط من عين الله، والسلام.

الرسالة الخامسة والثلاثون بعد المائة الثانية:

من مذاكراته رضي الله عنه مع بعض الشيوخ.

٢٣٥ ـ **ومنها:** أني بت ذات ليلة وقت دخول المسلمين البريجة[(١)]، والأمير يومئذ السلطان الأعظم الشريف الأكرم أبوعبد الله سيدي محمد بن عبد الله العلوي عند رجل من قبيلة اشراقة بقرب الولي الأشهر سيدي أبي الشتاء الخمار[(٢)] ـ نفعنا الله ببركاته ـ، فوجدت عنده رجلاً مباركاً طيباً، كبير السن غاية، قد تعدى سنه مائة عام وعشرة أعوام، يقال له: الحاج مبارك برغوت السلاسي، قوّى الله مثله في الإسلام بجاه النبي ـ عليه السلام ـ، وكان ـ رحمه الله ورضي عنه ـ أول من عرف الشيخ الجليل الشريف الأصيل ولي الله تعالى مولاي التهامي بن محمد العلمي بوزان[(٣)] ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ فكان كلانا ببيت واحد إلا أن الرجل المبارك الطيب قد جعل له رب البيت موضعاً مرتفعاً، وفراشاً حسناً، ومصباحاً ضاوياً وأنا تحته على التراب من غير فراش!!!، فتوضأت وصليت فرضي، واشتغلت في ذكر الله في سبحتي ساعة زمانية، فرد لي باله الرجل المبارك، وصرف كليته فيّ، فاشتغلت بشغلي ولم ألتفت إليه، فقوي ما به وبدأني بالكلام، فقصرت من الكلام معه حتى بحثني عن مسائل عديدة فأجبته حينئذ عن كل مسألة سألني عنها جواباً حسناً، قصيراً مفيداً، فكثر كلامه معي إلى أن وجه لي ضربة جيدة

---

(١) وكان اسمها القديم هو برج الشيخ تم تحريرها عام ١١٨٢هـ على يد سيدي محمد بن عبد الله انظر: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ـ عبد العزيز بن عبد الله ٤/ ٢٣٤.

(٢) سبقت ترجمته في مقدمة هذه الرسائل المباركة.

(٣) مرت ترجمته في المقدمة.

فيه، فقلت له إذ ذاك: إذاً يعملوا برأي شيوخ هذا الوقت، يطلقون البرّاحة[1] في الأسواق يقولون: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، سيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ اسمعوا ياعباد الله وما تسمعون إلا خيراً: كل من أخذ عنا منكم ورداً، أو اتخذنا منكم شيوخاً فنحن برآء من ذلك لأننا ما استطعنا خلاص أنفسنا من الهوى، فأحرى أن نستطيع خلاص غيرنا منه!!، فقام الرجل المبارك من موضعه بسرعة، وأقسم بالله لاجلستَ جلستي إلا أنت، وجلس هو بموضعي بالتراب فامتثلت أمره حتى سكن روعه، ورددته إلى موضعه، لكن بعد أن فرش لي موضعه واستعذر لي كثيراً، ونادى إذ ذاك رب البيت الذي نحن عنده، وكان يحبنا ونحبه، ويصلنا ونصله، ويكرمنا ونكرمه، ويعظمنا ونعظمه، لأنه كان له ولد أخ كأنه ولده، وكان له رزق واسع وليست له ذرية إلا ولد أخيه المذكور، قد قرأ على أخينا قراءة ورش، وقراءة قالون، وقراءة ابن كثير، كما ينبغي، وكما يحب ويرضى هو وأهله وأهل محبته، وقرأ علينا قراءة البصري كذلك، إلا أنه مع محبته إيانا لم تبلغ درجتنا عنده درجة الرجل المبارك، ولما ناداه قال له: اركب واذهب إلى العطار اين ما وجدته، وكان الوقت وقت العشاء، وأتني بالكاغد[2] من عنده، ولا بد ولا بد، فذهب ـ رحمه الله ـ بسرعة وأتاه به من حينه، فبات ـ رحمه الله ـ يكتب كل ما سمع مني لأنه عرف كل ماقلت له حقاً، وليس هو بباطل، لأن شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ـ كادوا أن يكونوا أنبياء أو أولاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام، والجهال اليوم وغير اليوم يحكمون برأي أنفسهم، فيجعلون العامة خاصة، والخاصة عامة[3]، ومن كذب فعليه لعنة الله.

(١) البرّاح: المنادي في السوق «معجم شمال المغرب».

(٢) الكاغد: ورق الكتابة.

(٣) وذلك لانطماس بصيرتهم واغترارهم بالقشور والظواهر من القول والعمل.

وياليت سيدي الحاج ميمون المعسكري أن يسمع هذا، ويتفرس في نفسه أين هو منه، ويستنصفها للحق، إذ الحق أحق أن يتبع، والسلام.

الرسالة السادسة والثلاثون بعد المائة الثانية:

في الحث على الإقبال على الله والإعراض عن كل شيء دونه.

٢٣٦ ـ ومنها: أن رجلاً بدوياً من سكان مدينة فاس ـ دفع الله عن أهلها كل باس ـ قد كبر لنا على ثورين كانا عندنا بقصد زيارة الشيخ أبي الحسن سيدي علي ـ رضي الله عنه ـ وكنا قد اشترينا أحدهما من عرب ثارت كانوا بزينون المطروح بالقبيلة الوريافلية ـ دفع الله عنها كل بلية ـ، والآخر من أناس من قبيلة كانوا يبيعونه بفاس البالي ـ عمره الله ـ فلم يتيسر لهم بيعه ثم ردوه، فسألناهم عنه حين لقيناهم بأجنة لمطة، فأخبرونا بأمره، فاشتريناه منهم، ومع هذا فلم يقبل عذرنا من كبر لنا عليهم بل بقي ينازعنا [فيهما] نحو الثلاثة أيام حتى كدرنا كدراً كبيراً، إذ كنا جماعة، والشيخ سيدي علي متحير في أمرنا ـ رضي الله عنه ـ، ثم بعد الثلاثة أيام ألهمني الله تبارك وتعالى فضلاً منه ونعمة أن قلت للرجل الذي ينازعنا: ساعدني لله فيما أقول لك، فقال لي: قل ما شئت، فقلت له: اذهب فتوضأ وصلِّ ركعتين، وصلِّ على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عشر مرات، وارجع إلينا، وحينئذ يكون إن شاء الله خيراً بيننا، فذهب وفعل ما قلت له ورجع إلينا، وقال لنا: إني رجعت من الشك إلى اليقين، ليس الثورين [أي: الثوران] لي، فهذا ـ يا إخواني ـ سر الرجوع إلى الله في الأمور الكبيرة والصغيرة، وهذا سر الانحياش إليه، ومنه عرفت ما أقول لكم وما أنا قائله لكم، وهو: كل واحد واحد من الناس يحتاج إلى أشياء عديدة وهم في الحقيقة كلهم إنما هم محتاجون إلى شيء واحد وهو الاقبال على الله، والإعراض عن

كل شيء دونه. ومن هذا عرف الشيخ الجليل سيدي التستري ما أجاب به مريده الذي قال له: يا أستاذ... القوت؟ فقال له: الله. فسكت المريد ساعة ثم قال: لا بد من القوت. فقال الشيخ التستري: لا بد من الله. فمن عرف هذا منكم يا إخواني ولم يجهله، فليذهب عني، ولا بد ولا بد، ومن لا فليشد يده علينا ولا يفارقنا إلى أن يموت أو نموت، والسلام.

الرسالة السابعة والثلاثون بعد المائة الثانية:

من أعظم المصايب تضييع العمر في غير ما أمر الله تعالى.

٢٣٧ ـ ومنها: اعلم ـ يا أخي ـ أني سمعت الشيخ الجليل أستاذنا أبا الحسن سيدي علي الجمل ـ رضي الله عنه ـ يقول: الناس يقولون: حتى مصيبة ما كانت مثل فقد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الأرض، ومثل خلاء جزيرة الأندلس ـ إذ كانت بلد العلم ـ.

وأنا أقول ـ يا مولاي التهامي بن مولاي الطيب، المستوطن بالسليمانية بقصبة شراغنة ـ: أكبر المصائب كلها أن يضيع الإنسان عمره في غير ما أمره به ربه. فتنبه يا سيدي ما أنت عليه من أوله إلى آخره، فإن كان ما يعنيك وما يعود خيره في الدارين عليك فاحمد الله تعالى واشكره، وإلا فكن على ما أمرك الله متمسكاً دائماً بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذ كل من أقبل على الله وأعرض عن هواه فهو ولي الله، ومن كذب فعليه لعنة الله، والسلام.

الرسالة الثامنة والثلاثون بعد المائة الثانية:

في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٣٨ ـ ومنها: أني قلت لبعض الناس ـ إذ قال لي: قد صعب

علي جواز عتبة أمامي ـ فقلت له: إن صليت على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جزت ـ والله ـ تسعين عتبة ولم تشعر بجوازها، وجزت الصراط طرفة عين ولم تشعر بجوازه. فلم يسمع كلامي، إنما كان يتكلم على العتبة ولم يسكت، فقلت إذ ذاك: انسَ ـ يا أخي ـ نفسك بربك ترَ عجباً، ولا تنس ربك بنفسك فتموت غماً وهماً وجيفة، أي: ناسياً ربك ـ والعياذ بالله ـ من نسيان الرب ـ سبحانه ـ والسلام.

الرسالة التاسعة والثلاثون بعد المائة الثانية:

في أن الإقبال على الله تعالى هو سبب السرور وحصول الخيرات.

٢٣٩ ـ ومنها: أني قلت لبعض الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ: أصل السرور والخيرات من حيث هي الإقبال على الله، والانحياش إليه دائماً، كما أن أصل الهموم والغموم والأكدار من حيث هي، والخسران من حيث كان: الغفلة عن الله والإعراض عنه ـ والعياذ بالله ـ، ولو تنبه الإنسان فأقبل على مولاه وأعرض عن هواه لكان له ما كان لأولياء الله من مواهب الله، ومن كذب فعليه لعنة الله، ولا بد ولا بد ردوا بالكم مما قلت لكم وكونوا عليه، والله يوفقنا وإياكم، والسلام.

الرسالة الأربعون بعد المائة الثانية:

في الحث على الإكثار من ذكر الله عند كل شدة.

٢٤٠ ـ ومنها: أني قلت لبعض الإخوان أيضاً ـ رضي الله عنهم ـ إذا اتخبل ريحك[١] وضاق حالك، واشتد أمرك، فاترك الخوض عنك[٢]، وصلِّ على نبيك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما شاء الله،

---

(١) أي: تشوش عقلك واحترت في أمرك.

(٢) أي: لا تخض فيه وسلِّم الأمر لصاحب الأمر سبحانه وتعالى.

واتل ما تيسر من القرآن ماشاء الله، ومن الهيللة ماشاء الله، وصلِّ ركيعات، وكن هكذا دائماً مهما أصابك ترَ عجباً، والسلام.

الرسالة الحادية والأربعون بعد المائة الثانية:

في بيان فضيلة التواضع والحث على التحلي به.

٢٤١ ـ ومنها: اعلم يا سيدي ـ علمك الله خيراً ـ أن الماء الذي يجري دائماً إلى أسفل تواضعاً لله تعالى رفعه الله تعالى، فجعل منه كل شيء حي، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[١]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[٢]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾[٣] كذلك ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ الآية[٤]، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾[٥]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[٦]، إلى غير هذا. فادنُ يا أخي ولا تعلو لأن كل من تواضع لله رفعه، وهضم النفس شأن أهل العلم والدين فكن عليه دائماً ترَ عجباً، والسلام.

---

(١) سورة الأنبياء ـ الآية ٣٠.

(٢) سورة الفرقان ـ الآية ٥٤.

(٣) سورة فاطر ـ الآية ٢٧.

(٤) سورة الزمر ـ الآية ٢١.

(٥) سورة الرعد ـ الآية ١٧.

(٦) سورة النور ـ الآية ٤٥.

الرسالة الثانية والأربعون بعد المائة الثانية:

في بيان حقيقة التصوف.

٢٤٢ ـ ومنها: أني قلت لبعض الإخوان: التصوف فيما نرى ـ والله أعلم ـ حفظ شرائع الدين، وسلب الإرادة لرب العالمين، وحسن الخلق مع المسلمين، وأما رفض الدنيا فأمر واضح، لأن حبها رأس كل خطيئة وبلية كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1]، فاعرفوا ـ يا إخواني ـ شرائع الدين التي أتانا بها رسول رب العالمين ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا تجهلوها، واعتنوا بها ولا تهملوها، إذ هي الإكسير الحقيقي الذي يقلب الأعيان حقيقة لا محالة، ويملك به الإنسان نفسه والجان والإنس والوجود بأسره، وخير الدنيا وخير الآخرة، واسلبوا أيضاً الإرادة لربكم فيما يقضي عليكم، ولا تختاروا إلا ما اختار لكم، لأن سلب الإرادة لله هو الخصوصية الكبيرة، والخصوصية الكبيرة ليس فوقها إلا مرتبة النبوة، إذ لا شك أن نهاية الولي ـ رضي الله عنه ـ هي بداية النبي ـ عليه السلام ـ والله أعلم.

واسمعوا قول من سلب الإرادة لربه ولم يختر إلا ما اختاره له، أو يحب إلا ما أحب له. قيل للإمام سيدنا عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ: ما تشتهي؟ قال: ما يقضي الله.

وقال سيدي أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد ـ رضي الله عنهما ـ: لي أربعون سنة أشتهي أن أشتهي لأترك ما أشتهي فلا أجد ما أشتهي!!!.

---

(١) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، رواه البيهقي في شعب الإيمان بإسناد إلى الحسن البصري رفعه مرسلاً.

وقيل لسيدي أبي جيدة الفاسي[1] الذي ببني مسافر ـ رضي الله عنه ـ وكان حينئذ بباب جنان[2] لبعض الناس: ادع الله أن يسقينا، فدق باب الجنان بسرعة، فقال الرباع: من؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ اسق الجنان، فقال الرباع: أي شيء أدخلك فيه يا هذا الفضولي؟ الجنان هو لمولاه لا لك، ومولاه أدرى به، فقال سيدي أبو جيدة ـ رضي الله عنه ـ اسمع ما يقول لك.

وقيل لبعض المتأخرين من بلدنا هذه وهي بلد بني زروال، وكان ـ رضي الله عنه ـ مجذوباً ويقال له سيدي ابراهيم الجنتي: اطلب معنا الغيث، فقال ـ رضي الله عنه ـ: [بالعامية] «كنا عبيد نبقو عبيد، والله يفعل ما يريد».

وقال بعضهم: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته. إلى غير هذا مما نعلم ولا نعلم إلا قليلاً، ولو علمت ما علمت لأن في القرآن العظيم خطاباً للنبي الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3] اللهم اجعلنا ومن لاذ بنا من حزب الله بجاه مولاي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

ونؤكد على كافة أهل محبتنا المكتوب إليهم وغيرهم، أن يقفوا عليه حرفاً حرفاً، حتى يكون عندهم نصب أعينهم، ولا نخاف على من جاد الله عليه بخصلتين؛ إحداهما أن يكون دائماً متنبهاً متفطناً لئلا يفوته

(١) هو العارف بالله تعالى أبو جيدة بن أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد القادر الفاسي الفهري، من العلماء المشاركين، توفي ـ رضي الله عنه سنة ١١٨٨ هجرية ودفن بزاوية جده بالقلقليين.

(٢) يطلقونه على كل مكان مزروع فيه الأشجار وخال من الورد والأزهار، فإذا كانت فيه هذه سمي رياط «الرياض» بمعنى الروض. (انظر: معجم شمال المغرب ص ٥٠).

(٣) سورة الإسراء ـ الآية ٨٥.

ما لم يفت غيره من الخير والرجولة. والثانية: أن يكون مهما غفل عن ذكر الله رجع إلى ذكر الله، أو مهما عصى الله تاب من حينه إلى الله، إذ: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[1] كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونؤكد عليكم أن تعتنوا بالاستبراء وبالنظافة، والمواظبة على الوضوء، وقد نبهتكم لما أقول لكم مراراً متعددة، ولم أدر هل تنبهتم له؟، أو قولنا لكم كالريح الذي ضرب وطرح؟[2].

وأوصيكم بالخلق الكريم إذ هو الدين عند أهل الدين، ولعنة الله على الكاذبين، وأوصيكم أيضاً بالحذر من الأسباب التي تؤدي إلى السقوط من عين الله ـ والعياذ بالله ـ وعلامة من سقط من عين الله خلو قلبه من تعظيم شرائع دين الله، أو نقول: حرمات الله، والله يأخذ بيدنا وبيدكم وبيد المسلمين أجمعين آمين، والسلام.

الرسالة الثالثة والأربعون بعد المائة الثانية:

في التحذير من الوسواس وعلاجه.

٢٤٣ ـ ومنها: أن بعض المحبات ـ كثّرهنّ الله ـ قد تسلط عليها الوسواس أعواماً عديدة، وجار عليها جوراً كبيراً حتى كانت في بعض الأوقات تكاد أن تقطع الكلام لشدة همومها وغمومها فكنت أذكّرها وأحذّرها من الإصغاء إلى حديث نفسها في المدة كلها، فإذا بولد لها كتب إليّ في شأنها كتاباً، فأجبته بقول: والله ما عند والدتك فلانة إلا خيراً، ولا عندها شر، إلا أنها تصغي لكلام ما يرد عليها من الأوهام،

(١) مر تخريجه في الرسالة الخامسة والستين من هذه الرسائل المباركة.

(٢) كناية عن عدم التأثر والاعتناء والاهتمام بالكلام واعتباره كالريح يدخل من الباب ويخرج من الشباك كما يقولون.

والوهم باطل، وقد نبهناها، وذكّرناها وحذّرناها منه غاية جهدنا، ومن جملة ما قلنا لها: إنه كان يتسلط علينا ويصور لنا المحال، فيقول لنا: انظروا إلى السماء فإنها ينزل منها سهام من نار فيحرقكم من أعلاكم إلى أسفلكم، فننظر إلى السماء فإذا بها ما قال لنا هابطاً علينا كما حدثنا، وهكذا حتى كم من مرة يضيق صدري غاية الضيق، ونهتم غاية الاهتمام، ونغتم كذلك، فنذهب إلى الخلاء بقصد أن نقتل نفسي - والله على ما نقول وكيل -، ثم قلت بعد ذلك: لا يفيدني إلا أن نسلب الإرادة لربي في نفسي يفعل بها ما يريد، يسعدها أو يشقيها، واجتنبت العزلة غاية الاجتناب، وفررت منها غاية الفرار، ثم كنت أخالط الناس ولاأفارقهم، وأتكلم معهم ولا أسكت عنهم، مدة من الزمان، فنسيت تلك الوساوس - بفضل الله - غاية النسيان، وذهب عني كل باس، أي غابت عني تلك الصور المحالية التي كان يصور لي الوهم، وذهبت بالكلية، ولم يبق لها أثر، وكنت لا أزيد على ما فرض الله علي من العبادة المفروضة والمؤكدة، فظهر لي فضل كبير، وسر واضح شهير، والسبب فيه أني سلبت الإرادة لربي في نفسي، يفعل بها ما يريد، يسعدها أو يشقيها، يرحمها أو يعذبها، يقربها أو يبعدها، يدخلها الجنة أو يدخلها النار، فاسترحت مما أصابني، وسررت - والله - غاية السرور، والحمد لله والشكر لله، ولا شك أن الوساوس إنما تكثر على صاحبها وقت عزلته وصحته، ومولاتنا آمنة[1] إن كانت كما كنت يذهب ما بها، ولعن الله من كذب عليها، ولا شك أيضاً أن الوسواس لا يتسلط إلا على الأخيار من الناس، واسمع ما وقع للشيخ الشاذلي، قال - رضي الله عنه -: قرأت ليلة من الليالي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ

---

(١) وهي الموجه لها الخطاب في هذه الرسالة.

ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ فقيل لي: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك، ينسيك ألطافه الحسنة، ويذكرك أفعالك السيئة، ويقلل لك ذات اليمين، ويكثر لك ذات الشمال[1]، ليعدل بك عن حسن الظن بالله وبرسوله إلى سوء الظن بالله ورسوله، فاحذر هذا الباب فقد أُخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد، وأهل الجد والاجتهاد، انتهى.

وهو عند الشيخ ابن عباد عند قول ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ: «من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة ومن عبر من إحسان بساط الله لم يصمت إذا أساء»[2].

وقال الشيخ الجليل سيدي أحمد بن أبي الحواري: شكوت إلى الشيخ الجليل أبي سليمان الداراني ـ رضي الله عنه ـ الوسواس، فقال: إذا أردت أن ينقطع عنك فأي وقت أحسست به فافرح، فإنك إذا فرحت به انقطع عنك، لأنه لا شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن، وإن اغتممت به زادك. قلت: وهذا مما يؤيد ما قاله بعض الأئمة أن الوسواس إنما يبتلى به من كمل إيمانه، فإن اللص لا يقصد بيتاً خرباً، انتهى من الجواهر الحسان، والسلام.

الرسالة الرابعة والأربعون بعد المائة الثانية:

في الحث على إحياء هذه الطريقة المنيفة والاعتناء بأهلها.

٢٤٤ ـ ومنها: فأحيوا طريق القوم ـ رضي الله عنهم ـ ليحييكم

---

(١) أي يقلل لك الحسنات ويكثر السيئات ليؤيسك من رحمة الله، ويبعدك عن حسن الظن به تعالى.

(٢) الحكمة رقم ١٧٦.

الله، واسلكوها بالعلم ليطويها لكم الله. وأوصيكم أن يكون عندكم يومَ ورود أهلها عليكم يومُ عيد، ويوم غنيمة، ويوم مبارك، ويوم سعيد، إذ جاء في الحديث الشريف: (من نظر في وجه أخ له على غِبّ أفضل ممن اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة)(١) فلا يعمل أحدكم فيه عملاً سوى الصلاة والتلاوة، والذكر والمذاكرة، وما يقرب من الله تعالى، بعد تنزيلكم إياهم بمنزل طيب، زاوية كان أو غيرها، وبِعَدِّ(٢) الفراش لهم، والإطعام لهم من غير كلفة منكم لهم، كما أمر الله، إذ قال سبحانه تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾(٣). وكما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف)(٤) وضيف ربي من حيث كان لا يكرمه إلا من أكرمه الله، أو نقول: لا يكرمه إلا الكريم على الله، وأما من ليس بكريم على الله فلا يعبأ به، ولا يحب أن يراه، ـ والعياذ بالله ـ. ومن لا طاقة له بشيء مما ذكرنا فليسق الماء، ويشعل المصباح، وينظف المنزل، ويربط البهائم إن كانوا، ويطلقهم ويعلفهم ويحتش لهم، ويعش عليهم، ويفرش الريحان وهو أمر حسن، وهذا كله محبة في الله وانحياشاً وتقرباً إليه، فهذا ما يسر الله من الوصايا في هذا الباب، والله سبحانه الموفق للصواب، فكونوا عليه ولا تكونوا على غيره، والله يعينكم ويؤيدكم آمين، والسلام.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ فيما لدي من مصادر، وله شاهد يؤيد معناه وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من نظر إلى أخيه نظر ود غفر الله له» رواه الحكيم الترمذي عن ابن عمرو «انظر الكشف ٢/ ٢٨٣».

(٢) أي إعداد الفراش لهم.

(٣) سورة الطلاق ـ الآية ٧.

(٤) مر تخريجه في الرسالة ١٢٣ من هذه الرسائل المباركة.

الرسالة الخامسة والأربعون بعد المائة الثانية:

في الحث على الإعراض عن الهوى والناس والاعتناء بفرائض الدين.

٢٤٥ ـ ومنها: فليبشر بخير كبير، وسر واضح شهير كل من تنبه واعتنى فأعرض عن هواه وأقبل على مولاه إذ هو ولي الله، ومن كذب فعليه لعنة الله، أو نقول: فليبشر بخير كل من تنبه فعلم أن الصلاة عماد الدين وأول ما فرض الله على عباده، وأول ما يسألهم عنه يوم القيامة، ولا تصح بدون الوضوء، وطهارة البدن واللباس والمكان وستر العورة واستقبال القبلة، كما أن الوضوء لا يصح بعد قضاء الحاجة إلا بعد الاستبراء، ولا نرى من يحصله إلا ما شاء الله من الناس، كما نشاهد أهل الحواضر وأهل البوادي، ومن شاء أن يشاهد ما نشاهد فليتنبه إليهم فإنه يشاهد ما نشاهد.

لكن يا إخواني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ـ كما أمر الله ـ إذ قال سبحانه تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾(١) الآية، كما يبشر بشر من أسكرته الغفلة فاستمر على سكره ولم يشعر بما هو عليه من الغفلة عن ربه، أو نقول: من تضييعه دينه حتى جاءه ملك الموت فقبض روحه وذهب إلى الله وهو غير تائب ـ والعياذ بالله ـ خلّصنا الله جميعاً من العصيان بجاه النبي العدنان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تسليماً، والسلام.

(١) سورة المائدة ـ الآية ١٠٥.

الرسالة السادسة والأربعون بعد المائة الثانية:

(وهي رسالة هامة) تحتوي على مجموعة وصايا نافعة لحصول الخير في الدارين، كما تتضمن فهرست شيوخه رضي الله عنه وعنهم، وبعضاً من أحوالهم وسيرهم.... وفوائد أخرى.

٢٤٦ ـ ومنها: أني قلت لبعض الإخوان فيما مضى: صلينا كثيراً، وصمنا كثيراً وذكرنا الله كثيراً، وصلينا على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كثيراً، وعملنا ما استطعنا، فلم تحصل لنا ثمرة عملنا كما حصلت لغيرنا قديماً وحديثاً، حتى تنبهنا للمرض الباطني الذي هو حب الدنيا، أو تعلق القلب بها، والخوض دائماً في أمورها، فتركنا ذلك وأعرضنا عنه، واجتنبناه بتوفيق من الله، فحصل لنا من الخير ما حصل لغيرنا، والحمد لله والشكر لله، ثم رأينا الآن مثل ذلك لمن حضر من أهل محبتنا والاقتداء بنا، وهو فليبشر بخير كل من تنبه واعتنى فواظب على قيام سويعة قبل الفجر عبودية لله تعالى، إذ لا يخيب من تعبد له حينئذ، لأن قيام ذلك الوقت يثقل على النفوس غاية، وما يثقل على النفوس هو الحق، وهو الأفضل من الأعمال، وليكن اعتماده على ربه لا على عمله، و: «من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل»[١] كما قال الشيخ الأعظم في تأليفه الحكم سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ.

قلت: لا شك أن أبواب السعادة كثيرة إذ هي شرائع الدين التي أتانا بها رسول رب العالمين ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيا سعد ويا بشرى من علمها ولم يجهلها، وقام بها ولم يهملها، ومن جملة أبوابها

---

(١) الحكمة الأولى من الحكم العطائية.

التي ربح منها ما لا يحصى كثرة من الخلق ـ ونحن والمنة لله ممن ربح منها ـ زيارة أولياء الله تعالى ـ رضي الله عنهم ـ فإني زرت الشريف المنيف العلمي ولي الله تعالى أبا عبد الله تعالى سيدي محمد بن علي بن ريسون[1] بتازروت بجبل الأعلام في حال صغري من قبيلة بني زروال سبع مرات، ومن مدينة فاس مرة أو مرتين ـ والله أعلم ـ، وكان ـ رضي الله عنه ـ دائم السكر، وقل ما يصحب سكره صحواً، فإذا ببعض الزيارة زرته مع جماعة كبيرة من أهل القرآن العظيم ـ رضي الله عنهم ـ فأعطاني خبزتين مسخونتين[2] سمناً خصني بهما من دون الجماعة التي كنت معها، ولم أدر هل كانتا عنده أو همته العلية أتته بهما من جهة أخرى؟ إذ لا يبعد ذلك على أولياء الله تعالى ـ رضي الله عنهم ـ فاستبشرت بذلك كثيراً، واستبشر به كل من يحبني. ومرة أخرى زرته مع جماعة من فاس، فدعا لي بخير، وكان على حال كبير من الجذب، تارة يتلو سورة يس، وتارة سورة طه، وتارة يذكر الحلية[3] ويرقص وتارة يبكي، وتارة يضحك، وكنا جميعاً نساعده في كل ما يصدر منه، فإذا به دفع إلي مقلقاً فضربني بيده اليمنى على كتفي اليسرى وقال لي: الله يقويك، ثم كرر فعله المذكور ثلاث مرات، ولما ودعنا دفعني بيديه المباركتين ثم قال لي: سر أعطيناك الكبيرة!!!، فاستبشرت بذلك كثيراً أيضاً، واستبشر به كل من يحبني، وهو شيخنا وسيدنا ومولانا كالشيخ المربي أبي الحسن سيدي علي الجمل ـ رضي الله عنه ـ.

وزرت أيضاً الشيخ الجليل الشريف الأصيل ولي الله تعالى مولانا

---

(١) سبقت ترجمته في مقدمة هذه الرسائل المباركة.

(٢) في النسخة المشرقية مشحونتين، ولعل المراد مملوءتين. وإن كان مسخونتين فيكون المراد أنهما حارتان.

(٣) لعل المراد أنه يقرأ كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني.

الطيب بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم الحسني العلمي، مثل العدد الذي زرت ابن عمه سيدي محمد بن ريسون ـ رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ـ فدعا لي بخير بعد أن جعل يده المباركة على جهتي وتلا ما شاء الله من القرآن العظيم سراً، وكنت قد جعلت في حجره لوحتين صغيرتين مكتوب فيهما النصف الأول من: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾(١) فأعطانيهما بعد ما فعل ما فعل من الدعاء لي والقراءة على جبهتي، فاستبشرت بذلك كثيراً، وكنت قبل ذلك قليل الحفظ، ففتح الله بصيرتي فتحاً كبيراً ببركاته، حتى تنبه إلي كل من كان يعرفني من الناس، والحمد لله والشكر لله.

وكنت أعرف ولي الله تعالى أبا عبد الله سيدي محمد بن هارون الأغزاوي، وأحبه وأجلُّه وأجالسه، ولا أحب مفارقته، وكان حينئذ يستقر تارة بتازة، وتارة بقبيلته، وقد حج ثلاث حجات كما وعده شيخه ولي الله تعالى سيدي محمد بن هارون الزجلي، وكان رضي الله عنه من المجاذيب الكبار، دائم السكر، لا يصحب سكره صحواً إلا نادراً كولي الله تعالى سيدي محمد بن ريسون، ومات رحمه الله شهيداً كما وعده شيخه ابن هارون، إذ كان قد قال له: أنت تحج ثلاث حجات ثم تموت شهيداً، فلما جاء من حجه الأخير، ووصل إلى وادي ورغة، غرق والله بمشرع الرخم وقت حصاد الزرع، ولم أدرِ أي عام كان ذلك، إلا أنه بعد دخول البريجة بسنة أو سنتين فالله أعلم، ولقيته يوماً حينئذ بباب قبة الإمام الأكبر مولاي إدريس الأصغر ـ نفعنا الله ببركاته ـ فسألته الدعاء، فقال لي: الله تعالى يمتعك بالنظر في وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الدنيا والآخرة. وما رأيت ـ فيما علمت ـ

---

(١) أول سورة الجمعة.

حالاً أشرف من حاله، إذ كان مجذوباً سالكاً، أو نقول: سكراناً صاحياً، لا يتواجد ولا يتزحزح عن حاله الذي هو عليه، إنما يثبت على سلوكه من غير إسراف في عمل من أعماله. وحاصل الأمر أنه كان قوياً ضعيفاً، جامعاً بين القوة والضعف، إذ لا شك ولا خلاف أنها حالة شريفة نفيسة عزيزة قليلة الوجود، فهي ـ والله ـ في الوجود كالكبريت الأحمر فيه، فلم يحصل عليها إلا من كشفت له الخصوصية عن وجهها والله أعلم.

وكنت أعرف السيد الجليل ولي الله تعالى سيدي محمد بن جامع[1] ـ رضي الله عنه ـ وكان من السياح ـ كما أخبرني بذلك من كان يرافقه في أيام سياحته، وأصله من قبيلة بني أزجل التي بحوز شفشاون، وكان والله مقعداً بسبب مشاحنة بينه وبين الشيخ مولاي الطيب بن محمد العلمي، إذ كانا قد اختلفا في سلطنة السلطان الشريف سيدي محمد بن عبد الله العلوي ـ رحمه الله ورضي عنه ـ، فمولاي الطيب كان يقول: السلطان هو سيدي محمد بن عبد الله، وسيدي جامع كان يقول: هذا لا يكون أبداً، فعظمت المشاحنة بينهما، حتى أدى أمرهما إلى أن ركل مولاي الطيب سيدي ابن جامع من وزان وهو يتوضأ بالولي الشهير أبي الحسن سيدي علي بن غالب، فأقعده حينئذ وبقي مقعداً إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ.

وسمعنا أن الشيخ مولاي الطيب مات وقت هذه المشاحنة. وعاش ابن جامع مائة وخمسة وعشرين سنة، أو مائة وستة وعشرين سنة، والله

---

(١) العارف بالله تعالى المسن البركة الخير سيدي محمد بن جامع اليوسفي أصلاً الزجلي قبيلة، الخصالي طريقة، كان رحمه الله من السياح وسيداً جليلاً ولياً صالحاً حفيلاً، حاله حال قبض دائماً، قد تجلى الله فيه باسمه القابض، توفي رضي الله عنه سنة ١١٩١ هجرية «سلوة الأنفاس ٢/ ١٨١ ومابعدها، وموسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤١٢».

أعلم، ثم مات بعد موت مولاي الطيب بما شاء الله من الأعوام، وكان حاله حال قبض دائماً، قد تجلى الله فيه باسمه ﴿القابض﴾. ومما رأيت من كرائمه أني كنت معه ذات يوم ومعي رجل من أهلي كبير الشان مثله، كان مرافقاً له في أيام سياحته، وكان يقول لي: نزوجك فلانة كانت بداره بكراً، بنت بعض أحبائه، كما كنت أنا أيضاً بداره مقيماً نحو سبع سنين، إذ كنت أعلم له صبيانه القرآن العظيم، وكان يمدحها ويقول لي: هي ذات حسن وجمال وقدٍّ واعتدال، ونجعل لك الثلث في كل ما ملكني الله، وكانت له أملاك كبيرة، ثم ذكر قضيته معي بحضرة سيدي ابن جامع، فإذا به قد اعتراه حال عظيم حتى غاب عن حسه ساعة، ثم حضر فأعرض عنه وقال لي: هذا ـ وأشار بيده إليه ـ بعد أن تجعله بمسخنة الحمام سبعة أيام لا يقطر منه شيء، فكان ما قال لي حقاً وصدقاً ـ رضي الله عنه ـ، والسيد الذي ذكرته من أهلي، ثم قلت: إنه كبير الشان هو مولاي عبد الهادي الدرقاوي الشهير بابن عبد النبي الحسني، نزيل حومة العيون من فاس البالي ـ عمره الله ـ.

وقد رأيت من كرائمه كثيراً، منها: أني كنت معه بداره إذ قال لي ـ رضي الله عنه ـ ها عبد الله وقع به ما وقع، وكرر قوله مراراً، فألقيت سمعي هل أسمع شيئاً؟ فلم أسمع شيئاً، فخرجنا من الدار، فلقينا صهره الشريف سيدي عبد الله السرغيني مجروحاً بحديد.

ومنها: أني كنت أقرأ مع بعض الطلبة لوحاً برواية السبع: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾[1] ولما وصلنا إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[2] أشرق الله نوراً بقلبي إلا أني لم نتواجد بل سكنت ولم نتزحزح عما كنت عليه من القراءة، فقال لي ـ إذ ذاك: قد أشرقت

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٩٢.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٤.

أنوارك الآن، كما وقع لي، والله على ما نقول وكيل.

ومنها: أني كنت معه بقبيلة بني يزغة، فجئنا منها إلى مدشر عزابة في يوم عبوس كثير المطر، ولما وصلنا إلى وادي اسبوا وجدناه كبيراً، فدخل راكباً على فرس أدهم، وكان فارساً كبيراً، فلما وصل إلى وسط الوادي دفعه إلى صخرة هنالك عظيمة، وتحتها جرف عظيم، فوقف عليها راكباً بحيث لو تحرك لهلك، وقد أيست من نجاته، ولاأنظر إلا إلى مايفعل الله، فإذا بنور ساطع من وجهه شغلني ذلك النور عن النظر إليه، فإذا به بعدوة الوادي سالماً والحمد لله، وكانت معنا جماعة من الناس يشاهدون ذلك، والله على ما نقول وكيل.

وحدثني عنه بعض أهل محبته أنه كان لاولد له، فأتى بزوجته إليه ثم سأله أن يرزقه الله ولداً، فحط يده المباركة على بطنها ساعة وقال له: ستلد إن شاء الله ذكراً، إلا أنه تكون إحدى أذنيه لاصقة برأسه، فكان ما قال حقاً وصدقاً، كما أخبر صاحبه ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه[1].

ومنها: أنه لم يأكل طعام الناس من حيث هم مدة نحو الخمسين سنة احتياطاً على أكل الحلال، وكان على ذلك حتى توفاه الله، وهي كرامة كبيرة جامعة للكرائم كلها ـ والله أعلم، وقد رافقته في بعض أسفاره ثلاثة عشر يوماً، ففرغ له زاده الذي أخذ من داره، فكان ـ رضي الله عنه ونفعنا ببركاته ـ لايتقوت إلا بالقنيفدات، والحجيلات، واغليلات[2]، والله على مانقول وكيل.

وكنت أعرف سيدي أبا بكر الطرابلسي[3] المكنى عند أهل فاس

(١) يروي المؤلف هذه الحكاية عن شيخ له عرف بالجذب الذي غلب عليه وهؤلاء مغلوبون لا يجري عليهم حكم ولا يتابعون على هذا، وذكر الشيخ للقصة، إنما من باب بيان كرامات ذاك الولي

(٢) نوع من الحلزون يؤكل ما في قوقعته «معجم شمال المغرب ـ صفحة ١٦١».

(٣) هو العارف بالله تعالى سيدي أبو بكر الطرابلسي أصلاً الفاسي داراً، يعرف بأبي بكر =

أبو بكر بوفلاسي، وجدته بمدينة فاس حين عرفتها وقت دخول المسلمين البريجة، وكان من المجاذيب الكبار غائباً عن حسه دائماً، وقد شربت يوماً بوله لشدة تصديقي بولايته[1].

وحدثني الأستاذ الجليل أبو عبد الله سيدي محمد بن علي اللجائي[2] عنه أنه قال لبعض الطلبة: هل تسيح معي؟ فقال له: نعم. فخرجا معاً على باب الفتوح فإذا هو باب من أبواب طرابلسة التي هي بلدته، وسمعت أنه كان من أولاد الباي الذي كان هنالك، وكان هذا الباي لما فقده يعطي عليه قنطاراً من المال لمن يخبره به، والحاصل: أنهما دخلا إلى المدينة الطرابلسية وجالا فيها ما شاء الله، وهذا لايكلم هذا، ثم خرجا منها فإذا هما بباب الفتوح بفاس، وأظن ـ والله أعلم ـ أن المحدث الأستاذ اللجائي هو الطالب المذكور ـ والله أعلم ـ.

وكنت أعرف ولي الله تعالى سيدي العربي البقال[3]، وكان ـ رضي الله عنه ـ من المجاذيب الكبار، وقلّما يصحب جذبه سلوكاً، وكان إذا صحي من سكره لم يضيع شيئاً من عمله، ولما قرب أجله قوي سكره وطاب وقته، حتى كان لايراه أحد من الناس أو تكلم معه إلا امتلأ بمحبته. وكنت ذات يوم مسافراً إلى القبيلة الحيانية وهو بحانوت بين السواري واقفاً إلا أنه في غاية السكر، والناس مجتمعون عليه، ولايتكلم إلا هو، فرآني آت نحوه، فناداني حتى دنوت منه فضمني إلى صدره، وجعل لسانه في فمي وقال: مص، مص، مص،

= بوفلاسي، توفي رضي الله عنه سنة ١١٨٠ هجرية، ودفن بمطرح الجلة بالقباب «موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٣٨٨».

(١) وكان رضي الله عنه وقتها قد غلب عليه الجذب في بدء سلوكه وهو هنا لا يتابع أيضاً في تلك الحالة.

(٢) سبقت ترجمته في الرسالة ١٢٤ من هذه الرسائل المباركة.

(٣) مرت ترجمته في المقدمة.

ثم بعد ذلك قال لي: سر أعطيناك الشرق والغرب، فخرجت إلى الحيانية ثم رجعت منها فوجدته قد مات بعد ذلك اليوم بيوم أو يومين - والله أعلم -. وأوصى أن يدفن بزاوية شيخنا بالرميلة، فإذا بإخواننا الفقراء أهل فاس اختلفوا في ذلك، فدفن مع جده أو عمه، هو ولي الله تعالى سيدي الحاج محمد البقال قتيل السلطان مولاي محمد الشيخ الشريف السعدي المجاور لزاوية الشيخ الجليل سيدي أحمد بن ناصر الدراوي بقرب سويقة بن صافي - رضي الله عنهما -.

وأما زيارة الأموات، فكنت والله حين استقررت بفاس لا أعجز عنها قط، ولا أكسل، وكثيراً ما كنت أزور الإمام الأكبر مولاي إدريس الأصغر، والشيخ سيدي عبد الله التاودي[1]، والشيخ سيدي علي [ابن حرزهم][2]، والشيخ سيدي أبو بكر بن العربي المعافري[3]، والشيخ سيدي يوسف الفاسي[4]، والشيخ سيدي أحمد اليمني[5]، فكنت على زيارتهم مدة إقامتي بفاس، وقد أقمت بها سبع سنين وأنا على زيارتهم حينئذ، وكان وقت دخول المسلمين البريجة[6]، فحصل لي من الخير ببركة زيارتهم الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، ومن جملته أن عزمت الشيخ الجليل الشريف الأصيل الولي الكبير المحقق الشهير المربي أبو الحسن سيدي علي الجمل - رضي الله عنه - فكانت - والله - زيارة الأموات سبباً في معرفة الأحياء - رضي الله عن الأحياء والأموات من أولياء الله تعالى - اللهم تكرم علينا وعلى كل من لاذ بنا كما تكرمت عليهم يا أكرم الأكرمين يارب العالمين.

---

(١) مرت ترجمته في الرسالة رقم ٧٦.
(٢) مرت ترجمته في الرسالة رقم ١٧٢.
(٣) مرت ترجمته في الرسالة ١٧٢.
(٤) مرت ترجمته في الرسالة ١٥٥.
(٥) مرت ترجمته في الرسالة ١٧٢.
(٦) أي سنة ١١٨٢ هجرية.

ولنذكر هنا من قرأت عليه وانتفعت به: وهو شيخي وسيدي ومولاي، وقد قرأت على شقيقي سيدي علي ـ رحمه الله ـ من الحروف إلى أن ختمت سلكتين برواية ابن كثير، ثم على الفقيه الجليل الشريف الأصيل سيدي عبد السلام الشريف العمراني، من شرفاء المصاف من بني زروال، وقد قال لي يوماً: أبيض أباك وأمك بك. ومارأيت فيما علمت من كانت عبادته مثل عبادته، إذ كان لا يعمل من الأعمال إلا ما لا بد منه، لكنه لا رخصة له فيها قط، سواء كان الوقت وقت الصيف، أو وقت الخريف، أو الشتاء، أو الربيع، وما رأيت فيما علمت أيضاً أخف من وضوئه وغسله مع إتقانهما، وهي حالة شريفة.

ثم على الفقيه الأجل سيدي أبي القاسم بن محمد بن سيود الزوالي، وكان على حالة النظافة دائماً لا رخصة له فيها، وذلك ما يناسب أهل القرآن العظيم.

ثم على الفقيه الأجل الأستاذ سيدي عبد الله بن فراعين النسب. ثم على الفقيه الأجل الأستاذ سيدي عبد الله بن الحاج حسون النسب، ثم على الفقيه الأجل أبي عبد الله سيدي محمد اللحياني المزجالي. ثم على الفقيه الأجل سيدي الطاهر القيدي المصمودي. ثم على الفقيه الأجل الأستاذ أبي حفص سيدي عمر الجامعي(١)، ثم على الفقيه الأجل الأستاذ أبي عبد الله سيدي محمد بن علي اللجائي(٢)، ثم على شيخ الجماعة بفاس الشريف الحسني أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن إدريس المنجري(٣)، وقد قرأت عليه من فاتحة الكتاب إلى قوله تعالى: ﴿لَا

---

(١) العالم الفاضل الفرضي الحيسوبي، المتوفى سنة ١١٨٩ هجرية، ودفن قرب وادي الزيتون داخل باب الفتوح.

(٢) مرت ترجمته في الرسالة ١٢٤.

(٣) هو إمام الضريح الإدريسي الفقيه العلامة مولاي عبد الرحمن بن إدريس المنجرة، =

﴿يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[1] ثم مرض فاشتد أمره وشاع خبره، ولم يمرض إلا يوماً وليلة وضحوة، فالله أعلم، ولما اشتد أمره وشاع خبره جاءت إليه طوائف كثيره: طائفة أهل القرآن العظيم، وطائفة أهل العلم، وطائفة الأشراف، وطوائف أهل الزوايا، وغيرهم، وهذه داخلة وهذه خارجة، وأنا قريب منه وهو لا يتكلم، إنما يوميء، وكنت أنظر إليه وهو ينظر إلي ساعة زمانية، فأومأ لي فدنوت منه، فقبّل جبهتي وكان ذلك آخر عهده بالدنيا ـ رحمه الله ورضي عنه ورحم كل من ذكر من أشياخنا ورضي عنهم ونفعنا ببركاتهم ـ.

ومن كرائمه أن الإنسان إذا كان محموماً ثم زار قبره فإنه يبرأ من حينه، وقد جربته أنا وغيري، لأني مرضت مرض الحمى الثلثية ستة أشهر، فقال لي يوماً الأستاذ: أو ما علمت أن الشيخ مولاي عبد الرحمن كان يتصرف فيها؟ فزرت قبره فذهبت عني ولم تعد إلي من ذلك اليوم قط ـ رحمه الله ورضي عنه ـ.

ومن كرائمه أيضاً: أن الأستاذ الأكبر المحقق الأشهر تلميذه الشريف أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن التدلاوي الحسني العمراني كان يحج، فلما جاء نزل بقنطرة وادي اسبو مع الركب النبوي الذي كان معه، فقيل له: إذا لم تبادر لم تلحق أستاذك مولاي عبد الرحمن حياً، فلحقه حياً، ثم دفع إليه الكفن بزمزم والحنوط، فمات من حينه رحمهما الله ورضي عنهما ـ.

ومن كرائمه التي شاهدها الناس يوم موته: أن امرأته امتنعت من دفنه ذلك اليوم، وكان أول النهار، فلاطفها الناس فلم تقبل، فإذا بباب

= توفي رضي الله عنه سنة ١١٧٩ هجرية، ودفن قرب الشيخ ابن عاشر بالقبب «موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٣٨٦».

(١) سورة الحجر ـ الآية ٤٨.

البيت الذي كان به تحرك ثلاث مرات، فبادر الناس إلى البيت فلم يجدوا فيه أحداً غير الميت، فاعتبر كل من شاهد ذلك وهي لم تعتبر، فبادروا حينئذ بتجهيزه، فدفن ذلك اليوم، وكان يوم الاثنين، وصلي عليه بمسجد القرويين، وكان الإمام حينئذ بالقرويين من أشياخنا السادات الفاسيين - رضي الله عنهم أجمعين - وهو العالم الجليل البركة سيدي أبو مدين بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي - رضي الله عنه -، ودفن قبل صلاة العصر بقباب مطرح الجنة قريباً من أشياخنا المذكورين - رضي الله عنهم أجمعين - وكانت جنازته تشبه جنازة أبي عمرو الداني - رضي الله عنه - وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الرسالة السابعة والأربعون بعد المائة الثانية:

في التأكيد على محاسبة النفس والاعتبار.

٢٤٧ - ومنها: فالاعتناء شيء كبير، والانتساب كذلك، فيا سعد ويا بشرى لمن تنبه واعتنى، فاستحضر ما هو عليه من أوله إلى آخره دائماً، فما كان صواباً ثبت عليه، وما كان خطأ تركه ولم يلتفت إليه، ولا نرى أحداً من أهل محبتنا ولا من غيرهم من كثير من المنتسبين والناسكين من حيث هم يفتقرون إلى شيء كما يفتقرون إلى التربية. والله ما خصنا[1] جميعاً العلم، ولا العمل فوق ما عندنا، إنما خصنا الأدب :-

أدب العبد تذلل ... والعبد لا يدع الأدب
فإذا تكامل ذله ... نال المودة واقترب

وقد قالوا - أي القوم -: اجعل عملك ملحاً، وأدبك دقيقاً.

---

(١) أي: ما نقصنا.

فاستحضروا ـ يا إخواني ـ دائماً ما أنتم عليه من أوله إلى آخره، فإن كان صواباً فالحمد لله والشكر لله، وإن كان خطأ فاتركوه، واعلموا ـ علّمكم الله خيراً ـ أن الذي يهمل ما هو عليه حتى لا يفرق بين الصواب والخطأ، أو بين الحق والباطل، أو نقول: بين الأسباب التي يتولد منها الأفكار والخير كله، وبين الأسباب التي تؤدي إلى الاستغراق في الظلمة والجهل والغفلة، وهذا حتماً حقيقته ظلمانية باطلة ـ والعياذ بالله ـ والأول [و] هو صاحب الأسباب التي يتولد منها الأفكار وكل خير هو الذي حقيقته حقيقة نورانية.

ولا بد ولا بد تنبهوا واعتنوا بما قررنا لكم تنالوا عزاً وفخراً وفوزاً ـ إن شاء الله ـ واستوصوا خيراً ببعضكم بعضاً، وكونوا إخواناً أشقاء، واحذروا من رقاد همتكم(١) على الدوام، والله ينجيكم من رقادها بجاه النبي عليه السلام، وإذا رأيتم فقيراً منكم أو من غيركم لم يصل إخوانه ولو مرة في الشهر ولم يحضر معهم في حلقة الذكر ولم يسهمهم(٢) بشي مما له من الرزق، وهكذا فاعلموا أن همته راقدة، والراقد الهمة لا يجيء منه، والسلام.

الرسالة الثامنة والأربعون بعد المائة الثانية:

في خرق العوائد وما له من فوائد، وبيان معنى رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة وإمكانية وقوعها لمن أكرمه الله من خاصته.

٢٤٨ ـ ومنها: أني قلت لبعض الإخوان ـ رضي الله عنهم ـ: في خرق عوائد النفس من الفوائد خرق العوائد، ولا نرى من يخرق عادة

---

(١) رقاد الهمة هو الفتور والكسل عن العبادات والطاعات وأعمال الخيرات.

(٢) أي لم يتفقدهم ويقسم لهم مما أعطاه المولى من الرزق الحسي أو المعنوي.

نفسه إلا من أخذ الله بيده، وقد قلَّ غاية ـ والله أعلم ـ لأن من ذكر نفسه ـ أو نقول: حوائجه ـ على الدوام نسي ربه على الدوام، كما أن من ذكر ربه على الدوام نسي نفسه على الدوام، ومن نسي نفسه على الدوام فلا يفتقر إلى ذكر اللسان إنما يستغرق في العيان، قال بعض أهل هذا المقام ـ رضي الله عنهم ـ:ـ

ما إن ذكرتك إلا هم يلعنني قلبي وروحي وسري عند ذكراك
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ـ ويحك ـ والتذكار إياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من معناه معناك

جعلنا الله وإياكم من أهل هذا المقام بجاه النبي عليه السلام.

وقولنا: من ذكر ربه على الدوام نسي نفسه على الدوام، كذلك هو الأمر إلا من كان كما قال الشيخ الأعظم سيدي ابن عطاء الله في حكمه ـ رضي الله عنه ـ «عبد شرب فازداد صحواً وغاب فازداد حضوراً فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه، ولا فناؤه عن بقائه ولابقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي حق حقه ويوفي كل ذي قسط قسطه».

ولا بد ولا بد اخرقوا عوائد أنفسكم، وتمسكوا بسنة نبيكم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأن متابعته يتولد منها الفكر، ويتولد منها كل خير، وهذا خبر معلوم.

واسمعوا ما أجبت به بعض فقهاء فاس ـ لطف الله بنا وبهم ـ إذ كنت قد تكلمت معهم في رؤية رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقظة، فقلت لهم: سيدي فلان رآه، وسيدي فلان رآه، وسيدي فلان رآه، وعددت لهم ما شاء الله من الذين رأوه ـ رضي الله عنهم ـ فأنكروا قولي إنكاراً كلياً، وكنت منذ عقلت أعتقد أن الأولياء ـ

رضي الله عنهم ـ يرونه يقظة، وكنت أعتقد أن بعضهم مات بشوقه ولم يره، فإذا بهم قالوا لي: كيف تقول هذا ورسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مات، ومن وفاته إلى الآن ما يزيد على ألف سنة ومائتين؟، ولم يكن لي جواب عن هذا قط، إنما كنت أعتقد رؤيته يقظة فقط، وأما مناماً فلا تبعد بل تقرب على من أكرمه الله، فإذا بي قد يسر الله لي جوابهم بفضله وجوده، وذلك أني قلت لهم: اسمعوا ما أقول لكم وردوا بالكم منه غاية جهدكم، والله تعالى يفتح بصيرتكم. فقالوا لي: قل، فقلت لهم: الذين يرونه ليسوا كما نحن دائماً نخوض في شهواتنا الذميمة ولا نترك ذلك إلا ما شاء الله لا والله لا والله لا والله، إنما هم قد تبعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أقواله وأفعاله ومتابعته، تولد لهم منها الفكر، والفكر رحّلهم من عالم الكدر الذي نحن فيه إلى عالم الصفاء الذي هو عالم الأرواح، وهناك رأوه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورأوا أسراراً عظيمة فوق ما يوصف، وليس هم هنا معنا في عالم الكدر إلا بأشباحهم، وأما قلوبهم أو نقول: أرواحهم فهي ـ والله ـ في عالم الأرواح مع الأرواح. فسكتوا!!! ولم يتكلموا حين قلت لهم: إنما يرى في عالم الأرواح، وسُرُّوا بقولي سروراً كبيراً بسبب موافقتي إياهم، ولما رأيتهم قد تمكنوا في اعتقادهم أكثر مما كانوا قبل، قلت لهم إذ ذاك:ـ

فإن قلتم فأين هو عالم الأرواح من عالم الأشباح؟

قلت: أين هو عالم الأشباح ثم هو عالم الأرواح، ثم هي العوالم كلها، وقد قيل: إن لله ثمانية عشر ألف عالم كعالمنا هذا، وهذا في حلية الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ. فسكتوا ولم يتكلموا، ولو تكلموا لتكلمت والحق يعلو ولا يعلى عليه، والسلام.

الرسالة التاسعة والأربعون بعد المائة الثانية:

في أسباب حصول الفتح الكبير.

٢٤٩ ـ ومنها: أني ضامن ـ بحول الله وقوته ـ لسائر من يعتني بالنظافة وبالوضوء والاستبراء بعد قضاء الحاجة كما ينبغي الفتح الكبير كالفتح الذي فتح الله على الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني، والشيخ سيدي أبي مدين الغوث، والشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي، وأضرابهم ـ رضي الله عنهم ونفعنا وإياكم ببركاتهم ـ.

ولا بد ولا بد اعتنوا بما قلت لكم، وكونوا على أمر ربكم، ومهما فرغتم من حسنة شرعتم في أخرى، والسيئات متروكة عندكم بالكلية، واجعلوا ـ ولابد ـ لعملكم أساساً صحيحاً، إذ الفناء لا يصح ولا يكون بدون أساس، ولا شك أن النظافة والوضوء والاستبراء بعد قضاء الحاجة أسسٌ كبيرة، ولا نرى من يعتني بالمسائل الثلاث إلا النادر من الناس، ولا نرى أيضاً ناصحاً بقيمته، ولا صادقاً في توجهه إلا ماقل غاية، ولو نصحنا أنفسنا جمعاً وصدقنا في توجهنا لفتح الله علينا في أقرب مدة، وكان منا الأمر العظيم.

وأوصيكم أن تخالقوا الناس بخلق حسن، ويكفيكم مع الخلق الحسن الفرض وما تأكد من السنن، لاسيما من قنع منكم وتمسكن، والسلام.

الرسالة الخمسون بعد المائة الثانية:

في الحض على الصلاة في أول وقتها جماعة.

٢٥٠ ـ ومنها: إلى كافة كل أخ لنا في الله، ومحب لنا من أجله بأرض المغرب ـ عمرها الله ـ أهل الحواضر وأهل البوادي والمتسببين والمتجردين. . . .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد....: فمن شاء سلامة نفسه ـ أو سعادة نفسه، أو سهولة أمره، أو ستر عيبه، أو رضاء ربه، أو فتح بصيرته، أو بسط المواهب عليه، أو حسن عاقبته، أو رفعة قدره، أو موت نفسه وحياة قلبه، فليستحِ من ربه، ولا يؤخر الصلاة عن وقتها، ولا يجعل الرخصة في تأخيرها عن وقتها، ولا يصلي فذّاً مادام مستطيعاً، إنما يصلي جماعة، فإني نرى كثيراً من الناس يؤخرون الصلاة عن وقتها، ويجعلون لأنفسهم الرخصة في تأخيرها عن وقتها تهاوناً بها، ويصلون أفذاذاً وهم جماعة وبئس ما يفعلون، لأن التهاون بأمر الله من قلة المعرفة بالله، ومن قلة الحياء والخوف والهيبة له جلَّ جلاله، ونراهم غرقى في الهم والغم والضيق والشدائد والمحن، ولم يعلموا من أين أصابهم ما أصابهم، وقد أصابهم ما أصابهم ـ والله ـ من تفريطهم في دينهم، واستغراقهم في حظوظهم وأغراضهم، ولعن الله من كذب عليهم[1]، ولولا ذلك لغرقوا ـ والله ـ في الخير، وحييت قلوبهم بعد الممات، إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا

---

(١) وفي هذا أيضاً تنبيه لنا منه رضي الله عنه، ووصف لدواء عللنا وما نحن فيه في هذه الأيام حيث ترى أحدنا في هم وغم وكدر وفتن لا يعلم قدرها إلا الله تعالى، ويبحث عن الأسباب التي أدت به إلى هذه الحالة، فيقلب جميع الوجوه والعلل ولا ينتبه إلى أن تقصيره في طاعة ربه، وإهماله للصلاة، وتفريطه في العبادات والأذكار، والقربات، لا يرى في تفريطه في هذا كله سبباً وأي سبب، وهذا لا شك في أنه من عمى البصيرة، كيف وقد قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾، وقال تعالى مقابل من هذا حاله، فقال في عباده المؤمنين الصادقين العابدين الذاكرين: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ فانظر يا أخي ـ رحمك الله ـ إلى الفرق بين الخطابين، وليتنا نعمل بما أمرنا الله به لتكون حياتنا طيبة مباركة، وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه آمين.

عَلَيْهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[2]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[3]، إلى غير هذا.

ونراهم لا يفرقون بين الصلاة في الصف الأول وبين الصلاة في الصف الآخر، ولا يسوون صف الصلاة مع أنه من إتمام الصلاة، وهو أيضاً من حسن الصلاة كما في صحيح البخاري، وذلك لجهلهم بل لقلة اعتنائهم بدينهم، وأما الصلاة في الصف الأول فالناس كلهم يعرفون فضل ذلك ولا يجهلونه.

ونراهم لا يعتنون بالنظافة ولا يعبؤون بها مع أنها شطر الإيمان، وبني الدين عليها، كما في الحديث[4]، وأما الاستبراء من البول فقد قل منهم من يستبريء، ومن لا استبراء له لا وضوء له، ومن لا وضوء له لا صلاة له، ومن لا صلاة له لا دين له، ومن لا دين له لا خير له.

فكونوا ـ يا إخواني ـ على ما أمركم ربكم، لا محيد لكم عن سنة نبيكم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كل وقت وحين إلى أن يأتيكم اليقين أي الموت، إذ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[5]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٩٦.

(٢) سورة الطلاق ـ الآية ٢.

(٣) سورة الطلاق ـ الآية ٤.

(٤) كما في الحديث الشريف: (بني الدين على النظافة) قال في الكشف: رواه ابن حبان في الضعفاء عن عائشة بلفظ: (تنظفوا فإن الإسلام نظيف) والطبراني في الأوسط والدارقطني في الافراد بلفظ: (الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف) «انظر: كشف الخفاء للعجلوني ١/٢٨٨».

(٥) سورة آل عمران ـ الآية ٣١.

(٦) سورة الحشر ـ الآية ٧.

واعلموا - علّمكم الله خيراً - أن العبد إذا سخر لمولاه[1] سخر له مولاه جل جلاله الكون بأسره، وجعله له طوع يده، والله على ما نقول وكيل.

واسمعوا قول بعضهم - رضي الله عنهم -:

إذا الدهر طوعاً والأنام عبيد فعش كل يوم من زمانك عيد

الرسالة الحادية والخمسون بعد المائة الثانية:

في الحث على الحياء من الله والتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٥١ - **ومنها:** وبعد - يا إخواني - فمن شاء أن يحوز من الخيرات فوق ما يتصور في عقله، فليستحِ من ربه ولا ينحرف عن سنة نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - إنما يثبت عليها ولا يتزحزح عنها مادامت حياته واستطاعته، وبالله التوفيق.

أو نقول: فمن شاء أن يكون سيد أقرانه، ومصباح أهل زمانه، فليستحِ من ربه ولايفرط في دينه.

الرسالة الثانية والخمسون بعد المائة الثانية:

في بيان فضل عمل القلب على عمل الجوارح، ولا بد من الاثنين لحصول الفلاح.

٢٥٢ - **ومنها:** وبعد - يا إخواني - فما لنا مما للناس من العلم ولا

---

(١) أي سخر جوارحه وقلبه ونفسه وكله لله وحده وكان عبداً له حقاً، سخَّر الله له الأكوان كما ورد في الحديث القدسي الشريف: يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه.

من العمل، ولنا ـ والمنة لله ـ القلب الجداوي والنية الصالحة، والظن الحسن، والمحبة، والصدق، والشوق، والعشق، والعزم، والقريحة، وعلو الهمة، وكل هذا من الأعمال القلبية التي هي لنا من الله وهبية ـ فضلاً منه ونعمة ـ، والعمل القلبي ذرة منه أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، وأن لله عباداً ما نالوا الذي نالوا بعلمهم ولابعملهم إنما نالوا الذي نالوا بفضل ربهم عليهم لا غير، ومنهم الإمام الكبير الواضح الشهير سيدنا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الذي قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام إنما فضلكم بشيء وقر في صدره)[١].

ومنهم الولي الأكبر المحقق الأشهر سيدي أبو يعزى[٢] ـ رضي الله عنه ـ إذ كان أمياً لا يفقه شيئاً، وقيل لا يعرف اسمه في اللوح، وقد علمه الله ما لم يعلم، وفهّمه ما لم يفهم، وكثير من الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ وهذا خبر معلوم.

وقد بلغنا عن السادات من أهل وقتنا أنه قال: فلان الفلاني[٣] لا يعرف شيئاً من العلم، إنما يذكر الجلالة دائماً هو وتلامذته، وما علم أن لله عباداً ما نالوا الذي نالوا بسبب من الأسباب إنما نالوا الذي نالوا بفضل الكريم الوهاب، وقد قال سيدي البوصيري ـ رضي الله عنه ـ:ـ

كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم

---

(١) ذكره في الإحياء، وقال الحافظ العراقي: لم أجده مرفوعاً، وهو عند الحكيم الترمذي وأبو يعلى عن عائشة، وأحمد بن منيع عن أبي بكر كلاهما مرفوعاً، وقال في النوادر إنه من قول بكر بن عبد الله المزني «انظر: كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ١٩٠».

(٢) مرت ترجمته في الرسالة ٧٦.

(٣) لعل القائل يقصد مولاي العربي في هذا التعريض.

وقال:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وما علم أن الله تعالى لم يتخذ ولياً جاهلاً إلا وعلمه، وفي القرآن العظيم: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ أي السيد الخضر عليه السلام ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. وفيه خلاف عند أهل العلم، قيل: إنه نبي، وقيل: إنه ولي، وقيل: إنه رسول، والله أعلم به[1].

وفي القرآن العظيم أيضاً: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2].

والحاصل ـ والله أعلم بغيبه ـ: أن الولي كالمصباح أو هو كالبدر أو هو كالشمس أو كليلة القدر، أو هو فوق ما يتصور في العقل. قال بعضهم: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد. وعلى هذا فأين قول من قال: فلان الفلاني لا يعرف شيئاً من العلم، من قولنا: وأين علمه من علمنا، وأين نظره من نظرنا؟ فما أبعد هذا من هذا!!.

وقد قال [سيدي الغزالي رضي الله عنه][3]:ـ

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى ... بنفائس الأموال والأرباح

وظننت جهلاً أن حبك هينٌ ... تفنى عليه كرائم الأرواح

حتى رأيتك تجتبي وتخص من ... تختاره بلطائف الأمناح

فعلمت أنك لا تنال بحيلة ... فلويت رأسي تحت طي جناحي

وجعلت في عش الغرام إقامتي ... فبه غدوي دائماً ورواحي

وفي القرآن العظيم: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ

---

(١) وقد مر بيان حقيقة الخضر في الرسالة رقم ١٥٠ من هذه الرسائل المباركة في المتن والحاشية فانظره هناك.

(٢) سورة العلق ـ الآية ٥.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من النسخة المغربية.

ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[3]، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قيل له حين قال هذا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)[4].

الرسالة الثالثة والخمسون بعد المائة الثانية:

في التحذير من مدعي العلم والتصوف.

٢٥٣ ـ ومنها: وبعد ـ يا إخواني ـ فلا نرى من رد الناس إلى سيدهم ومولاهم بعد أن غفلوا عنه إلا الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، وإمامنا سيدي الجنيد، وإمامنا سيدي الجيلاني، وإمامنا سيدي الغزالي، وإمامنا سيدي الشاذلي، وأضرابهم، إذ هم ـ رضي الله عنهم ـ أهل علم وعمل، جمعوا بين الشريعة والحقيقة، سكارى وصحاة، وأما غيرهم فلا نرى لهم مزية في هذا الباب إلا ماشاء الله، لأني نرى كثيراً من أهل الوقت يتخذون الأشياخ لا للتقرب إلى الله بل للتقرب إلى حظوظهم وأغراضهم، ولعن الله من كذب عليهم إذ كم من واحد يأتيني راغباً في الورد، حريصاً في اتخاذه عني غاية الحرص، ونيته إنما يكون شيخاً على الناس، أو ليسألهم الدنيا بالتزيي بزيِّنا الذي هو حال التجرد، الذي هو ظاهر لا يخفى على كافة أهل غربنا، ويرغب أيضاً في تقييد مذاكرتنا للغرض الذي ذكرنا، وهذا كله باطل لاعبرة به، وما ذكرته لكم

(١) سورة البقرة ـ الآية ٦٤.
(٢) سورة النساء ـ الآية ٨٣.
(٣) سورة النور ـ الآية ٢١.
(٤) مر تخريجه في الرسالة رقم ١٤٠ من هذه الرسائل المباركة.

إلا لما نرى من أحوال الناس وما هم عليه من المقاصد الفاسدة، ومن الاستغراق فيما لا فيه فائدة، وكأن الدنيا خالية من أهل العلم الظاهر، وخالية من أهل العلم الباطن، ومعاذ الله أن تكون خالية من الفريقين، إنما هي مشحونة بمن قلوبهم محمدية، وبمن قلوبهم نوحية، وبمن قلوبهم هودية، وبمن قلوبهم داودية، وشعيبية، وشيثية، ولوطية، وصالحية، وابراهيمية، وموسوية، وعيساوية، وخضريه، وهكذا.

ونرى ـ والله أعلم ـ أن كل ولي لله تعالى على لون[1] من الأنبياء ـ عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ، ونرى والله أعلم أن لله عباداً يعرفهم ويعرفونه ويحبهم ويحبونه، ويعظمهم ويعظمونه، ويحترمنهم ويحترمونه، ويوقرهم ويوقرونه، وهو معهم أينما كانوا كما أنهم معه أين ما كان، وهو جل جلاله في كل مكان، لأنهم في حضرته دائماً.

قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ: «العارف لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره»[2].

الرسالة الرابعة والخمسون بعد المائة الثانية:

في حسن الظن بعباد الله وعقد النية الصالحة في جميع الأمور.

٢٥٤ ـ ومنها: وبعد ـ يا إخواني ـ فلا يفيدنا، ولا ينفع جميعنا إلا النية الصالحة، والظن الحسن، والتسليم لعباد الله من غير أن نبعد قريباً أو نقرب بعيداً، إذ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[3]. والقادر ـ جل جلاله ـ لا يعجزه شيء قط، إذ كم من واحد كان

---

(١) أي على حال مستمد من حال هذا النبي الكريم.

(٢) الحكمة رقم ١٠٢.

(٣) سورة المدثر ـ الآية ٣١.

كالحجارة أو أشد قسوة فتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه، وأجرت على لسانه، وهذا خبر معلوم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ الآية(١).

واشهدوا ـ يا إخواني ـ أني سلمت قول الشيخ الجليل أبي العباس سيدي أحمد زروق الفاسي الذي هو: «لا شيخ بعد هذه اللحية»، بعد أن كنت نستبعده ونكرهه، ولا نحب أن نسمعه مدة تزيد على الخمسين سنة، ثم إني عرفت معناه حقاً وصدقاً، والحمد لله والشكر لله، ومعناه ـ والله أعلم ـ: أنه رضي الله عنه لما رأى أهل الدعاوي قد كثر عددهم غاية، وزعموا أنهم شيوخاً وليس فيهم من يعرف مرتبة الشيخ ولا مرتبة المريد، ضاق من ذلك صدره، وانقبض منه خاطره، فقال حينئذ ما قال ـ سدد الله قوله ـ وقوى بفضله في العباد مثله، ومعاذ الله أن يكون مراده ما فهمه جل الجهال وهو: أن شيوخ التربية قد انقطعوا ولم يبق في الدنيا إلا المدعون، ولم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ الآية(٢)، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٣).

واعلموا ـ يا إخواني ـ أني أرى كل من فهم قول الشيخ سيدي أحمد زروق المذكور فهماً غير ما فهمنا فهو جاهل ومخذول، وخاسر وهالك، وما علم أن الشيخ الواحد إذا كان في الوجود يكفي من في الوجود من العباد، لأنه كالشمس التي تضيء على كل أحد، ولا تكفي

(١) سورة البقرة ـ الآية ٧٤.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٠٦.

(٣) سورة الصف ـ الآية ٨.

الألوف من الشيوخ إذا لم يكن الشيخ الذي هو الشيخ حقاً وصدقاً، فهذا ما نرى وهو من أجلِّ ما يُرى، والله أعلم.

الرسالة الخامسة والخمسون بعد المائة الثانية:

من وصاياه لبعض إخوانه رضي الله عنهم.

٢٥٥ ـ ومنها: وبعد ـ يا إخواني ـ فإني قلت لبعض الإخوان فيما مضى من السنين بنحو خمسين سنة: إذ تسيرون بسيري تجعلون أصابعكم في عين من شئتم من أقرانكم، ثم لا يقول أح منكم[١]، وقلت لهم بعد هذا بأعوام عديدة: والله لو رأيت أني لا أقدر أن نوصلكم إلى مقصودكم ما شرعت فيكم[٢]، وما شرعت فيكم إلا بقصد أن نوصلكم إلى مقصودكم.

وقلت لهم: الآن إذ تسمعوني وتتبعوني لاأخلي في رؤوسكم دوخة ولاقلبة ولاسكرة[٣]، ولاأخليكم شيوخ أنفسكم وشيوخ غيركم من غير افتقاركم إلى أحد من أهل وقتكم، ومهما احتجتم إلى شيء وجدتموه عندكم، والله على ما نقول وكيل.

الرسالة السادسة والخمسون بعد المائة الثانية:

في أن بركة السلف لا بد أن تعود على الخلف.

٢٥٦ ـ ومنها: وبعد ـ يا إخواني ـ فاشهدوا أني لا أقيد للناس ما

---

(١) آح: كلمة توجع وربما قالوا: أحَّاح أي آح آح، وهي عربية، ففي المعجم: أحَّ أحاً وأحيحاً وأُحاحاً: توجع بصوت من الغيظ أو الغم «معجم شمال المغرب ـ صفحة ١٦».

(٢) أي ما اعتنيت واهتممت بتربيتكم.

(٣) أي لا أبقي في نفوسكم وقلوبكم ما يشوش عليكم ويكدركم.

يشوش عقولهم[1] ويكدر قلوبهم، ولا أقيد لهم إلا ما تقبله عقولهم، وتنشرح به صدورهم، لأني نرى كثيراً ممن تقدم من الفقراء، وممن تأخر منهم يتكلمون في المعاني الرقيقة ويقيدونها للناس، مع أنهم لا يعرفون الظاهرة منها، فما بالك بالباطنة؟ ولا نسير بنفسي ولا بغيري إلا في التاسيع[2]، ولا نسير في الضيق، لأن الإنسان إذا كان صادقاً في عمله يربح بالسبب الذي هو معروف عند كافة الناس، وإذا لم يكن صادقاً في عمله فلا يربح، ولو علم ما علم.

والحاصل: كل من يتكلم في المعاني الرقيقة أو نقول: الغريبة ـ وهو لا يعرف الظاهر منها فكلامه باطل، لا عبرة به، وهو جاهل أو مخذول. ونقول ـ سدد الله قولنا ـ وبالكتاب والسنة المحمدية أيدنا ـ: ولنا أيضاً بركة السلف لأنها على الخلف، وقد عادت والحمد لله في حال صغرنا لأني دفعت إلى حضرة ربي بعد البلوغ بنحو سبع سنين دفعة بالغة، فإذا أنا ما أنا أنا، إنما أنا غير أنا بعد أن كنت أنا، لأني تبدلت، أي: تغطى وصفي بوصف سيدي، ونعتي بنعته، فكنت لا أنا بعد أن كنت أنا، إذ صار عجزي قدرة، وضعفي قوة، وفقري غنى، وذلي عزاً، وجهلي علماً، وهكذا، إذ صرت بحراً عظيماً في العلم بعد ما نُسأل عن ألف مشكلة نجيب عنها جواباً بالغاً مختصراً، والله على ما نقول وكيل.

ومن فضل الله علينا وبركة السلف التي عادت علينا في حال صغرنا بعد البلوغ بنحو خمس سنين أني رأيت سيدنا ومولانا وسيد الوجود بأسره ومولاه، مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

---

(١) أي: لا أعظهم ولا أذاكرهم إلا بما تفهمه عقولهم من العلم دون الخوض بعويص المسائل سواء من العلم الظاهر أو علم الباطن.

(٢) أي التوسيع.

بمسجد ولي الله تعالى سيدي عبد الوارث اليلصوتي الزروالي[1]، وبنفس ما رأيته رأيت بنته مولاتنا فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ مناماً كأنها رؤية يقظة، لأني بقيت بعد رؤيتي نحو العشرة أيام مهما جلت فيها فاضت دموعي فيضاً كبيراً، وحدث بقلبي أمر عظيم من المحبة والشوق.

والسلف الذي هو سلفنا السلف الكبير، والسر الواضح الشهير الذي لا مثل له ولا نظير سيدنا ومولانا وسيد الوجود بأسره ومولاه مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل بيته الطيبين الطاهرين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وقد قال فيهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون وإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون)[2].

وهم رضي الله عنهم فرق عديدة كثر الله عددهم ورزقنا محبتهم، وكل فريق منهم فيه من الرجال الكمَّل أهل العلم والعمل الجامعين بين الشريعة والحقيقة، السكارى الصحاة، العدد الكبير.

والدليل على أن بركة السلف تعود على الخلف قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[3]. والأب المذكور في الآية عند أهل العلم قيل إنه الجد

---

(١) مرت ترجمته في مقدمة مولاي العربي لهذه الرسائل المباركة.

(٢) قال النجم: قلت: رواه أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع بلفظ «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي» وعند أبي يعلى عن أبي موسى: «النجوم أمنة لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما توعد». انظر: كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٣) سورة الكهف ـ الآية ٨٢.

السابع، وقيل إنه الرابع عشر، وعندي ـ والله ـ أنه السلف الصالح الأول، وقد ذكرنا بركة الإذن فيما تقدم من المذاكرة[1].

الرسالة السابعة والخمسون بعد المائة الثانية:

في أن الاستقامة هي عين الكرامة.

٢٥٧ ـ **ومنها:** وبعد ـ يا إخواني ـ فمن المحال أن يكون المستقيم من عباد الله خالياً من كرائم الله التي أكرم بها أولياءه ـ رضي الله عنهم ـ ونرى كثيراً ممن تقدم وممن تأخر من الفقراء يحبونها ويتشوقون إليها، وإذا لم يظهر لهم شيء منها خسرت نيتهم في أشياخهم وفي طريقهم، وساءت ظنونهم وهلكوا، إلا من رحم الله، وما علموا أن الكرامة لا توجد إلا بوجود الاستقامة، وقد قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ: «تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير لك من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب»[2].

الرسالة الثامنة والخمسون بعد المائة الثانية:

في التأكيد على حسن الأدب مع الشيوخ ليحصل الانتفاع بهم.

٢٥٨ ـ **ومنها:** وبعد ـ يا إخواني ـ فالشيخ الذي هو الشيخ حقاً وصدقاً إذا لم تكن له حرمة عند المريد، وسطوة العلم والحياء والهيبة والخوف والإعظام والإجلال فلا ينتفع به المريد، وإذا عدمت المنفعة فلا عبرة حينئذ بالشيخ ولا بالمريد، ولا فائدة لهما في بعضهما.

واسمعوا ما أقول لكم وردوا منه بالكم[3] غاية جهدكم ـ والله

---

(١) في الرسالة الثالثة عشرة والتاسعة والستين من هذه الرسائل المباركة فانظره ثمة.

(٢) الحكمة رقم ٣٢.

(٣) أي: انتبهوا غاية الانتباه مما أقول لكم.

تعالى يوفقكم ويعينكم - وهو: يا إخواني أني كنت مستغرقاً في مطالعة كتاب ساعة طويلة حتى كنت لا ألتفت إلى شيء، فإذا ببعض الإخوان جاء فجلس قبلة وجهي قريباً مني، فتنبهت بعد حين فإذا هو أمامي، فقلت له: كم لك هنا؟ فقال: من حين جلست أنت هنا، وكان جلوسي جلوساً طويلاً، فقلت له إذ ذاك لابأس، فقال لي: عرفتك ثلاثة عشر عاماً ولا ظهر لي شيء، فقلت له بنفس ما سمعت قوله: والله ما عرفتني ولا عرفت إلا نفسك، وأين كنت هذه المدة الطويلة؟ فقال لي: كنت في الأرض الفلانية. فقلت له: وأين زوجتك وأولادك - وكانوا جماعة والوقت وقت الشدة ولا هو وقت الرخاء -؟، فقال لي: في الخيمة، فتحققت حينئذ بما قلت له أنه كان بتوفيق من الله وبما قال لي هو أنه كان من الأهواء التي تلعب بالإنسان، والله على ما نقول وكيل.

الرسالة التاسعة والخمسون بعد المائة الثانية:

في أقسام الأولياء رضي الله عنهم.

٢٥٩ - ومنها: وبعد يا إخواني - إني تفرست في أحوال الرجال - رضي الله عنهم - فأشرق حالي شروقاً بالغاً، فرأيت أن الله تعالى قد أطلعني على جميعهم أحياءً وأمواتاً، متقدمين ومتأخرين - وما ذلك على الله بعزيز - فإذا هم على ثلاثة أقسام: قسم سلوكهم أقوى من جذبهم وهم الأكثرون، وقسم جذبهم أقوى من سلوكهم وهم دونهم في العدد، وقسم خمرتهم مصحوبة بعقولهم في سائر أوقاتهم[1]، فلا سلوكهم يقوى على جذبهم، ولا جذبهم يقوى على سلوكهم، فهم - رضي الله عنهم - سكارى صحاة دائماً جامعين بين السكر والصحو، فلا هذا يتعدى على

---

(١) أي أنهم سكارى صاحون، جمعوا بين قوة الظاهر وقوة الباطن، أو بين الشريعة والحقيقة، أو بين الجذب والسلوك كما مر في عدة مواضع من هذه الرسائل المباركة.

هذا، ولا هذا يتعدى على هذا، وهؤلاء وجودهم في الدنيا قليل، ولا لهم في الدنيا مثيل، لأن مرتبتهم مرتبة عالية غالية، غايتها لا يدركها كل أحد منهم إنما يدركها الواحد، وذلك الواحد هو الذي يقال له الفرد، والله أعلم ـ لأنه تفرد بها، فلذلك صدق عليه اسم الفرد، ويقال: فلان فريد عصره ووحيد دهره، وقد قال الولي الأكبر المحقق الأشهر سيدي ابن عربي الحاتمي ـ رضي الله عنه ـ الفرد أكبر من القطب في العلم بالله تعالى.

الرسالة الستون بعد المائة الثانية:

في بيان فضيلة الصلاة ـ لا حرمنا الله منها ـ

٢٦٠ ـ **ومنها:** وبعد ـ يا إخواني ـ فلا عمل أولى لنا من الصلاة بعد الشهادتين، إذ هي أول ما فرض الله علينا، وهي أول ما عنه يوم القيامة يسألنا[١]، ولو كان من الأعمال ما هو أكبر منها لكان هو أول الذي فرضه علينا، إذ لها من الفضائل ما يتحير فيه كل عاقل، ويكفينا في فضلها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ـ كما في القرآن العظيم ـ فلا تهملوها، ولا بد ولا بد واعتنوا بها وبالشروط التي لا تصح إلا بها، والله تعالى يوفقنا وإياكم.

الرسالة الحادية والستون بعد المائة الثانية:

في أدب المريد مع شيخه المربي.

٢٦١ ـ **ومنها:** وبعد ـ يا إخواني ـ فالشيخ المربي ـ رضي الله عنه

(١) روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة والحاكم عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أول مايحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن كان أتمها كتبت له تامة، وإن لم يكن أتمها قال الله لملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملون بها فريضته؟ ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك) «الجامع الصغير ١/ ٣٨٣ ـ الحديث رقم ٢٨٤٤».

ـ إذا لم تكن له حرمة عند المريد وسطوة العلم والحياء والخوف والهيبة والإعظام، والإجلال فلا ينتفع به المريد، وإذا عدمت المنفعة فلا عبرة حينئذ بالشيخ ولا بالمريد، ولا فائدة لهما في بعضهما، وليس من الصواب أن يقول المريد لشيخه: ائذن لي في التجرد، أو ائذن لي في التسبب، أو ائذن لي في ذكر الاسم، أو ائذن لي في السؤال، أو لبس المرقعة أو العمامة، وهكذا، إنما الصواب أن يسلب له الإرادة في نفسه، حتى يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله[١]، ولا يفارقه إلا أن يقضي الله حاجته في الحين، أو بعد حين. والمريد الذي يريد من شيخه أن يتبعه في نظره[٢] هو الشيخ والشيخ هو المريد، وإذا كان هذا فهو قلب الحقائق الذي هو شأن الزنادق. وأيضاً الشيخ إمام المريد أي: أستاذه، والإمام إنما جعل إماماً ليؤتم به ـ كما في صحيح البخاري[٣] ـ فهذا ما نرى والله أعلم.

واعلموا ـ علّمكم الله خيراً ووقاكم شراً ـ أن بعض الناس قد جاءني في هذه الساعة القريبة، فقال لي: نحبك أن تعطيني الورد، وحرص في اتخاذه عني، فغفلت عنه يوماً وليلة، فعاد إلي فأعطيته إياه،

---

(١) أو بمعنى أقرب لعقولنا كالمريض بين يدي الطبيب، لأن هناك بعض الناس يعترض على هذه العبارة ويقولون فيها ما شاء الله لهم من الأقاويل بل الأباطيل حسب فهمهم القاصر لها، وإنما المراد الحق فيها أن المريد كالمريض يبحث عن المداوي والطبيب فالشيخ المربي هو طبيب القلوب والأرواح يدل المريد المريض على دوائه، فعليه أن يبحث ويبحث ويبحث عن الشيخ العارف الرباني المربي، فإذا ما وجده بصدق النية والإخلاص، فحينئذ يسلم نفسه كما يسلم المريض نفسه للطبيب ليداويه، وهل يتساوى مرض الجسد مع مرض القلوب والأرواح ياعباد الله؟؟.

(٢) أي يوافق الشيخ رأي المريد في كل الأمور لا المريد رأي الشيخ هو من قلب الحقائق فما فائدة الشيخ في هذا الحال؟.

(٣) حديث: (إنما جعل الإمام ليؤتم به) رواه البخاري ١/ ١٧٧، ١٨٧، والإمام مالك في الموطأ، ومسلم في الصحيح، وأبوداود، والنسائي، وابن ماجة وغيرهم من أصحاب السنن.

وبنفس ما أعطيته إياه قال لي ائذن لي في إعطاء الورد للناس. فقلت له بنفس ما سمعت قوله: تأنَّ حتى تعرفني ونعرفك، وحينئذ يكون خيراً، وتذكرت حكاية المداح الذي دفن وبنفس ما دفن جاءه الملكان ليسألانه ـ عليهما السلام ـ فقال لهما: الصلاة على مولاي محمد، الآن ما أقعدنا؟، ولابأس أن يستشيره المريد في مهماته كالزواج والحج، والحرث أوالبناء، أو الرحيل، وهكذا. . . .

الرسالة الثانية والستون بعد المائة الثانية:

في فضيلة الصلاة ـ تأكيد وبيان ـ.

٢٦٢ ـ ومنها: وبعد ـ يا إخواني ـ فأسباب السعادة كثيرة جداً وأكبر ما بعد الشهادتين الصلاة، إذ هي أول ما فرض الله علينا، وهي أول ما عنه يوم القيامة يسألنا، ولو كان من الأعمال ما هو أكبر منها لكان هو أول ما فرضه علينا، إذ لها من الفضائل ما يتحير فيه كل عاقل، إذ هي في وقتها أفضل من الدنيا وما فيها ـ كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ[(١)]، ويكفينا في فضلها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[(٢)]، وقد قال بعض العلماء ـ رضي الله عنهم ـ: نسبة الصلاة من الدين كنسبة الرأس من الجسد، ونسبة التصوف من الدين كنسبة الروح من الجسد. وقلنا نحن كما يقول كل أحد: الصلاة عمود الدين، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (الصلاة عماد الدين)[(٣)] فلا تهملوها،

---

(١) في الحديث: (أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها) رواه الترمذي والحاكم وأبو داود عن أم فروة «الجامع الصغير ١/ ١٦٠».

(٢) سورة العنكبوت ـ الآية ٤٥.

(٣) رواه البيهقي عن عمر رضي الله عنه، ورمز السيوطي لضعفه «الجامع الصغير ٢/ ٨٧».

ولا بد ولا بد، واعتنوا بها بالشروط التي لا تصح إلا بها غاية جهدكم مادامت حياتكم واستطاعتكم، والله تعالى يوفقكم ويعينكم.

واعلموا - علمكم الله خيراً ووقاكم شراً - أننا كررنا أعمالاً كثيرة سنين عديدة كالصلاة وتلاوة القرآن، والهيللة، والصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فوجدنا لسائرها بركة عظيمة، وبركة تكرار الصلاة وجدناها - والله - تفوق بركة كل عمل، والله على ما نقول وكيل، ولولا ما تعرض لنا قول السادات - رضي الله عنهم - الذي هو: من لا شيخ له فالشيطان شيخه، والذي هو: من لا شيخ له فلا قبلة له، والذي هو: من ليس له أستاذ فهو بطّال، وحذف الوسائط اختلال، وإسناد الفعل لها ضلال[1]، لقلنا: إنها - أي الصلاة - تغني عن الشيخ، وكذلك تلاوة القرآن، وكذلك الهيللة، وكذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فالجميع يغنينا عن الشيخ، ولاسيما إن تركنا ما لا يعنينا، وما لا فائدة فيه لنا، واعتمدنا على ربنا لا على عملنا، ولو كان عملاً صالحاً خالصاً، ولا يعبد إلا بالعلم فلا تهملوه، ولا بد ولا بد، واعتنوا به غاية جهدكم مادامت حياتكم واستطاعتكم، ومن أهمل العلم والصلاة وما أمر الله به فهو المهمول والمتروك عنده تركاً كلياً.

الرسالة الثالثة والستون بعد المائة الثانية:

في التعرض لنفحات الله.

٢٦٣ - ومنها: وبعد - يا إخواني -: فمن شاء أن يتعرض لمواهب الله أو نقول: لنفحات الله فليستحِ من الله، ولا ينحرف عن سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلمَ - إنما يثبت عليها ولا يتزحزح عنها

(١) لأن الفاعل الحقيقي هو الله وحده لاشريك له.

مادامت حياته واستطاعته، ـ كما قلنا مراراً متعددة ـ.

واعلموا ـ علّمكم الله خيراً ووقاكم شراً ـ أني آخر ما سمعت من الشيخ الجليل أبي الحسن سيدي على الجمل العمراني ـ رضي الله عنه ـ: تعرضوا لنفحات الله[1]، والسلام.

الرسالة الرابعة والستون بعد المائة الثانية:

في بيان فضل العلم وبركته.

٢٦٤ ـ **ومنها:** وبعد ـ يا إخواني ـ فمن عرف فضل العلم وبركته هان عليه السفر إليه من المغرب إلى المشرق، ومن المشرق إلى المغرب، وقليل في حقه، إذ لا يعبد ربنا إلا به، ولا كان من الناس حقاً وصدقاً إلا من كان عالماً، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[2] وبالله التوفيق.

الرسالة الخامسة والستون بعد المائة الثانية:

في التحذير من نشر هذا العلم لغير أهله.

٢٦٥ ـ **ومنها:** وبعد ـ يا إخواني ـ إني أؤكد عليكم تأكيداً محتماً أن لا تسردوا كتابنا ولا كتاب سيدي علي الجمل ـ رضي الله عنه ـ على من ليس من أهل فنكم ـ ولا بد ولا بد، لأن الحساد إذا سمعوا كلامنا، أو كلام شيخنا حتماً يؤذوننا، كما آذوا من قبلنا ممن كان أكبر علماً

---

(١) ففي الحديث الشريف: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً «رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن مسلمة.

(٢) رواه الشيخان، والإمام أحمد عن سيدنا معاوية، والإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه «الجامع الصغير ٢/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦».

وعملاً وحالاً ومقاماً منا كسيدي الشاذلي، وسيدي الحاتمي، وسيدي الشعراني، وأضرابهم ـ رضي الله عنهم ـ، ومن شاء أن يعلم ما حل بهم على يد الحسَّاد، فلينظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لسيدي الشعراني ـ رضي الله عنه ـ فإن فيه العجائب والغرائب مما وقع لساداتنا أهل الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ من الإذاية على يد الحساد، وهم ـ لطف الله بهم ـ في حقيقة الأمر ريح أهل الصدق، كما قال بعض السادات ـ رضي الله عنهم ـ:

عداتي لهم فضل عليَّ ومنة ... فلا أبعد الرحمن عني الأعاديا
همُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فارتكبت المعاليا

وأظن ـ والله أعلم ـ أن الإذاية التي أوذوا ساداتنا شيوخ الطريقة ـ رضي الله عنهم ـ إنما كانت قبل أن يكملوا، والرجال الكمَّل هم أهل العلم والعمل، الجامعون بين الشريعة والحقيقة، السكارى والصحاة، وهؤلاء لا حجة لأحد عليهم حتى يؤذيهم، ولهم الحجة على كل أحد، ولا يبعد أن يؤذوا هؤلاء لأن أكمل الخلق سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد أوذي الإذاية الكبيرة، وكذلك سيدنا ابراهيم، وسيدنا موسى، وغيرهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لأن الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة ـ كما في صحيح البخاري رضي الله عنه ـ، والسلام.

الرسالة السادسة والستون بعد المائة الثانية:

نصيحة إلى المريدين في كافة الآفاق.

٢٦٦ ـ ومنها: إلى كافة كل أخ لنا في الله، ومحب لنا من أجله بأرض المغرب ـ عمرها الله ـ أهل الحواضر، وأهل البوادي، المتسببين والمتجردين:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد. . . .

فإني أنصحكم لله وفي الله، وابتغاء مرضاة الله، ونصحي إياكم أن لا تنكبوا على قراءة القرآن العظيم كما انكب عليها أهل جبالنا نحن وغيرنا حتى إن أحدنا لا يتهنى إلا إذا حفظ قراءة السبع، وقراءة العشر، وكانت عنده نصب عينيه، وكثيرنا لا يعرف الفضائل والسنن، ولا يحسن قراءة الفاتحة، ولا يحسن الأذان، ولا الإقامة، وهذا ـ والله ـ خطأ كبير واضح شهير، والصواب ـ أو نقول: والحق ـ أن لا غنى لنا عن التفقه في ديننا، ويكفينا من الفقه ـ والله أعلم ـ الرسالة الشهيرة للشيخ الأعظم سيدي محمد بن أبي زيد القيرواني، أو ربع العبادة للشيخ الجليل سيدي خليل، وحتى المرشد المعين للشيخ الجليل سيدي عبد الواحد بن عاشر، يكفينا ـ إن شاء الله ـ كما يكفينا من قراءة القرآن العظيم قراءة ورش، ولا نكره أن نقرأه قراءة القُرَّاء كلهم ـ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ـ بل نحبها المحبة البالغة، لكن التوفيق من الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واسمعوا ما قلت لمن استشارني من الإخوان في الذهاب إلى مازونة بقصد قراءة العلم بعد كلام تقدم: فمن عرف فضل العلم وبركته هان عليه أن يسافر في طلبه من المغرب إلى المشرق، ومن المشرق إلى المغرب، وقليل في حقه، إذ لا يعبد ربنا إلا به، ولا كان من الناس حقاً وصدقاً إلا من كان عالماً، وفي حديث رسول اللهَ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)، وفيه: (باب يتعلمه الإنسان من العلم خير له من الدنيا لو كانت له بحذافيرها)[1]، ويا عجباً ممن يسمع هذا الفضل العظيم عن النبي الكريم من غير شك

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً، وهو =

ولا خلاف ثم لا يصرف أيام عمره في قراءة العلم، ونرى ـ والله أعلم ـ أن المصلين من حيث هم يتأكد في حقهم أن يعرفوا تفسير السور التي يصلون بها دائماً، فهذا ما نرى وهو من أجل ما يُرى ـ والله أعلم ـ، وحتماً إن العبادة بلا علم لا تصح قط[1]. وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3]، وحتماً إن العبادة بلا علم لا تصح قط ـ كما قلنا وكما يقول كل أحد أحد ـ. ويا عجباً ممن يسمع ما أعد الله للمتقين في الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الصحابة وعن التابعين وعن غيرهم من أئمة الدين ـ رضي الله عنهم ونفعنا وإياكم ببركاتهم أجمعين ـ ثم لا يصرف أيام عمره في طاعة ربه، وقد أعد الله للمتقين من النعيم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولو لم يكن للمتقين من النعم في الجنة إلا أن الآدمية يخدمها سبعون ألف حوراء يقمن لقيامها، ويجلسن لجلوسها، والحوراء إذا تبسمت أو ضحكت أضاء من ضحكها مسيرة خمسمائة عام لكفى ـ لا حرمنا الله وإياكم بجاه النبي عليه السلام ـ ولا حرم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرّف وعظّم ومجّد وكرّم كثيراً إلى يوم الدين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

= معروف هكذا من قول الحسن البصري رويناه في أمالي أبي عبد الله بن منده، ورواه ابن عبد البر في العلم، وابن حبان في روضة العقلاء موقوفاً عن الحسن، انتهى.

(١) وقد قال العلامة سيدي ابن أرسلان في متن الزبد في الفقه الشافعي: ـ

وكل من ليس بعلم يعمل   أعماله مردودة لا تقبل

(٢) سورة الذاريات ـ الآية ٥٦.

(٣) سورة البينة ـ الآية ٥.

الرسالة السابعة والستون بعد المائة الثانية:

في التحذير من تأخير الصلاة عن وقتها.

٢٦٧ ـ ومنها: وبعد فإني أوصيكم جميعاً خاصة وعامة، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، عبيداً وأحراراً، بما أمركم الله به وهو: أن لا تؤخروا الصلاة عن وقتها، وأن لا تجعلوا الرخصة في تأخيرها، وصلوا جماعة ولا تصلوا أفذاذاً إلا لعذر، وهو لا يكون ـ والله أعلم ـ إلا نادراً.

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن السبب الذي حملني على ما أقول لكم أني أرى كثيراً من الإخوان يؤخرون الصلاة عن وقتها، ويجعلون الرخصة في تأخيرها، ويصلون أفذاذاً وهم جماعة، وبئس ما يفعلون، ولو كانوا من أرباب القلوب فهم والله صحاة ولا هم سكارى غائبين عن إحساسهم حتى يفعلوا ذلك، فكونوا وفقكم الله على حذر من هذا، وانسوا ذكر أنفسكم بذكر ربكم، ولا تعكسوا فتنسوا ذكر ربكم بذكر أنفسكم، والذي يذكر نفسه هو الذي يخوض في شهواتها، ويستغرق في ذلك، وأما من يذكر ربه وينسى نفسه فاستغراقه لا يكون إلا في المعاني التي استغرق فيها سائر الأولياء ـ رضي الله عنهم ـ ثم تركوها، ولم يقفوا معها حياء من مولاهم أن يراهم مع شيء غيره، فافهموا ـ فهّمنا الله وإياكم ـ واجتنبوا ما نهيتم عنه، واشتغلوا بما أمرتم به، والله يوفقكم.

واعلموا أيضاً: أني أرى كثيراً من الإخوان دائماً في الهم والغم والحزن والغبن وذلك لإعراضهم عن مولاهم، وإقبالهم على هواهم، ولو عكسوا فأقبلوا على مولاهم وأعرضوا عن هواهم لذهب عنهم الهم والغم والحزن والأكدار من حيث هي. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[2]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[3]، ذلك أمر الله أنزله إليكم، إلى غير هذا من الآي والأحاديث، والسلام.

الرسالة الثامنة والستون بعد المائة الثانية:

في الحث على التمسك بالسنة المحمدية ومجموعة وصايا نافعة.

٢٦٨ ـ ومنها: أما بعد....، فإني أنصحكم لله وفي الله، وابتغاء مرضاة الله، ونصحي إياكم أن تشدوا أيديكم غاية جهدكم على السنة المحمدية التي هي الحصن المانع من كل بلية، أو التي هي سفينة النجاة ومعدن الأسرار والخيرات كل وقت وحين إلى أن يأتيكم اليقين ـ أي الموت ـ، وإذا تحيرتم في أمر من أموركم، وضاقت منه صدوركم واشتد منه أمركم، وفرغت الحيل لكم فلا تخوضوا فيه ـ أي فلا تدبروا ولا تختاروا كما هو شأن أهل الغفلة لطف الله بنا وبهم ـ بل اشتغلوا بما أمركم به ربكم، إما صلوا ما شاء الله، أواتلوا ماشاء الله، أو اذكروا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ما شاء الله، أو صلوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما شاء الله، وهكذا، فإن الله يجعل لكم فرجاً ومخرجاً كما جعل لأوليائه ـ رضي الله عنهم ونفعنا وإياكم ببركاتهم ـ.

واعلموا ـ علّمكم الله خيراً ووقاكم شراً ـ أن الشيخ الجليل سيدي

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٩٦.

(٢) سورة الطلاق ـ الآية ٢.

(٣) سورة الطلاق ـ الآية ٤.

سهل بن عبد الله التستري ـ رضي الله عنه ـ من كبار الصوفية ـ رضي الله عنهم ـ وقد قال: ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم. قلت: ويشغلانهم عن ذكر مولاهم.

والذكر حصن المؤمن، وعند ذكر الله تنزل الطمأنينة حتى لا يتحير الذاكر أو يتكدر، أو يتروع، أو يهتم، أو يغتم، وفي القرآن العظيم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ الآية[1]، وحتماً إن الطمأنينة تنزل عند ذكر الله، ومن شاء أن يعلم ذلك علماً يقيناً فليواظب على ذكر الله تعالى بسكينة ووقار، وإعظام وإجلال، وحالة نظيفة سنية، واعتماد على الله، فهذا ما نرى، وهو من أجلّ ما يرى ـ والله أعلم ـ والسلام.

الرسالة التاسعة والستون بعد المائة الثانية:

في الفرح بشعار الصالحين وهو الفقر.

٢٦٩ ـ ومنها: وبعد فإن انتقض لك شيء من الدنيا فأبشر بخير كبير واضح شهير، كما كان يستبشر به السلف الصالح، إذ كانوا ـ رضي الله عنهم ـ حين تخرج الدنيا من أيديهم يقولون: مرحباً بشعار الصالحين. وقد سمعت من الشيخ الجليل القدر الشريف أستاذنا أبي الحسن سيدي علي الجمل ـ رضي الله عنه ـ أنه نقش[2] ثلاثة أمداد قمحاً بوطى مصفر بوادي المالح بباب الحيسة فأخبر شيخه الشيخ الجليل أبا عبد الله سيدي محمد العربي بن عبد الله صاحب حومة المخفية بفاس البالي بعد ذلك، فقال له: ما ازداد لك في الحس انتقص لك في المعنى. وكان أيضاً الشيخ أستاذنا سيدي علي حاله سفلياً ثم رجع

(١) سورة الرعد ـ الآية ٢٨.

(٢) قال في المعجم: نقش الغرس: عزقها استعداداً لزراعتها «معجم شمال المغرب».

علوياً، فرآه شيخه سيدي العربي علوياً بعد أن كان سفلياً، فقال له: كانت لك تسعة وتسعون قسمة من العز حين كنت سفلياً، وقسمة واحدة من الذل والآن صارت عندك تسعة وتسعون قسمة من الذل وقسمة واحدة من العز، فافهم ـ فهّمنا الله وإياك ـ وهِمْ في هوى المحبوب ولا تبالِ وقل:ـ

الحب ديني فلا أبغي به بدلا ... والحسن ملك مطاع جار أو عدلا

والنفس عزّتْ ولكن فيك أبذلها ... والذل مرٌّ ولكن في رضاك حلا

يا من عذابي عذبٌ في محبته ... لا أشتكي منك لا صداً ولا مللا

وقيل في معناه:

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة ... فكم عزة قد نالها المرء بالذل

إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن ... ذليلاً فاقرا السلام على الوصل

* * *

إذا أنت لم تصبر على الذل في الهوى ... تفارق من تهوى وأنفك راغم

إلى غير هذا، ما لأهل الطريقة في هذا المعنى ـ شرفنا الله بذكرهم وجعلنا بفضله وجوده في حزبهم بمحض الكرم بجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونؤكد على سيدي محمد الحراق(١) الشريف العالم أن يسرد

---

(١) هو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام الجامع بين بحري العلمين، وعديم النظير بغير مين، من ارتقى ذروة الجلالة، وورث الفضل كلالة، وأرشد وهدى، ودعا لطريق الهدى، وانتشر أتباعه الذاكرون بكل الآفاق، الشريف الحسني سيدي محمد بن محمد الشهير بالحراق، دفين زاويته بمدينة تطاون ـ تطوان حالياً ـ رحمه الله ونفعنا بمحبته.
ولد رضي الله عنه بمدينة فاس ونشأ بها وقرأ العلم الظاهر على أعيان علماء الوقت فتعلم وعلّم وأدرك الرياسة في وقته، ثم انتقل لثغر تطاون ـ تطوان ـ واستوطنها، ثم أخذ عن الشيخ الكبير مولانا العربي الدرقاوي ـ صاحب هذه الرسائل رضي الله عنه ـ فحصل له على يديه الفتح الكبير، وكان من أكابر الأولياء العارفين، ولما كثر أتباعه وعظمت طائفته، واتخذت لأصحابه زوايا في القرى والمدن، استوطن مدينة فاس =

مذاكرتنا هذه وغيرها على سائر أهل محبتنا أهل ناحيتك بارك الله في جميعهم، والسلام.

الرسالة السبعون بعد المائة الثانية:

في الحث على العمل بالسنة المطهرة والإكثار من ذكر الله تعالى، وشروط ذكر الاسم المفرد.

٢٧٠ ـ ومنها: وبعد ـ يا إخواني ـ فمن شاء منكم ومن غيركم أن تنقلب ناره جنة فلا يتزحزح عن السنة، إذ هي سفينة النجاة، ومعدن الأسرار والخيرات، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وليرفق بنفسه في سائر أموره ولا يتكلف إذ قال عليه الصلاة والسلام: (أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف)[(١)] وقال عليه الصلاة والسلام: (اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا)[(٢)]، وليكن على ما يثقل

= بداره بحومة المخفية، من عدوة فاس الأندلس قرب زاويته، فكان يأتي إليها مرة ويرجع لداره بتطاون ـ تطوان ـ أخرى إلى أن انقضى أجله بها في سنة ١٢٦١ هجرية، وكتب على قبره:ـ

هـذا الـضـريـح الـذي مـا زاره أحـد	إلا ونـال بـه الـمـسـؤولَ مـن نـعـم
به الإمام الشهير العارف المنتقى	شيخ الطريقة بحر الجود والكرم
محمد الحسني الحرّاق شهرتـُه	أكـرم بـه مـن هـمـام راسخ الـقـدم
قـد كـان واسـطـة لـعـقـد مـكـرمـة	فاحكم على مثله في الوقت بالعدم
بـشـراك حـل بـه وافـت مـنـيـتـه	عليه رحمة من قد خص بالـقـدم

وقد ملئت الدواوين من كلامه رضي الله عنه في الغزل الحقيقي، وجلّ ما له من التأليف في التصوف والحكم والإشارات التي تقصر عنها العبارات، رحمه الله تعالى ونفعنا به وبالصالحين وبمحبتهم في الدارين آمين. «انظر موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٧٦».

(١) مر تخريجه في الرسالة ١٢٣.

(٢) مر تخريجه في الرسالة رقم ٥٧ من هذه الرسائل المباركة.

على نفسه من عمله لا على ما يخف عليها منه، إذ لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً، وكان أسرع إجابة وفتحاً، كالاسم الأعظم ـ اسم الجلالة ﴿الله﴾ ـ إذ لا بد لمن يذكره من شروط تثقل على نفسه غاية، ولا تخف عليها، وهي: نظافة البدن والثوب والبقعة، وتشخيص حروفه الخمس، والثبات على تشخيصها بين عينيه، ومهما زهق عن تشخيصها رجع إليه سريعاً، ولو زهق عنه مائة مرة رجع إليه مائة مرة، والوقوف عليه بالاشباع، وذلك بأن يقول: ﴿الله﴾ لا أن يقول: الله الله، وترك ما لا يعني، لأن من ترك ما لا يعنيه أقل عمل يكفيه، ومن ذكره كما وصفنا، واعتنى بشروطه كما قلنا فإنه يكشف الله له الحجاب بينه وبينه في ثلاثة أسبع[1] أو أقل، ومن ذكره كما وصفنا وتعدى سبعة أسبع ولم يرفع الله له الحجاب بينه وبينه، فإنه لا نية له ولا صدق ولا محبة، ولا عزم، ولا يقين، والله على مانقول وكيل، ولو كان له الظن الحسن والنية الصالحة وغيرهما من أعمال القلوب الذي هو ذرة منه أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح لا نخرق له الحجاب، وانفتحت له الأبواب، واستغرق في الصواب بفضل الكريم الوهاب سبحانه لا إله إلا هو.

والمراد بتشخيص حروف الاسم وكيفية ذكره كما ذكرنا: هو سجن النفس على الخوض في الحس وفيما ليس بصواب، لأن الحس ضد المعنى، والضدان لا يجتمعان أبداً، وبنفس ما ينقطع عن الذاكر الخوض فيه وردت عليه حينئذ معاني من الغيب كان لا يعرفها، فيشتغل بها عن التشخيص كما كان يشغله عنه الخوض في الحس، فإن تركها ورجع إلى التشخيص سريعاً فاضت عليه إذ ذاك معاني قوية أقوى وأقوى، فحملته في أقرب مدة إلى حضرة ربه سبحانه، وهناك من الأسرار والخيرات ما

---

(١) أي أسابيع.

لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والله على مانقول وكيل، وهذا المسلك لا يسلكه إلا كيس من الناس، ولا الطريقة كلها، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

الرسالة الحادية والسبعون بعد المائة الثانية:

في التاكيد على المحافظة على ذكر الله في كل الأحوال.

٢٧١ ـ ومنها: وبعد ـ يا إخواني ـ فأؤكد ما أوصيكم به وأنصحكم وأفيدكم، والدين النصيحة، أن لا تنفصلوا عن ذكر ربكم كما أمركم قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم، وعلى كل حال، إذ لا حاجة لنا ولا لكم ولالكل أحد أحد كائناً من كان إلا هو، واسمعوا ولا بد ولا بد ما أقول لكم، ولا تنسوه، أوتهملوه، أو تغفلوا عنه وهو: يا إخواني أني قلت لبعض الإخوان فيما مضى من السنين بنحو خمس وخمسين سنة، كل واحد واحد من الناس خصته حوائج شتى[1]، وهم في الحقيقة كلهم ما خصتهم إلا حاجة واحده وهي: ذكر الله تعالى حقيقة، فإذا حصل لهم لم يفقدوا شيئاً قط ولو فقدوه، والله على ما نقول وكيل.

ثم بعد هذا بما شاء الله من السنين، وجدت في التحبير للإمام سيدي بلقاسم القشيري على أسماء الله الحسنى: قال مريد لأستاذه: ياأستاذ. . القوت! قال: الله، فقال: لا بد من القوت، فقال: لا بد من الله.

ثم بعد هذا بما شاء الله وجدت في الحكم العطائية: «ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك؟، لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً»[2].

---

(١) أي أنه ينقصه حوائج كثيرة.

(٢) في مناجاته رضي الله عنه في آخر الحكم العطائية.

ولا بد ولا بد اثبتوا على ذكر ربكم كما أمركم، وشدوا أيديكم على دينكم غاية جهدكم، والله تعالى يفتح بصائركم، وينور سرائركم. وإياكم ثم إياكم أن تفتقدوا ذلك إذ هو من المحال القطعي.

واعلموا ـ رحمكم الله ورضي عنكم ـ أني تمنيت أن يقول لي فقير من الأحبة: من أين لك هذا القول الذي هو: «كل واحد واحد من الناس خصته حوائج شتى وهم في الحقيقة كلهم ما خصتهم إلا حاجة واحدة وهي ذكر الله حقيقة فإذا ذكروه لم يفقدوا شيئاً قط، ولو فقدوه..»؟، فإذا بي لم يقل لي فقير من الأحبة ولا من غيرهم: من أين لك هذا القول؟ وإن قال لي قلت له: إني دفعت إلى حضرة ربي في حال صغري بعد البلوغ بنحو عشر سنين دفعة بالغة فإذا أنا ما أنا أنا، إنما أنا غير أنا بعد أن كنت أنا، إذ بدّل الله عجزي بقدرته، وضعفي بقوته، وفقري بغناه، وجهلي بعلمه، وذلي بعزه، أي: غطى وصفي بوصفه، ونعتي بنعته، فكنته لا أنا.

وفي الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن الله عز وجل: (لايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنته)[1].

وجملة ما كان من أمري أني تبحرت في العلم تبحراً عظيماً، حتى أني لو سئلت عن ألف مشكلة لأجبت عنها جواباً بالغاً، إذ صرت كالمصباح، فلو شعل مني جميع المصابيح لم ينتقص من ضوئي شيئاً، والله على ما نقول وكيل، والسلام.

(١) رواه البخاري وأحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من روايات مختلفة ومتقاربة لكن بدون لفظ «كنته».

الرسالة الأخيرة وهي مسك الختام:

في فضيلة الذكر والتأكيد عليه وكيفية ذكر الاسم المفرد.

٢٧٢ ـ ومنها: فأمر الذكر واسع، وانظروا إن شئتم معنى قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[١] عند أهل التفسير ـ رضي الله عنهم ـ فإنكم تجدون أمر الذكر واسعاً كما قلنا لكم.

وأما ذكر الاسم المفرد، فنرى ـ والله أعلم ـ أن الصواب أن يذكره الذاكر كما أقول له بسكينة ووقار، وإعظام، وإجلال، وحالة نظيفة سنية شريفة، واعتماد على الله، وأن لا يذكر: الله الله الله بلا مد قط، وليذكر: الله الله الله بوقف الإشباع، ولا بد ولا بد وليشخص حروفه الخمس، ويستحضر تشخيصها بعين قلبه دائماً، وهما: الألف واللامان، والألف المحذوفة، والهاء من غير أن يكتبها في شيء، ومهما زهق عن تشخيصها رجع إليه من حينه، ولو زهق عنه ألف مرة رجع إليه ألف مرة، فإنه ـ أي الذاكر ـ يفتح عليه الفتح الكبير في أقرب مدة.

ونرى والله أعلم ـ أنه لا يتعدى ثلاثة أسبع وقيل: أسبوعاً واحداً، وقيل: ليلة، وقيل: أقل من ذلك، وما ذلك على الله بعزيز، بشرط أن يكون الذاكر كما قررنا.

وقد قلنا في غير هذا ـ بعد كلام تقدم ـ: وحتماً إن الطمأنينة تنزل عند ذكر الله، ومن شاء أن يعلم علماً يقيناً أو حقيقياً فليواظب على ذكر الله تعالى بسكينة ووقار، وإجلال، وحالة نظيفة، سنية شريفة، واعتماد

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٤١.

على الله تعالى، وعلى هذه الحالة الموصوفة ينبغي للسالك أن يكون في سائر عمله، فهذا ما نرى وهو من أجل ما يُرى، والله أعلم، والسلام.

كمل كتاب الرسائل

الذي هو المنى لكل طالب وسائل * بحمد الله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله(١)

---

(١) وقد نجز بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه العمل في تحقيق هذه الرسائل المنيفة والمخاطبات الشريفة لمولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه وأرضاه في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر ذي الحجة لسنة ١٤١٩ هجرية الموافق لـ ١٤/ نيسان «أبريل» لسنة ١٩٩٩ ميلادية، سائلاً المولى الكريم أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
وذلك عن نسخة محفوظة لدى قسم المخطوطات ومصوراتها في دار الكتب الوطنية في المجمع الثقافي في أبو ظبي عاصمة دولة الإمارات العربية دفع الله عنها وعن بلاد المسلمين كل أذى وبلية.

وكتبه
الفقير إلى عفو مولاه الودود
بسام محمد بارود

الفهرس العام للرسائل الشريفة

هذا الكتاب

عبارة عن وصايا نافعة، ورسائل تربوية جامعة، بين فيها مولاي العربي الدرقاوي أهم معالم الطريق بعبارات سهلة، فبين حقيقة النفس، والروح، والتصوف، والذكر... إلخ، كل ذلك ذوقاً ووجداناً، إلى ما هنالك من معالم لا يستغني عنها السالك والمتجرد إضافة إلى توجيهات للمربين، وإرشادات رد فيها المغالين والمنحرفين إلى جادة الصواب بالإلتزام بما جاء في الكتاب والسنة دون انحراف عن ذلك قيد أنملة، وضرب أقوال المعاندين والمثبطين عرض الحائط بالحجة والدليل، ولا أدل على ذلك مما ذكره العلامة الكتاني في سلوة الأنفاس حيث قال: «ورسائله - أي مولاي العربي - من أنفع الرسائل للمريد وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك، ولا يجحد خيرها وفضلها إلا هالك».

منشورات المجمع الثقافي
Cultural Foundation Publications
أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة - ص.ب: ٢٣٨٠ - هاتف: ٢١٥٣٠٠
Abu Dhabi - U.A.E. - P.O. Box 2380 - Tel. 215300 Cultural Foundation
Email nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http://www.cultural.org.ae

غلاف مصطفى عبده